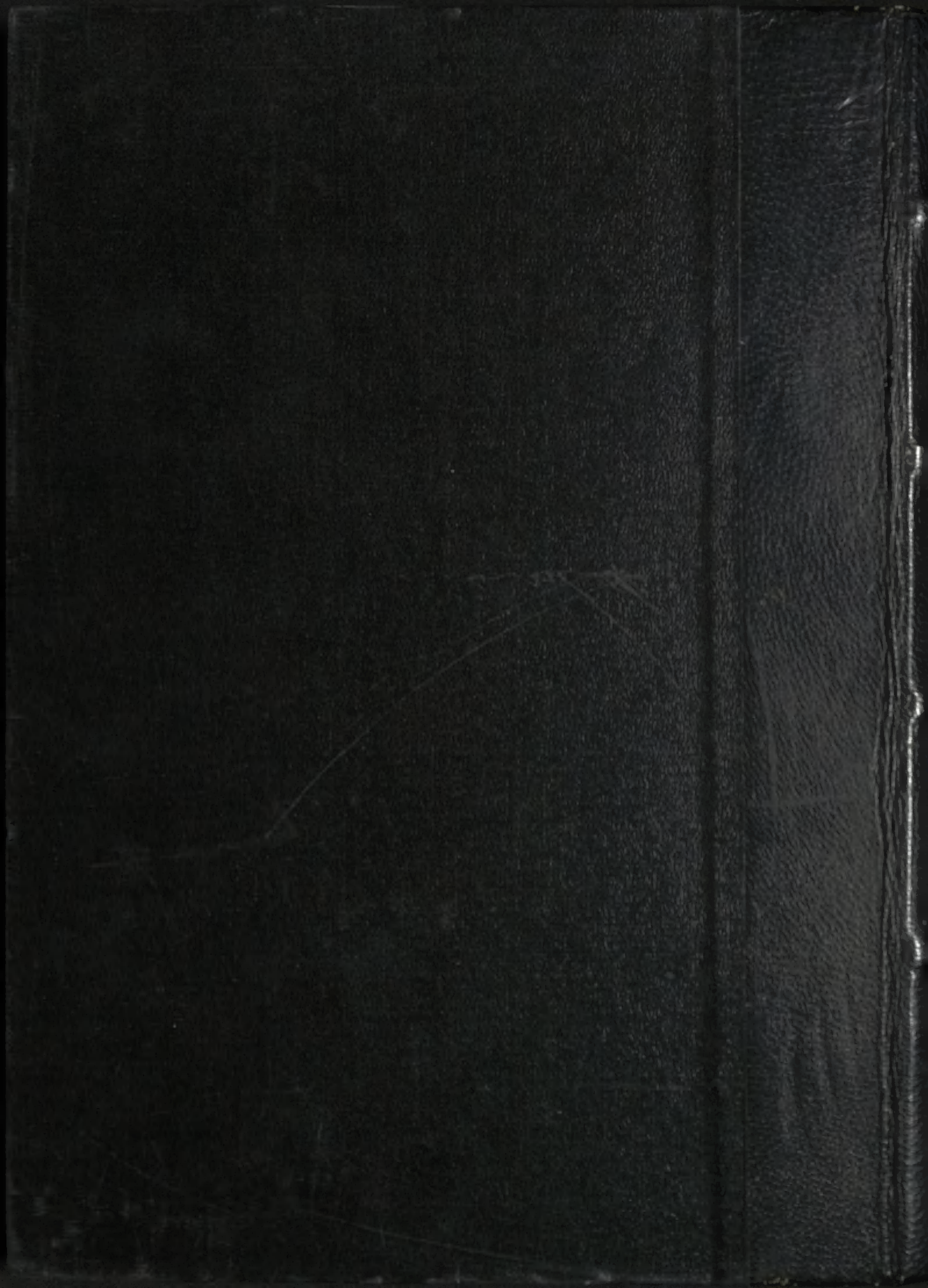
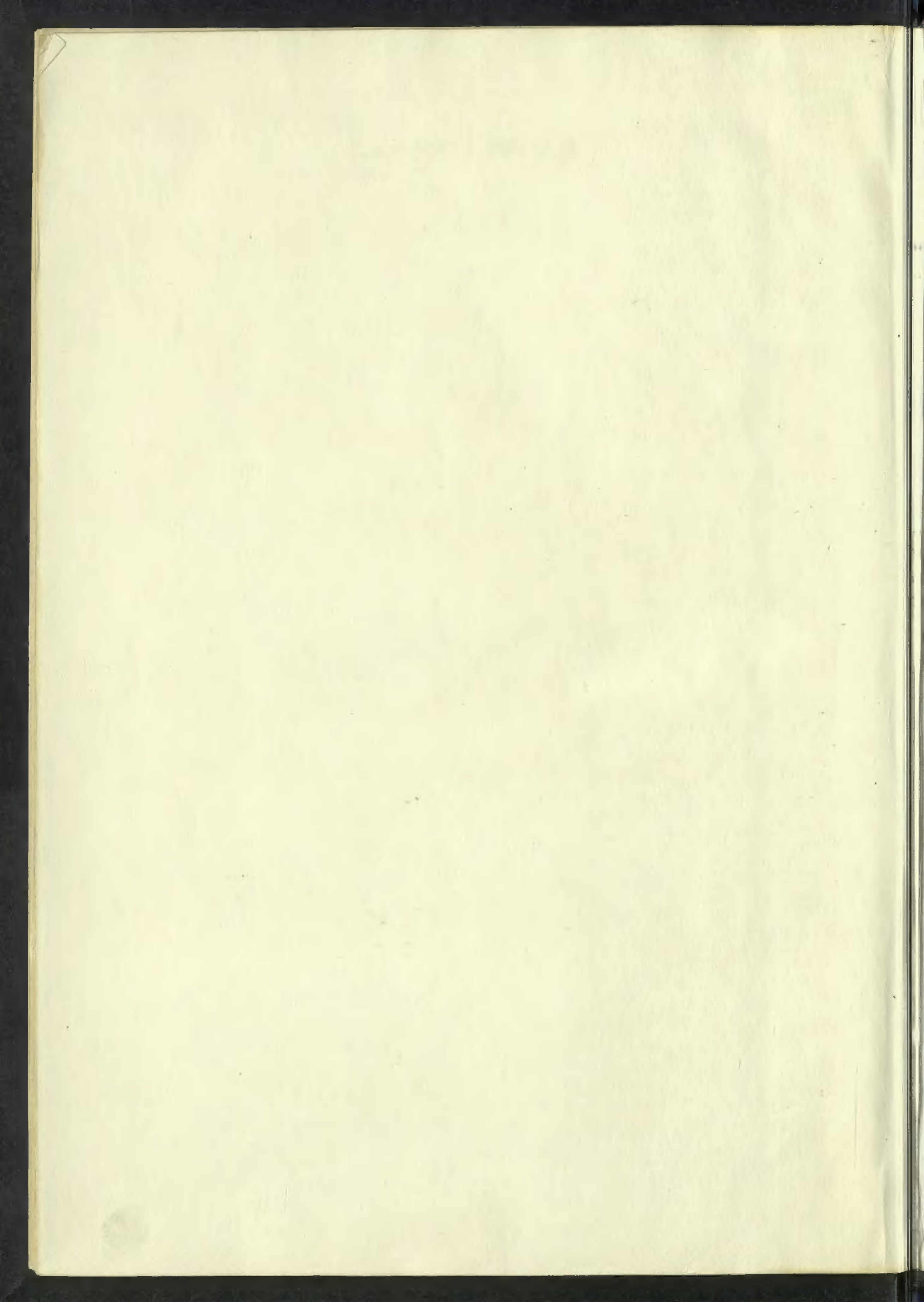
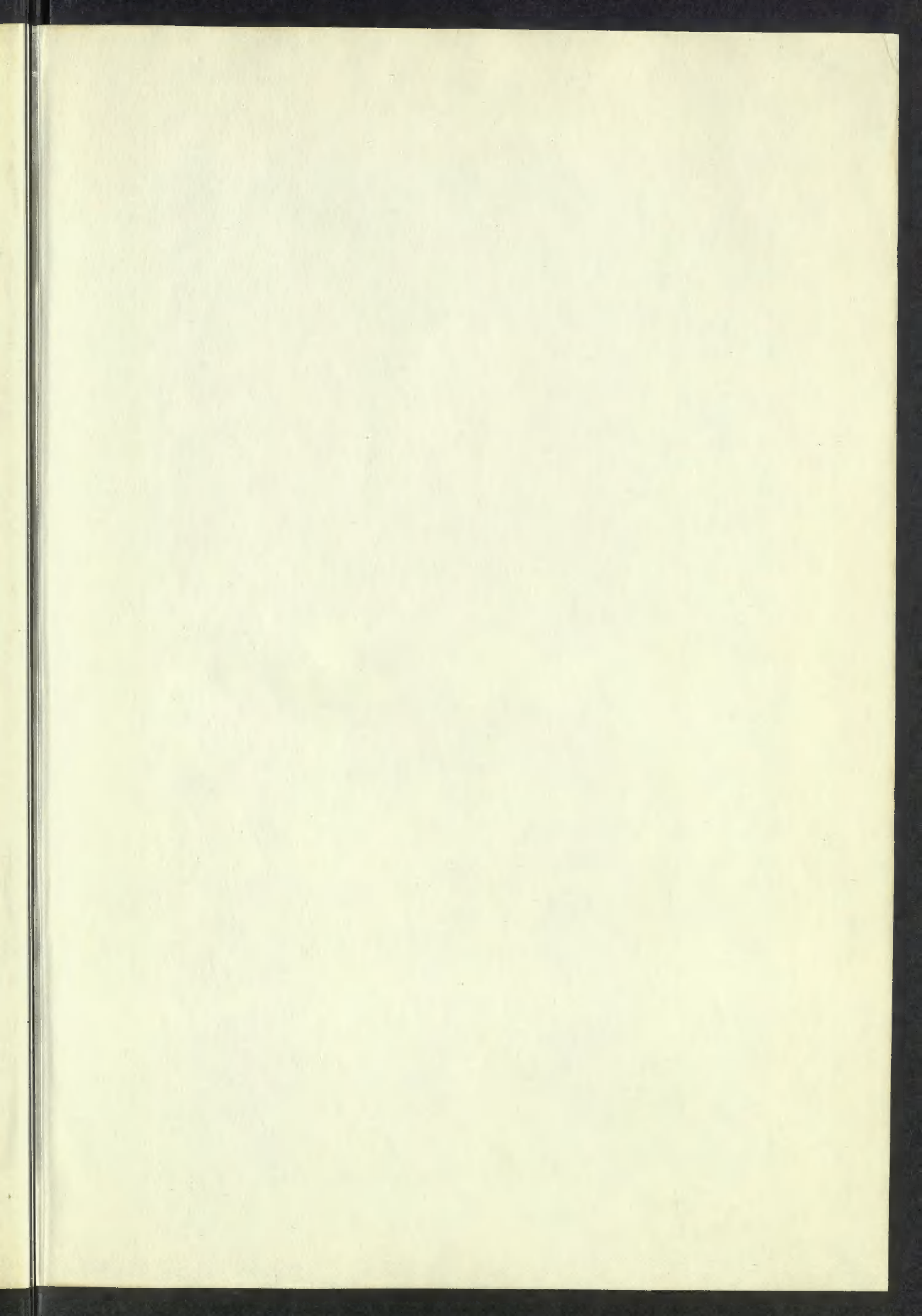
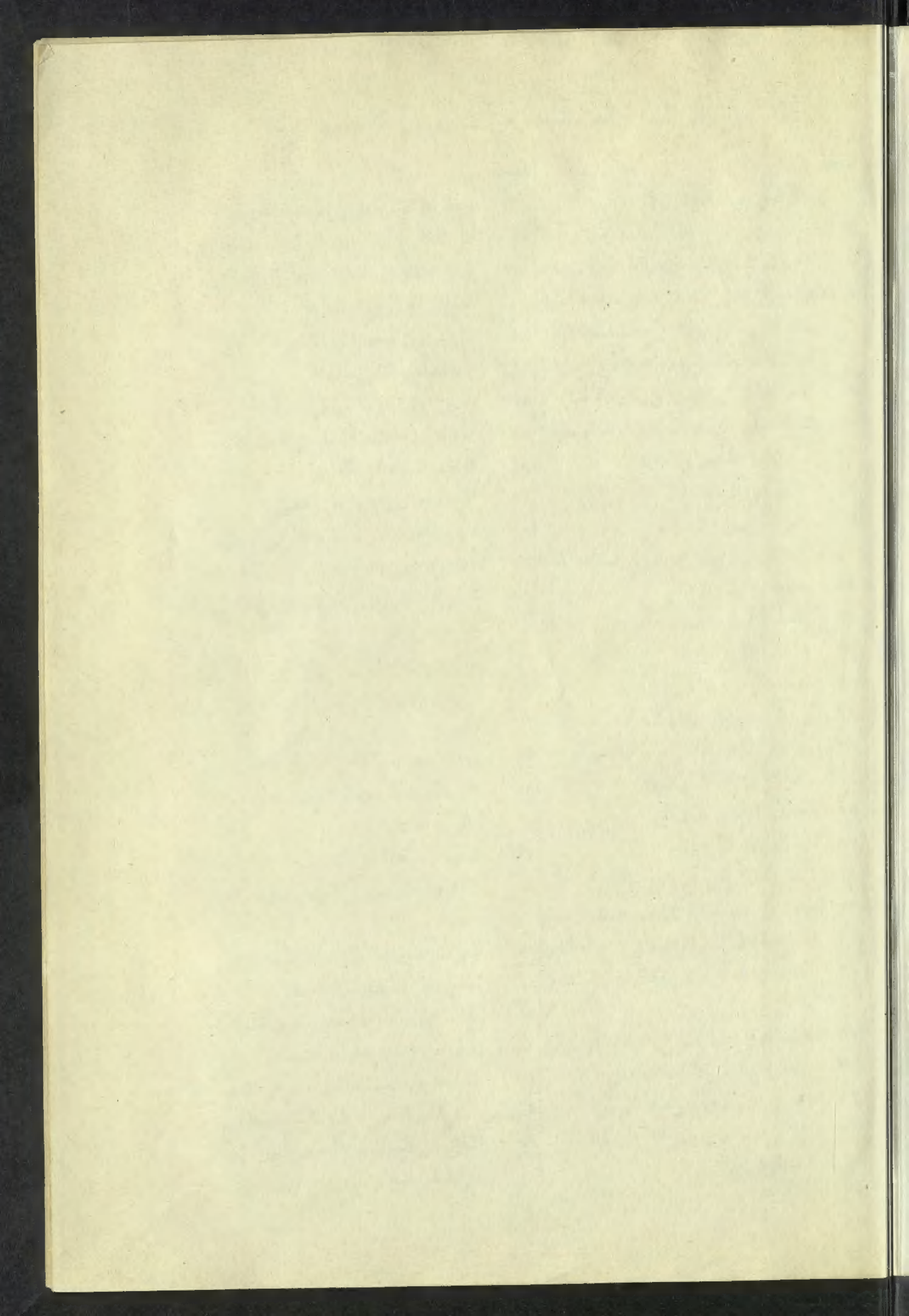
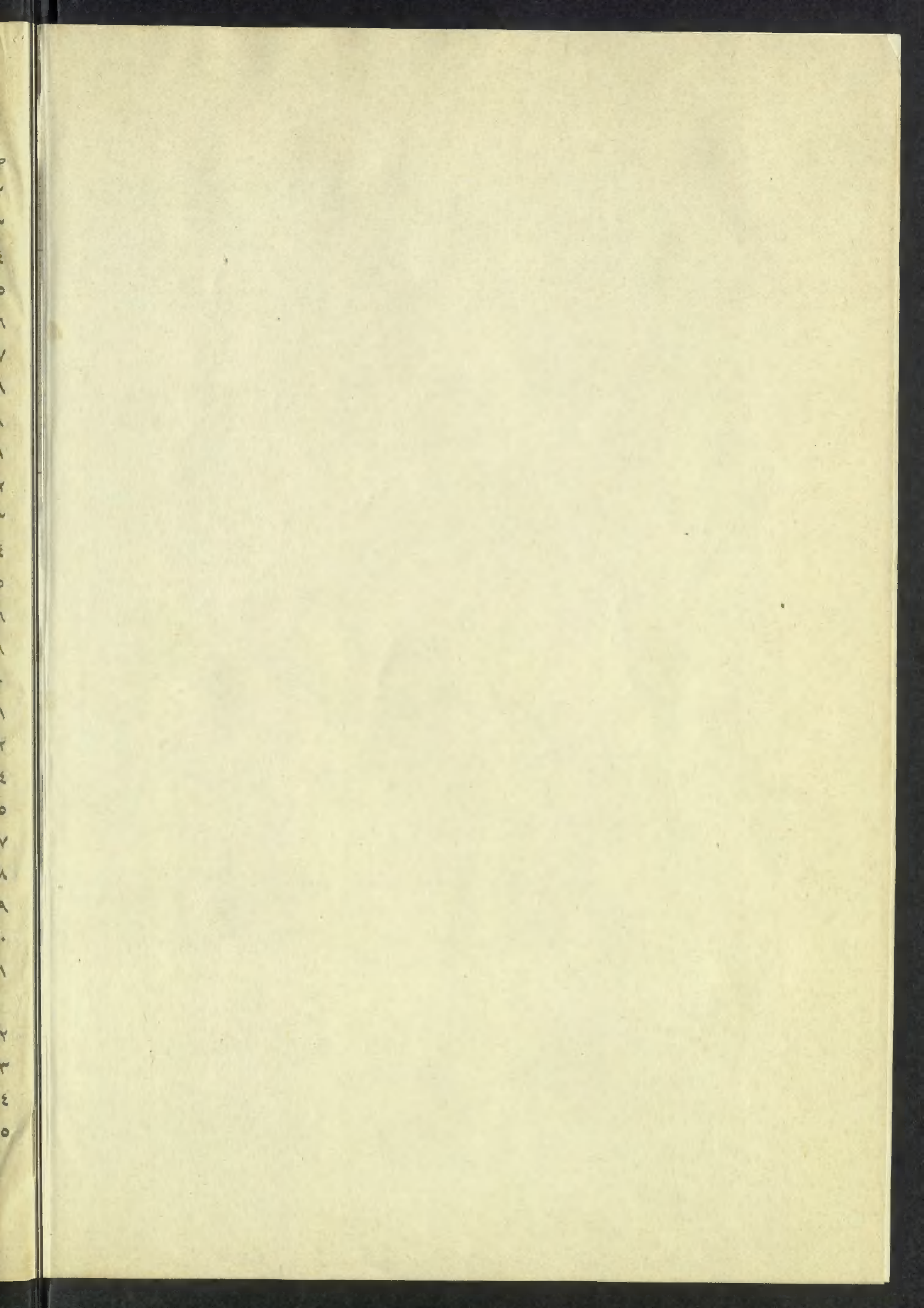










﴿فهرس المسائل المهمة في الجزء السادس من تفسيري ابن كثير والبغوي﴾

صحيفة

صحيفة

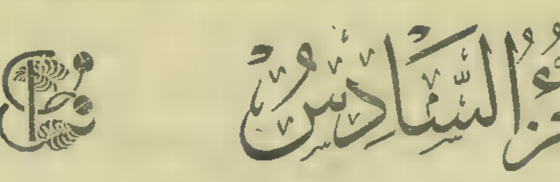
(تم)

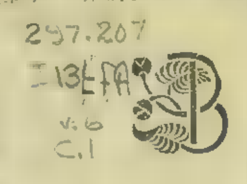


(تصحيح الخطأ المطبعي الواقع في الجزء السادس من تفسيري ابن كثير والبغوى)

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	٢٧	ه ر	قال
٣	٢٨	ووقا أبلغ	وهو أبلغ
٤	١٢	بوق	يوق
»	١٥	طالب	أبي طالب
٦	١٩	لانعبث	لاتعبث
٦	٢٣	لخشوع	الخشوع
١٣	٧	لانعد	لاتعد
١٧	٢	لمبنلين	لمبتلين
»	١٩	زوج	زوجين
١٨	٢٢	مخرجون	أنكم مخرحون
٢٤	٩	إعا	إنما
٢٥	١٠	يؤنون	يؤتون
٣٦	١٢	لنسألهن	لنسألنهم
٣٧	٢٤	أمي ما	أي ما
٤٠	١٤	لجؤلاء	لهؤلاء
٤٣	١	قوم	قوما
٤٥	٧	فاتخذتمودهم	فاتخذتموهم
»	١٢	الفائزين	الفائزون
٤٥	٧	يأنل	يأتل
٩٢	٢٥	زكي	أزكى
٩٨	٢٠	زبنهن	زينتهن
١٥٠	١٥	عليكم أن	عليكم جناح أن
١٦٧	٤	ولياؤكم	أولياؤكم
١٨١	٢٥	سبانا	سباتا
١٨٧	٢٤	لا	إلا
١٩٢	١	حضروعذابه	وحضرعذابه
٢٠٩	١٣	وقال	وقالوا
٢١١	٢٤	تسمعون	تستمعون
٢١٤	١٧	[illegible]	لناربنا
٢١٥	٥	»	»
٢٢١	٤	واشهدا أني بريء	واشهدوا أني بريء

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٨		(١٣٥)	(١٢٥)
٢٤٠		بشق	يشق
٢٥٢	١٠	صفون	صفوان
٢٥٦	٢٠	أعطينهن	أعطنيهن
٢٥٨	١٥	وهجروا	وهجوا
٢٩٨	١	منبسك	منبسط
٣٤٣		فأرقد	فأوقد
»	١١	لافي	إلا في
٣٥٢	١٨	بهدي	يهدي
٣٥٧	٨	كنتم	ما كنتم
٣٦٦	٣	دين	بردين
٣٦٧	٢٦	ياموسى أرض	موسى يا أرض
٣٧٧	٢٠	يطعها	يطيعها
٣٨٣		من من	من
٤٠٩	١٣	وما لك	وما ملك
٤١٤	١٤	لارض	الارض
٤ ٦	٢١	أذقناس	اذقنا الناس
٤٤٠	٢١	يأني	يأتي
٤٤٤	١٤	يشام	يشاء
٤٥٠	١٦	وهي وثلاثون	وهي أربع وثلاثون
٤٥٥	٢٥	فالباحري	فبالحري
٤٦٦	٢٢	لارض	الارض
٤٩١	٢٤	إليه	إليها
٤٩١	٢٦	عذا انار	عذاب النار
٤٩٤	١	لامامه	الأمامة
٤٩٥	٦	فأضيناالزيادة	الزيادة فأرضينا
٤٩٩	٢	أبناكم	أبناءكم
٥٠١	٧	خرجه	خروجه
٥١٦	١٥	ينعطيكهم	نعطيكهم
٥١٦	١٦	فلتمسون	يلتمسون
٥٣٦	٦	كحله	إكحله





من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته

طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف المصححة على نسخة المؤلف . وعلى نسخة مكتبة الجامع الازهر

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوى المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب «محيي السنة» من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل . . كان اماماً جليلا ورعا زاهداً فقيهاً محدثاً مفسرا جامعاً بين العلم والعمل ، سالكا سبيل السلف

طبع بأمر ونفقة صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود
ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر في سنة ١٣٤٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد السادس من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

تفسير سورة المؤمنون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون (١) الذين هم في صلاتهم خاشعون (٢) والذين هم عن اللغو معرضون (٣) والذين هم للزكوة فاعلون (٤) والذين هم لفروجهم حافظون (٥) الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين (٦) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (٧) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٨) والذين هم على صلواتهم يحافظون (٩) أولئك هم الوارثون (١٠) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (١١)

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس بن سليم قال أملى على يونس بن يزيد الايلي عن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد السادس من تفسير ناصر السنة البغوي ﴾

تفسير سورة المؤمنون

مكية وهي مائة وتسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا ابو حامد احمد بن عبد السلام الصالحي أنا أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب بن احمد

ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب يقول كان اذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال « اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا - ثم قال - لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة » ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر ، ورواه الترمذي في تفسيره والنسائي في الصلاة من حديث عبد الرزاق به ، وقال الترمذي منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ويونس لا نعرفه ، وقال النسائي في تفسيره أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر عن أبي عمران عن يزيد بن بابنوس قال قلنا لعائشة أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خلق رسول الله ﷺ القرآن فقرأت (قد أفلح المؤمنون - حتى انتهت الى - والذين هم على صلواتهم يحافظون) قالت هكذا كان خلق رسول الله ﷺ وقد روي عن كعب الاحبار ومجاهد وأبي العالية وغيرهم لما خلق الله جنة عدن وغرسها بيده نظر اليها وقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) قال كعب الاحبار لما أعد لهم من الكرامة فيها وقال أبو العالية فأنزل الله ذلك في كتابه ، وقد روي ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعا فقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) فدخلتها الملائكة فقالت طوبى لك منزل الملوك . ثم قال وحدثنا بشر بن آدم وحدثنا يونس بن عبيد الله العمري حدثنا عدي بن الفضل حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك - قال البزار ورأيت في موضع آخر في هذا الحديث - حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك فقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك » ثم قال البزار لا نعلم أحداً رفعه الا عدي بن

الطوسي أنا محمد بن حماد أنا عبد الرزاق أنا يونس بن سليمان (١) قال أملى علي يونس صاحب ايلة عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة ، وفي رواية فنزل عليه يوما فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال « اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا - ثم قال - لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة » ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون) إلى عشر آيات ورواه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وجماعة عن عبد الرزاق وقالوا واعطنا ولا تحرمنا وارضنا وارض عنا

قوله تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ قد حرف تأكيد ، هو قال المحققون قد يقرب الماضي من الحال يدل على أن الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه في الحال وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل ، والفلاح

(١) في ابن كثير أنه ابن سليم كما ترى في أعلى الصفحة

الفضل وليس هو بالحافظ وهو شيخ متقدم الموت ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن علي حدثنا هشام بن خالد حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت [قد أفلح المؤمنون] بقية عن الحجاز بن ضعيف

وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا حماد بن عيسى العبسي عن اسماعيل السدي عن أبي صالح عن ابن عباس يرفعه « لما خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر اليها فقال (قد أفلح المؤمنون) قال وعزتي وجلالي لايجاورني فيك بخيل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن المثنى البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا يعيش ابن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقي قالت (قد أفلح المؤمنون) فقال الله وعزتي وجلالي لايجاورني فيك بخيل » ثم تلا رسول الله ﷺ (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

وقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) أي قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الاوصاف (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (خاشعون) خائفون ساكنون، وكذا روي عن مجاهد والحسن وقتادة والزهري. وعن علي بن طالب رضي الله عنه الخشوع خشوع القلب وكذا قال ابراهيم النخعي ، وقال الحسن البصري كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح ، وقال محمد بن سيرين كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزلت هذه الآية (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) خفضوا أبصارهم الى موضع سجودهم، قال محمد بن سيرين وكانوا يقولون لايجاوز

النجاة والبقاء . قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ اختلفوا في معنى الخشوع فقال ابن عباس مخبتون أذلاء » قال الحسن وقتادة خائفون وقال مقاتل متواضعون » وقال مجاهد هو غض البصر وخفض الصوت والخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر والصوت . قال الله عز وجل (وخشعت الاصوات للرحمن) وعن علي رضي الله عنه هو أن لايلتفت يمينا ولا شمالا ، وقال سعيد بن جبير هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل . أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثنا مسدد أنا أبو الاحوص أنا أشعث بن سليم عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » وأخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا ابو علي

بصره مصلاه فان كان قد اعتاد النظر فليغمض. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، ثم روى ابن جرير عنه وعن عطاء بن أبي رباح أيضاً مرسلا ان رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك حتى نزلت هذه الاية، والخشوع في الصلاة انما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي عن أنس عن رسول الله ﷺ انه قال «حبب إلي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أسلم أن رسول الله ﷺ قال يا بلال «أرحنا بالصلاة» وقال الامام احمد أيضا ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد أن محمد بن الحنفية قال دخلت مع أبي على صهر لنا من الانصار فحضرت الصلاة فقال يا جارية ائتني بوضوء لعلي أصلي فأستريح، فرآنا أنكرنا عليه ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة».

وقوله (والذين هم عن اللغو معرضون) أي عن الباطل وهو يشتمل الشرك كما قاله بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون ومالا فائدة فيه من الاقوال والافعال كما قال تعالى (واذا مروا باللغو مروا كراما) قال قتادة: أتاهم والله من أمر الله ماوقفهم عن ذلك. وقوله (والذين هم للزكاة فاعلون) الأكثرون على ان المراد بالزكاة ههنا زكاة الاموال مع ان هذه الآية مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة انما هي ذات النصب والمقادير الخاصة وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة قال تعالى في سورة الانعام وهي مكية (وآتوا حقه يوم حصاده) وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وكقوله (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) على أحد القولين في تفسيرها وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً وهو زكاة النفوس وزكاة الاموال فانه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا وهذا والله أعلم.

زاهر بن احمد أنا ابو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي ببغداد أنا ابو أمية محمد بن ابراهيم الطرسوسي أنا عبد الغفار بن عبيد الله أنا صالح بن أبي الاخضر عن الزهري عن أبي الاحوص عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال «لايزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه» وقال عمرو بن دينار هو السكون وحسن الهيئة، وقال ابن سيرين وغيره هو أن لاترفع بصرك عن موضع سجودك، وقال ابو هريرة كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل (الذين هم في صلاتهم خاشعون) رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا يحيى بن سعيد أنا ابن أبي عروبة أنا قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال قال النبي ﷺ «مابال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم ـ فاشتد قوله حتى قال ـ لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم» وقال عطاء هو أن

وقوله (والذين هم لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط ، لايقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم أو ماملكت أيمانهم من السراري ومن تعاطي ماأحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال (فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك) أي غير الازواج والاماء (فأولئك هم العادون) أى المعتدون . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد عن قتادة ان امرأة اتخذت مملوكها وقالت تأولت آية من كتاب الله (أو ماملكت أيمانهم) فأتي بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له ناس من أصحاب النبي ﷺ تأولت آية من كتاب الله عز وجل على غير وجهها قال فضرب العبد وجز رأسه وقال أنت بعده حرام على كل مسلم . هذا أثر غريب منقطع ذكره ابن جرير في تفسير أول سورة المائدة وهو ههنا أليق ، وانما حرمها على الرجال معاملة لها بنقيض قصدها والله أعلم . وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم) قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال الله تعالى (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقد استأنسوا بحديث رواه الامام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حيث قال : حدثني علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن حسان بن حميد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال «سبعة لاينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العاملين ويدخلهم النار أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه : الناكح يده ، والفاعل والمفعول به ، ومدمن الخمر ، والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه ، والناكح حليلة جاره » هذا حديث غريب واسناده فيه من لا يعرف لجهالته والله أعلم .

لاتعبث بشيء من جسدك في الصلاة وروي أن النبي ﷺ أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال « لوخشع قلب هذا خشعت جوارحه » أخبرنا ابو عثمان الضبي أنا ابو محمد الجراحي أنا ابو العباس المحبوبي أنا ابو عيسى الترمذي أنا سعيد عن عبد الرحمن المخزومي أنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي الاحوص عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال « اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه » وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سواها والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر

قوله تعالى ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ قال عطاء عن ابن عباس عن الشرك وقال الحسن عن المعاصي وقال الزجاج عن كل باطل ولهو ومالا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب قال الله تعالى (واذا مروا باللغو مروا كراما) أي اذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا انفسهم عن الدخول فيه ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ أي للزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة ههنا هو العمل الصالح أي والذين هم للعمل الصالح فاعلون ﴿ والذين هم لفروجهم

وقوله (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أي اذا اؤتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها إلى أهلها، واذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان » وقوله (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أي يواظبون عليها في مواقيتها كما قال ابن مسعود سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله أي العمل أحب إلى الله ؟ قال « الصلاة على وقتها » قلت ثم أي ؟ قال « بر الوالدين » قلت ثم أي ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » أخرجاه في الصحيحين، وفي مستدرك الحاكم قال « الصلاة في أول وقتها » وقال ابن مسعود ومسروق في قوله (والذين هم على صلواتهم يحافظون) يعني مواقيت الصلاة ، وكذا قال أبو الضحى وعلقمة بن قيس وسعيد بن جبير وعكرمة ، وقال قتادة على مواقيتها وركوعها وسجودها وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة فدل على أفضليتها كما قال رسول الله ﷺ « استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن » ولما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والافعال الرشيدة قال (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي

حافظون ﴾ الفرج اسم يجمع سوأة الرجل والمرأة وحفظ الفرج التعفف عن الحرام ﴿ إلا على ازواجهم ﴾ أي من ازواجهم على بمعنى من ﴿ أو ماملكت ايمانهم ﴾ ما في محل الخفض يعني أو مما ملكت ايمانهم والآية في الرجال خاصة بدليل قوله (أو ماملكت ايمانهم) والمرأة لايجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها ﴿ فانهم غير ملومين ﴾ يعني يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته فانه لايلام على ذلك وإنما لايلام فيهما اذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الاتيان في غير المأتى وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور وهو على فعله ملوم ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ أي التمس وطلب سوى الازواج والولائد المملوكة ﴿ فأولئك هم العادون ﴾ الظالمون المتجاوزون من الحلال الى الحرام وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول اكثر العلماء . قال ابن جريج سألت عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء . وعن سعيد بن جبير قال : عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ﴿ والذين هم لاماناتهم ﴾ قرأ ابن كثير لأمانتهم على التوحيد ههنا وفي سورة المعارج كقوله تعالى (وعهدهم) والباقون بالجمع كقوله عز وجل (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها) ﴿ وعهدهم راعون ﴾ حافظون أي يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلاة والصيام والعبادات التي اوجبها الله عليه

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامنكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ، فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله » فذلك قوله (أولئك هم الوارثون) وقال ابن جريج عن الليث عن مجاهد (أولئك هم الوارثون) قال مامن عبد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ، فأما المؤمن فيبنى بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار » وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ويبنى بيته الذي في النار . وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لاشريك له ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة وترك أولئك ماأمروا به مما خلقوا له أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل بل أبلغ من هذا أيضاً وهو ماثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال « يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى » وفي لفظ له قال رسول الله ﷺ « اذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقال هذا فكاكك من النار فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبا بردة بالله الذي لاإله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ بذلك قال فحلف له ، قلت وهذه الآية كقوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) وكقوله (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) وقد قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة بالرومية هي الفردوس ، وقال بعض السلف لايسمى البستان الفردوس إلا اذا كان فيه عنب فالله أعلم

وتكون من العبيد كالودائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها ﴿ والذين هم على صلواتهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي صلاتهم على التوحيد والآخرون صلواتهم على الجمع ﴿ يحافظون ﴾ أي يداومون على حفظها ويراعون اوقاتها كرر ذكر الصلاة ليبين أن المحافظة عليها واجبة كما أن الخشوع فيها واجب ﴿ أولئك ﴾ أهل هذه الصفة ﴿ هم الوارثون ﴾ يرثون منازل اهل النار من الجنة . وروي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « مامنكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله » وذلك قوله تعالى (أولئك هم الوارثون) وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبنى منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبنى منزله الذي في النار وقال بعضهم معنى الوراثة هو أنه يؤل امرهم الى الجنة وينالونها كما يؤل امر الميراث الى الوارث

قوله تعالى ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ وهو اعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف ﴿ هم فيها خالدون ﴾ لايموتون ولا يخرجون وجاء في الحديث « ان الله تعالى خلق ثلاثة اشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده » ثم قال وعزتي لايدخلها مدمن خمر ولا ديوث »

ولقد خلقنا الانسـٰـن من سلـٰـلة من طين (١٢) ثم جعلنـٰـه نطفة في قرار مكين (١٣) ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظـٰـما فكسونا العظم لحما ثم أنشأنـٰـه خلقا آخر فتبارك الله أحسنُ الخـٰـلقين (١٤) ثم إنكم بعد ذلك لميتون (١٥) ثم إنكم يوم القيـٰـمة تبعثون (١٦)

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الانسان من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون وقال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس (من سلالة من طين) قال من صفوة الماء ، وقال مجاهد من سلالة أي من مني بني آدم ، وقال ابن جرير انما سمي ا دم طيناً لانه مخلوق منه ، وقال قتادة استل آدم من الطين وهذا أظهر في المعنى وأقرب إلى السياق فان آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون)

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك » وقد رواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الاعرابي به نحوه وقال الترمذي حسن صحيح (ثم جعلناه نطفة) هذا الضمير عائد على جنس الانسان كما قال في الآية الاخرى (وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) أي ضعيف كما قال [ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين] يعني الرحم معد لذلك مهيأ له (إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون) أي مدة معلومة وأجل معين حتى استحكم ونقل من حال إلى حال وصفة إلى صفة ولهذا قال ههنا (ثم خلقنا النطفة علقة) أي ثم صيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المرأة وهي عظام صدرها مابين الترقوة إلى الثندوة فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة قال عكرمة وهي دم (فخلقنا

وقوله عز وجل ﴿ ولقد خلقنا الانسان ﴾ يعني ولد آدم والانسان اسم الجنس يقع على الواحد والجمع ﴿ من سلالة ﴾ روي عن ابن عباس انه قال السلالة صفو الماء وقال مجاهد مني بني آدم وقال عكرمة هو ماء يسيل من الظهر والعرب تسمى النطفة سلالة والولد سليلا وسلالة لأنهما مسلولان منه قوله ﴿ من طين ﴾ يعني طين آدم والسلالة تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبي من نطفة سلت من طين والطين آدم عليه السلام وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله (من سلالة) أي سل من كل تربة ﴿ ثم جعلناه نطفة ﴾ يعني الذي هو الانسان جعلناه نطفة ﴿ في قرار مكين ﴾ حريز وهو الرحم

العلقة مضغة) وهي قطعة كالبضعة من اللحم لاشكل فيها ولا تخطيط (فخلقنا المضغة عظاما) يعني شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها ، وقرأ آخرون (فخلقنا المضغة عظما)قال ابن عباس وهو عظم الصلب

وفي الصحيح من حديث أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل جسد ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » (فكسونا العظام لحما) أي جعلنا على ذلك مايستره ويشده ويقويه (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وادراك وحركة واضطراب (فتبارك الله أحسن الخالقين)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحي بن حسان حدثنا النضر يعني ابن كثير مولى بني هاشم حدثنا زيد بن علي عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : اذا أتت على النطفة أربعة أشهر بعث الله اليها ملكا فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث فذلك قوله [ثم أنشأناه خلقاً آخر] يعني نفخنا فيه الروح « وروي عن أبي سعيد الخدري أنه نفخ الروح قال ابن عباس [ثم أنشأناه خلقاً آخر] يعني فنفخنا فيه الروح « وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد واختاره ابن جرير

وقال العوفي عن ابن عباس (ثم أنشأناه خلقا آخر) يعني ننقله من حال الى حال الى أن خرج طفلا ثم نشأ صغيراً ثم احتلم ثم صار شابا ثم كهلا ثم شيخاً ثم هرما . وعن قتادة والضحاك نحو ذلك « ولا منافاة فانه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع في هذه التنقلات والاحوال والله أعلم

قال الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله ــ هو ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما[1] ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد . فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها . وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها « أخرجاه من حديث سليمان بن مهران الاعمش

(١) زاد في بعض الروايات « نطفة »

مكن وهي . لاستقرارها فيه الى بلوغ أمدها ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر عظما ﴿ فكسونا العظم ﴾ بسكون الظاء على التوحيد فيهما وقرأ الآخرون بالجمع لان الانسان ذو عظام كثيرة وقيل بين كل خلقتين أربعون عاما فكسونا العظام لحما أي ألبسنا ﴿ ثم انشأناه خلقا آخر ﴾ اختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وأبو العالية هو نفخ الروح فيه وقال قتادة نبات الاسنان والشعر وروى ابن جريج عن مجاهد أنه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي خيثمة قال: قال عبدالله - يعني ابن مسعود - ان النطفة اذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر وظفر فتمكث أربعين يوما ثم تنحدر في الرحم فتكون علقة. وقال الامام أحمد أيضا حدثنا حسين بن الحسن حدثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن عبدالله قال: مر يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يايهودي ان هذا يزعم انه نبي فقال لأسألنه عن شيء لا يعلمه الا نبي قال فجاء حتى جلس فقال يامحمد مم يخلق الانسان؟ فقال «يايهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم» فقال هكذا كان يقول من قبلك.

وقال الامام أحمد حدثنا سفيان بن عمرو عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يا رب ماذا؟ أشقي أو سعيد أذكر أم أنثى فيقول الله فيكتبان، ويكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص» وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو هو ابن دينار به نحوه، ومن طريق اخرى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد عن أبي شريحة الغفاري بنحوه والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبيدالله ابن أبي بكر عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «إن الله وكل بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فاذا أراد الله خلقها قال أي رب ذكر أو أنثى شقي أو سعيد فما الرزق والاجل قال فذلك يكتب في بطن أمه» أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به

وقوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) يعني حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال وشكل الى شكل حتى تصورت إلى ماصارت اليه من الانسان السوي الكامل الخلق قال (فتبارك الله أحسن الخالقين) قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن أنس قال قال عمر يعني ابن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في اربع نزلت هذه الآية (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الآية قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا آدم بن أبي اياس حدثنا شيبان عن جابر

استواء الشباب وعن الحسن قال ذكراً أو انثى وروى العوفي عن ابن عباس أن ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع الى القعود الى القيام إلى المشي إلى الفطام إلى أن يأكل ويشرب إلى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها ﴿فتبارك الله﴾ أي استحق التعظيم والثناء بانه لم يزل ولا يزال ﴿أحسن الخالقين﴾ المصورين والمقدرين والخلق في اللغة التقدير، وقال مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين يقال رجل خالق أي صانع. وقال ابن جريج إنما جمع الخالقين لان

الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد بن ثابت الانصاري قال أملى علي رسول الله ﷺ هذه الآية (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين — الى قوله — خلقا آخر) فقال معاذ (فتبارك الله أحسن الخالقين) فضحك رسول الله ﷺ فقال له معاذ مم تضحك يا رسول الله « فقال « بها ختمت فتبارك الله أحسن الخالقين » وفي إسناده جابر بن زيد الجعفي ضعيف جداً وفي خبره هذا نكارة شديدة وذلك ان هذه السورة مكية وزيد بن ثابت انما كتب الوحي بالمدينة وكذلك اسلام معاذ بن جبل انما كان بالمدينة أيضا فالله أعلم

وقوله (ثم انكم بعد ذلك لميتون) يعني بعد هذه النشأة الاولى من العدم تصيرون إلى الموت (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) يعني النشأة الآخرة ثم الله ينشيء النشأة الاخرة يوم المعاد ، وقيام الارواح إلى الاجساد ، فيحاسب الخلائق ويوفي كل عامل عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر

ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين (١٧)

لما ذكر تعالى خلق الانسان عطف بذكر خلق السموات السبع ، وكثيراً ما يذكر تعالى خلق السموات والارض مع خلق الانسان كما قال تعالى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) وهكذا في أول الم السجدة التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها صبيحة الجمعة في أولها خلق السموات والارض ثم بيان خلق الانسان من سلالة من طين وفيها أمر المعاد والجزاء وغير ذلك من المقاصد . وقوله (سبع طرائق) قال مجاهد يعني السموات السبع وهذه كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن — ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا — الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) وهكذا قال ههنا (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) أي ويعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ، وهو سبحانه لا يحجب عنه سماء سماء ولا أرض أرضا ، ولا جبل الا يعلم ما في وعره ،

عيسى كان يخلق كما قال إني أخلق لكم من الطين فاخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين ﴿ ثم انكم بعد ذلك لميتون﴾ والميت بالتشديد والمائت الذي لم يمت بعد وسيموت والميت بالتخفيف من مات ولذلك لم يجز التخفيف هنا كقوله (إنك ميت وانهم ميتون) ﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ أي سبع سموات سميت طرائق لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض يقال طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض وقيل سميت طرائق لانها طرائق الملائكة ﴿ وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي وقيل (وما كنا عن الخلق

ولا بحر الا يعلم ما في قعره ، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال والبحار والقفار والاشجار (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)

وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّـه في الأرض وإنا على ذهاب به لقـٰدرون (١٨)

فأنشأنا لكم به جنّـٰت من نخيل وأعنب لكم فيها فوٰكه كثيرة ومنها تأكلون (١٩) وشجرةً تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (٢٠) وان لكم في الانعم لعبرةً نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منـٰفع كثيرة ومنها تأكلون (٢١) وعليها وعلى الفلك تحملون (٢٢)

يذكر تعالى نعمه على عبيده التي لا تعد ولا تحصى في إنزاله القطر من السماء بقدر أي بحسب الحاجة لا كثيراً فيفسد الارض والعمران ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار بل بقدر الحاجة اليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى إن الاراضي التي تحتـاج ماء كثيراً لزرعها ولا تحتمل دمنتها انزال المطر عليها يسوق اليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر ويقال لها الارض الجرز يسوق الله اليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها فيأتي الماء يحمل طينا أحمر فيسقي أرض مصر ويقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه لان أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور ، وقوله (فأسكناه في الارض) أي جعلنا الماء اذا نزل من السحاب يخلد في الارض ، وجعلنا في الارض قابلية له وتشرب به ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى

وقوله (وإنا على ذهاب به لقادرون) أي لو شئنا أن لا تمطر لفعلنا ولو شئنا أذى لصرفناه عنكم الى السباخ والبراري والقفار لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه أجاجاً لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفعلنا ،

غافلين) أي بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر ﴾ يعلمه الله قال مقاتل بقدر ما يكفيهم للمعيشة ﴿فأسكناه في الأرض﴾ يريد ما يبقى في الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل [فأسكناه في الارض] ثم أخرجنا منها ينابيع فماء الارض كله من السماء ﴿ وانا على ذهاب به لقادرون ﴾ حتى تهلكوا عطشا وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم وفي الخبر : إن الله عز وجل أنزل أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيحان ودجلة والفرات وروى مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال « ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل » أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الله الجبال وأجراها في الارض

ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الارض بل ينجر على وجهها لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه اذا نزل فيها يغور الى مدى لا تصلون اليه ولا تنتفعون به لفعلنا ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبا فراتا زلالا فيسكنه في الارض ويسلكه ينابيع في الارض فيفتح العيون والأنهار ويسقي به الزروع والثمار وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم وتغتسلون منه وتتطهرون منه وتتنظفون فله الحمد والمنة .

وقوله (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب) يعني فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء جنات أي بساتين وحدائق (ذات بهجة) أي ذات منظر حسن . وقوله (من نخيل وأعناب) أي فيها نخيل وأعناب وهذا ما كان يألف أهل الحجاز ولا فرق بين الشيء وبين نظيره وكذلك في حق كل أهل اقليم عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم مايعجزون عن القيام بشكره . وقوله (لكم فيها فواكه كثيرة) أي من جميع الثمار كما قال (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وقوله (ومنها تأكلون) كأنه معطوف على شيء مقدر تقديره تنظرون الى حسنه ونضجه ومنه تأكلون. وقوله (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعني الزيتونة والطور هو الجبل وقال بعضهم انما يسمى طوراً اذا كان فيه شجر فان عري عنها سمي جبلا لا طورا والله أعلم . وطور سيناء هو طور سينين وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون . وقوله

وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله عز وجل (وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض) فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى (وإنا على ذهاب به لقادرون) فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث الامام الحسين بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد ابن سابق الاسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان

قوله تعالى ﴿ فأنشأنا لكم به ﴾ يعني بالماء ﴿ جنات من نخيل واعناب لكم فيها ﴾ في الجنات ﴿ فواكه كثيرة ومنها تأكلون ﴾ شتاء وصيفا وخص النخيل والاعناب بالذكر لانها أكثر فواكه العرب ﴿ وشجرة ﴾ أي وأنشأنا لكم شجرة ﴿ تخرج من طور سيناء ﴾ وهي الزيتون قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو سيناء بكسر السين وقرأ الآخرون بفتحها واختلفوا في معناه وفي سينين في قوله تعالى (وطور سينين) قال مجاهد معناه البركة أي من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن أي من الجبل الحسن وقال الضحاك هو بالنبطية ومعناه الحسن وقال عكرمة هو بالحبشية وقال الكلبي معناه الشجر أي جبل ذو شجر وقيل هو بالسريانية الملتفة بالاشجار وقال مقاتل كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سينا وسينين بلغة النبط وقيل هو فيعال من السناء وهو الارتفاع قال ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى بين مصر وإيلة وقال مجاهد سينا اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقال عكرمة هو اسم

(تنبت بالدهن) قال بعضهم الباء زائدة كما في قول العرب ألقى فلان بيده أي يده وأما على قول من يضمن الفعل فتقديره تخرج بالدهن أو تأتي بالدهن ولهذا قال (وصبغ) أي أدم قاله قتادة (للآكلين) أي فيها ماينتفع به من الدهن والاصطباغ كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن عبد الله بن عيسى عن عطاء الشامي عن أبي أسيد واسمه مالك بن ربيعة الساعدي الانصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة» وقال عبد بن حميد في مسنده وتفسيره حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أن رسول الله ﷺ قال «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة» ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن عبد الرزاق . قال الترمذي ولا يعرف الامن حديثه وكان يضطرب فيه فربما ذكر فيه عمر وربما لم يذكره . قال أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة حدثني الصعب ابن حكيم بن شريك بن نميلة عن أبيه عن جده قال ضفت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة عاشوراء فاطعمني من رأس بعير بارد وأطعمنا زيتا وقال هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه ﷺ وقوله (وإن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) يذكر تعالى ما جعل لخلقه في الانعام من المنافع وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم ويأكلون من حملانها ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها ويركبون ظهورها ويحملونها الاحمال الثقال الى البلاد النائية عنهم كما قال تعالى (وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم)وقال تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون)

المكان الذي فيه هذا الجبل ﴿ تنبت بالدهن ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة ويعقوب تنبت بضم التاء وكسر الباء وقرأ الآخرون بفتح التاء وضم الباء فمن قرأ بفتح التاء فمعناه تنبت تثمر الدهن وهو الزيتون وقيل تنبت ومعها الدهن ومن قرأ بضم التاء اختلفوا فيه فمنهم من قال الباء زائدة معناه تنبت الدهن كما يقال أخذت ثوبه وأخذت بثوبه ومنهم من قال نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد كما قال زهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم   قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

أي نبت ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ الصبغ والصباغ الادام الذي يلون الخبز اذا غمس فيه وينصبغ والادام كل مايؤكل مع الخبز سواء ينصبغ به الخبز أو لا يصبغ قال مقاتل جعل الله في هذه الشجرة أدما ودهنا فالادم الزيتون والدهن الزيت وقال خص الطور بالزيتون لان أول الزيتون نبت بها ويقال لان الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان

قوله سبحانه وتعالى ﴿ وان لكم في الانعام لعبرة ﴾ يعني آية تعتبرون بها ﴿ نسقيكم ﴾ قرأ العامة بالنون وقرأ ابوجعفر ههنا بالتاء وفتحها ﴿ مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها

ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يـٰقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون؟ (٢٣)

فقال الملؤ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء

الله لأنزل ملـٰئكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاوّلين (٢٤) ان هو الا رجل به جنة فتربصوا

به حتى حين (٢٥)

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين بعثه إلى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد وانتقامه ممن أشرك به وخالف أمره وكذب رسله (فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) أي ألا تخافون من الله في إشراككم به فقال الملأ وهم السادة والاكابر منهم (ماهذا إلا بشر مثلكم) (يريد أن يتفضل عليكم) يعنون يترفع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف أوحي اليه دونكم (ولو شاء الله لانزل ملائكة) أي لو أراد أن يبعث نبيا لبعث ملكا من عنده ولم يكن بشراً ماسمعنا بهـذا أي ببعثة البشر في آبائنا الاولين يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم في الدهور الماضية.وقوله (ان هو إلا رجل به جنة) أي مجنون فيما يزعمه من أن الله أرسله اليكم واختصه من بينكم بالوحي (فتربصوا به حتى حين) أي انتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه

قال رب انصرني بما كذبون (٢٦) فأوحينا اليه ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء

أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كلٍ زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا

تخـٰطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٢٧) فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل

وعلى الفلك تحملون ﴾ يعني على الابل في البر وعلى الفلك في البحر ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ وحدوه ﴿ مالكم من إله غيره ﴾ معبود سواه ﴿ أفلا تتقون ﴾ أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾ يعني يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعا وأنتم له تبع ﴿ ولوشاء الله ﴾ أن لا يعبد سواه ﴿ لانزل ملائكة ﴾ يعني بابلاغ الوحي ﴿ ماسمعنا بهـذا ﴾ الذي يدعونا اليه نوح ﴿ في آبائنا الاولين ﴾ وقيل ماسمعنا بهذا أي بارسال بشر رسولا ﴿ ان هو الا رجل به جنة ﴾ يعني جنون ﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾ يعني إلى أن يموت فتستريحوا منه ﴿ قال رب انصرني بما كذبون ﴾ يعني أعني باهلاكهم لتكذيبهم إياي ﴿ فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار

الحمد لله الذي نجّـٰنا من القوم الظـٰلمين (٢٨) وقل رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين (٢٩) ان في ذلك لآيٰت وان كنا لمبتلين (٣٠)

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه دعا ربه ليستنصره على قومه كما قال تعالى مخبراً عنه في الآية الاخرى (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) وقال ههنا (رب انصرني بما كذبون) فعند ذلك أمره الله تعالى بصنعة السفينة وإحكامها واتقانها وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين أي ذكراً وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وأن يحمل فيها أهله (إلا من سبق عليه القول منهم) أي من سبق عليه القول من الله بالهلاك وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كابنه وزوجته والله أعلم. وقوله (ولا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مغرقون) أي عند معاينة انزال المطر العظيم لا تأخذنك رأفة بقومك وشفقة عليهم وطمع في تأخيرهم لعلهم يؤمنون فاني قد قضيت أنهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان وقد تقدمت القصة مبسوطة في سورة هود بما يغني عن اعادة ذلك ههنا وقوله (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) كما قال (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون) وقد امتثل نوح عليه السلام هذا كما قال تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه وقال تعالى [وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين] وقوله [إن في ذلك لآيات] أي ان في هذا الصنيع وهو انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين لآيات أي لحجج ودلالات واضحات على صدق الانبياء فيما جاءوا به عن الله تعالى وانه تعالى فاعل لما يشاء قادر على كل شيء عليم بكل شيء وقوله [وان كنا لمبتلين] أي لمختبرين للعباد بارسال المرسلين

التنور فاسلك فيها ﴾ أدخل فيها يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه ﴿ من كل زوج اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ﴾ يعني من سبق عليه الحكم بالهلاك ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت ﴾ اعتدلت ﴿ أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ يعني الكافرين ﴿ وقل رب أنزلني منزلا مباركا ﴾ قرأ ابو بكر عن عاصم منزلا بفتح الميم وكسر الزاي أي يريد موضع النزول قيل هذا هو السفينة بعد الركوب وقيل هو الارض بعد النزول ويحتمل أنه أراد في السفينة ويحتمل بعد الخروج ، وقرأ الباقون منزلا بضم الميم وفتح الزاي أي انزالا مباركا فالبركة في السفينة النجاة وفي النزول بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة ﴿ وأنت خير المنزلين * إن في ذلك ﴾ يعني الذي ذكرت من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله ﴿ لآيات ﴾

ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٣١) فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ؟ (٣٢) وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفنٰهم في الحيوٰة الدنيا ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون (٣٣) ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخٰسرون (٣٤) أيعدكم أنكم اذامتم وكنتم ترابا وعظٰماً أنكم مخرجون (٣٥) هيهات هيهات لما توعدون (٣٦) إن هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين (٣٧) إن هو إلارجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين (٣٨) قال رب انصرني بما كذبون (٣٩) قال عما قليل ليصبحن نٰدمين (٤٠) فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلنٰهم غثاء فبعداً للقوم الظٰلمين (٤١)

يخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرنا آخرين قيل المراد بهم عاد فانهم كانوا مستخلفين بعدهم. وقيل المراد بهؤلاء ثمود لقوله (فأخذتهم الصيحة بالحق) وانه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه وخالفوه وأبوا عن اتباعه لكونه بشراً مثلهم واستنكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا بلقاء الله في القيامة وأنكروا المعاد الجثماني وقالوا (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون ■ هيهات هيهات لما توعدون) أي بعد بعد ذلك (إن هو

لدلالات على قدرته ﴿ وان كنا لمبتلين ﴾ يعني وقد كنا وقيل وما كنا الا مبتلين أي مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ماهم عاملون قبل نزول العذاب بهم ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم ﴾ من بعد اهلاكهم ﴿ قرنا آخرين ■ فارسلنا فيهم رسولا منهم ﴾ يعني هودا وقومه وقيل صالحا وقومه والاول أظهر ﴿ أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ■ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ أي المصير الى الآخرة ﴿ وأترفناهم ﴾ نعمناهم ووسعنا عليهم ﴿في الحياة الدنيا ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ يعني مما تشربون منه ﴿ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون ﴾ لمغبونون ﴿ أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباوعظاما أنكم مخرجون ﴾ من قبوركم أحياء وأعادأنكم لما طال الكلام ومعنى الكلام أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون . وكذلك هو في قراءة عبدالله نظيره في القرآن (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها) ﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾ قال ابن عباس هي كلمة بعد

إلا رجل افترى على الله كذبا) أي فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والاخبار بالمعاد (وما نحن له بمؤمنين (قال رب انصرني بما كذبون) أى استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم فأجاب دعاءه (قال عما قليل ليصبحن نادمين) أى بمخالفتك وعنادك فيما جئتهم به (فأخذتهم الصيحة بالحق) أى وكانوا يستحقون ذلك من الله بكفرهم وطغيانهم والظاهر انه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي الباردة (تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) وقوله(فجعلناهم غثاء) أي صرعى هلكى كغثاء السيل وهو الشيء الحقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه (فبعداً للقوم الظالمين) كقوله (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) أي بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله ، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم

ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (٤٢) ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٤٣)

ثم أرسلنا رسلنا تترى كل ماجاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون (٤٤)

يقول تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) أي أمما وخلائق (ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) يعني بل يؤخذون على حسب ماقدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم أمة

أي بعيد بعيد ماتوعدون قرأ أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء وقرأ نصر بن عاصم بالضم وكلها لغات صحيحة فمن نصب جعله مثل أين وكيف ومن رفع جعله مثل منذ وقط وحيث ومن كسر جعله مثل أمس وهؤلاء ،ووقف عليها أكثر القراء بالتاء ويروى عن الكسائي الوقف عليها بالهاء ﴿ إن هي ﴾ يعنون الدنيا ﴿ إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ قيل فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت وقيل يموت الاباء ويحيا الابناء وقيل يموت قوم ويحيا قوم ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾ بمنشرين بعد الموت ﴿ إن هو ﴾ يعنون الرسول ﴿ إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين ﴾ بمصدقين بالبعث بعد الموت ﴿ قال رب انصرني بما كذبون ■ قال عما قليل ﴾ أي عن قليل وما صلة ﴿ ليصبحن ﴾ ليصيرن ﴿ نادمين على كفرهم وتكذيبهم ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ يعني صيحة العذاب ﴿ بالحق ﴾ قيل أراد بالصيحة الهلاك وقيل صاح بهم جبريل صيحة تصدعت قلوبهم ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ وهو مايحمله السيل من حشيش وعيدان شجر معناه صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض ﴿ فبعداً للقوم الظالمين ■ ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ يعني أقواما آخرين ﴿ ماتسبق من أمة أجلها ﴾ يعني ماتسبق أمة أجلها ومن صلة أي وقت هلاكها ﴿ وما يستأخرون ﴾

بعد أمة وقرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وخلفا بعد سلف (ثم أرسلنا رسلنا تترى) قال ابن عباس يعني يتبع بعضهم بعضا وهذا كقوله تعالى [ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة] وقوله [كلما جاء أمة رسولها كذبوه] يعني جمهورهم وأكثرهم كقوله تعالى [ياحسرة على العباد مايأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون] وقوله (فأتبعنا بعضهم بعضا) أي أهلكناهم كقوله [وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح] وقوله (وجعلناهم أحاديث) أي أخباراً وأحاديث للناس كقوله (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق)

ثم أرسلنا موسى وأخاه هٰرون بآيٰتنا وسلطٰن مبين (٤٥) الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين (٤٦) فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عبدون (٤٧) فكذبوهما فكانوا من المهلكين (٤٨) ولقد آتينا موسى الكتٰب لعلهم يهتدون (٤٩)

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وملئه بالآيات والحجج الدامغات والبراهين القاطعات وان فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما والانقياد لامرهما لكونهما بشرين كما أنكرت الامم الماضية بعثة الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فأهلك الله فرعون وملأه وأغرقهم في يوم واحد أجمعين وأنزل على موسى الكتاب وهو التوراة فيها أحكامه وأوامره ونواهيه

وما يتأخرون عن وقت هلاكهم ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى ﴾ يعني مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل نبيين زمانا طويلا وهي فعلى من المواترة قال الاصمعي يقال واترت الخبر اذا اتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين مهلة واختلف القراء فيه فقرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو بالتنوين ويعقوب بالالف ولا يميله أبو عمرو في الوقف فيهما كالالف في قولهم رأيت زيداً ، وقرأ الباقون بلا تنوين والوقف عندهم يكون بالياء ويميله حمزة والكسائي وهو مثل قولهم غضبى وسكرى وهو اسم جمع مثل شتى وعلى القراءتين التاء الاولى بدل من الواو وأصله وترى من المواترة والتواتر فجعلت الواو تاء مثل التقوى والتكلان ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا ﴾ بالهلاك أي أهلكنا بعضهم في أثر بعض ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ يعني سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع احدوثة وقيل جمع حديث قال الاخفش إنما هو في الشر واما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث واحدوثة إنما يقال صار فلان حديثا ﴿ فبعداً لقوم لايؤمنون * ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين ﴾ يعني بحجة بينة من اليد والعصا وغيرهما ﴿ الى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾ تعظموا عن الايمان ﴿ وكانوا قوما عالين ﴾ متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم ﴿ فقالوا ﴾ يعني فرعون وقومه ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ يعني موسى وهارون ﴿ وقومهما لنا عابدون ﴾ مطيعون متذللون

وذلك بعد أن قصم الله فرعون والقبط وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين كما قال تعالى [ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون]

وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام انه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على مايشاء فانه خلق آدم من غير أب ولا أم وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى، وقوله [وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين] قال الضحاك عن ابن عباس : الربوة المكان المرتفع من الارض وهو أحسن مايكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة ، قال ابن عباس :وقوله [ذات قرار] يقول ذات خصب [ومعين] يعني ماء طاهراً وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة ، وقال مجاهد ربوة مستوية ،وقال سعيد بن جبير [ذات قرار ومعين] استوى الماء فيها وقال مجاهد وقتادة [ومعين] الماء الجاري . ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة من أي أرض هي ؛ فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ليس الربى إلا بمصر والماء حين يسيل يكون الربى عليها القرى ولولا الربى غرقت القرى وروي عن وهب بن منبه نحو هذا وهو بعيد جداً . وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله [وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين] قال هي دمشق قال وروي عن عبدالله بن سلام والحسن وزيد بن أسلم وخالد بن معدان نحو ذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ذات قرار ومعين قال أنهار دمشق وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد وآويناهما إلى ربوة قال عيسى بن مريم وأمه حين أويا إلى غوطة دمشق وما حولها

وقال عبدالرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبدالله بن عم أبي هريرة قال سمعت أباهريرة يقول :

والعرب تسمي كل من دان الملك عابداً له ﴿ فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴾ بالغرق ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ أي لكي يهتدي به قومه ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ دلالة على قدرتنا ولم يقل آيتين قيل معناه جعلنا شأنهما آية وقيل معناه جعلنا كل واحد منهما آية كقوله تعالى (كلتا الجنتين آتت أكلها) ﴿ وآويناهما الى ربوة ﴾ الربوة المكان المرتفع من الارض واختلفت الاقوال فيها فقال عبد الله بن سلام هي دمشق وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل وقال الضحاك غوطة دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال عطاء عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب وقال كعب هي أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقال ابن زيد هي مصر وقال

في قول الله تعالى [إلى ربوة ذات قرار ومعين] قال هي الرملة من فلسطين ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي حدثنا داود بن الجراح حدثنا عباد بن عباد الخواص أبو عتبة حدثنا الشيباني عن ابي وعلة عن كريب السحولي عن مرة البهذي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل « إنك تموت بالربوة » فمات بالرملة وهذا حديث غريب جداً وأقرب الاقوال في ذلك ماروراه العوفي عن ابن عباس في قوله [وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين] قال المعين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله تعالى [قد جعل ربك تحتك سريا] وكذا قال الضحاك وقتادة إلى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت المقدس فهذا والله أعلم هو الاظهر لانه المذكور في الآية الاخرى والقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا أولى مايفسر به ثم الاحاديث الصحيحة ثم الآثار

يا أيها الرسل كلوا من الطيبت واعملوا صلحا إني بما تعملون عليم (٥١) وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (٥٢) فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون (٥٣) فذرهم في غمرتهم حتى حين (٥٤) أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٥٦)

يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالاكل من الحلال والقيام بالصالح من الاعمال فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح فقام الانبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام وجمعوا بين كل خير قولا وعملا ودلالة ونصحا فجزاهم الله عن العباد خيراً . قال الحسن البصري في قوله (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قال أما والله ماأمركم بأصفركم ولا أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكن قال انتهوا إلى الحلال منه « وقال سعيد بن جبير والضحاك (كلوا من الطيبات) يعني الحلال . وقال أبو إسحاق السبيعي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه « وفي الصحيح « وما من نبي إلا رعى الغنم - قالوا وأنت يارسول الله ؟ - قال نعم وأنا كنت أرعاها على قراريط لاهل مكة » وفي الصحيح ان داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده « وفي

السدي أرض فلسطين ﴿ ذات قرار ﴾ أي مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ﴿ ومعين ﴾ فالمعين الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون مفعول من عانه يعينه اذا أدركه البصر

قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسل ﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة أراد به محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة وقال بعضهم أراد به عيسى وقيل أراد به جميع الرسل عليهم السلام ﴿ كلوا من الطيبات ﴾ أي الحلالات ﴿ واعملوا صالحا ﴾ الصلاح هو

الصحيحين ان أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب القيام إلى الله قيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب ان أم عبدالله بنت شداد بن أوس قالت بعثت الى النبي ﷺ بقدح لبن عند فطره وهو صائم وذلك في أول النهار وشدة الحر فرد اليها رسولها أنا كانت لك الشاة ؟ فقالت اشتريتها من مالي فشرب منه ، فلما كان من الغد أتته أم عبدالله بنت شداد فقالت يارسول الله بعثت اليك بلبن مرثية لك من طول النهار وشدة الحر فرددت الى الرسول فيه . فقال لها « بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل إلا طيبا ولا تعمل إلا صالحا » وقد ثبت في صحيح مسلم وجامع الترمذي ومسند الامام أحمد واللفظ له من حديث فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ياأيها الناس ان الله طيب لا يقبل إلا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) وقال (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يمد يديه الى السماء يارب يارب فأنى يستجاب لذلك » وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق ، وقوله (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) أي دينكم يامعشر الانبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له ولهذا قال (وأنا ربكم فاتقون) وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الانبياء وإن قوله (أمة واحدة) منصوب على الحال وقوله (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا) أي الامم الذين بعثت اليهم الانبياء (كل حزب بما لديهم فرحون)

الاستقامة على ماتوجبه الشريعة ﴿ إني بما تعملون عليم ، وإن هذه ﴾ قرأ أهل الكوفة وان بكسر الالف على الابتداء وقرأ الباقون بفتح الالف وخفف ابن عامر النون وجعل ان صلة مجازه وهذه ﴿ أمتكم ﴾ وقرأ الباقون بتشديد النون على معنى وبأن هذه تقديره بأن هذه أمتكم أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها ﴿ أمة واحدة ﴾ أي ملة واحدة وهي الاسلام ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ أي اتقوني لهذا وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم فأمركم واحد(وأنا ربكم فاتقون)فاحذرون وقيل هو نصب باضمار فعل أي اعلموا أن هذه امتكم أي ملتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴿ فتقطعوا أمرهم﴾ دينهم﴿ بينهم ﴾ أي تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا ﴿ زبرا﴾ أي فرقا وقطعا مختلفة واحدها زبور وهو الفرقة والطائفة ومثله الزبرة وجمعها زبر ومنه زبر الحديد أي صاروا فرقا كزبر الحديد وقرأ بعض أهل الشام زبرا بفتح الباء قال قتادة ومجاهد زبراً أي كتبا يعني دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخر وقيل جعلوا كتبهم قطعا مختلفة آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض وحرفوا البعض ﴿ كل حزب بما لديهم ﴾ أي بما عندهم من الدين ﴿ فرحون ﴾ معجبون

بما هم فيه من الضلال لانهم يحسبون انهم مهتدون ولهذا قال متهدداً لهم ومتوعداً (فذرهم في غمرتهم) أي في غيهم وضلالهم (حتى حين) أي الى حين حينهم وهلاكهم كما قال تعالى (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) وقال تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون)

وقوله (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) يعني أيظن هؤلاء المغررون انما نعطيهم من الاموال والاولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلا ليس الامر كما يزعمون في قولهم (نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم بل انما نفعل بهم ذلك استدراجا وانظاراً واملاء ولهذا قال (بل لا يشعرون) كما قال تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) الآية . وقال تعالى (انما نملي لهم ليزدادوا إثما) وقال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم) الآية وقال (ذرني ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - عنيداً) وقال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا) الآية . والآيات في هذا كثيرة، قال قتادة في قوله [أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ؟ بل لا يشعرون] قال مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم ، يا ابن آدم فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ولكن اعتبرهم بالايمان والعمل الصالح

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد ثنا أبان بن اسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني حدثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه - قالوا وما بوائقه يا رسول الله ؟ قال - غشمه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، ان الخبيث لا يمحو الخبيث »

ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (٥٧) والذين هم بآيت ربهم يؤمنون (٥٨)

ومسرورون ﴿ فذرهم في غمرتهم ﴾ قال ابن عباس في كفرهم وضلالتهم وقيل عمايتهم وقيل غفلتهم ﴿ حتى حين ﴾ الى أن يموتوا ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ﴾ ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم من المال والبنين في الدنيا ﴿ نسارع لهم في الخيرات ﴾ أي نعجل لهم في الخيرات ونقدمها ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا عنهم ﴿ بل لا يشعرون ﴾ أن ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ أي خائفون والاشفاق الخوف والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري المؤمن من جمع احسانا وخشية ، والمنافق من جمع

والذين هم بربهم لا يشركون (٥٩) والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون (٦٠)

أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون (٦١)

يقول تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكره بهم كما قال الحسن البصري: ان المؤمن جمع إحساناً وشفقة وان المنافق جمع اساءة وأمناً (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية كقوله تعالى اخباراً عن مريم عليها السلام (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي أيقنت ان ما كان انما هو عن قدر الله وقضائه وما شرعه الله فهو ان كان أمراً فمما يحبه ويرضاه، وان كان نهياً فهو مما يكرهه ويأباه، وان كان خيراً فهو حق كما قال الله [والذين هم بربهم لا يشركون] أي لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وانه لا نظير له ولا كفء له: وقوله (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الاعطاء، وهذا من باب الاشفاق والاحتياط كما قال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها قالت يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يارسول الله هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عزوجل؟ قال «لا يابنت أبي بكر يابنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عزوجل» وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول به بنحوه وقال «لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يتقبل منهم (أولئك يسارعون في الخيرات)» وقال الترمذي وروي هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحو هذا وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري في تفسير هذه الآية، وقد قرأ آخرون

اساءة وامناً ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ يصدقون ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ والذين يؤتون ما آتوا ﴾ أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وروي عن عائشة أنها كانت تقرأ (والذين يأتون ما أتوا) أي يعملون ما عملوا من أعمال البر ﴿وقلوبهم وجلة﴾ ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم ﴿أنهم الى ربهم راجعون﴾ لأنهم يوقنون انهم يرجعون الى الله عزوجل قال الحسن عملوا لله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم اخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبدالله بن يوسف أنا محمد بن حامد حدثنا محمد بن الجهم أنا عبدالله بن عمرو أنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة رضي الله عنها قالت «قلت يارسول الله (والذين يؤتون ما آتو وقلوبهم وجلة) أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال «لا يابنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه»

هذه الآية (والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة) أي يفعلون ما يفعلون وهم خائفون، وروي هذا مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قرأها كذلك. قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا صخر بن جويرية حدثنا إسماعيل المكي حدثنا أبو خلف مولى بني جمح أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقالت مرحبا بأبي عاصم ما يمنعك أن تزورنا أو تلم بنا؟ فقال أخشى أن أملك فقالت: ما كنت لتفعل؟ قال جئت لأسألك عن آية من كتاب الله عز وجل كيف كان رسول الله ﷺ يقرؤها؟ قالت أية آية؟ قال: الذين يؤتون ما آتوا - والذين يأتون ما أتوا) فقالت أيتهما أحب إليك؟ فقلت والذي نفسي بيده لأحدهما أحب إلي من الدنيا جميعا أو الدنيا وما فيها قالت وما هي؟ فقلت (الذين يأتون ما أتوا) فقالت أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرؤها وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف. فيه اسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف. والمعنى على القراءة الاولى وهي قراءة الجمهور السبعة وغيرهم أظهر، لأنه قال (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) فجعلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الاخرى لأوشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المقتصدين أو المقصرين والله أعلم

ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتٰب ينطق بالحق وهم لا يُظلمون (٦٢) بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمٰل من دون ذلك هم لها عٰملون (٦٣) حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجٔرون (٦٤) لا تجٔروا اليوم انكم منا لا تنصرون (٦٥) قد كانت اٰيٰتي تتلى عليكم فكنتم على أعقٰبكم تنكصون (٦٦) مستكبرين به سٰمرا تهجرون (٦٧)

يقول تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا إنه لا يكلف نفسا إلا وسعها أي إلا

قوله عز وجل ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون الى الاعمال الصالحات ﴿وهم لها سابقون﴾ أي اليها سابقون كقوله تعالى (لما نهوا) أي الى مانهوا ولما قالوا ونحوها وقال ابن عباس في معنى هذه الآية سبقت لهم من الله السعادة وقال الكلبي سبقوا الامم الى الخيرات

﴿ولا نكلف نفسا إلا وسعها﴾ أي طاقتها فمن لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع الصوم فليفطر ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ وهو اللوح المحفوظ فهو ينطق بالحق يبين بالصدق ومعنى الآية (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) إلا ما أطاقت من العمل وقد اثبتنا عمله في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينتقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال ﴿بل قلوبهم في غمرة﴾ أي في غفلة وجهالة ﴿من هذا﴾ أي من القرآن ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ أي للكفار اعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكوم بها عليهم من دون ذلك يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله (إن الذين هم من

ماتطيق حمله والقيام به وانه يوم القيامة يحاسبهم باعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لايضيع منه شيء ولهذا قال (ولدينا كتاب ينطق بالحق) يعني كتاب الاعمال (وهم لايظلمون) أي لايبخسون من الخير شيئا ، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين ثم قال منكراً على الكفار والمشركين من قريش (بل قلوبهم في غمرة) أي في غفلة وضلالة من هذا أي القرآن الذي أنزل على رسوله ﷺ . وقوله (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (ولهم أعمال) أي سيئة من دون ذلك يعني الشرك (هم لها عاملون) قال لا بد أن يعملوها وكذا روي عن مجاهد والحسن وغير واحد ، وقال آخرون (لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) أي قد كتبت عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لامحالة لتحق عليهم كلمة العذاب ، وروي نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدي وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ظاهر قوي حسن ، وقد قدمنا في حديث ابن مسعود « فوالذي لا إله غيره ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

وقوله (حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون) يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم (إذا هم يجأرون) أي يصرخون ويستغيثون كما قال تعالى (ذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا أنكالا وجحيما) الآية وقال تعالى (وكم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص) وقوله (لاتجأروا اليوم إنكم منا لاتنصرون) أي لايجيركم أحد مما حل بكم سواء جأرتم أو سكتم لاحيد ولا مناص ولا وزر لزم الامر ووجب العذاب ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي إذا دعيتم أبيتم وان طلبتم امتنعتم (ذلكم بانه إذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير) وقوله (مستكبرين به سامراً تهجرون) في تفسيره قولان [أحدهما] أن مستكبرين حال

خشية ربهم مشفقون) ﴿ هم لها عاملون ﴾ لابد لهم أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة هذا قول أكثر المفسرين ، وقال قتادة هذا ينصرف الى المسلمين وان لهم أعمالا سوى ماعملوا من الخيرات هم لها عاملون والاول أظهر ﴿ حتى اذا أخذنا مترفيهم ﴾ أي أخذنا اغنياءهم ورؤساءهم ﴿ بالعذاب ﴾ قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقال الضحاك يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال « اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف » فابتلاهم الله عز وجل بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف ﴿ إذا هم يجأرون ﴾ يضجون ويجزعون ويستغيثون وأصل الجأر رفع الصوت بالتضرع ﴿ لا تجأروا اليوم ﴾ أي لا تضجوا ﴿ إنكم منا لا تنصرون ﴾ لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم ﴿ قد كانت آياتي تتلى عليكم ﴾ يعني القرآن ﴿ فكنتم على اعقابكم تنكصون ﴾ ترجعون القهقرى تتأخرون عن الايمان ﴿ مستكبرين به ﴾ اختلفوا في هذه الكناية فأظهر الاقاويل أنها تعود

منهم حين نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه استكباراً عليه واحتقاراً له ولأهله فعلى هذا الضمير في به فيه ثلاثة أقوال (أحدها) انه الحرم أي مكة ذموا لأنهم كانوا يسمرون فيه بالهجر من الكلام . [والثاني] أنه ضمير للقرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام انه سحر انه شعر انه كهانة إلى غير ذلك من الاقوال الباطلة [والثالث] انه محمد ﷺ كانوا يذكرونه في سمرهم بالاقوال الفاسدة ويضربون له الامثال الباطلة من أنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون فكل ذلك باطل بل هو عبدالله ورسوله الذي أظهره الله عليهم ، وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء وقيل المراد بقوله [مستكبرين به] أي بالبيت يفتخرون به ويعتقدون أنهم أولياؤه وليسوا به كما قال النسائي في التفسير . أخبرنا احمد بن سليمان أخبرنا عبيدالله عن إسرائيل عن عبد الاعلى أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس أنه قال : إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية (مستكبرين به سامراً تهجرون) فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهله سامراً قال كانوا يتكبرون ويسمرون فيه ولا يعمرونه ويهجرونه ، وقد أطنب ابن أبي حاتم ههنا بما هذا حاصله

أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين (٦٨) أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون (٦٩) أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (٧٠)ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموٰت والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون (٧١) أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين (٧٢) وإنك

الى البيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام وتعظمهم به انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحداً فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والاول أظهر أن المراد منه الحرم ﴿ سامرا ﴾ نصب على الحال أي إنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت ووحد سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع الوقت أراد تهجرون ليلا وقيل وحد سامرا ومعناه الجمع كقوله (ثم نخرجكم طفلا) ﴿ تهجرون ﴾ قرأ نافع تهجرون بضم التاء وكسر الجيم من الاهجار وهو الافحاش في القول أي تفحشون وتقولون الخنا وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ وأصحابه وقرأ الآخرون تهجرون بفتح التاء وضم الجيم أي تعرضون عن النبي ﷺ وعن الايمان والقرآن وترفضونها وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح يقال هجر يهجر هجراً اذا قال غير الحق وقيل تهزؤن وتقولون مالا تعلمون من قولهم هجر الرجل في منامه اذا هذى ﴿ أفلم يدبروا ﴾ يعني يتدبروا ﴿ القول ﴾ يعني ماجاءهم من القول وهو القرآن فيعرفوا مافيه من الدلالات على صدق محمد

لتدعوهم إلى صراط مستقيم (٧٣) وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون (٧٤) ولو رحمنـٰهم وكشفنا ما بهم من ضر لَّلَجُّوا في طغيـٰنهم يعمهون (٧٥)

يقول تعالى منكراً على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له وإعراضهم عنه مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف لاسيما آباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله عليهم بقبولها والقيام بشكرها وتفهمها، والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول ﷺ ورضي عنهم

وقال قتادة (أفلم يدبروا القول) إذاً والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه ولكنهم أخذوا بما تشابه فهلكوا عند ذلك. ثم قال منكراً على الكافرين من قريش (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) أي أنهم لا يعرفون محمداً وصدقه وأمانته وصيانته التي نشأ بها فيهم أي أفيقدرون على انكار ذلك والمباهتة فيه. ولهذا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة. أيها الملك إن الله بعث فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وهكذا قال المغيرة ابن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال ابو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل حين سأله وأصحابه عن صفات النبي ﷺ ونسبه وصدقه وأمانته، وكانوا بعد كفارا لم يسلموا، ومع هذا لم يمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك. وقوله (أم يقولون به جنة) يحكي قول المشركين عن النبي ﷺ أنه تقول القرآن أي افتراه من عنده أو ان به جنونا لا يدري مايقول. وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به وهم يعلمون بطلان مايقولونه في القرآن فانه قد أتاهم من كلام الله مالا يطاق ولا يدافع وقد تحداهم وجميع أهل الارض أن يأتوا بمثله ان استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين ولهذا قال (بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) يحتمل أن تكون هذه جملة حالية أي في حالة كراهة أكثرهم للحق ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة والله أعلم

وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ لقي رجلا، فقال له أسلم، فقال الرجل إنك لتدعوني

ﷺ ﴿أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين﴾ فانكروا يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم كذلك بعثنا محمداً ﷺ اليهم وقيل أم بمعنى بل يعني بل جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين فلذلك انكروا ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ محمداً ﷺ ﴿فهم له منكرون﴾ قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ماعرفوه بالصدق والامانة ﴿أم يقولون به جنة﴾ جنون وليس كذلك ﴿بل جاءهم بالحق﴾ يعني بالصدق والقول الذي لاتخفى صحته وحسنه على عاقل ﴿وأكثرهم للحق كارهون

إلى أمر أتاله كاره فقال نبي الله ﷺ « وإن كنت كارها » وذكر لنا أنه لقي رجلا فقال له « أسلم » فصعد ذلك وكبر عليه فقال له نبي الله ﷺ « أرأيت لو كنت في طريق وعر وعث فلقيت رجلا تعرف وجهه وتعرف نسبه فدعاك إلى طريق واسع سهل أكنت تتبعه ؟ » قال نعم : قال « فوالذي نفس محمد بيده إنك لفي أوعر من ذلك الطريق لو قد كنت عليه وإني لادعوك لاسهل من ذلك لو دعيت اليه » وذكر لنا أن نبي الله ﷺ لقي رجلا فقال له « أسلم » فتصعده ذلك فقال له نبي الله ﷺ « أرأيت لو كان لك فتيان أحدهما اذا حدثك صدقك ، وإذا ائتمنته أدى اليك أهو أحب اليك أم فتاك الذي إذا حدثك كذبك وإذا ائتمنته خانك ؟ » قال بل فتاي الذي إذا حدثني صدقني وإذا ائتمنته أدى إلي فقال نبي الله ﷺ « كذا كم أنتم عند ربكم »

وقوله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) قال مجاهد وابو صالح والسدي الحق هو الله عز وجل والمراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الامور على وفق ذلك لفسدت السموات والارض ومن فيهن أي لفساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ثم قال (أهم يقسمون رحمة ربك) وقال تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لامسكتم خشية الانفاق) الآية . وقال (أم لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون الناس نقيرا) ففي هذا كله تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم . وانه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله وشرعه وقدره وتدبيره لخلقه تعالى وتقدس فلا إله غيره ولا رب سواه ، ولهذا قال (بل أتيناهم بذكرهم) أي القرآن فهم عن ذكرهم معرضون . وقوله (أم تسألهم خرجا) قال الحسن أجرا « وقال قتادة جعلا [فخراج ربك خير] أي أنت لا تسألهم أجرة ولا جعلا ولا شيئا على دعوتك إياهم الى الهدى بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه كما قال (قل ماسألتكم من أجر فهو لكم ان أجري الا على الله) وقال (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) وقال [قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى] وقال [وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا] وقوله [وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم « وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون]

قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان فقعد أحدهما عند

ولو اتبع الحق اهواءهم ﴾ قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة الحق هو الله أى لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو اتبع مرادهم فسمى لنفسه شريكا وولداً كما يقولون ﴿ لفسدت السموات والارض ﴾ وقال الفراء والزجاج المراد بالحق القرآن أى لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه لفسدت السموات والارض ﴿ ومن فيهن ﴾ وهو كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله

رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال ان مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا الى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد مايقطعون به المفازة ولا مايرجعون به فبينما هم كذلك اذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال أرأيتم ان أوردتكم رياضا معشبة وحياضا رواء تتبعوني ؟ فقالوا نعم ، قال فانطلق بهم وأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لي ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء ان تتبعوني ؟ قالوا بلى ، قال فان بين أيديكم رياضا أعشب من هذه وحياضا هي أروى من هذه فاتبعوني قال فقالت طائفة صدق والله لنتبعنه وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا يعقوب بن عبدالله الاشعري حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «اني ممسك بحجزكم هلم عن النار هلم عن النار وتغلبوني تقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب فأوشك أن أرسل حجزكم وأنا فرطكم على الحوض فتردون علي معاً وأشتاتا أعرفكم بسيماكم وأسمائكم كما يعرف الرجل الغريب من الابل في ابله فيذهب بكم ذات اليمين وذات الشمال فأناشد فيكم رب العالمين أي رب قومي أي رب أمتي ، فيقال يا محمد انك لاتدري ما أحدثوا بعدك انهم كانوا يمشون بعدك القهقرى على أعقابهم ، فلا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي يامحمد يامحمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغت ، ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيراً له رغاء ينادي يامحمد يامحمد فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغت ، ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساً لها حمحمة فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت ، ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقاء من أدم ينادي يامحمد يامحمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت » وقال علي بن المديني هذا حديث حسن الاسناد الا أن حفص بن حميد مجهول لا أعلم روى عنه غير يعقوب بن عبدالله الاشعري القمي [قلت] بل قد روى عنه أيضا أشعث بن اسحاق، وقال فيه يحيي بن معين : صالح ووثقه النسائي وابن حبان

وقوله (وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) أى لعادلون جائرون منحرفون،

لفسدتا) ﴿ بل أتيناهم بذكرهم ﴾ بما يذكرهم قال ابن عباس أي بما فيه فخرهم وشرفهم يعني القرآن فهو كقوله تعالى [لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم] أي شرفكم [وإنه لذكر لك ولقومك] أي شرف لك ولقومك ﴿ فهم عن ذكرهم ﴾ يعني عن شرفهم ﴿ معرضون * أم تسألهم ﴾ على ماجئتهم به ﴿ خرجا ﴾ أجراً وجعلا ﴿ فخراج ربك خير ﴾ يعني مايعطيك الله من رزقه وثوابه خير ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ قرأ حمزة والكسائي خراجا فخراج كلاهما بالالف وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف وقرأ الاخرون خرجا بغير ألف فخراج بالالف ﴿ وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم ﴾ وهو الاسلام ﴿ وإن الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط ﴾ أي عن دين الحق ﴿ لناكبون ﴾ لعادلون مائلون

تقول العرب نكب فلان عن الطريق اذا زاغ عنها (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أزاح عنهم الضر وأفهمهم القرآن لما انقادوا له ولاستمروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم كما قال تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقال (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ـ الى قوله ـ بمبعوثين) فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف يكون ، قال الضحاك عن ابن عباس : كل ما فيه [لو] فهو مما لا يكون أبداً

ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون (٧٦) حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون (٧٧) وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصر والافئدة قليلا ماتشكرون (٧٨) وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون (٧٩) وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ؟ (٨٠) بل قالوا مثل ماقال الاولون (٨١) قالوا أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إنْ هذا الا أساطير الاولين (٨٣)

يقول تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب) أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد (فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) أي فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة بل استمروا على غيهم وضلالهم مااستكانوا أي ماخشعوا [ومايتضرعون] أي مادعوا كما قال تعالى (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم) الآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن حمزة المروذي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبي عن زيد - يعني النحوي - عن عكرمة عن ابن عباس انه قال جاء

﴿ ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر ﴾ قحط وجدوبة ﴿ للجوا ﴾ تمادوا ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾ ولم ينزعوا عنه ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾ وذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبي ﷺ وقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية ﴿ فما استكانوا لربهم ﴾ أي ماخضعوا وماذلوا لربهم وأصله طلب السكون ﴿ وما يتضرعون ﴾ أي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم ﴿حتى

أبو سفيان الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد انشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز - يعني الوبر والدم - فأنزل الله (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا) الآية ، وهكذا رواه النسائي عن محمد ابن عقيل عن علي بن الحسين عن أبيه به » وأصله في الصحيحين أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الله بن ابراهيم عن عمر ابن كيسان حدثني وهب بن عمر بن كيسان قال : حبس وهب بن منبه فقال له رجل من الابناء ألا أنشدك بيتا من شعر ياأبا عبد الله « فقال وهب : نحن في طرف من عذاب الله والله يقول (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) قال وصام وهب ثلاثا متواصلة فقيل له ماهذا الصوم ياأبا عبد الله ؟ قال أحدث لنا فأحدثنا . يعني أحدث لنا الحبس فأحدثنا زيادة عبادة

وقوله (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) أي حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة فأخذهم من عذاب الله مالم يكونوا يحتسبون فعند ذلك أبلسوا من كل خير وأيسوا من كل راحة وانقطعت آمالهم ورجاؤهم . ثم ذكر تعالى نعمه على عباده بأن جعل لهم السمع والابصار والافئدة وهي العقول والفهوم التي يدركون بها الاشياء ، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله وانه الفاعل المختار لما يشاء . وقوله (قليلا ماتشكرون) أي ماأقل شكركم لله على ماأنعم به عليكم كقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في برئه الخليقة وذرئه لهم في سائر أقطار الارض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ثم يوم القيامة يجمع الاولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم ، فلا يترك منهم صغيراً ولا كبيراً ولا ذكراً ولا أنثى ولاجليلا ولاحقيراً إلا أعاده كما بدأه ولهذا قال (وهو الذي يحيي ويميت) أي يحيي الرمم ، ويميت الامم (وله اختلاف الليل والنهار) أي وعن أمره تسخير الليل والنهار كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا يتعاقبان لا يفتران ولا يفترقان بزمان غيرهما كقوله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار) الآية

وقوله (أفلا تعقلون) أي أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم الذي قد قهر كل شيء وعز كل

اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد ﴾ قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وهو قول مجاهد وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة ﴿ اذاهم فيه مبلسون ﴾ آيسون من كل خير ﴿ وهو الذي أنشألكم السمع ﴾ أي أنشأ لكم الاسماع ﴿ والابصار والافئدة ﴾ لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿ قليلا ماتشكرون ﴾ أي لم تشكروا هذه النعم ﴿ وهو الذي ذرأكم ﴾ خلقكم ﴿ في الارض واليه تحشرون ﴾ تبعثون ﴿ وهوالذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ﴾ أي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان قال الفراء جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ماترون من صنعه فتعتبرون

شيء وخضع له كل شيء. ثم قال مخبراً عن منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين [بل قالوا مثل ماقال الاولون * قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ؟] يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى [لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ، ان هذا الا أساطير الاولين] يعنون الاعادة محال انما يخبر بها من تلقاها عن كتب الاولين واختلافهم ، وهذا الانكار والتكذيب منهم كقوله إخبارا عنهم [أئذا كنا عظاما نخرة ■ قالوا تلك إذاً كرة خاسرة ■ فانما هي زجرة واحدة * فاذا هم بالساهرة] وقال تعالى [أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ■ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم] الايات

قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟ (٨٥)

قل من رب السموٰت السبع ورب العرش العظيم ؟ (٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون؟ (٨٧)

قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون؟ (٨٨) سيقولون لله، قل فأنى تسحرون (٨٩) بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون (٩٠)

يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد الى انه الله الذي لا اله الا هو ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لاشريك له ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وانه لا شريك له فيها ومع هذا فقد اشركوا معه في الالهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم ان الذين عبدوهم لا يخلقون شيئا ولا يملكون شيئا ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا أنهم يقربونهم اليه زلفى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فقال [قل لمن الارض ومن فيها؟] أي من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات [ان كنتم تعلمون ■ سيقولون لله] أي فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له ، فاذا كان ذلك [قل أفلا تذكرون] انه لا تنبغي العبادة الا للخالق الرازق لا لغيره (قل من رب السموات السبع ورب

﴿ بل قالوا مثل ماقال الاولون ﴾ أي كذبوا كما كذب الاولون ﴿ قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا ﴾ الوعد ﴿ من قبل ﴾ أي وعد آباءنا قوم زعموا أنهم رسل الله فلم نر له حقيقة ﴿ إن هذا إلا أساطير الاولين ﴾ أكاذيب الاولين ﴿ قل ﴾ يامحمد مجيبا لهم يعني أهل مكة ﴿ لمن الارض ومن فيها ؟ ﴾ من الخلق ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ خالقها ومالكها ﴿ سيقولون لله ﴾ ولا بد لهم من ذلك لأنهم يقرون انها مخلوقة ﴿ قل ﴾ لهم اذا أقروا بذلك ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعلمون أن من قدر على خلق الارض ومن

العرش العظيم ؟) أي من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات ، والملائكة الخاضعين في سائر الاقطار منها والجهات ، ومن هو رب العرش العظيم يعني الذي هو سقف المخلوقات كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن رسول الله ﷺ انه قال « شأن الله أعظم من ذلك ، ان عرشه على سمواته هكذا » وأشار بيده مثل القبة ، وفي الحديث الاخر « ما السموات السبع والارضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وان الكرسي بما فيه بالنسبة الى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة » ولهذا قال بعض السلف : ان مسافة ما بين قطري العرش من جانب الى جانب مسيرة خمسين الف سنة ، وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين الف سنة، وقال الضحاك عن ابن عباس : انما سمي عرشا لارتفاعه . وقال الاعمش عن كعب الاحبار : ان السموات والارض في العرش كالقنديل المعلق بين السماء والارض ، وقال مجاهد : ما السموات والارض في العرش الا كحلقة في أرض فلاة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا العلاء بن سالم حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثورى عن عمار الذهبي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : العرش لايقدر قدره أحد : وفي رواية: الا الله عز وجل ، وقال بعض السلف : العرش من ياقوتة حمراء . ولهذا قال ههنا (ورب العرش العظيم) أى الكبير وقال في آخر السورة (رب العرش الكريم) أى الحسن البهي فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو والحسن الباهر ولهذا قال من قال انه من ياقوتة حمراء ، وقال ابن مسعود : ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه

وقوله (سيقولون لله قل أفلا تتقون) أي إذا كنتم تعترفون بانه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به . قال ابو بكر عبدالله ابن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتاب التفكر والاعتبار . حدثنا إسحاق بن ابراهيم أنا عبيدالله بن جعفر أخبرني عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ كثيراً مايحدث عن امرأة كانت في الجاهلية على رأس جبل معها ابن لها يرعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبي ؟ قالت الله قال فمن خلقني ؟ قالت الله قال فمن خلق السموات ؟ قالت الله قال فمن

فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم *سيقولون لله ﴾ قرأ العامة لله ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى كقول القائل للرجل من مولاك فيقول لفلان أي أنا لفلان وهو مولاي، وقرأ أهل البصرة فيهما الله وكذلك هو في مصحف أهل البصرة وفي سائر المصاحف مكتوب بالالف كالاول ﴿ قل أفلا تتقون ﴾ تحذرون ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء ﴾ الملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة ﴿ وهو يجير ﴾ اي يؤمن من يشاء ﴿ ولا يجار عليه ﴾ أي لايؤمن من أخافه الله أو يمنع هو من السوء من يشاء ولا يمنع منه من أراده بسوء ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾

خلق الارض ؟ قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت الله قال فاني أسمع لله شأنا ثم ألقى نفسه من الجبل فتقطع . قال ابن عمر كان رسول الله كثيراً ما يحدثنا هذا الحديث قال عبدالله بن دينار كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا الحديث قلت في إسناده عبيدالله بن جعفر المديني والد الامام علي بن المديني وقد تكلموا فيه فالله أعلم

(قل من بيده ملكوت كل شيء) أي بيده الملك (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي متصرف فيها وكان رسول الله ﷺ يقول « لا والذي نفسي بيده » وكان إذا اجتهد في اليمين قال « لا ومقلب القلوب » فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحداً لا يخفر في جواره وليس لمن دونه أن يجير عليه لئلا يفتات عليه ولهذا قال الله وهو يجير ولا يجار عليه أي وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والامر ولا معقب لحكمه الذي لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن . وقال الله (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) أي لا يسئل عما يفعل لعظمته وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعدله فالخلق كلهم يسئلون عن أعمالهم كما قال تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وقوله (سيقولون لله) أي سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له قل فأنى تسحرون أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك ثم قال تعالى (بل أتيناهم بالحق) وهو الاعلام بانه لا إله الا الله وأقمنا الادلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك وانهم لكاذبون أي في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك كما قال في آخر السورة (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الافك والضلال ، وانما يفعلون ذلك اتباعاً لآبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال كما قال الله عنهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون)

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على

بعض سبحٰن الله عما يصفون (٩١) علم الغيب والشهٰدة فتعٰلى عما يشركون (٩٢)

ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذ الذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) أي لو قدر تعدد

قيل معناه أجيبوا ان كنتم تعلمون ﴿ سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ أي تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته والمعنى كيف يخيل لكم الحق باطلا ﴿ بل أتيناهم بالحق ﴾ بالصدق ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ فيما يدعون من الشريك والولد ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ أي من شريك ﴿ إذاً لذهب كل إله بما خلق ﴾ أي تفرد بما خلقه فلم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ، ومنع الاله

الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد ان الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع وهو انه لو فرض صانعان فصاعداً فأراد واحد تحريك جسم والآخر أراد سكونه فان لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين والواجب لايكون عاجزاً ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد ، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد فيكون محالا فاما ان حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب ممكنا لانه لايليق بصفة الواجب أن يكون مقهورا ، ولهذا قال تعالى (ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علواً كبيرا (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم مايغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه (فتعالى عما يشركون) أي تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون

قل رب إما تريني ما يوعدون (٩٣) رب فلا تجعلني في القوم الظلمين (٩٤) وإنا على أن نريك ما نعدهم لقدرون (٩٥) ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون (٩٦) وقل رب أعوذ بك من همزات الشيطين (٩٧) وأعوذ بك رب أن يحضرون (٩٨)

يقول تعالى آمراً نبيه محمداً ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء عند حلول النقم (رب إما تريني مايوعدون) أي ان عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد والترمذي وصححه « واذا أردت بقوم فتنة فتوفني اليك غير مفتون »

وقوله تعالى (وانا على أن نريك مانعدهم لقادرون) أي لوشئنا لأريناك مانحل بهم من النقم والبلاء والمحن . ثم قال تعالى مرشداً له إلى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الاحسان الى من يسيء اليه ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة فقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن

الآخر عن الاستيلاء على ماخلق ﴿ ولعلا بعضهم علي بعض ﴾ أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم ثم نزه نفسه فقال ﴿ سبحان الله عما يصفون ✽ عالم الغيب والشهادة ﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص عالم برفع الميم على الابتداء وقرأ الاخرون بجرها على نعت الله في سبحان الله ﴿ فتعالى عما يشركون ﴾ أي تعظم عما يشركون ومعناه أنه اعظم من أن يوصف بهذا الوصف

قوله تعالى ﴿ قل رب إما تريني ﴾ أي ان أريتني ﴿ مايوعدون ﴾ أي ما أوعدتهم من العذاب ﴿ رب ﴾ أي يارب ﴿ فلا تجعلني في القوم الظالمين ﴾ أي لا تهلكني بهلاكهم ﴿ وإنا على أن نريك مانعدهم ﴾ من العذاب لهم ﴿ لقادرون ✽ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ أي ادفع بالخلة التي هي أحسن وهي

السيئة) وهذا كما قال في الآية الاخرى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ■ وما يلقاها إلا الذين صبروا) الآية أي وما يلهم هذه الوصية أو هذه الخصلة أو الصفة (إلا الذين صبروا) أي على أذى الناس فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم اليهم القبيح (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أي في الدنيا والآخرة

وقوله تعالى (وقل رب أعوذ بك من همزات الشيطان) أمره الله أن يستعيذ من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحيل ولا ينقادون بالمعروف ، وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله ﷺ كان يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقوله تعالى (وأعوذ بك ربك أن يحضرون) أي في شيء من أمري ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الامور وذلك لطرد الشيطان عند الاكل والجماع والذبح وغير ذلك من الامور، ولهذا روى ابو داود أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم اني أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من الهدم ومن الغرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت » وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع « بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » قال فكان عبدالله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه . ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث محمد بن اسحاق . وقال الترمذي حسن غريب

حتى اذا جاء أحدهم الموتُ قال رب ارجعون (٩٩) لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون (١٠٠)

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة الى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ولهذا قال [رب ارجعون لعلي

الصفح والاعراض والصبر ﴿ السيئة ﴾ يعني أذاهم أمره بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة نسختها آية السيف ﴿ نحن أعلم بما يصفون ﴾ يكذبون ويقولون من الشرك ﴿ وقل رب أعوذ بك ﴾ أي أمتنع وأعتصم بك ﴿ من همزات الشياطين ﴾ قال ابن عباس نزغاتهم وقال الحسن وساوسهم وقال مجاهد نفخهم ونفثهم وقال أهل المعاني دفعهم بالاغواء الى المعاصي وأصل الهمز شدة الدفع ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ في شيء من اموري وإنما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوسه ثم اخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال ﴿ حتي اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ﴾ ولم يقل ارجعني وهو يسأل الله وحده الرجعة على

أعمل صالحا فيما تركت كلا] كما قال تعالى (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت — الى قوله — والله خبير بما تعملون) وقال تعالى [وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب — الى قوله — مالكم من زوال] وقال تعالى [يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) وقال تعالى [ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون] وقال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ـ الى قوله ـ وانهم لكاذبون] وقال تعالى [وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل] وقال تعالى [قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل] والآية بعدها . وقال تعالى [وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير] فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم في غمرات عذاب الجحيم . وقوله ههنا [كلا انها كلمة هو قائلها] كلا حرف ردع وزجر أي لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه

وقوله تعالى (انها كلمة هو قائلها) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم ، ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله كلا أي لأنها كلمة أي سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه ولو رد لما عمل صالحا ولكان يكذب في مقالته هذه كما قال تعالى [ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون] قال قتادة : والله ماتمنى أن يرجع الى أهل ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل ، فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلى النار

وقال محمد بن كعب القرظي [حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت] قال فيقول الجبار [كلا انها كلمة هو قائلها] وقال عمر بن عبد الله مولى عفرة : اذا قال الكافر رب ارجعون لعلي أعمل صالحا يقول الله تعالى كلا كذبت . وقال قتادة في قوله تعالى [حتى اذا جاء أحدهم الموت] قال كان العلاء بن زياد يقول : لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه

عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ومثله كثير في القرآن وقيل هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولا ثم رجعوا الى مسئلة الملائكة الرجوع الى الدنيا

قوله تعالى ﴿ لعلي أعمل صالحا فيما تركت ﴾ أي ضيعت أن أقول لا إله إلا الله وقيل اعمل بطاعة الله قال قتادة ماتمنى أن يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر اذا رأى العذاب ﴿ كلا ﴾ كلمة ردع

فأقاله فليعمل بطاعة الله تعالى. وقال قتادة : والله ماتمنى الأن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا قوة الا بالله وعن محمد بن كعب القرظي نحوه

وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فضيل -يعني ابن عياض- عن ليث عن طلحة بن مصرف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: اذا وضع -يعني الكافر- في قبره فيرى مقعده من النار قال فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحا قال فيقال قد عمرت ما كنت معمرا ، قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوي اليه هوام الارض وحياتها وعقاربها

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثني سلمة بن تمام حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ويل لاهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أو دهم حية عند رأسه وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى [ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون]. وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى [ومن ورائهم] يعني أمامهم . وقال مجاهد البرزخ الحاجز مابين الدنيا والآخرة . وقال محمد بن كعب البرزخ مابين الدنيا و لآخرة ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون باعمالهم . وقال أبو صخر البرزخ المقابر لاهم في الدنيا ولا هم في الاخرة فهم مقيمون الى يوم يبعثون وفي قوله تعالى [ومن ورائهم برزخ] تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى [من ورائهم جهنم] وقال تعالى [ومن ورائه عذاب غليظ] وقوله تعالى [الى يوم يبعثون] أي يستمر به العذاب الى يوم البعث كما جاء في الحديث «فلا يزال معذبا فيها» أي في الارض

فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (١٠١) فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (١٠٢) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون (١٠٣) تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون (١٠٤)

يخبر تعالى انه إذا نفخ في الصور نفخة النشور ، وقام الناس من القبور « فلا أنساب بينهم يومئذ

وزجر أي لا يرجع اليها ﴿ إنها ﴾ يعني سؤاله الرجعة ﴿ كلمة هو قائلها ﴾ ولا ينالها ﴿ ومن ورائهم برزخ ﴾ أي أمامهم وبين أيديهم حاجز ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ والبرزخ الحاجز بين الشيئين واختلفوا في معناه ههنا فقال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحاك البرزخ مابين الموت الى البعث وقيل هو القبر وهم فيه الى يوم يبعثون ﴿ فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم ﴾ اختلفوا في هذه النفخة فروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انها النفخة الاولى (نفخ في الصور

ولا يتساءلون أي لاتنفع الانساب يومئذ ولا يرثي والد لولده ولا يلوي عليه ،قال الله تعالى(ولا يسأل حميم حميا يبصرونهم) أي لا يسأل القريب قريبه وهو يبصره ولو كان عليه من الاوزار ما قد أثقل ظهره وهو كان أعز الناس عليه في الدنيا ما التفت اليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة قال الله تعالى(يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) الآية وقال ابن مسعود « إذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه - قال - فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً ومصداق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) رواه ابن أبي حاتم

وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثتنا أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن عبيد الله بن أبي رافع عن المسور - هو ابن مخرمة - رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «فاطمة بضعة مني ، يغيظني مايغيظها وينشطني ماينشطها « وان الانساب تنقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي وصهري » وهذا الحديث له أصل في الصحيحين عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال « فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها ويؤذيني ما آذاها» وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا زهير عن عبدالله بن محمد عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر « مابال رجال يقولون ان رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه « بلى والله ان رحمي موصولة في الدنيا والآخرة واني أيها الناس فرط لكم اذا جئتم قال رجل يارسول الله أنا فلان بن فلان فأقول لهم أما النسب فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى » وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عنه رضي الله عنه انه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها قال : أما والله مابي الا اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل سبب ونسب فانه منقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي »رواه الطبراني والبزار والهيثم بن كليب والبيهقي والحافظ الضياء في المختارة . وذكر أنه أصدقها أربعين ألفا إعظاما واكراما رضي الله عنه، فقد روى الحافظ

فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب بينهم ﴿ يومئذ ولا يتساءلون ﴾ (ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون « واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رءوس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده وولده وزوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وفي رواية عطاء عن ابن عباس انها النفخة الثانية (فلا أنساب بينهم) أي لايتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من انت ومن أي قبيل أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع، فان قيل أليس قد جاء في الحديث « كل سبب ونسب

ابن عساكر في ترجمة أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا سليمان بن عمر الاقطع حدثنا ابراهيم بن عبد السلام عن ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا نسبي وصهري » وروى فيها من طريق عمار بن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو مرفوعا « سألت ربي عز وجل أن لا أتزوج الى أحد من أمتي ولا يتزوج الي أحد منهم الا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك » ومن حديث عمار بن سيف عن اسماعيل عن عبدالله بن عمرو

وقوله تعالى (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) أي من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة ، قاله ابن عباس (فأولئك هم المفلحون) أى الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة ، وقال ابن عباس : أولئك الذين فازوا بما طلبوا ونجوا من شر ما هربوا (ومن خفت موازينه) أى ثقلت سيئاته على حسناته [فأولئك الذين خسروا أنفسهم] أى خابوا وهلكوا وفازوا بالصفقة الخاسرة

وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا اسماعيل بن أبي الحارث حدثنا داود بن المحبر حدثنا صالح المزي عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان عن أنس بن مالك يرفعه قال : ان لله ملكا موكلا بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وان خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً إسناده ضعيف فان داود بن المحبر ضعيف متروك ولهذا قال تعالى (في جهنم خالدون) أي ما كثون فيها دائمون مقيمون فلا يظعنون (تلفح وجوههم النار) كما قال تعالى (وتغشى وجوههم النار) وقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان الاصبهاني عن ابي سنان ضرار بن مرة عن عبدالله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن جهنم لما سبق لها أهلها تلقاهم لهبها ثم تلفحهم لفحة فلم يبق لهم لحم إلا سقط على العرقوب »

ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي » قيل معناه ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببه ونسبه وهو الايمان والقرآن فان قيل قد قال ههنا (ولا يتساءلون) وقال في موضع آخر (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الجواب ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن للقيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون افاقة فيتساءلون

قوله ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار ﴾ أي تسفع وقيل تحرق ﴿ وهم فيها كالحون ﴾ عابسون أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا ابراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح

وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن يحيي القزاز حدثنا الخضر بن علي بن يونس القطان حدثنا عمرو بن أبي الحارث بن الخضر القطان حدثنا سعيد بن سعيد المقبري عن أخيه عن أبيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى (تلفح وجوههم النار) قال تلفحهم لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم

وقوله تعالى (وهم فيها كالحون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني عابسون ، وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص عن عبدالله بن مسعود (وهم فيها كالحون) قال ألم تر إلى الرأس المشيط الذي قد بدا اسنانه وقلصت شفتاه . وقال الامام احمد رحمه الله أخبرنا علي بن إسحاق أخبرنا عبدالله هو ابن المبارك رحمه الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته » ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن عبدالله بن المبارك به وقال حسن غريب

ألم تكن آيٰتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون (١٠٥) قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين (١٠٦) ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظٰلمون (١٠٧)

هذا تقريع من الله وتوبيخ لاهل النار على ما ارتكبوه من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم التي أوبقتهم في ذلك فقال تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) أي قد أرسلت اليكم الرسل وأنزلت اليكم الكتب وأزلت شبهكم ولم يبق لكم حجة كما قال تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير — إلى قوله — فسحقا لاصحاب السعير) ولهذا قالوا (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوم ضالين) أي قد قامت علينا الحجة ولكن كنا أشقى من أن ننقاد لها ونتبعها فضللنا عنها ولم نرزقها . ثم قالوا (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) أي اردد نا الى الدنيا فان عدنا الى ماسلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قال (فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل *

عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال [وهم فيها كالحون] قال « تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته » وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن حاجب بن عمر عن الحكم عن الاعرج عن أبي هريرة قال : يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال فيصير ضرسه مثل أحد وشفاههم عند سررهم سود زرق مقبوحون

قوله تعالى ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم ﴾ يعني القرآن تخوفون بها ﴿ فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ قرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالالف وفتح الشين وهما لغتان أي غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد ﴿ وكنا قوما ضالين ﴾ عن الهدى ﴿ ربنا أخرجنا منها ﴾ أي

— إلى قوله — فالحكم لله العلي الكبير) أي لاسبيل الى الخروج لانكم كنتم تشركون بالله اذا وحده المؤمنون

قال اخسئوا فيها ولا تكلمون (١٠٨) انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الرّحمين (١٠٩) فاتخذتموهم سخريا حتىٰ أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون (١١٠) إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون (١١١)

هذا جواب من الله تعالى للكفار اذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار . يقول (اخسئوا فيها) أي امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء (ولا تكلمون) أي لاتعودوا إلى سؤالكم هذا فانه لاجواب لكم عندي . قال العوفي عن ابن عباس (اخسئوا فيها ولا تكلمون) قال هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان المروزي حدثنا عبدالله بن المبارك عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن أبي أيوب عن عبدالله بن عمرو قال : ان أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم برد عليهم انكم ما كثون قال هانت دعوتهم والله على مالك ورب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم برد عليهم (اخسئوا فيها ولا تكلمون) قال فوالله مانبس القوم بعدها بكلمة واحدة ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم . قال فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا احمد بن سنان حدثنا عبدالرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن

من النار ﴿ فان عدنا ﴾ لما تكره ﴿ فانا ظالمون * قال اخسؤا ﴾ ابعدوا ﴿ فيها ﴾ كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ ﴿ ولا تكلمون ﴾ في رفع العذاب فاني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لايتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير وبصير لهم عواء كعواء الكلاب لايفهمون ولا يفهمون . روى عبدالله بن عمرو أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن النار أربعين عاما يامالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول إنكم ما كثون ، ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق . وقال القرظي اذا قيل لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم ﴿إنه﴾ المدا. في انه عماد وتسمى أيضا المجهولة ﴿ كان فريق من عبادي ﴾ وهم المؤمنون ﴿ يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير

سلمة بن كهيل حدثنا ابو الزعراء قال : قال عبدالله بن مسعود اذا أراد الله تعالى أن لا يخرج منهم أحداً يعني من جهنم غير وجوههم وألوانهم فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول يارب فيقول الله من عرف أحداً فليخرجه فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحداً فيناديه الرجل يافلان أنا فلان فيقول ما أعرفك قال فعند ذلك يقولون (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) فعند ذلك يقول الله تعالى (اخسئوا فيها ولا تكلمون) فاذا قال ذلك أطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم أحد، ثم قال تعالى مذكراً لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه فقال تعالى [انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريا] أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إلي [حتى أنسوكم ذكري] أي حملكم بغضهم على ان نسيتم معاملتي [وكنتم منهم تضحكون] أي من صنيعهم وعبادتهم كما قال تعالى (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون) أي يلمزونهم استهزاء ثم أخبر تعالى عما جازى به أولياءه وعباده الصالحين فقال تعالى (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي على أذاكم لهم واستهزائكم بهم (أنهم هم الفائزين) بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة من النار

قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ (١١٢) قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسئل العادين (١١٣) قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون (١١٤) أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون؟ (١١٥) فتعالى الله الملك الحق لا آله الا هو رب العرش الكريم (١١٦)

يقول تعالى منبها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده لو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين)

الراحمين * فاتخذتموهم سخريا ﴾ قرا أهل المدينة وحمزة والكسائي سخريا بضم السين ههنا وفي سورة ص ، وقرأ الباقون بكسرها واتفقوا على الضم في سورة الزخرف قال الخليل هما لغتان مثل قولهم بحر لجي بضم اللام وكسرها. كوكب دري ودري قال الفراء والكسائي الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل واتفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير ﴿ حتى انسوكم ﴾ أي انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم ﴿ ذكري وكنتم منهم تضحكون ﴾ نظيره (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) قال مقاتل نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة كان كفار قريش يستهزئون بهم ﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا ﴾ على أذاكم واستهزائكم في الدنيا ﴿ أنهم هم الفائزون ﴾ قرأ حمزة والكسائي إنهم بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتحها فيكون في موضع المفعول الثاني أي جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة ﴿ قال كم

أي كم كانت اقامتكم في الدنيا (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين] أي الحاسبين (قال ان لبثتم إلا قليلا) أي مدة يسيرة على كل تقدير (لو انكم كنتم تعلمون) أي لما آثرتم الفاني على الباقي ولما تصرفتم لانفسكم هذا التصرف السيء ولا استحققتم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة فلو انكم صبرتم على طاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير حدثنا الوليد حدثنا صفوان عن أيفع بن عبد الكلاعي أنه سمعه يخطب الناس فقال : قال رسول الله ﷺ « إن الله اذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال يا أهل الجنة كم لبثتم في الارض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال لنعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين » ثم قال يا أهل النار كم لبثتم في الارض عدد سنين » قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فيقول بئس ما اتجرتم في يوم او بعض يوم ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين »

وقوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقنا كم للعبادة واقامة أوامر الله عز وجل (وانكم الينا لا ترجعون) أي لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) يعني هملا ، وقوله (فتعالى الله الملك الحق) أي تقدس أن يخلق شيئا عبثا فانه الملك الحق المنزه عن ذلك (لا إله الا هو رب العرش الكريم) فذكر العرش لانه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم أي حسن المنظر بهي الشكل كما قال تعالى [وأنبتنا فيها من كل زوج كريم]

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا اسحاق بن سليمان شيخ من أهل العراق أنبأنا شعيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : كان آخر

لبثتم) قرأ حمزة والكسائي قل كم وقل ان على الامر والنهي ومعنى الآية قولوا أيها الكافرون فأخرج الكلام مخرج الواحد والمراد منه الجماعة اذ كان معناه مفهوما ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم أي قل يا أيها الكافرون » وقرأ ابن كثير قل كم على الامر وقال ان على الخبر لان الثانية جواب وقرأ الآخرون قال فيهما جميعا أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث كم لبثتم (في الارض) أي في الدنيا وفي القبور (عدد سنين » قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب (فاسأل العادين) الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم (قال ان لبثتم) أي ما لبثتم في الدنيا (إلا قليلا) سماه قليلا لان الواحد وان طال مكثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة لان لبثه في الدنيا والقبر متناه (لو أنكم كنتم تعلمون) قدر لبثكم في الدنيا (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) لعبا وباطلا لا لحكمة وهو نصب على الحال أي عابثين

خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ، ولن تتركوا سدى ، وان لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر وشقي عبد أخرجه الله من رحمته وحرم جنة عرضها السموات والارض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم وخافه وباع نافداً بباق قليل بكثير خوف بأمان ، ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين وسيكون من بعدكم الباقين حتى تردون الى خير الوارثين ؟ ثم انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الارض في بطن صدع غير ممهد ولا موسد قد فارق الاحباب ، وباشر التراب ، وواجه الحساب ، مرتهن بعمله غني عما ترك فقير الى ماقدم « فاتقوا الله قبل انقضاء مواثيقه ونزول الموت بكم ، ثم جعل طرف ردائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله

وقال ابن أبي حاتم ثنا يحيى بن نصير الخولاني ثنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي هبيرة عن حسن بن عبدالله أن رجلا مصابا مر به عبدالله بن مسعود فقرأ في أذنه هذه الآية [أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون « فتعالى الله الملك الحق] حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله ﷺ « بماذا قرأت في أذنه ؟ » فأخبره فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال » وروى أبو نعيم من طريق خالد بن نزار عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن محمد ابن ابراهيم بن الحارث عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا أن نقول اذا نحن أمسينا وأصبحنا [أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون] قال فقرأناها فغنمنا وسلمنا

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي حدثنا أبو المسيب سالم بن سلام حدثنا بكر بن حبيش عن نهشل بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم عن عبدالله بن عباس قال قال رسول الله ﷺ « أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا السفينة : بسم الله الملك الحق ، وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون « بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم «

وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وهو مثل قوله (أيحسب الانسان أن يترك سدى) وإنما خلقتم للعبادة واقامة أوامر الله تعالى ﴿ وأنكم الينا لا ترجعون ﴾ أي أفحسبتم أنكم الينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا بشر بن عمر أنا عبدالله بن لهيعة أنا عبدالله بن هبيرة عن حنش أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنيه (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله ﷺ « بماذا رقيت في اذنه « فأخبره فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال « ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون فقال

ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهـٰـن له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكـٰـفرون (١١٧) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الرّٰحمين (١١٨)

يقول تعالى متوعدا من أشرك به غيره وعبد معه سواه ومخبرا ان من أشرك بالله لا برهان له أي لا دليل له على قوله فقال تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) وهذه جملة معترضة وجواب الشرط في قوله (فإنما حسابه عند ربه) أي الله يحاسبه على ذلك . ثم أخبر أنه لا يفلح الكافرون) أي لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجاة . قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لرجل « ما تعبد ؟ » قال أعبد الله وكذا وكذا حتى عد أصناما فقال رسول الله ﷺ « فأيهم اذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك ؟ » قال : الله عز وجل . « قال فأيهم اذا كانت لك حاجة فدعوته اعطاكها ؟ » قال الله عز وجل قال « فما يحملك على أن تعبد هؤلاء معه أم حسبت أن تغلب عليه » قال : أردت شكره بعبادة هؤلاء معه « فقال رسول الله ﷺ « تعلمون ولا تعلمون » فقال الرجل بعد ما أسلم : لقيت رجلا خصمني . هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روى أبو عيسى الترمذي في جامعه مسندا عن عمران بن الحصين عن أبيه عن رسول الله ﷺ نحو ذلك . وقوله تعالى (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) هذا ارشاد من الله تعالى الى هذا الدعاء ، فالغفر اذا أطلق معناه محو الذنوب وستره عن الناس ، والرحمة معناها أن يسدده ويوفقه في الاقوال والافعال

﴿ آخر تفسير سورة المؤمنون ﴾

جل ذكره ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ يعني السرير الحسن وقيل المرتفع ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ﴾ أي لا حجة له به ولا بينة لأنه لا حجة في دعوى الشرك ﴿ فإنما حسابه ﴾ جزاؤه ﴿ عند ربه ﴾ يجازيه بعمله كما قال تعالى (ثم إن علينا حسابهم) ﴿ إنه لا يفلح الكافرون ﴾ لا يسعد من جحد وكذب ﴿ وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾

☆ _

تفسير سورة النور وهي مدنية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سورة أنزلنها وفرضنها وأنزلنا فيها آيت بينت لعلكم تذكرون (١) الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين (٢)

يقول تعالى هذه سورة أنزلناها، فيه تنبيه على الاعتناء بها ولا ينفي ماعداها (وفرضناها) قال مجاهد وقتادة: أي بينا الحلال والحرام والامر والنهي والحدود. وقال البخاري: ومن قرأ فرضناها يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أي مفسرات واضحات (لعلكم تذكرون) ثم قال تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) يعني هذه الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد، وللعلماء فيه تفصيل ونزاع فان الزاني لايخلو إما أن يكون بكراً وهو الذي لم يتزوج، أو محصنا وهو الذي قد وطيء في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل، فأما إذا كان بكراً لم يتزوج فان حده مائة جلدة كما في الآية ويزاد على ذلك أن يغرب عاما عن بلده عند جمهور العلماء خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان عنده أن التغريب إلى رأي الامام إن شاء غرب وان شاء لم يغرب. وحجة الجمهور في ذلك ماثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الاعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يارسول الله إن ابني هذا كان عسيفا - يعني أجيراً - على هذا فزنا بامرأته فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى، الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام. واغد ياأنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها»

﴿ سورة النور مدنية وهي ثنتان أو أربع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سورة ﴾ أي هذه سورة ﴿ أنزلناها وفرضناها ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرضناها بتشديد الراء وقرأ الآخرون بالتخفيف أي أوجبنا مافيها من الاحكام وألزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا مافيها من الحدود. والفرض التقدير قال الله عز وجل (فنصف مافرضتم) أي قدرتم ودليل التخفيف

فغدا عليها فاعترفت فرجمها . وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكراً لم يتزوج فأما إذا كان محصنا وهو الذي قد وطيء في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فانه يرجم كما قال الامام مالك حدثني ابن شهاب أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى ان يطول بالناس زمان أن يقول قائل لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف. أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك مطولا وهذه قطعة منه فيها مقصودنا ههنا

وروى الامام احمد عن هشيم عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس حدثني عبد الرحمن بن عوف ان عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعته يقول: ألا وإن ناسا يقولون ما الرجم في كتاب الله وانما فيه الجلد وقد رجم رسول الله صلى ﷺ ورجمنا بعده ولولا ان يقول قائل أو يتكلم متكلم ان عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لاثبتها كما نزلت . واخرجه النسائي من حديث عبيد الله بن عبد الله به

وقد روى الامام أحمد أيضا عن هشيم عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر الرجم فقال انا لا نجد من الرجم بدأ فانه حد من حدود الله تعالى، الا وان رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، ولولا ان يقول قائلون ان عمر زاد في كتاب الله ما ليس فيه لكتبت في ناحية من المصحف « وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وفلان وفلان ان رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، الا انه سيكون قوم من بعدكم يكذبون بالرجم وبالشفاعة وبعذاب القبر وبقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا .

وروى أحمد أيضا عن يحيي القطان عن يحيي الانصاري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب « اياكم ان تهلكوا عن آية الرجم » الحديث رواه الترمذي من حديث سعيد عن عمر وقال صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا

قوله (إن الذي فرض عليك القرآن) وأما التشديد فمعناه وفصلناه وبيناه وقيل هو بمعنى الفرض الذي هو بمعنى الايجاب أيضا، والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض أي أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة ﴿ وأنزلنا فيها آيات بينات ﴾ واضحات ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ تتعظون

قوله عز وجل ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ أراد اذا كانا حرين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين (فاجلدوا) فاضربوا (كل واحد منهما مائة جلدة) يقال جلده اذا ضرب جلده كما يقال رأسه وبطنه اذا ضرب رأسه وبطنه وذكر بلفظ الجلد لئلا يبرح ولا يضرب بحيث

ابو عون عن محمد هو ابن سيرين قال ابن عمر نبئت عن كثير بن الصلت قال كنا عند مروان وفينا زيد فقال زيد بن ثابت كنا نقرأ: الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة. قال مروان ألا كتبتها في المصحف؟ قال ذكرنا ذلك وفينا عمر بن الخطاب فقال انا أشفيكم من ذلك قال قلنا فكيف؟ قال جاء رجل الى النبي ﷺ قال فذكر كذا وكذا وذكر الرجم فقال يارسول الله اكتب لي آية الرجم قال «لا استطيع الآن» هذا أو نحو ذلك

وقد رواه النسائي من حديث محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت به، وهذه طرق كلها متعاضدة ودالة على ان آية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها وبقي حكمها معمولا به والله أعلم

وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الاجير لما زنت مع الاجير، ورجم رسول الله ﷺ ماعزا والغامدية وكل هؤلاء لم ينقل عن رسول الله ﷺ انه جلدهم قبل الرجم وانما وردت الاحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والالفاظ بالاقتصار على رجمهم وليس فيها ذكر الجلد ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء واليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله وذهب الامام أحمد رحمه الله الى انه يجب ان يجمع على الزاني المحصن بين الجلد للآية والرجم للسنة كما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لما أتى بسراجة وكانت قد زنت وهي محصنة فجلدها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة فقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسوله ﷺ

وقد روى الامام أحمد وأهل السنن الاربعة ومسلم من حديث قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» وقوله تعالى (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) أي في حكم الله أي لاترأفوا بهما في شرع الله وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية على ترك الحد وانما هي الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك الحد فلايجوز ذلك قال مجاهد (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) قال اقامة الحدود اذا رفعت الى السلطان

يبلغ اللحم وقد وردت السنة أنه يجلد مائة ويغرب عاما وهو قول أكثر أهل العلم وان كان الزاني محصنا فعليه الرجم ذكرناه في سورة النساء. ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ أي رحمة ورقة وقرأ ابن كثير رأفة بفتح الهمزة ولم يختلفوا في سورة الحديد أنها ساكنة لمجاورة قوله (ورحمة) والرأفة معنى يكون في القلب لاينهى عنه لانه لايكون باختيار الانسان. روي أن عبدالله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه لاتأخذكم بها رأفة في دين الله فقال يابني إن الله عز وجل لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت. واختلفوا في معنى الآية فقال قوم لاتأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود

فتقام ولا تعطل وكذا روي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وقد جاء في الحديث « تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب » وفي الحديث الآخر « لحد يقام في الارض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحا » وقيل المراد (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) فلا تقيموا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن المأثم وليس المراد الضرب المبرح . قال عامر الشعبي (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) قال رحمة في شدة الضرب وقال عطاء ضرب ليس بالمبرح

وقال سعيد بن أبي عروبة عن حماد بن أبي سليمان يجلد القاذف وعليه ثيابه والزاني تخلع ثيابه ثم تلا (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) فقلت هذا في الحكم قال هذا في الحكم والجلد يعني في إقامة الحد وفي شدة الضرب . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبدالله الازدي حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر وعن ابن أبي مليكة عن عبيدالله بن عبدالله بن عمر أن جارية لابن عمر زنت فضرب رجليها . قال نافع أراه قال وظهرها قال قلت (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) قال يابني ورأيتني أخذتني بها رأفة ان الله لم يأمرني أن أقتلها ولا أن أجعل جلدها في رأسها وقد أوجعت حيث ضربتها . وقوله تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي فافعلوا ذلك وأقيموا الحدود على من زنى وشددوا عليه الضرب ولكن ليس مبرحا ليرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك ، وقد جاء في المسند عن بعض الصحابة أنه قال : يارسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها فقال « ولك في ذلك أجر »

وقوله تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) هذا فيه تنكيل للزانيين اذا جلدا بحضرة الناس فان ذلك يكون أبلغ في زجرهما وأنجع في ردعهما فان في ذلك تقريعا وتوبيخا وفضيحة إذا كان الناس حضوراً . قال الحسن البصري في قوله (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) يعني علانية ثم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) الطائفة الرجل فمافوقه وقال مجاهد الطائفة الرجل الواحد إلى الالف « وكذا قال عكرمة ولهذا قال احمد ان الطائفة تصدق على واحد ، وقال عطاء بن أبي رباح اثنان « وبه قال إسحاق بن راهويه وكذا قال سعيد بن جبير (طائفة من المؤمنين) قال يعني رجلين فصاعداً « وقال الزهري ثلاثة نفر فصاعداً « وقال عبد الرزاق حدثني ابن وهب عن الامام مالك في قوله (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) قال الطائفة أربعة نفر فصاعداً لانه لايكفي شهادة في الزنا إلا أربعة شهداء فصاعداً وبه قال الشافعي وقال ربيعة خمسة ،

ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقال جماعة معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب ،وقال قتادة يجتهد في حد الزنا ويخفف في الشرب والفرية ﴿ في دين الله ﴾ أي في حكم الله ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ معناه أن المؤمن لاتأخذه الرأفة اذا جاء أمر الله تعالى ﴿ وليشهد ﴾ وليحضر ﴿ عذابهما ﴾ حدهما اذا اقيم

وقال الحسن البصري عشرة ، وقال قتادة أمر الله أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أي نفر من المسلمين ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا بقية قال سمعت نصر بن علقمة يقول في قوله تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) قال ليس ذلك للفضيحة انما ذلك ليدعى الله تعالى لهما بالتوبة والرحمة

الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين (٣)

هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لايطأ إلا زانية أو مشركة أي لايطاوعه على مراده من الزنا الا زانية عاصية أو مشركة لاترى حرمة ذلك وكذلك (الزانية لاينكحها الا زان) أي عاص بزناه (أو مشرك) لايعتقد تحريمه قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (الزاني لاينكح الا زانية أو مشركة) قال ليس هذا بالنكاح انما هو الجماع لايزني بها الا زان أو مشرك وهذا اسناد صحيح عنه ، وقد روي عنه من غير وجه أيضاً ، وقد روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير وعروة بن الزبير والضحاك ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد نحو ذلك . وقوله تعالى (وحرم ذلك على المؤمنين) أي تعاطيه والتزوج بالبغايا أو تزويج العفائف بالرجال الفجار

وقال ابو داود الطيالسي حدثنا قيس عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وحرم ذلك على المؤمنين) قال حرم الله الزنا على المؤمنين وقال قتادة ومقاتل بن حيان حرم الله على المؤمنين نكاح البغايا وتقدم ذلك فقال (وحرم ذلك على المؤمنين) وهذه الآية كقوله تعالى (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) وقوله (محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) الآية ومن

عليهما ﴿ طائفة ﴾ نفر ﴿ من المؤمنين ﴾ قال مجاهد والنخعي أقله رجل واحد فما فوقه وقال عكرمة وعطاء رجلان فصاعدا وقال الزهري وقتادة ثلاثة فصاعدا وقال مالك وابن زيد أربعة بعدد شهود الزنا

قوله ﴿ الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لامال لهم ولا عشائر وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب أناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية وحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري والشعبي ورواية العوفي عن ابن عباس، وقال عكرمة نزلت في نساء بمكة والمدينة منهن تسع

ههنا ذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله الى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي مادامت كذلك حتى تستتاب فان تابت صح العقد عليها والا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى (وحرم ذلك على المؤمنين)

وقال الامام احمد حدثنا عارم حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا الحضرمي عن القاسم ابن محمد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا من المؤمنين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح وتشترط له أن تنفق عليه قال فاستأذن رسول الله ﷺ أو ذكر له أمرها قال فقرأ رسول الله ﷺ (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)

وقال النسائي أخبرنا عمرو بن عدي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبدالله بن عمرو قال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح فأراد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن يتزوجها فأنزل الله عز وجل (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)

قال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا روح بن عبادة عن عبيدالله بن الاخنس أخبرني عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له وانه واعد رجلا من أسارى مكة يحمله قال فجئت حتى انتهيت الى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت الي عرفتني فقالت مرثد فقلت مرثد فقالت مرحبا وأهلا هلم فبت عندنا الليلة . قال فقلت يا عناق حرم الله الزنا قالت يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال فتبعني ثمانية ودخلت الحديقة فانتهيت الى غار أو كهف فدخلت فيه فجاؤا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي فأعماهم الله عني قال ثم رجعوا فرجعت الى صاحبي فحملته

لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي فكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مأكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فأنزل الله هذه الآية، وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد إن الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله ﷺ قال فأتيت النبي ﷺ فقلت يارسول الله أنكح عناقا ؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد شيئا فنزلت (والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك)فدعاني رسول الله ﷺ

وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت الى الاذخر ففككت عنه أحبله فجعلت أحمله ويعينني حتى أتيت به المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله أنكح عناقا أنكح عناقا مرتين فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد علي شيئا حتى نزلت (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فقال رسول الله ﷺ « يامرثد الزاني لاينكح الا زانية أو مشركة فلا تنكحها » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه « وقد رواه ابوداود والنسائي في كتاب النكاح من سننهما من حديث عبيدالله بن الاخنس به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسدد ابو الحسن حدثنا عبدالوارث عن حبيب المعلم حدثني عمرو بن شعيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا ينكح الزاني المجلود الا مثله » وهكذا أخرجه أبو داود في سننه عن مسدد وأبي معمر عن عبدالله بن عمرو كلاهما عن عبدالوارث به وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا عاصم بن محمد عن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أخيه عمر بن محمد عن عبدالله بن يسار مولى بن عمر قال أشهد لسمعت سالما يقول : قال عبدالله قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة . العاق لوالديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث . وثلاثة لاينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان بما أعطى » ورواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري عن عبدالله بن يسار به

وقال الامام احمد أيضاً حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا الوليد بن كثير عن قطن بن وهب عن عويمر بن الاجدع عمن حدثه عن سالم بن عبدالله بن عمر قال حدثني عبدالله بن عمر أن رسول الله قال « ثلاثة حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والذي يقر في أهله الخبث » وقال ابو داود الطيالسي في مسنده حدثني شعبة حدثني رجل من آل سهل بن حنيف عن محمد بن عمار عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ « لايدخل الجنة ديوث » يستشهد به لما قبله من الاحاديث

فقرأها علي وقال لي « لاتنكحها » فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس ، وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعناه أن الزاني لايزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لاتزني إلا بزان أو مشرك وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ورواه الوالبي عن ابن عباس قال يزيد بن هارون : ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان . وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبداً « وقال الحسن الزاني المجلود لاينكح إلا زانية مجلودة والزانية المجلودة لاينكحها إلا زان مجلود . قال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ فكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية فنسخها قوله (وأنكحوا الايامى منكم) فدخلت الزانية في أيامى المسلمين ، واحتج من جوز نكاح الزانية بما أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل

وقال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلام بن سوار حدثنا كثير بن سليم عن الضحاك بن مزاحم سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن يلقى الله وهو طاهر متطهر فليتزوج الحرائر » في اسناده ضعف

وقال الامام أبو النصر اسمعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح في اللغة الديوث القنزع وهو الذي لاغيرة له « فاما الحديث الذي رواه الامام أبو عبد الرحمن النسائي في كتاب النكاح من سننه أخبرنا محمد بن اسمعيل بن علية عن يزيد بن هارون عن حماد بن مسلمه وغيره عن هارون بن رئاب عن عبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الكريم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس عبد الكريم رفعه الى ابن عباس وهارون لم يرفعه قالا جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال ان عندي امرأة من أحب الناس الي وهي لا تمنع يد لامس قال « طلقها قال لاصبر لي عنها قال « استمتع بها » ثم قال النسائي هذا الحديث غير ثابت وعبد الكريم ليس بالقوي وهارون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة وحديثه اولى بالصواب من حديث عبد الكريم قلت وهو ابن أبي المخارق البصري المؤدب تابعي ضعيف الحديث وقد خالفه هارون بن رئاب وهو تابعي ثقة من رجال مسلم فحديثه المرسل أولى كما قال النسائي لكن قد رواه النسائي في كتاب الطلاق عن اسحاق بن راهويه عن النضر بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن هارون بن رئاب عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس مسندا فذكره بهذا الاسناد فرجاله على شرط مسلم الا ان النسائي بعد روايته له قال هذا خطأ والصواب مرسل. ورواه غير النضر على الصواب وقد رواه النسائي أيضا وأبو داود عن الحسين بن حريث أخبرنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسين بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره وهذا الاسناد جيد .وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين مضعف له كما تقدم عن النسائي ومنكر كما قال الامام أحمد هو حديث منكر

وقال ابن قتيبة انما أراد أنها سخية لاتمنع سائلا وحكاه النسائي في سننه عن بعضهم فقال وقيل سخية تعطي « ورد هذا بأنه لو كان المراد لقال لاترد يد ملتمس ، وقيل المراد أن سجيتها لاترد يد لامس لأن المراد أن هذا واقع منها وانها لاتفعل الفاحشة فان رسول الله ﷺ لايأذن في مصاحبة من هذه صفتها فان زوجها والحالة هذه يكون ديوثا وقد تقدم الوعيد على ذلك ،ولكن لما كانت سجيتها

التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو احمد عبدالله بن عدي الحافظ أنا الحسن بن الفرج أنا عمرو بن خالد الحراني أنا عبيد الله عن عبد الكريم الجزري عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله ان امرأتي لا تمنع يد لامس ؟ « قال طلقها » قال فاني أحبها وهي جميلة قال « استمتع بها » وفي رواية غيره « فامسكها إذاً » وروي أن عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص أن يجمع بينهما فأبى الغلام

هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا بها أحد أمره رسول الله ﷺ بفراقها فلما ذكر أنه يحبها أباح له البقاء معها لان محبته لها محققة ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يصار إلى الضرر العاجل لتوهم الآجل والله سبحانه وتعالى أعلم

قالوا فأما إذا حصلت توبة فانه يحل التزويج كما قال الامام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن ابن أبي ذئب قال سمعت شعبة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال إني كنت ألم بامرأة آتي منها ماحرم الله عز وجل علي فرزق الله عز وجل من ذلك توبة فأردت أن أتزوجها فقال أناس إن الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة . فقال ابن عباس ليس هذا في هذا ، انكحها فما كان من اثم فعلي . وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء ان هذه الآية منسوخة ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال ذكر عنده (الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أومشرك) قال كان يقال نسختها التي بعدها (وانكحوا الأيامى منكم) قال كان يقال الايامى من المسلمين ، وهكذا رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ له عن سعيد بن المسيب ونص على ذلك أيضا الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي

والذين يرمون المحصنـٰت ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمـٰنين جلدة ولا تقبلوا لهم شهـٰدة أبداً وأولئك هم الفـٰسقون (٤) الا الذين تابوا وأصلحوا فان الله غفور رحيم (٥)

هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة وهي الحرة البالغة العفيفة فاذا كان المقذوف رجلا فكذلك يجلد قاذفه أيضا وليس فيه نزاع بين العلماء . فان أقام القاذف بينة على صحة

قوله ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ أراد بالرمي القذف بالزنا وكل من رمى محصنا أو محصنة بالزنا فقال له زنيت أو يازاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة ان كان حراً وان كان عبداً فيجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة : الاسلام ، والعقل ، والبلوغ ، والحرية ، والعفة من الزنى ، حتى إن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته وامتد عمره فقذفه قاذف فلا حد عليه فان أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد الذي وجب عليه حد الفرية وقد ثبت صدقه وقوله (والذين يرمون المحصنات) أي يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرائر العفائف (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) يشهدون على زناهن (فاجلدوهم ثمانين جلدة) أي اضربوهم ثمانين جلدة ﴿ ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون * الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾ اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان

ماقاله درأ عنه الحد ولهذا قال تعالى (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فأوجب على القاذف إذا لم يقم البينة على صحة ماقال ثلاثة أحكام [أحدها] أن يجلد ثمانين جلدة [الثاني] أنه ترد شهادته أبدا [الثالث] أن يكون فاسقا ليس بعدل لاعند الله ولا عند الناس ، ثم قال تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) الآية . واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود إلى الجملة الاخيرة فقط فترفع التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائما وإن تاب أو يعود الى الجملتين الثانية والثالثة؟ وأما الجلد فقد ذهب وانقضى سواء تاب أو أصر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الامام مالك وأحمد والشافعي الى أنه إذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضا ، وقال الامام أبو حنيفة إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الاخيرة فقط فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة أبداً وممن ذهب اليه من السلف القاضي شريح وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن ابن زيد بن جابر . وقال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وإن تاب الا أن يعترف على نفسه انه قد قال البهتان ، فحينئذ تقبل شهادته والله أعلم

والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين (٦) والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين (٧) ويدرؤا عنها العذاب

القاذف ترد شهادته بنفس القذف، واذا تاب وندم على ماقال وحسنت حالته قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أوقبلها لقوله تعالى (الا الذين تابوا) وقالوا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن ابن عباس وعمر وهذا هو قول سعيد ابن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي، وذهب قوم الى ان شهادة المحدود فى القذف لاتقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله (وأولئك هم الفاسقون) وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي وقالوا بنفس القذف لا ترد شهادته مالم يحد ،قال الشافعي وهو قبل أن يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف يردونها فى احسن حاليه ويقبلونها فى شر حاليه . وذهب الشعبي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لايسقط بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو عنه ولا يسقط بالتوبة ، فان قيل اذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا ؟ قيل معناه لاتقبل شهادته أبدا مادام هو مصرا على قذفه لان أبد كل انسان مدته على مايليق بحاله كما يقال لاتقبل شهادة الكافر أبدا يراد مادام كافرا

قوله ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ يقذفون نساءهم ﴿ ولم يكن لهم شهداء ﴾ يشهدون على صحة

أن تشهد أربعَ شهـٰدٰت بالله انه لمن الكـٰذبين (٨) والخـٰمسةَ أنّ غضب الله عليها ان كان من الصـّٰدقين (٩) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم (١٠)

هذه الآية الكريمة فيها فرج للازواج وزيادة مخرج اذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه اقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله عز وجل وهو أن يحضرها الى الامام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء انه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا (والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فاذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وحرمت عليه أبدا ويعطيها مهرها ويتوجه عليها حد الزنا ، ولا يدرأ عنها العذاب الا أن تلاعن فتشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين أي فيما رماها به (والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولهذا قال (ويدرأ عنها العذاب) يعني الحد (ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) فخصها بالغضب كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا الا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه، ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى

ماقالوا ﴿ الا أنفسهم ﴾ غير أنفسهم ﴿ فشهادة احدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب أربع شهادات، برفع العين على خبر الابتداء أي فشهادة أحدهم التى تدرأ الحد أربع شهادات وقرأ الآخرون بالنصب أي فشهادة أحدهم التي تدرأ عنه الحد أربع شهادات أي فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ﴿ والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ﴾ قرأ نافع ويعقوب أن خفيفة وكذلك الثانية (لعنة الله) رفع ثم قرأ يعقوب غضب بالرفع على الاسم (الله) جر، وقرأ نافع غضب بكسر الضاد وفتح الباء على الفعل الماضي (الله) رفع وقرأ الآخرون أن بالتشديد فيهما لعنة نصب وغضب بفتح الضاد على الاسم الله جر، وقرأ حفص عن عاصم والخامسة الثانية نصب أي ويشهد الشهادة الخامسة، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في أن كالاولى، وسبب نزول هذه الآية ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمر العجلاني جاء الى عاصم بن عدي الانصاري فقال له ياعاصم أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل ؟ سل لي عن ذلك ياعاصم رسول الله ﷺ قال فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ماسمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم الى أهله جاء عويمر فقال له يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ ؟ فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي لحرجتم ولشق عليكم كثير من اموركم (وان الله تواب) اي على عباده » وان كان ذلك بعد الحلف والايمان المغلظة (حكيم) فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه ،

وقد وردت الاحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة. قال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً)

قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار رضي الله عنه أهكذا أنزلت يارسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ « يامعشر الانصار ألا تسمعون مايقول سيدكم ؟ » فقالوا يارسول الله لاتلمه فانه رجل غيور والله ماتزوج امرأة قط إلا بكرا وماطلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته . فقال سعد والله يارسول الله إني لأعلم أنها لحق وانها من الله ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء. فوالله اني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته. — قال فمالبثوا إلا يسيرا — حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينيه وسمع باذنيه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله اني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله ﷺ ماجاء به واشتد واجتمعت عليه الانصار وقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة الآن

ﷺ المسئلة التي سألته عنها فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله ﷺ وسط الناس فقال يارسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل ؟ فقال رسول الله ﷺ « قد انزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فائت بها » فقال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يارسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين وقال محمد بن اسماعيل أنا اسحاق أنا محمد بن يوسف أنا الاوزاعي أنا الزهري بهذا الاسناد بمثل معناه وزاد ثم قال رسول الله ﷺ « انظروا فان جاءت به أسحم أدعج العينين ، عظيم الاليتين ، خدلج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها ، وان جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمرا إلا قد كذب عليها » فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن بشار أنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان أنا عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبي ﷺ « البينة أو حد في ظهرك » فقال يارسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي ﷺ يقول « البينة وإلا حد في ظهرك » فقال هلال والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله مايبرئ

بضرب رسول الله ﷺ هلال بن أميـة ويبطل شهادته في الناس فقال هلال والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجا . وقال هلال يارسول الله فاني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم إني لصادق. فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه اذ أنزل الله على رسوله ﷺ الوحي وكان اذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد وجهه يعني فامسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله) الآية فسري عن رسول الله ﷺ فقال « أبشر ياهلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا » فقال هلال قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل فقال رسول الله ﷺ أرسلوا اليها فأرسلوا اليها فجاءت فتلاها رسول الله ﷺ عليهما فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال والله يارسول الله لقد صدقت عليها فقالت كذب فقال رسول الله ﷺ « لاعنوا بينهما » فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له: ياهلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من الآخرة وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب . فقال والله لايعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها فشهد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم قيل للمرأة اشهدي أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين وقيل لها عند الخامسة اتقي الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة « وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم

ظهري من الحد فنزل جبريل وانزل عليه (والذين يرمون ازواجهم) فقرأ حتى بلغ (ان كان من الصادقين) فانصرف النبي ﷺ فارسل اليهما فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول « إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب » ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي ﷺ « ابصروها فان جاءت به أكحل العينين « سابغ الاليتين « خدلج الساقين فهو لشريك ابن سحماء » فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ « لولا مامضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » وقال عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (والذين يرمون المحصنات) الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ماكنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت مارأيت إن في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله ﷺ « يامعشر الانصار ألا تسمعون ماقال سيدكم » قالوا لاتلمه فانه رجل غيور ماتزوج امرأة قط إلا بكراً ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يارسول الله بأبي أنت وأمي والله اني لأعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرك الله فقال النبي ﷺ « فان الله يأبى إلا ذلك » فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيراً حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على

قالت والله لا أفضح قومي فشهدت في الخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقضى : أن لا يدعى ولدها لاب ولا يرمى ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد ، وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ولا متوفى عنها وقال « ان جاءت به أصيهب أريشح حمش الساقين فهو لهلال ، وان جاءت به أورق جعد اجماليا خدلج الساقين سابغ الاليتين فهو للذي رميت به » فجاءت به أورق جعد اجماليا خدلج الساقين سابغ الاليتين فقال رسول الله ﷺ « لولا الايمان لكان لي ولها شأن » قال عكرمة فكان بعد ذلك أميراً على مصر وكان يدعى لأمه ولا يدعى لأب ، ورواه ابو داود عن الحسن بن علي عن يزيد بن هارون به نحوه مختصراً ، ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة ، فمنها ما قال البخاري حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبي ﷺ « البينة أو حد في ظهرك » فقال يارسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي ﷺ يقول « البينة وإلا حد في ظهرك » فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه (والذين يرمون أزواجهم ـ فقرأ حتى بلغ ـ إن كان من الصادقين) فانصرف النبي ﷺ فأرسل اليهما فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول « ان

رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه فقال يارسول الله اني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلا مع امرأتي رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله ﷺ ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يارسول الله اني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت إلا حقا وإني لارجو أن يجعل الله لي فرجاً فهم رسول الله ﷺ بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته وانهم لكذلك ورسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل عليه حتى فرغ رسول الله ﷺ فامسكوا فانزل الله عز وجل (والذين يرمون أزواجهم) الى آخر الآيات فقال رسول الله ﷺ ابشر ياهلال فان الله قد جعل لك فرجا فقال لقد كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله ﷺ « ارسلوا اليها » فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قيل لها فكذبت فقال رسول الله ﷺ « إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب » فقال هلال يارسول الله بأبي أنت وأمي قد صدقت وما قلت إلا حقا فقال رسول الله ﷺ « لاعنوا بينهما » فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة « ياهلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب » فقال هلال والله لايعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله ﷺ فشهد

الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب » ثم قامت فشهدت ، فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي ﷺ « أبصروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء » فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ « لولا مامضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » انفرد به البخاري من هذا الوجه ، وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزيادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم يعني ابن كليب عن أبيه حدثني ابن عباس قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فرمى امرأته برجل فكره ذلك رسول الله ﷺ فلم يزل يردده حتى أنزل الله تعالى (والذين يرمون أزواجهم) فقرأ حتى فرغ من الآيتين فأرسل اليهما فدعاهما فقال « إن الله تعالى قد أنزل فيكما » فدعا الرجل فقرأ عليه (فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) ثم أمر به فأمسك على فيه فوعظه فقال « كل شيء أهون عليك من لعنة الله » ثم أرسله فقال لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم دعاها فقرأ عليها فشهدت أربع شهادات بالله انه من الكاذبين ثم أمر بها فأمسك على فيها فوعظها وقال : ويحك كل شيء أهون من غضب الله ثم أرسلها فقالت : غضب الله عليها إن كان من الصادقين . فقال رسول الله ﷺ « أما والله لأقضين بينكما قضاء فصلا قال فولدت فما رأيت مولودا بالمدينة أكثر منه فقال « ان جاءت به لكذا

الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ثم قال للمرأة « اشهدي » فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها « اتقي الله فان الخامسة موجبة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس » فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله ﷺ « إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو الذي قيل فيه » فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق على الشبه المكروه وكان بعد أميراً على مصر لا يدري من أبوه وقال ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل لما نزلت (والذين يرمون المحصنات) الآية فقرأها رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان رأى رجل منا مع امرأته رجلا فاخبر بما رأى جلد ثمانين جلدة وسماه المسلمون فاسقا ولا تقبل شهادته أبداً فكيف لنا بالشهداء ونحن اذا التمسنا الشهداء كان الرجل فرغ من حاجته ومر » وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس بن محصن فأتى عويمر عاصما وقال لقد رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله ﷺ في الجمعة الاخرى فقال يارسول الله ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي فاخبره وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عم عاصم فدعا رسول الله ﷺ

وكذا فهو كذا ، وان جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا « فجاءت به يشبه الذي قذفت به

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبدالملك بن أبي سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير قال سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما في إمارة ابن الزبير فما دريت ما أقول فقمت من مكاني إلى منزل ابن عمر فقلت يا أبا عبدالرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما؟ فقال سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال يارسول الله أرأيت الرجل يرى امرأته على فاحشة فان تكلم تكلم بأمر عظيم وان سكت سكت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال الذي سألتك عنه قد ابتليت به فأنزل الله تعالى هذه الآيات في سورة النور (والذين يرمون أزواجهم) حتى بلغ (أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) فبدأ بالرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال والذي بعثك بالحق ما كذبت ، ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت المرأة والذي بعثك بالحق انه لكاذب . قال فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين « والخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ثم فرق بينهما رواه النسائي في التفسير من حديث عبد الملك بن أبي سليمان به وأخرجاه في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس

بهم جميعاً وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها بالبهتان فقال يارسول الله أقسم بالله اني رأيت شريكا على بطنها وأني ماقربتهامنذ أربعة أشهر وأنها حبلى من غيري فقال رسول الله ﷺ للمرأة « اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت « فقالت يارسول الله ان عويمراً رجل غيور وانه رآني وشريكا نطيل السمر ونتحدث فحملته الغيرة على ماقال . فقال رسول الله ﷺ لشريك « ماتقول « فقال ماتقوله المرأة كذب فانزل الله عز وجل (والذين يرمون ازواجهم) الآية فأمر رسول الله ﷺ حتى نودي الصلاة جامعة فصلي العصر ثم قال لعويمر « قم « فقام فقال أشهد بالله أن خولة لزانية وأني لمن الصادقين « ثم قال في الثانية أشهد بالله أني رأيت شريكا على بطنها وأني لمن الصادقين ، ثم قال في الثالثة أشهد بالله أنها حبلى من غيري وأني لمن الصادقين ، ثم قال في الرابعة أشهد بالله اني ماقربتها منذ أربعة أشهر وأني لمن الصادقين « ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالقعود وقال لخولة « قومي » فقامت فقالت أشهد بالله ماأنا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت فى الثانية أشهد بالله انه مارأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الثالثة أشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الرابعة أشهد بالله انه مارآني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقال لولا هذه الأيمان لكان لي فى أمرهما رأى

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن حماد حدثنا ابو عوانة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال : كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد فقال رجل من الانصار أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلتموه وإن تكلم جلدتموه ، وان سكت سكت على غيظ ، والله لان أصبحت صحيحا لاسألن رسول الله ﷺ قال فسأله فقال يارسول الله ان أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا ان قتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه ، وان سكت سكت على غيظ اللهم احكم، قال فنزلت آية اللعان فكان ذلك الرجل أول من ابتلي به . انفرد باخراجه مسلم فرواه من طرق عن سليمان بن مهران الاعمش به

وقال الامام احمد أيضاً حدثنا ابو كامل حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد قال جاء عويمر الى عاصم بن عدي فقال له سل رسول الله ﷺ أرأيت رجلا وجد رجلا مع امرأته فقتله أيقتل به أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ فعاب رسول الله ﷺ المسائل قال فلقيه عويمر فقال : ماصنعت ؟ قال ماصنعت إنك لم تأتني بخير ، سألت رسول الله ﷺ فعاب المسائل فقال عويمر والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنه ، فأتاه فوجده قد أنزل عليه فيهما . قال : فدعا بهما ولاعن بينهما . قال عويمر ان انطلقت بها يارسول الله لقد

ثم قال « تحينوا بها الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لعويمر، وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو للذي رميت به » قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله بشريك .

والكلام في حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف الاجنبي في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان لم تكن محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا يقام الحد عليه الا أن يقيم أربعة من الشهود على زناها أو يقر به المقذوف فيسقط عنه حد القذف، وفي الزوجة اذا وجد أحد هذين أولا عن يسقط عنه الحد، فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا ربما لايمكنه اقامة البينة عليه ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى(فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) واذا أقام الزوج البينة على زناها أو اعترفت بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه واذا أراد الامام ان يلاعن بينهما فيبدأ فيقيم الرجل ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا وان كان قد رماها برجل بعينه سماه بعينه باللعان وان رماها بجماعة سماهم ويقول الزوج كما يلقنه الامام ، وان كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد أو الحمل لمن الزنا ما هو مني، ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة منها من غير تلقين الحاكم لاتكون محسوبة، فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين زوجته وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه حد القذف ووجب على المرأة حد الزنا ان كانت محصنة ترجم وان كانت غير محصنة تجلد و تغرب فهذه

كذبت عليها. قال ففارقها قبل أن يأمره رسول الله ﷺ فصارت سنة المتلاعنين ، وقال رسول الله ﷺ « ابصروها فان جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الاليتين فلا أراه إلا قد صدق ، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أراه إلا كاذبا » فجاءت به على النعت المكروه . أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا الترمذي » ورواه البخاري أيضا من طرق عن الزهري به فقال حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن سهل بن سعد أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أرأيت رجلا رأى مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فأنزل الله تعالى فيهما ماذكر في القرآن من التلاعن فقال له رسول الله ﷺ « قد قضي فيك وفي امرأتك » قال فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله ﷺ ففارقها فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين، وكانت حاملا فأنكر حملها وكان ابنها يدعى اليها . ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه مافرض الله لها

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن زيد بن يثيع عن حذيفة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ لابي بكر « لو رأيت مع أم رومان رجلا ما كنت فاعلا؟ » قال كنت والله فاعلا به شرا » قال « فأنت ياعمر؟» قال كنت والله فاعلا كنت أقول لعن الله الاعجز فانه خبيث . قال فنزلت (والذين يرمون أزواجهم ولم

خمسة أحكام تتعلق كلها بلعان الزوج ، قوله ﴿ ويدرأ ﴾ يدفع ﴿ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾ وأراد بالعذاب الحد كما قال في أول السورة(وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أي حدهما ومعنى الآية ان الزوج اذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا واذا وجب عليها حد الزنا بلعانه فارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة علي غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ، ولا يتعلق بلعانها الا حكم واحد وهو سقوط الحد عنها ولو اقام الزوج بينة على زناها فلا يسقط الحد عنها باللعان، وعند اصحاب الرأي لاحد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن يحبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة عن اللعان حبست حتى تلاعن » وعند الآخرين اللعان حجة على صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة الحجة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا قعد عن اقامة البينة ، وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي ، وفرقة اللعان فرقة فسخ عند كثير من اهل العلم وبه قال الشافعي، وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه دون ماله فيلزمه الحد ويلحقه الولد ولكن لا يرتفع تأبيد التحريم » وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا أكذب الزوج نفسه جازله أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لايتعلق به الحكم ، وعند أبي حنيفه اذا أتى باكثر كلمات اللعان

يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) ثم قال لا نعلم أحداً أسنده إلا النضر بن شميل عن يونس بن إسحاق ثم رواه من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع مرسلا فالله أعلم

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لأول لعان كان في الاسلام ان شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته فرفعته إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ «أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك» فقال يارسول الله ان الله يعلم أني لصادق ولينزلن الله عليك مايبرىء ظهري من الجلد فأنزل الله آية اللعان (والذين يرمون أزواجهم) إلى آخر الآية قال فدعاه النبي ﷺ فقال «اشهد بالله انك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا» فشهد بذلك أربع شهادات ثم قال له في الخامسة «ولعنة الله عليك ان كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا» ففعل ثم دعاها رسول الله ﷺ فقال «قومي فاشهدي بالله انه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها في الخامسة «وغضب الله عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا» قال فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة حتى ظنوا انها ستعترف ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت على القول ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقال «انظروا فان جاءت به جعداً حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء وإن جاءت به أبيض سبطا قصير العينين فهو لهلال بن أمية» فجاءت به جعداً حمش الساقين فقال رسول الله ﷺ «لولا مانزل فيهما من كتاب الله لكان لي ولها شأن»

قام مقام الكل في تعلق الحكم به، فكل من صح يمينه صح لعانه حراً كان أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وا كثر أهل العلم، وقال الزهري والاوزاعي وأصحاب الرأي لايجري اللعان إلا بين مسلمين حرين غير محدودين، فان كان الزوجان أو أحدهما رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال (والذين يرمون ازواجهم) ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره كما قال (والذين يظاهرون منكم من نسائهم) ثم يستوي الحر والعبد في الظهار ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو خليفته، ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بعدد الالفاظ والمكان والزمان وأن يكون بمحضر جماعة من الناس، أما الالفاظ المستحقة فلا يجوز الاخلال بها. وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الاماكن ان كان بمكة فبين الركن والمقام، وان كان بالمدينة فعند المنبر وفي سائر البلاد ففي المسجد الجامع عند المنبر. والزمان هو أن يكون بعد صلاة العصر. وأما الجمع فأقلهم أربعة والتغليظ بالجمع مستحب حتى لولا عن الحاكم بينهما وحده جاز، وهل التغليظ بالمكان واجب أو مستحب؟ فيه قولان

قوله ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم

إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امريء منهم مااكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم (١١)

هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الافك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ فقال تعالى (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم) أي جماعة منكم يعني ماهو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فانه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزه آخرون منهم وبقي الامر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن، وبيان ذلك في الاحاديث الصحيحة

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن حديث[1] عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله تعالى، وكلهم قد حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا: ذكروا أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة رضي الله عنها فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعد مانزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول

(١) كذا في النسخة الاميرية وفي البغوي عن عائشة

بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان (وأن الله تواب) يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة (حكيم) فيما فرض من الحدود

قوله ﴿إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم﴾ الآيات. سبب نزول هذه الآية ما أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبدالعزيز بن عبدالله أنا ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة ابن وقاص وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الافك ماقالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً وان كان بعضهم اوعى له من بعض قالوا: قالت عائشة كان رسول الله ﷺ اذا أراد سفراً أقرع بين ازواجه وأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة فأقرع

الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، قالت وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدونني فيرجعون الي ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان قد رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطىء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد مانزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمناها شهرا والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك ويريبني في وجعي اني لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكي ، انما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول « كيف تيكم » ؟ فذلك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه في البرية وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي

بينما في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما انزل الحجاب ، فكنت أحمل في هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه ، قالت واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلهن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى

رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب (١) فاقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح. فقلت لها بئسما قلت تسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت أي هنتاه ألم تسمعي ماقال؟ قلت وماذا قال؟ قالت فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال «كيف تيكم؟» فقلت له أتأذن لي ان آتي أبوي، قالت وانا حينئذ أريد ان أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي ياأمتاه ماذا يتحدث الناس به؟ فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها. قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي، قالت فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال اسامة يارسول الله أهلك ولا نعلم الا خيرا. واما علي بن أبي طالب فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك الخبر. قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال «أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة» فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ان رأيت منها أمرا قط اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله ابن أبي بن سلول، قالت فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر «يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه

(١) في البغوي ابن المطلب

سواد انسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ماتكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطيء على يدها فقمت اليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول. قالت فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي بن سلول، قال عروة أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضاً لم يسم من اهل الافك ايضاً إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين ولا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى، والذي تولى كبر ذلك عبد الله بن أبي بن سلول قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الافك

الا خيراً وما كان يدخل على أهلي الا معي » فقام سعد بن معاذ الانصاري رضي الله عنه فقال أنا أعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد ابن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت ان يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين « فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله ﷺ قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان ان البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ،قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل « وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني شيء » قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : أما بعد ياعائشة فانه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه « قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي أجيبي رسول الله ﷺ فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن والله لقد علمت لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت بأمر والله يعلم

لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول « كيف تيكم؟ » ثم ينصرف فذلك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا ، وكنا لانخرج إلا ليلا الى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا امر العرب الاول في التنزه قبل الغائط « وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب .فاقبلت أنا وام مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح . فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا شهد بدراً؟ فقالت أي هنتاه أولم تسمعي ماقال؟ قالت فقلت ماقال « فاخبرتني بقول اهل الافك قالت فازددت مرضاً على مرضي « فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ ثم قال « كيف تيكم؟ » فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت وأنا اريد أن استيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله ﷺ

أني منه بريئة لتصدقني فوالله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف (فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون) قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وأنا والله أعلم حينئذ اني بريئة وان الله تعالى مبرئني ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسو الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله مارام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه. قالت فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال «أبشري ياعائشة أما الله عز وجل فقد برأك» قالت فقالت لي أمي قومي اليه فقلت والله لاأقوم اليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله عز وجل (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم) العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال ابو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لاأنفق عليه شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى — إلى قوله — ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال ابو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه. وقال والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري فقال «يازينب ماذا علمت أو رأيت؟» فقالت يارسول الله أحمي سمعي وبصري والله ماعلمت الا خيراً قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب فهذا ما انتهى الينا من أمر هؤلاء الرهط أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما

فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس قالت يابنية هوني عليك فوالله لقل ماكانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لايرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم اصبحت ابكي، قالت ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة اهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي فقال يارسول الله لم يضيق[1] عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك الخبر قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال «أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك» قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق مارأيت عليها أمراً قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. قالت فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال «يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت

(١) في ابن كثير زيادة الله

من حديث الزهري وهكذا رواه ابن إسحاق عن الزهري كذلك قال : وحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري عن عمرة اخبرني ابي عن عائشة بنحو ماتقدم والله أعلم

ثم قال البخاري وقال أبو اسامة عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به . قام رسول الله ﷺ في خطيبا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال أما بعد أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي وايم الله ماعلمت على أهلي إلا خيرا وماعلمت على اهلي من سوء وأبنوهم بمن والله ماعلمت عليه من سوء قط ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر ، ولا غبت في سفر إلا غاب معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال : يارسول الله ائذن لنا أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم. حتى كاد أن يكون بين الاوس والخزرج شر في المسجد وماعلمت فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت لها أي أم تسبين ابنك ؟ فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت لها أي أم تسبين ابنك؟ ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فانتهرتها فقالت والله ماأسبه إلا فيك فقلت في أي شأني قالت فبقرت لي الحديث فقلت وقد كان هذا ؟ قالت نعم والله فرجعت إلى بيتي كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلا ولا كثيراً ووعكت وقلت لرسول الله ﷺ أرسلني إلى بيت أبي فأرسل معي الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفل وأبا بكر فوق البيت يقرأ فقالت أم رومان ماجاء بك يابنية فأخبرتها وذكرت لها الحديث وإذا هو لم يبلغ منها مثل الذي بلغ مني فقالت يابنية خففي عليك الشأن فانه والله لقل ما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدنها ، وقيل

على اهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه إلا خيراً وما يدخل على اهلي إلا معي » قالت فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الاشهل فقال أنا يارسول الله أعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا امرك قالت وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، قالت عائشة وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم لسعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين . قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم . قالت وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى اني لأظن ان البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان

فيها فقالت وقد علم به أبي؟ قالت نعم قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت نعم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لامي ماشأنها قالت بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه رضي الله عنه فقال أقسمت عليك يابنية الا رجعت إلى بيتك فرجعت، ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي فقالت يارسول الله لا والله ماعلمت عليها عيبا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها ، وانتهرها بعض أصحابه فقال أصدقي رسول الله ﷺ حتى أسقطوا لها به فقالت سبحان الله والله ماعلمت عليها إلا ما علم الصائغ على تبر الذهب الاحمر ، وبلغ الامر ذلك الرجل الذي قيل له . فقال سبحان الله والله ما كشفت كنف أنثى قط .قالت عائشة رضي الله عنها فقتل شهيداً في سبيل الله قالت وأصبح أبواي عندي فلم يزالا حتى دخل علي رسول الله ﷺ وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « أما بعد يا عائشة إن كنت قارفت سوأ أو ظلمت فتوبي إلى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده » قالت وقد جاءت امرأة من الانصار فهي جالسة بالباب فقلت ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئاً فوعظ رسول الله ﷺ فالتفت إلى أبي فقلت له أجب رسول الله ﷺ قال فماذ أقول ؟ فالتفت إلى أمي فقلت أجيبي رسول الله ﷺ قالت ماذا أقول ؟ فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت أما بعد فوالله إن قلت لكم إني لم أفعل والله عز وجل يشهد أني لصادقة ماذاك بنافعي عندكم لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم ، وإن قلت لكم إني قد فعلت والله يعلم أني لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها واني والله ما أجد لي ولكم مثلا والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه إلا أبا يوسف حين قال (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) وأنزل الله على رسوله ﷺ من ساعته فسكتنا فرفع عنه وإني لاتبين السرور في وجهه وهو يمسح

عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي ، قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم علينا ثم جلس » قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ماقيل قبلها وقد لبث شهراً لايوحى اليه في شأني بشيء ، قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال » أما بعد ياعائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه » قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ماأحس منه قطرة فقلت لابي أجب رسول الله ﷺ فيما قال فقال أبي والله ماأدري ماأقول لرسول الله ﷺ فقلت لامي أجيبي رسول الله ﷺ قالت أمي والله ماأدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لاتصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني فوالله لاأجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال (فصبر جميل

جبينه ويقول « ابشري ياعائشة فقد أنزل الله براءتك » قالت وكنت أشد ما كنت غضباً فقال لي أبواي قومي اليه فقلت لا والله لاأقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه » وكانت عائشة تقول : أما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما أختها حمنة بنت جحش فهلكت فيمن هلك » وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبدالله بن أبي بن سلول وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة ، قالت فحلف ابو بكر أن لاينفع مسطحا بنافعة أبداً فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم) يعني أبا بكر (والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين) يعني مسطحاً إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال ابو بكر بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا » وعاد له بما كان يصنع . هكذا رواه البخاري من هذا الوجه معلقاً بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد بن أسامة أحد الائمة الثقات . وقد رواه ابن جرير في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن أبي أسامة مطولا به مثله أو نحوه » ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الاشج عن أبي أسامة ببعضه . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما نزل عذري من السماء جاءني النبي ﷺ فأخبرني بذلك فقلت بحمد الله لا بحمدك

وقال الامام احمد حدثنا ابن أبي عدي عن محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر عن عمرة

والله المستعان على ماتصفون) ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم اني حينئذ بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ماكنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، لشأني في نفسي كان احقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله مارام رسول الله ﷺ مجلسه ولاخرج أحد من أهل البيت حتى انزل عليه فأخذه ماكان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال « ابشري ياعائشة أما الله فقد برأك » قالت فقالت لي أمي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه فاني لا أحمد إلا الله قالت وانزل الله تعالى (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم) العشر الآيات ثم انزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة ماقال فانزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ـ الى قوله ـ غفور رحيم) قال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأُحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه أبداً قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن امري فقال لزينب « ماذا علمت أو رأيت ؟ » فقالت يارسول الله أحمي سمعي وبصري والله ماعلمت إلا خيراً قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع

أيضاً عن عائشة قالت لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم ورواه أهل السنن الاربعة . وقال الترمذي هذا حديث حسن ووقع عند أبي داود تسميتهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش .

فهذه طرق متعددة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها « وقد روي من حديث أمها أم رومان رضي الله عنها فقال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم أخبرنا حصين عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان قالت بينا أنا عند عائشة إذ دخلت عليها امرأة من الانصار فقالت: فعل الله بابنها وفعل فقالت عائشة ولم؟ قالت انه كان فيمن حدث الحديث قالت وأي الحديث قالت؟ كذا وكذا قالت وقد بلغ ذلك رسول الله ﷺ ؟ قالت نعم قالت وبلغ ابا بكر ؟ قالت نعم فخرت عائشة رضي الله عنها مغشيا عليها فما أفاقت الا وعليها حمى بنافض قالت فقمت فدثرتها قالت فجاء النبي ﷺ قال «فما شأن هذه؟» فقالت يارسول الله أخذتها حمى بنافض قال «فلعله في حديث تحدث به» قالت فاستوت عائشة قاعدة فقالت «والله لئن حلفت الكم لا تصدقوني ولئن اعتذرت اليكم لا تعذروني فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه حين قال (فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون) قالت فخرج رسول الله ﷺ وأنزل الله عذرها فرجع رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر فدخل فقال ياعائشة «ان الله تعالى قد أنزل عذرك »فقالت بحمد الله لا بحمدك فقال لها أبو بكر تقولين هذا لرسول الله

قالت وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك . قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط، قالت عائشة والله إن الرجل الذي قيل له ماقيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف انثى قط ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله ورواه محمد بن اسماعيل عن يحيى بن بكير أنا الليث عن يونس عن ابن شهاب باسناد مثله وقال« وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه» الى قوله فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فقالت ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي فقالت لا والله ما علمت عليها عيبا إلا انها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها فانتهرها بعض اصحابه فقال اصدقي رسول الله حتى اسقطوا لها به فقالت سبحان الله والله ماعلمت عليها إلا كما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر . وفيه قالت وانزل على رسول الله ﷺ فرفع عنه «إني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول « ابشري ياعائشة فقد انزل الله براءتك » فقال لي أبواي قومي اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا احمده ولا احمد احداً ولكن احمد الله الذي انزل براءتي لقد سمعتموه فما انكرتموه ولا غيرتموه .أما تفسير قوله تعالى (إن الذين جاءوا بالافك) بالكذب وهو أسوأ الكذب سمي افكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم أفك الشيء اذا قلبه عن وجهه وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف

ﷺ؟ قالت نعم قالت وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل كان يعوله أبو بكر فحلف أن لا يصله فأنزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة) الى آخر الآية فقال أبو بكر بلى فوصله . تفرد به البخاري دون مسلم من طريق حصين، وقد رواه البخاري عن موسى بن اسمعيل عن أبي عوانة وعن محمد بن سلام عن محمد بن فضيل كلاهما عن حصين به وفي لفظ أبي عوانة حدثتني أم رومان وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وذلك لما ذكره أهل التاريخ انها ماتت في زمن النبي ﷺ قال الخطيب وقد كان مسروق يرسله فيقول سئلت أم رومان ويسوقه فلعل بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوي انها سألت فظنه متصلا قال الخطيب وقد رواه البخاري كذلك ولم تظهر له علته كذا قال والله أعلم. ورواه بعضهم عن مسروق عن عبد الله بن مسعود عن ام رومان فالله أعلم، فقوله تعالى (ان الذين جاءوا بالافك) أي الكذب والبهت والافتراء. (عصبة) أي جماعة منكم (لاتحسبوه شرا لكم) أي يا آل أبي بكر (بل هو خير لكم) أي في الدنيا والآخرة لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة واظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) الآية ولهذا لما دخل عليها ابن عباس رضي الله عنه وعنها وهي في سياق الموت قال لها أبشري فانك زوجة رسول الله ﷺ وكان يحبك ولم يتزوج بكرا غيرك ونزلت براءتك من السماء. وقال ابن جرير في تفسيره حدثني محمد بن عثمان الواسطي حدثنا

فمن رماها بالسوء قلب الامر عن وجهه (عصبة منكم) أي جماعة منهم عبد الله بن أبي بن سلول، ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله وغيرهم ﴿ لا تحسبوه شراً لكم ﴾ يا عائشة ويا صفوان وقيل هو خطاب لعائشة ولأبويها والنبي ﷺ والصفوان يعني لا تحسبوا الافك شراً لكم ﴿ بل هو خير لكم ﴾ لان الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم، وسمي الافك افكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم أفك الشيء اذا قلبه عن وجهه وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الامر عن وجهه

قوله تعالى ﴿ لكل امرئ منهم ﴾ يعني من العصبة الكاذبة ﴿ ما اكتسب من الاثم ﴾ أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ماخاض فيه ﴿ والذي تولى كبره ﴾ أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه قرأ يعقوب كبره بضم الكاف وقرأ العامة بالكسر قال الكسائي هما لغتان قال الضحاك قام باشاعة الحديث وهو عبد الله بن أبي بن سلول وروى الزهري عن عروة عن عائشة (الذي تولى كبره منهم) قالت عبد الله بن أبي بن سلول والعذاب الاليم هو النار في الآخرة وقد روى ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة في حديث الافك قالت ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين وكانت عادتهم أن ينزلوا منتبذين من الناس فقال عبد الله بن أبي رئيسهم من هذه قالوا عائشة قال والله ما نجت منه وما نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها، وشرع

جعفر بن عون عن المعلى ابن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال : تفاخرت عائشة وزينب رضي الله عنهما فقالت زينب أنا التي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتاب الله حين حملني صفوان ابن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب ياعائشة ماقلت حين ركبتيها ؟ قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين . وقوله تعالى (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب (والذي تولى كبره منهم) قيل ابتدأ به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه (له عذاب عظيم) أي على ذلك ، ثم الاكثرون على ان المراد بذلك انما هو عبد الله بن أبي بن سلول قبحه الله ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث وقال ذلك مجاهد وغير واحد ، وقيل المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لايراده كبير فائدة فانه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ بشعره وهو الذي قال له رسول الله ﷺ «هاجهم وجبريل معك» وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ماتصنعين بهذا ؟ يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها أتأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) ؟ قالت وأي عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت انه كان ينافح عن رسول الله ﷺ وفي رواية انه أنشدها عند ما دخل عليها شعرا يمتدحها به فقال

حصان رزان ماتزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت أما أنت فلست كذلك ، وفي رواية : لكنك لست كذلك ، وقال ابن جرير حدثنا الحسن ابن قزعة حدثنا سلمة بن علقمة حدثنا داود عن عامر عن عائشة أنها قالت ماسمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا تمثلت به إلا رجوت له الجنة قوله لابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

فان أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

في ذلك أيضا حسان بن ثابت ومسطح وحمنة فهو الذي تولى كبره ، وقال قوم هو حسان بن ثابت أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا بشر بن خالد أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعراً يشبب بابيات له وقال

حصان رزان ماتزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد

أتشتمه ولست له بكفء ؟ فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا؟ قالت لا انما اللغو ماقيل عند النساء ، قيل أليس الله يقول (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)قالت أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف ؟تعني الضربة التي ضربه إياها صفوان بن المعطل السلمي حين بلغه عنه انه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف وكاد ان يقتله

لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين (١٢)

لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكذبون (١٣)

هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضي الله عنها حين افاض بعضهم في ذلك الكلام السوء وماذكر من شأن الافك فقال تعالى (لولا) يعني هلا (اذ سمعتموه) اي ذلك الكلام الذي رميت به ام المؤمنين رضي الله عنها (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) اي قاسوا ذلك الكلام على انفسهم فان كان لا يليق بهم فأم المؤمنين اولى بالبراءة منه بطريق الاولى والاحرى . وقد قيل انها نزلت في ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري وامرأته رضي الله عنهما كما قال الامام محمد بن اسحاق ابن يسار عن ابيه عن بعض رجال بني النجار ان ابا ايوب خالد بن زيد الانصاري قالت له امرأته ام ايوب يا ابا ايوب اما تسمع مايقول الناس في عائشة رضي الله عنها ؟ قال نعم وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم ايوب ؟قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك ، قال فلما نزل القرآن ذكر الله عز وجل من قال في الفاحشة ما قال من اهل الافك (ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم) وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ماقالوا ، ثم قال تعالى (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون) الآية أي كما قال أبو أيوب وصاحبته

وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني ابن أبي حبيب عن داود بن الحصين عن أبي سفيان عن أفلح مولى أبي أيوب ان أم أيوب قالت لأبي أيوب :ألا تسمع مايقول الناس في عائشة ؟قال بلى وذلك الكذب افكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ؟ قالت لا والله قال فعائشة والله خير منك ،فلما نزل القرآن وذكر أهل الافك قال الله عز وجل (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين) يعني أبا أيوب حين قال لأم أيوب ماقال ويقال انما قالها أبي بن كعب

قال الله تعالى والذي تولى كبره ﴿ منهم له عذاب عظيم ﴾ قالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ ويروى أن النبي ﷺ أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين

قوله ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم ﴾ باخوانهم ﴿ خيراً ﴾ قال

وقوله تعالى (ظن المؤمنون) الخ أي هلا ظنوا الخير فان أم المؤمنين أهله وأولى به ، هذا ما يتعلق بالباطن ، وقوله (وقالوا) أي بألسنتهم (هذا إفك مبين) أي كذب ظاهر على أم المؤمنين رضي الله عنها فان الذي وقع لم يكن ريبة وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكماله يشاهدون ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ، ولو كان هذا الامر فيه ريبة لم يكن هكذا جهرة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رءوس الاشهاد بل كان هذا يكون لو قدّر خفية مستوراً فتعين أن ماجاء به أهل الافك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة الفاحشة الفاجرة، والصفقة الخاسرة ،قال الله تعالى (لولا) أي هلا (جاءوا عليه) أي على ماقالوه (بأربعة شهداء) يشهدون على صحة ماجاءوا به (فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عندالله هم الكاذبون) أي في حكم الله كاذبون فاجرون

ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم (١٤)

اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هيناوهو عندالله عظيم (١٥)

يقول تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) أيها الخائضون في شأن عائشة بأن قبل توبتكم وإنابتكم اليه في الدنيا وعفا عنكم لايمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة (لمسكم فيما أفضتم فيه) من قضية الافك (عذاب عظيم) وهذا فيمن عنده ايمان يقبل الله بسببه التوبة كمسطح وحسان وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش ، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبدالله بن أبي بن سلول وأضرابه فليس أولئك مرادين في هذه الآية لانه ليس عندهم من الايمان والعمل الصالح مايعادل هذا ولا مايعارضه ، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقا مشروطا بعدم

الحسن بأهل دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة نظيره قوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم — فسلموا على انفسكم) ﴿ وقالوا هذا افك مبين ﴾ أي كذب بين ﴿ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ﴾ أي على ما زعموا ﴿ فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ فان قيل كيف يصيرون عند الله كاذبين اذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟ قيل عند الله أي في حكم الله وقيل معناه كذبوهم بأمر الله ، وقيل هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم ﴾ خضتم ﴿ فيه ﴾ من الافك ﴿ عذاب عظيم ﴾ قال ابن عباس أي عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لانه ذكر عذاب الدنيا من قبل فقال تعالى (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) وقد أصابهم فانه قد جلد وحد وقد روت عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية حد اربعة نفر عبد الله بن ابي وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش

التوبة أو مايقابله من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه . ثم قال تعالى (إذ تلقونه بألسنتكم) قال مجاهد وسعيد بن جبير أي يرويه بعضكم عن بعض يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وذكر بعضهم كذا . وقرأ آخرون (اذ تلقونه بالسنتكم) وفي صحيح البخاري عن عائشة أنها كانت تقرؤها كذلك وتقول هو من ولق اللسان يعني الكذب الذي يستمر صاحبه عليه . تقول العرب : ولق فلان في السير اذا استمر فيه . والقراءة الاولى أشهر وعليها الجمهور ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن نافع عن ابن عمر عن عائشة أنها كانت تقرأ (إذ تلقونه) وتقول هو ولق القول قال ابن أبي مليكة : هي أعلم به من غيرها . وقوله تعالى (وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم) أي تقولون مالا تعلمون ، ثم قال تعالى (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) أي تقولون ماتقولون في شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيراً سهلا ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هينا فكيف وهي زوجة النبي الامي خاتم الانبياء وسيد المرسلين فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ماقيل . فان الله سبحانه وتعالى يغار لهذا وهو سبحانه وتعالى لايقدر على زوجة نبي من الانبياء ذلك حاشا وكلا ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الانبياء وزوجة سيد ولد آدم على الاطلاق في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم)

وفي الصحيحين « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايدري ماتبلغ يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والارض » وفي رواية « لايلقى لها بالا »

ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحٰنك هذا بهتٰن عظيم (١٦)

يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين (١٧) ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (١٨)

هذا تأديب آخر بعد الاول الآمر بظن الخير أي إذا ذكر مالا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن بهم خيراً ، وأن لايشعر نفسه سوى ذلك ثم ان علق بنفسه شيء من ذلك وسوسة أو خيالا فلا ينبغي أن يتكلم به فان رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به

قوله تعالى ﴿ اذ تلقونه ﴾ تقولونه ﴿ بألسنتكم ﴾ قال مجاهد وقتادة يرويه بعضكم عن بعض وقال الكلبي وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا وكذا قرأه ابي ابن كعب وقال الزجاج يلقيه بعضكم الى بعض وقرأت عائشة تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب ﴿ وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا ﴾ تظنون أنه سهل لا اثم فيه ﴿ وهو عند الله عظيم ﴾ في الوزر ﴿ ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك ﴾

أنفسها مالم تقل أو تعمل أخرجاه في الصحيحين . وقال الله تعالى (ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا) أي ماينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لاحد (سبحانك هذا بهتان عظيم) أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليله . ثم قال تعالى (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً) أي ينهاكم الله متوعداً أن يقع منكم مايشبه هذا أبداً أي فيما يستقبل ولهذا قال (إن كنتم مؤمنين) أي إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه وتعظمون رسوله ﷺ فاما من كان متصفاً بالكفر فله حكم آخر . ثم قال تعالى (ويبين الله لكم الآيات) أي يوضح لكم الاحكام الشرعية والحكم القدرية (والله عليم حكيم) أي عليم بما يصلح عباده حكيم في شرعه وقدره

ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون (١٩)

هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئا من الكلام السيء فقام بذهنه شيء منه وتكلم به فلايكثر منه ولا يشيعه ويذيعه فقد قال تعالى (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم) أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح (لهم عذاب أليم في الدنيا) أي بالحد، وفي الآخرة بالعذاب (والله يعلم وأنتم لاتعلمون) أي فردوا الامور اليه ترشدوا

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن بكير حدثنا ميمون بن موسى المرئي حدثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان عن النبي ﷺ قال « لاتؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته »

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم (٢٠) ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله

هذا اللفظ ههنا بمعنى التعجب ﴿هذا بهتان عظيم﴾ يعني كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته وفي بعض الأخبار أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري أما بلغك ما يقول الناس في عائشة؟ فقال أبو أيوب (سبحانك هذا بهتان عظيم) فنزلت الآية على وفق قوله ﴿يعظكم الله﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يحرم الله عليكم وقال مجاهد ينهاكم الله ﴿أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات﴾ بالامر والنهي ﴿والله عليم﴾ بأمر عائشة وصفوان بن المعطل ﴿حكيم﴾ حكم ببراءتهما

قوله تعالى ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ يعني يظهر ويذيع الزنا ﴿في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقين والعذاب في الدنيا الحد وفي الآخرة النار ﴿والله يعلم﴾ كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله ﴿وأنتم لا تعلمون * ولولا فضل

عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولـكنّ الله يزكي من يشاء والله سميع عليم (٢١)

يقول الله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم) أي لولا هذا لـكان أمر آخر ولـكنه تعالى رءوف بعباده رحيم بهم فتاب على من تاب اليه من هذه القضية وطهر من طهر منهم بالحد الذي أقيم عليهم ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) يعني طرائقه ومسالكه وما يأمر به (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) هذا تنفير وتحذير من ذلك بافصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها . قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (خطوات الشيطان) عمله . وقال عكرمة نزغاته وقال قتادة كل معصية فهي من خطوات الشيطان

وقال ابو مجلز النذور في المعاصي من خطوات الشيطان . وقال مسروق سأل رجل ابن مسعود فقال : إني حرمت أن آكل طعاماً وسماه فقال هذا من نزغات الشيطان كفر عن يمينك وكل ، وقال الشعبي في رجل نذر ذبح ولده هذا من نزغات الشيطان وأفتاه أن يذبح كبشاً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبـدالله المصري حدثنا السري بن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي رافع قال : غضبت علي امرأتي فقالت هي يوم يهودية ويوم نصرانية وكل مملوك لها حران لم تطلق امرأتك ، فأتيت عبدالله بن عمر فقال : إنما هذه من نزغات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة واتيت عاصم بن عمر فقال مثل ذلك ، ثم قال تعالى [ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا] أي لولاهو يرزق من يشاء التوبة والرجوع اليه ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل احد لنفسه زكاة ولا خيراً [ولـكن الله يزكي من يشاء] اي من خلقه ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغي . وقوله [والله سميع] اي سميع لاقوال عباده عليم بمن يستحق منهم الهدى والضلال

الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم ﴾ جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة . قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة قوله ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء ﴾ يعني بالقبائح من الافعال ﴿ والمنكر ﴾ كل ما يكرهه الله ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا ﴾ قال مقاتل ما صلح وقال ابن قتيبة ما طهر ﴿ منكم من أحد ﴾ والآية على العموم عند بعض المفسرين قالوا أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد ، وقال قوم هذا الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال ما قبل توبة أحد منكم ﴿ أبدا ولكن الله يزكي ﴾ يطهر ﴿ من يشاء ﴾ من الذنب بالرحمة والمغفرة ﴿ والله سميع عليم ﴾

ولا يأتلِ أولو الفضل منكم والسَّعة أن يؤتوا أولي القربى والمسٰكين والمهٰجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢٢)

يقول تعالى (ولا يأتل) من الألية وهي الحلف أي لا يحلف (أولو الفضل منكم) أي الطول والصدقة والاحسان (والسعة) أي الجدة (أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) أي لا تحلفوا أن لا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين ، وهذا في غاية الترفق والعطف على صلة الارحام ولهذا قال تعالى (وليعفوا وليصفحوا) أي عما تقدم منهم من الاساءة والاذى ، وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لانفسهم، وهذه الآية نزلت في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح ابن اثاثة بنافعة ابداً بعد ما قال في عائشة ما قال كما تقدم في الحديث ، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيم عليه - شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح ابن اثاثة فانه كان ابن خالة الصديق وكان مسكيناً لا مال له إلا ماينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه ، وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها ، وضرب الحد عليها ، وكان الصديق رضي الله عنه معروفا بالمعروف ، له الفضل والايادي على الاقارب والاجانب فلما نزلت هذه الآية إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) الآية فان الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب اليك يغفر الله لك وكما تصفح يصفح عنك ، فعند ذلك قال الصديق : بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا ياربنا ثم رجع إلى مسطح ماكان يصله من النفقة وقال والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ماكان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً. فلهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بنته

إن الذين يرمون المحصنٰت الغٰفلٰت المؤمنٰت لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب

قوله تعالى ﴿ ولا يأتل ﴾ يعني ولا يحلف وهو يفتعل من الالية وهي القسم وقرأ أبو جعفر يتأل بتقديم التاء وتأخير الهمزة وهو يتفعل من الالية وهي القسم ﴿ أولو الفضل منكم والسعة ﴾ يعني أولو الغنى والسعة يعني أبابكر الصديق ﴿ أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ﴾ يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر حلف ابو بكر أن لا ينفق عليه ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ عنهم خوضهم في أمر عائشة ﴿ ألا تحبون ﴾ يخاطب ابابكر ﴿ أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ فلما قرأها رسول الله ﷺ على أبي بكر قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته التي كان ينفقها عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا. وقال ابن عباس والضحاك أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك ولا ينفعوهم فأنزل الله هذه الآية ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ العفائف ﴿ الغافلات ﴾ عن الفواحش ﴿ المؤمنات ﴾

عظيم (٢٣) يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (٢٤) يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين (٢٥)

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات خرج مخرج الغالب المؤمنات فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولاسيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما . وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فانه كافر لأنه معاند [illegible]رآن ، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان : أصحهما أنهن كهي والله أعلم . وقوله تعالى (لعنوا في الدنيا والآخرة) الاية كقوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله) الآية .وقد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة رضي الله عنها فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبد الله بن حراش عن العوام عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الاية (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات) قال نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان

وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك ، قالت فبينا رسول الله ﷺ جالس عندي إذ أوحي اليه قالت وكان إذا أوحي اليه أخذه كهيئة السبات وانه أوحي اليه وهو جالس عندي ثم استوى جالساً يمسح على وجهه وقال «ياعائشة ابشري» قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرأ [ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات – حتى بلغ – أولئك مبرءون مما يقولون ، لهم مغفرة ورزق كريم] هكذا أورده وليس فيه ان الحكم خاص بها وانما فيه انها سبب النزول دون غيرها وان كان الحكم يعمها كغيرها ولعله مراد ابن عباس ومن قال كقوله والله أعلم

وقال الضحاك وأبو الجوزاء وسلمة بن نبيط : المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء ، وقال العوفي عن ابن عباس في الاية [ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات] الآية يعني أزواج النبي ﷺ رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي ﷺ ثم نزل بعد ذلك [والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

والغافلة عن الفاحشة التى لايقع فى قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة كذلك، قوله تعالى ﴿ لعنوا ﴾ عذبوا ﴿ فى الدنيا ﴾ بالحد ﴿ والآخرة ﴾ بالنار ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ قال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن أبي المنافق، وروي عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله فى الدنيا والآخرة؟ فقال ذلك لعائشة خاصة، وقال قوم هى لعائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات ،وروي عن العوام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال هذه فى شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة ليس فيها توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ

- إلى قوله - فان الله غفور رحيم] فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد . وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الاية [ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات] الاية قال في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ [والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا] الاية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم اليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به سورة النور ، فقوله وهي مبهمة اي عامة في تحريم قذف كل محصنة ولعنته في الدنيا والاخرة وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا في عائشة ومن صنع مثل هذا ايضا اليوم في المسلمات فله ما قال الله تعالى ولكن عائشة كانت امام ذلك

وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح ويعضد العموم ما رواه ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن اخي وهب حدثني عمي حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «اجتنبوا السبع الموبقات - قيل وما هن يا رسول الله؟ قال - الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به ، وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عمر أبو خالد الطائي الحربي حدثني ابي ح وحدثنا ابو شعيب الحراني حدثنا جدي احمد بن ابي شعيب حدثني موسى بن أعين عن ليث عن ابي اسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة عن النبي ﷺ قال «قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة »

وقوله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) قال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن ابي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انهم يعني المشركين اذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نجحد فيجحدون فيختم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثا وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضا حدثنا يونس ابن عبد الاعلى حدثنا بن وهب اخبرني عمرو بن

(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - الى قوله - الا الذين تابوا) فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة. وقال الآخرون نزلت هذه الآية فى أزواج النبي ﷺ وكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي فى اول السورة (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - الى قوله - فان الله غفور رحيم) فأنزل الجلد والتوبة ﴿ يوم تشهد عليهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقديم الفعل وقرأ الآخرون بالتاء ﴿ ألسنتهم ﴾ وهذا قبل أن يختم على أفواههم ﴿ وأيديهم وأرجلهم ﴾ يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت فى الدنيا وقيل معناه تشهد ألسنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم

الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد ويخاصم فيقال هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمهم الله فتشهد عليهم ايديهم وألسنتهم ثم يدخلهم النار »

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبو شيبة ابراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة الكوفي حدثنا منجاب ابن الحارث التيمي حدثنا أبو عامر الاسدي حدثنا سفيان بن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو الفقيمي عن الشعبي عن أنس بن مالك قال كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال «أتدرون مم أضحك؟» قلنا الله ورسوله أعلم قال « من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول يارب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول بلى فيقول لا أجيز على شاهد إلا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام عليك شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل » وقد رواه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبيه عن عبد الله الاشجعي عن سفيان الثوري به ثم قال النسائي لاأعلم أحدا روى هذا الحديث عن سفيان الثوري غير الاشجعي وهو حديث غريب والله أعلم هكذا قال

وقال قتادة بن آدم : والله ان عليك لشهودا غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله في سرك وعلانيتك فانه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة إلا بالله . وقوله تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق)قال ابن عباس [دينهم] أي حسابهم وكل مافي القرآن دينهم أي حسابهم وكذا قال غير واحد ، ثم ان قراءة الجمهور بنصب الحق على انه صفة لدينهم ، وقرأ مجاهد بالرفع على انه نعت الجلالة ، وقرأها بعض السلف في مصحف أبي بن كعب (يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم) وقوله (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) أي وعده ووعيده وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه

الخبيثت للخبيثين والخبيثون للخبيثت والطيبت للطيبين والطيبون للطيبت ، أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم(٢٦)

قال ابن عباس : الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول . والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول ـ قال ـ ونزلت

﴿ بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين ، قوله سبحانه وتعالى ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ قال أكثر المفسرين الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس

في عائشة وأهل الافك وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس فما نسبه أهل النفاق إلى عائشة من كلامهم أولى به وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم ولهذا قال تعالى (أولئك مبرءون مما يقولون) وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وهذا أيضا يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة لانه أطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعا ولا قدراً ولهذا قال تعالى (أولئك مبرءون مما يقولون) أي هم بعداء عما يقوله أهل الافك والعدوان (لهم مغفرة) أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب (ورزق كريم) أي عند الله في جنات النعيم ، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد ابن عبد الرحمن عن الحكم باسناده إلى يحيى بن الجزار قال : جاء أسير بن جابر إلى عبد الله فقال لقد سمعت الوليد بن عقبة تكلم اليوم بكلام أعجبني فقال عبد الله ان الرجل المؤمن يكون في قلبه الكلمة الطيبة تتجلجل في صدره ما يستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل عنده يتلها فيضمها اليه ، وان الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة الطيبة تتجلجل في صدره ماتستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الذي عنده

﴿ والخبيثون ﴾ من الناس ﴿ للخبيثات ﴾ من القول ﴿ والطيبات ﴾ من القول ﴿ للطيبين ﴾ من الناس ﴿ والطيبون ﴾ من الناس ﴿ للطيبات ﴾ من القول والمعنى أن الخبيث من القول لايليق إلا بالخبيث من الناس والطيب لايليق إلا بالطيب فعائشة لاتليق بها الخبيثات من القول لانها طيبة فتضاف اليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحسن وما يليق بها، قال الزجاج معناه لايتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم الذين قذفوا عائشة ومدح للذين برءوها بالطهارة . وقال ابن زيد معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي والشاكين في الدين والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب ﷺ ﴿ اولئك مبرءون ﴾ يعني عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله تعالى (فان كان له اخوة) أي اخوان وقيل (أولئك مبرءون) يعني الطيبين والطيبات منزهون ﴿ مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ فالمغفرة هي العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة وروي أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل أتى بصورتها في سرقة من حرير وقال هذه زوجتك وروي انه أتى بصورتها في راحته وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها وقبض رسول الله ﷺ

يتلها فيضمها اليها ثم قرأ عبدالله (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) الآية ويشبه هذا ما رواه الامام احمد في المسند مرفوعا « مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يحدث الا بشر ما سمع كمثل رجل جاء الى صاحب غنم فقال اجزر لي شاة فقال اذهب فخذ بأذن ايها شئت فذهب فاخذ بأذن كلب الغنم » وفي الحديث الآخر « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها اخذها »

يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكَّرون (٢٧) فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم (٢٨) ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٢٩)

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان امرهم ان لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى يستأنسوا اي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده « وينبغي ان يستأذن ثلاث مرات فان اذن له وإلا انصرف » ثبت في الصحيح ان ابا موسى حين استأذن على عمر ثلاثا فلم يؤذن له انصرف ثم قال عمر الم اسمع صوت عبدالله بن قيس يستأذن ائذنوا له فطلبوه فوجدوه قد ذهب فلما جاء بعد ذلك قال ما ارجعك ؟ قال اني استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي واني سمعت النبي ﷺ يقول « إذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فلينصرف » فقال عمر لتأتيني على هذا ببينة والا اوجعتك ضربا، فذهب الى ملأ من الانصار فذكر لهم ما قال عمر فقالوا لا يشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فاخبر عمر بذلك فقال ألهاني عنه الصفق بالاسواق

ورأسه في حجرها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافه ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة خليفة رسول الله ﷺ وصديقه وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما .وكان مسروق اذا روى عن عائشة قال حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء

قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾ قيل معنى قوله (حتى تستأنسوا) أي حتى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وكذلك كان يقرأ أبي بن كعب والقراءة المعروفة تستأنسوا وهو بمعنى الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو أن ينظر هل في البيت ناس فيؤذنهم اني داخل وقال الخليل الاستئناس الاستبصار من قوله (آنست ناراً) أي ابصرتها وقيل هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحنح يؤذن أهل البيت ، وجملة حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد السلام والاستئذان واختلفوا في انه يقدم الاستئذان أم السلام فقال قوم يقدم الاستئذان

وقال الامام احمد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس أوغيره أن النبي ﷺ استأذن على سعد بن عبادة فقال « السلام عليك ورحمة الله » فقال سعد : وعليك السلام ورحمة الله ولم يسمع النبي ﷺ حتى سلم ثلاثاً ورد عليه سعد ثلاثا ولم يسمعه فرجع النبي ﷺ فاتبعه سعد فقال: يارسول الله بأبي وأنت وأمي ماسلمت تسليمة إلا وهي باذني ، ولقد رددت عليك ولم أسمعك وأردت أن أستكثر من سلامك ومن البركة ثم أدخله البيت فقرب اليه زبيبا فأكل نبي الله فلما فرغ قال « أكل طعامكم الابرار ، وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون » وقد روى ابو داود والنسائي من حديث أبي عمرو الاوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبدالرحمن بن سعد ابن زرارة عن قيس بن سعد هو ابن عبادة قال : زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال « السلام عليكم ورحمة الله » فرد سعد رداً خفيا قال قيس فقلت ألا تأذن لرسول الله ﷺ « فقال دعه يكثر علينا من السلام فقال رسول الله ﷺ « السلام عليكم ورحمه الله » فرد سعد رداً خفيا ثم قال رسول الله ﷺ « السلام عليكم ورحمة » ثم رجع رسول الله ﷺ واتبعه سعد فقال يارسول الله إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك رداً خفياً لتكثر علينا من السلام . قال فانصرف معه رسول الله ﷺ وأمر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله خميصة مصبوغة بزعفران أوورس فاشتمل بها ثم رفع رسول الله ﷺ يديه وهو يقول « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة » قال ثم أصاب رسول الله ﷺ من الطعام فلما أراد الانصراف قرب اليه سعد حماراً قد وطيء عليه بقطيفة فركب رسول الله ﷺ فقال سعد ياقيس اصحب رسول الله ﷺ قال قيس فقال رسول الله ﷺ « اركب » فأبيت فقال « إما أن تركب وإما أن تنصرف » قال فانصرفت وقد روي هذا من وجوه أخر فهو حديث جيد قوي والله أعلم . ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لايقف تلقاء الباب بوجهه ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره لما رواه ابو داود . حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني في آخرين

فيقول أأدخل « سلام عليكم لقوله تعالى (حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) والاكثرون على أنه يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وفي الآية تقديم وتأخير تقديرها حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي ﷺ ولم اسلم ولم أستأذن فقال النبي ﷺ « ارجع فقل السلام عليكم أأدخل » وروي عن ابن عمر أن رجلا استأذن عليه فقال أأدخل فقال ابن عمر لا فأمر بعضهم الرجل أن يسلم فسلم فأذن له . وقال بعضهم ان وقع بصره على انسان قدم السلام وإلا قدم الاستئذان ثم سلم وقال أبو موسى الاشعري وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم ومثله عن الحسن فان كانوا في دار واحدة يتنحنح ويتحرك أدنى حركة . أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسماعيل ابن محمد الصفار أنا احمد بن منصور الرمادي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن سعيد الجريري عن أبي نضرة

قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبدالرحمن عن عبدالله بن بشر قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر ويقول «السلام عليكم السلام عليكم» وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور انفرد به ابو داود

وقال أبو داود أيضاً حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير حينئذ قال ابو داود حدثنا ابو بكر ابن أبي شيبة حدثنا حفص عن الاعمش عن طلحة عن هزيل قال جاء رجل قال عثمان سعد فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن فقام على الباب قال عثمان مستقبل الباب فقال له النبي ﷺ «هكذا عنك - أو هكذا - فانما الاستئذان من النظر» وقد رواه ابو داود الطيالسي عن سفيان الثوري عن الاعمش عن طلحة بن مصرف عن رجل عن سعد عن النبي ﷺ رواه ابو داود من حديثه «وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال «لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح» وأخرج الجماعة من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب فقال «من ذا؟» فقلت أنا قال «أنا أنا» كأنه كرهه وانما كره ذلك لان هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه او كنيته التي هو مشهور بها والا فكل أحد يعبر عن نفسه بانا فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس المأمور به في الآية وقال العوفي عن ابن عباس الاستئناس الاستئذان «وكذا قال غير واحد

وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية (لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا) قال إنما هي خطأ من الكاتب حتى تستأذنوا وتسلمون وهكذا رواه [1] هشيم عن أبي بشر وهو جعفر بن اياس [2] عن سعيد عن ابن عباس بمثله ، وزاد وكان ابن عباس يقرأ (حتى تستأذنوا وتسلموا) وكان يقرأ على قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه. وهذا غريب جداً عن ابن عباس [3] وقال هشيم أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا «وهذا أيضاً رواية عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير

وقد قال الامام احمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني عمرو بن أبي سفيان ان عمرو بن أبي

عن أبي سعيد الخدري قال سلم عبد الله بن قيس على عمر بن الخطاب ثلاث مرات فلم يأذن له فرجع فارسل عمر في أثره فقال لم رجعت ؟ قال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول «اذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع» قال عمر لتأتين على ماتقول ببينة والا لافعلن بك كذا وكذا غير ان قد اوعده قال، فجاء أبو موسى الاشعري ممتقعا لونه وأنا في حلقة جالس فقلنا ماشأنك ؟ فقال سلمت على عمر فاخبرنا خبره فهل سمع أحد منكم من رسول الله ﷺ ؟ قالوا نعم كلنا قد سمعه قال فارسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فاخبره بذلك ورواه بشر بن سعيد عن أبي سعيد الخدري وفيه قال أبو موسى الاشعري قال رسول

---

(١) هشيم كثير التدليس والارسال الخفي (٢) أبو بشر ضعفه شعبة نفسه عن مجاهد وقال إنه لم يرو عنه شيئا وكذا عن حبيب ابن سالم وقال ابن عدي إن له غرائب ولكنهم مع ذلك وثقوه وقال ابن عدي ارجو أنه لا بأس به (٣) قال أبو حيان : من روى عن ابن عباس انه قال ذلك فهو طاعن في الاسلام ملحد في الدين . وابن عباس بريء من ذلك القول اهـ وقال ابن اشته في المصاحف مراد ابن عباس الخطأ في الاختيار وترك ماهو اولى القراءتين بحسب ظنه وكتبه رشيد رضا

صفوان أخبره أن كلدة بن الحنبل أخبره أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ وجداية وضغابيس والنبي ﷺ بأعلى الوادي قال فدخلت على النبي ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن . فقال ﷺ « ارجع فقل السلام عليكم أأدخل » وذلك بعد ما أسلم صفوان ، ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن جريج به ، وقال الترمذي حسن غريب لانعرفه إلا من حديثه » وروى ابو داود حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابو الاحوص عن منصور عن ربعي قال أتى رجل من بني عامر استأذن على رسول الله ﷺ وهو في بيته فقال أألج ، فقال النبي ﷺ لخادمه « اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل » فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل

وقال هشيم أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على النبي ﷺ فقال أألج او أنلج ؟ فقال النبي ﷺ لامة له يقال لها روضة «قومي إلى هذا فعلميه فانه لايحسن يستأذن فقولي له يقول السلام عليكم أأدخل» فسمعها الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل فقال« ادخل » وقال الترمذي حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا سعيد بن زكريا عن عنبسة ابن عبدالرحمن عن محمد بن زاذان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ « السلام قبل الكلام » ثم قال الترمذي عنبسة ضعيف الحديث ذاهب ومحمد بن زاذان في إسناده نكارة وضعف ، وقال هشيم قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة وقد أذاه الرمضاء فاتى فسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أأدخل ؟ قالت ادخل بسلام فأعاد فاعادت وهو يراوح بين قدميه قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل. ولابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو نعيم الاحول حدثني خالد بن اياس حدثتني جدتي أم اياس قالت : كنت في أربع نسوة نستأذن على عائشة فقلن ندخل فقالت لا ، قلن لصاحبتكن تستأذن فقالت السلام عليكم أندخل قالت ادخلوا ثم قالت (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) الآية

الله ﷺ « اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » قال الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع

قوله ﴿ فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها ﴾ أي ان لم تجدوا في البيوت أحداً يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها ﴿ حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾ يعني اذا كان في البيت قوم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقعد على الباب ملازما ﴿ هو أزكى لكم ﴾ يعني الرجوع أطهر واصلح لكم قال قتادة اذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات واذا حضر ولم يستأذن وقعد على الباب منتظراً جاز ، وكان ابن عباس يأتي باب الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن فيخرج الرجل ويقول يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني فيقول هكذا امرنا أن نطلب العلم

وقال هشيم أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس عن ابن مسعود قال عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم ، وقال أشعث عن عدي بن ثابت ان امرأة من الانصار قالت يارسول الله اني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها لاوالد ولا ولد وانه لايزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال . قال فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا)الآية وقال ابن جريج سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ثلاث آيات جحدهن الناس . قال الله تعالى (إن أكرمكم عندالله أتقاكم) قال ويقولون إن أكرمهم عند الله أعظمهم بيتا قال والادب كله قد جحده الناس قال قلت استأذن على أخواتي ايتام في حجري معي في بيت واحد قال نعم فرددت عليه ليرخص لي فأبى فقال تحب ان تراها عريانة؟قلت لا قال فاستأذن قال فراجعته ايضاً فقال : اتحب ان تطيع الله ؟ قال قلت نعم قال فاستأذن . قال ابن جريج واخبرني ابن طاوس عن ابيه قال : ما من امرأة اكره إلي ان ارى عورتها من ذات محرم قال : وكان يشدد في ذلك ، وقال ابن جريج عن الزهري سمعت هزيل بن شرحبيل الاودي الاعمى انه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على امهاتكم ، وقال ابن جريج قلت لعطاء ايستأذن الرجل على امرأته؟قال لا وهذا محمول على عدم الوجوب وإلا فالاولى ان يعلمها بدخوله ولا يفاجئها به لاحتمال ان تكون على هيئة لاتحب ان يراها عليها.وقال ابو جعفر ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن حازم عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن اخي زينب امرأة عبدالله بن مسعود عن زينب رضي الله عنها قالت كان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهة ان يهجم منا على امر يكرهه . إسناده صحيح

وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة قال كان عبدالله اذا دخل الدار استأنس تكلم ورفع صوته ، وقال مجاهد حتى تستأنسوا قال تنحنحوا او تنخموا

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله انه قال : إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحنح او

واذا وقف فلا ينظر من شق الباب اذا كان الباب مردودا أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا احمد بن منصور أنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن سهل ابن سعد الساعدي أن رجلا اطلع على النبي ﷺ من ستر الحجرة وفي يد النبي ﷺ مدرى فقال «لو علمت أن هذا ينظرني حتى آتيه لطعنت بالمدرى في عينيه» وهل جعل الاستئذان الا من اجل البصر؟» اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن احمد الخلال أنا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سفيان عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه ماكان عليك جناح»

يحرك نعليه ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ انه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً، وفي رواية ليلا يتخونهم، وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ قدم المدينة نهاراً فأناخ بظاهرها وقال «انتظروا حتى ندخل عشاء- يعني آخر النهار- حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة».

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبدالرحمن بن سليمان عن واصل بن السائب حدثني ابو سورة ابن اخي أبي ايوب عن أبي ايوب قال قلت يارسول الله هذا السلام فما الاستئناس؟ قال «يتكلم الرجل بتسبيحة و تكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيؤذن أهل البيت» هذا حديث غريب، وقال قتادة في قوله (حتى تستأنسوا) هو الاستئذان ثلاثا فمن لم يؤذن له منهم فليرجع أما الاولى فليسمع الحى، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم. وأما الثالثة فان شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم فان للناس حاجات ولهم أشغال والله أولى بالعذر. وقال مقاتل بن حيان في قوله (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول حييت صباحا وحييت مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستر وعفة وجعله نقيا نزها من الدنس والقذر والدرن فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) الآية وهذا الذي قاله مقاتل حسن ولهذا قال تعالى (ذلكم خير لكم) يعني الاستئذان خير لكم بمعنى هو خير من الطرفين للمستأذن ولاهل البيت (لعلكم تذكرون) وقوله تعالى (فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير اذنه فان شاء أذن وان شاء لم يأذن (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم) أي إذا ردوكم من الباب قبل الاذن او بعده (فارجعوا هو أزكى لكم) أي رجوعكم ازكى لكم وأطهر (والله بما تعملون عليم) وقال قتادة قال بعض المهاجرين لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها ان أستأذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فأرجع وانا مغتبط [1] (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم) وقال سعيد بن جبير في الآية أي لا تقفوا على أبواب الناس

(١) في النسخة المكية متغيظ

قوله تعالى ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ من الدخول بالاذن وغير الاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن؟ فانزل الله عزوجل ﴿ ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة ﴾ اي بغير استئذان ﴿ فيها متاع لكم ﴾ يعني منفعة لكم واختلفوا في هذه البيوت فقال قتادة هي الخانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا امتعتهم اليها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة فيها بالنزول وايواء المتاع والاتقاء من الحر والبرد، وقال ابن زيد هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالاسواق يدخلونها للبيع والشراء وهي المنفعة

وقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) الآية هذه الآية الكريمة أخص من التي قبلها وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد إذا كان له متاع فيها بغير اذن كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه اول مرة كفى

قال ابن جريج قال ابن عباس (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) ثم نسخ واستثنى فقال تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) وكذا روي عن عكرمة والحسن البصري وقال آخرون هي بيوت التجار كالخانات ومنازل الاسفار وبيوت مكة وغير ذلك واختار ذلك ابن جرير وحكاه عن جماعة والاول أظهر والله أعلم ،وقال مالك عن زيد بن أسلم هي بيوت الشعر

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠)

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا الا الى ما أباح لهم النظر اليه وان يغمضوا ابصارهم عن المحارم « فان اتفق ان وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا كما رواه مسلم في صحيحه من حديث يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن ابي زرعة بن عمرو بن جرير عن جده جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال « سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فامرني ان اصرف بصري. وكذا رواه الامام احمد عن هشيم عن يونس بن عبيد به ،ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديثه ايضا وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية لبعضهم فقال « اطرق بصرك » يعني انظر الى الارض ، والصرف اعم فانه قد يكون الى الارض والى جهة اخرى والله اعلم

وقال ابو داود حدثنا اسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا شريك عن ابي ربيعة الايادي عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ لعلي « ياعلي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الآخرة » ورواه الترمذي من حديث شريك وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه ، وفي الصحيح عن ابي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « اياكم والجلوس على الطرقات _ قالوا يارسول الله

وقال ابراهيم النخعي ليس على حوانيت السوق اذن وكان ابن سيرين اذا جاء الى حانوت السوق يقول السلام عليكم أ ادخل ثم يلج، وقال عطاء هي البيوت الخربة والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لان الاستئذان انما جاء لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان ﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾

قوله تعالى ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ﴾ أي عن النظر الى ما لا يحل النظر اليه وقيل من صلة يعني يغضوا ابصارهم وقيل هو ثابت لان المؤمنين غير مأمورين بغض البصر اصلا لأنه لا يجب

لابد لنا من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ - ان ابيتم فاعطوا الطريق حقه - قالوا وما حق الطريق يارسول الله؟ قال - غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

وقال ابو القاسم البغوي حدثنا طالوت بن عباد حدثنا فضيل بن حسين سمعت ابا امامة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « اكفلوا لي بست اكفل لكم بالجنة ، اذا حدث احدكم فلا يكذب وإذا اؤتمن فلا يخن وإذا وعد فلا يخلف وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم » وفي صحيح البخاري « من يكفل لي مابين لحييه وما بين رجليه أكفل له الجنة » وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال كل ماعصي الله به فهو كبيرة وقد ذكر الطرفين فقال (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب كما قال بعض السلف: النظر سهام إلى القلب . ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الابصار التي هي بواعث إلى ذلك فقال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) الآية وتارة يكون بحفظه من النظر اليه كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن « احفظ عورتك إلا من زوجتك أوما ملكت يمينك » (ذلك أزكى لهم) أي أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم كما قيل من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته » ويروى في قلبه. وروى الامام احمد حدثنا عتاب حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره الا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها » وروي هذا مرفوعا عن ابن عمر وحذيفة وعائشة رضي الله عنهم ولكن في أسانيدها ضعف الا انها فيها الترغيب ومثله يتسامح فيه » وفي الطبراني من طريق عبد الله بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة مرفوعا « لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم ولتقيمن وجوهكم أو لتكسفن وجوهكم »

وقال الطبراني حدثنا أحمد بن زهير التستري قال: قرأنا على محمد بن حفص بن عمر الضرير المقري حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا هريم بن سفيان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان النظر سهم من سهام

الغض عما يحل النظر اليه وانما امروا بأن يغضوا عما لايحل النظر اليه ﴿ ويحفظوا فروجهم ﴾ عما لايحل قال أبو العالية كل مافي القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لايقع بصر الغير عليه ﴿ ذلك ﴾ يعني غض البصر وحفظ الفرج ﴿ ازكى لهم ﴾ يعني خير لهم واطهر ﴿ ان الله خبير بما يصنعون ﴾ يعني عليم بما يفعلون روي عن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ لعلي « ياعلي لاتتبع النظرة النظرة ، فان لك الاولى وليست لك الآخرة » وروي عن جرير ابن عبد الله قال سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فقال « اصرف بصرك » اخبرنا اسماعيل بن

ابليس مسموم من تركها مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه » وقوله تعالى (إن الله خبير بما يصنعون) كما قال تعالى (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الاذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » رواه البخاري تعليقا ومسلم مسنداً من وجه آخر بنحو ما ذكر

وقد قال كثير من السلف انهم كانوا ينهون أن يحد الرجل نظره إلى الامرد وقد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك وحرمه طائفة من أهل العلم لما فيه من الافتتان وشدد آخرون في ذلك كثيراً جدا وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو سعيد المقبري حدثنا عمر بن سهل المازني حدثني عمر بن محمد بن صهبان عن صفوان بن سليم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كل عين زانية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله »

وقل للمؤمنٰت يغضضن من أبصٰرهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمٰنهن أو التٰبعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ۚ وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون (٣١)

هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييز لهن عن صفة

عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد حدثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج انا ابو بكر بن ابي شيبة انا زيد بن الحباب عن الضحاك بن عثمان قال اخبرني زيد بن اسلم عن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه ان رسول الله ﷺ قال « لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ، ولا المرأة الى عورة المرأة ، ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد

قوله عز وجل ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ عما لا يحل ﴿ويحفظن فروجهن﴾ عمن لا يحل وقيل أيضا (يحفظن فروجهن) يعني يسترنها حتى لا يراها أحد وروي عن أم سلمة انها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال

نساء الجاهلية وفعال المشركات . وكان سبب نزول هذه الآية ماذكره مقاتل بن حيان قال : بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الانصاري حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في محل لها في بني حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدو مافي أرجلهن من الخلاخل وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء ماأقبح هذا فأنزل الله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) الآية فقوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) أي عما حرم الله عليهن من النظر الى غير أزواجهن، ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لايجوز للمرأة النظر الى الرجال الاجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلا، واحتج كثير منهم بمارواه أبوداود والترمذي من حديث الزهري عن نبهان مولى أم سلمة انه حدثه ان أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ « احتجبا منه » فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لايبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله ﷺ « أوعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الاجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ جعل ينظر الى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر اليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت ، وقوله (ويحفظن فروجهن) قال سعيد بن جبير : عن الفواحش وقال قتادة وسفيان عما لايحل لهن، وقال مقاتل عن الزناء، وقال أبو العالية كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا الا هذه الآية (ويحفظن فروجهن) أن لايراها أحد

وقوله تعالى (ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها) أي لايظهرن شيئا من الزينة للاجانب الا مالايمكن اخفاؤه . قال ابن مسعود كالرداء والثياب يعني على ماكان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها

رسول الله ﷺ « احتجبا منه » فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا فقال رسول الله ﷺ « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه؟ » قوله تعالى ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم وأراد بها الزينة الخفية وهما زينتان خفية وظاهرة فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد فلا يجوز لها اظهارها ولا للأجنبي النظر اليها والمراد من الزينة موضع الزينة ، قوله تعالى ﴿ إلا ماظهر منها ﴾ أراد به الزينة الظاهرة واختلف اهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي هو الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب بدليل قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) واراد بها الثياب ، وقال الحسن الوجه والثياب وقال ابن عباس الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الاجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئا منها غض البصر، وانما رخص في هذا القدر ان تبديه المراة من بدنها لانه ليس بعورة يلزمها ستره

ومايبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لان هذا لا يمكنها اخفاؤه ونظيره في زي النساء مايظهر من ازارها وما لايمكن اخفاؤه ، وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وابراهيم النخعي وغيرهم

وقال الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها) قال وجهها وكفيها والخاتم ، وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وابراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك، وهذا يحتمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نهين عن ابدائها كما قال ابو إسحاق السبيعي عن أبي الاحوص عن عبدالله قال في قوله (ولا يبدين زينتهن) الزينة القرط والدملوج والخلخال والقلادة ، وفي رواية عنه بهذا الاسناد قال : الزينة زينتان فزينة لايراها إلا الزوج الخاتم والسوار وزينة يراها الاجانب وهي الظاهر من الثياب

وقال الزهري لا يبدو لهؤلاء الذين سمى الله ممن لا تحل له إلا الاسورة والاخمرة والاقرطة من غير حسر وأما عالة الناس فلا يبدو منها إلا الخواتم ، وقال مالك عن الزهري (الا ماظهر منها) الخاتم والخلخال ، ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ماظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور ويستأنس له بالحديث الذي رواه ابو داود في سننه حدثنا يعقوب بن كعب الانطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني قالا : حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت الحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا » وأشار الى وجهه وكفيه لكن قال ابو داود وابو حاتم الرازي هو مرسل . خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضي الله عنها والله علم

وقوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) يعني المقانع يعمل لها صفات ضاربات على صدورهن لتواري ماتحتها من صدرها وترائبها ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فانهن لم يكن يفعلن

قوله عز وجل ﴿ وليضربن بخمرهن ﴾ يعني ليلقين بمقامعهن ﴿ على جيوبهن ﴾ وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وصدورهن واعناقهن واقراطهن قالت عائشة رحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله عز وجل (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن فاختمرن بها ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ يعني الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهو ماعدا الوجه والكفين ﴿ الا لبعولتهن ﴾ قال ابن عباس ومقاتل يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار الا لبعولتهن اي الا لازواجهن ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن ﴾ فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى مابين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدنها غير أنه يكره له النظر الى فرجها

قوله تعالي ﴿ أو نسائهن ﴾ أراد أنه يجوز المرأة أن تنظر الى بدن المرأة إلا مابين السرة والركبة

ذلك بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن كما قال تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) وقال في هذه الآية الكريمة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمر جمع خمار وهو ما يخمر به أي يغطى به الرأس وهي التي تسميها الناس المقانع .قال سعيد بن جبير وليضربن وليشددن بخمرهن (على جيوبهن) يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء

وقال البخاري حدثنا أحمد بن شبيب حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن فاختمرن بها . وقال أيضاً حدثنا أبو نعيم حدثنا ابراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول : لما نزلت هذه الآية (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنى الزنجي بن خالد حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة قالت فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها ان لنساء قريش لفضلا وإني والله مارأيت أفضل من نساء الانصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ماأنزل الله اليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقاً وإيمانا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رؤسهن الغربان . ورواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة به

كالرجل المحرم هذا اذا كانت المرأة مسلمة فان كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تنكشف لها؟ اختلف أهل العلم فيه فقال بعضهم يجوز [illegible] يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء وقال بعضهم لايجوز لان الله تعالى قال (أو نسائهن) والكافرة ليست من نسائنا ولانها أجنبية في الدين وكانت أبعد من الرجل الاجنبي ، كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات

قوله تعالى ﴿ أو ماملكت ايمانهن ﴾ اختلفوا فيها فقال قوم عبد المرأة محرم لها فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وأن ينظر الى بدن مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن وروي ذلك عن عائشة وأم سلمة ، وروى ثابت عن أنس عن النبي ﷺ انه أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلي فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما

وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أن قرة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت : يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما أنزل الله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن أكثف مروطهن فاختمرن بها . ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به. وقوله تعالى (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) أي أزواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن) كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم بزينتها ولكن من غير تبرج

وقد روى ابن المنذر حدثنا موسى يعني ابن هارون حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن) حتى فرغ منها وقال لم يذكر العم ولا الخال لانهما ينعتان لأبنائهما ولا تضع خمارها عند العم والخال « فأما الزوج فانما ذلك كله من أجله فتتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره . وقوله (أو نسائهن) يعنى تظهر بزينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لئلا تصفهن لرجالهن وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد فانهن لا يمنعهن من ذلك مانع فأما المسلمة فانها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه ، وقد قال رسول الله ﷺ « لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر اليها » أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود

وروى سعيد بن منصور في سننه حدثنا اسماعيل بن عياش عن هشام بن الغاز عن عبادة بن نسي عن أبيه عن الحارث بن قيس أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة: أما بعد فانه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها . وقال مجاهد في قوله (أو نسائهن)قال نساؤهن المسلمات ليس المشركات من نسائهن وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي مشركة « وروى عبدالله في

رأى رسول الله ﷺ ما تلقى قال « انه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك » وقال قوم : هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب ، وقال المراد من الآية الاماء دون العبيد ، وعن ابن جريج أنه قال (أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) انه لا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون تلك المرأة المشركة أمة لها

قوله ﴿ أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر (غير) بنصب الراء على القطع لان التابعين معرفة وغير نكرة، وقيل بمعنى إلا فهو استثناء معناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة . وقرأ الآخرون بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة « والمراد بالتابعين غير أولي الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي «

تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أو نسائهن قال هن المسلمات لاتبديه ليهودية ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما لا يحل أن يراه إلا محرم ، وروى سعيد حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال لاتضع المسلمة خمارها عند مشركة لان الله تعالى يقول (أو نسائهن) فليست من نسائهن وعن مكحول وعبادة بن نسي أنهما كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة . فأما مارواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمير حدثنا ضمرة قال : قال ابن عطاء عن أبيه قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ بيت المقدس كان قوابل نسائهن اليهوديات والنصرانيات فهذا إن صح فمحمول على حال الضرورة أو أن ذلك من باب الامتهان ثم إنه ليس فيه كشف عورة ولا بد والله أعلم

وقوله تعالى (أو ماملكت أيمانهن) قال ابن جرير يعني من نساء المشركين فيجوز لها أن تظهر زينتها لها ، وإن كانت مشركة لانها أمتها واليه ذهب سعيد بن المسيب . وقال الاكثرون بل يجوز أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود ثنا محمد بن عيسى حدثنا أبو جميع سالم بن دينار عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي ﷺ ماتلقى قال « انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك »

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة خديج الحمصي مولى معاوية أن عبدالله بن مسعدة الفزاري كان أسود شديد الادمة وانه قد كان النبي ﷺ وهبه لابنته فاطمة فربته ثم أعتقته ثم قد كان بعد ذلك كله مع معاوية أيام صفين وكان من أشد الناس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وروى الامام احمد حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن نبهان عن أم سلمة ذكرت أن رسول الله ﷺ قال « إذا كان لاحداكن مكاتب وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه » ورواه ابو داود عن مسدد عن سفيان به

وعن ابن عباس أنه الاحمق العنين . وقال الحسن هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن . وقال سعيد بن جبير هو المعتوه ، وقال عكرمة المجبوب . وقيل هو المخنث . وقال مقاتل الشيخ الهرم والعنين والخصي والمجبوب ونحوه أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أحمد ابن الحسين الحيري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل بن محمد الميداني أنا محمد بن يحيى أنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الاربة فدخل النبي ﷺ يوما وهو عند أحد نسائه وهو ينعت امرأة فقال انها اذا أقبلت أقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بثمان . فقال النبي ﷺ « ألا أرى هذا يعلم ماههنا لا يدخلن عليكم هذا » فحجبوه ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ أراد بالطفل الاطفال

وقوله تعالى (أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال) يعني كالاجراء والاتباع الذين ليسوا با كفاء وهم مع ذلك في عقولهم وله وحوب، ولا همة لهم إلى النساء ولا يشتهونهن . قال ابن عباس هو المغفل الذي لاشهوة له . وقال مجاهد هو الابله ، وقال عكرمة هو المخنث الذي لا يقوم ذكره ، وكذلك قال غير واحد من السلف ، وفي الصحيح من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أن مخنثا كان يدخل على أهل رسول الله ﷺ وكانوا يعدونه من غير أولي الاربة فدخل النبي ﷺ وهو ينعت امرأة يقول أنها اذا أقبلت أقبلت بأربع واذ أدبرت أدبرت بثمان فقال رسول الله ﷺ « ألا أرى هذا يعلم ماههنا لايدخلن عليكم » فأخرجه فكان بالبيداء يدخل يوم كل جمعة ليستطعم

وروى الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة أنها قالت : دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها مخنث وعندها عبدالله بن أبي أمية يعني اخاها والمخنث يقول : ياعبدالله ان فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان قال فسمعه رسول الله ﷺ فقال لام سلمة « لايدخلن هذا عليك » أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة . وقال الامام احمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة ابن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الاربة فدخل النبي ﷺ وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال انها اذا أقبلت أقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي ﷺ « ألا أرى هذا يعلم ماههنا لايدخلن عليكم هذا » فحجبوه ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عبدالرزاق به عن أم سلمة

وقوله تعالى (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) يعني لصغرهم لايفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن فاذا كان الطفل صغيراً لايفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء فاما ان كان مراهقا أو قريبا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق

لكون واحداً وجمعا أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها ، وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وهو قول مجاهد ، وقيل لم يطيقوا أمر النساء ، وقيل لم يبلغوا حد الشهوة ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهيت عن ذلك ﴿ وتوبوا الى الله جميعا) من التقصير الواقع في أمره ونهيه وقيل راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة ﴿ أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ قرأ ابن عامر أيه المؤمنون ويا أيه الساحر وأيه الثقلان بضم الهاء فيهن ويقف بلا ألف على الخط ، وقرأ الآخرون بفتح الهاءات على الاصل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد ابن السمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا وهب بن جرير أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي بردة أنه سمع الاغر يحدث عن ابن عمر انه سمع رسول الله ﷺ

بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء ، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال « اياكم والدخول على النساء » قيل يارسول الله أفرأيت الحمو؟ قال « الحمو الموت » وقوله تعالى (ولا يضربن بارجلهن) الآية كانت المرأة في الجاهلية اذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لايعلم صوته ضربت برجلها الارض فيسمع الرجال طنينه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك اذا كان شيء من زينتها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ماهو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى (ولا يضربن بأرجلهن) الى آخره ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها فقد قال ابو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عمارة الحنفي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا » يعني زانية وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح رواه ابو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به

وقال ابو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن عاصم عن عبيدالله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقيته امرأة شم منها ريح الطيب ولذيلها اعصار فقال يا أمة الجبار جئت من المسجد ؟ قالت نعم. قال تطيبت ؟ قالت نعم . قال اني سمعت حبي أبا القاسم ﷺ يقول « لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان هو ابن عيينة به

وروى الترمذي أيضاً من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ميمونة بنت سعد أن رسول الله ﷺ قال « الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها » ومن ذلك أيضاً أنهن ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج . قال أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبدالعزيز يعني ابن محمد بن أبي اليمان عن شداد بن أبي عمرو بن حماس عن أبيه عن حمزة بن أبي أسيد

يقول « يا أيها الناس توبوا إلى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة » أخبرنا أبو الحسن عن عبدالرحمن ابن محمد الداوودي أنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا أبو اسحاق ابراهيم بن حريم الشاشي أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الليثي حدثني ابن أبي شيبة أنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر قال : إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول « رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم » مائة مرة

وجملة الكلام في بيان العورات أنه لا يجوز للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل، وعورته ما بين السرة إلى الركبة ، وكذلك المرأة مع المرأة ولا بأس بالنظر إلى سائر البدن إذا لم يكن خوف فتنة . وقال مالك وابن أبي ذئب : الفخذ ليس بعورة لما روي عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : أجرى نبي الله ﷺ فرساً في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ ثم حسر الازار عن فخذه حتى

الانصاري عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء « استأخرن فانه ليس لكن أن تحتضن الطريق، عليكن بحافات الطريق» فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى ان ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به

وقوله تعالى [وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون] أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والاخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الاخلاق والصفات الرذيلة فان الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك مانهيا عنه والله تعالى هو المستعان

وأنكحوا الأيمى منكم والصّلحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (٣٢) وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتب مما ملكت أيمنكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتىكم ولا تكرهوا فتيتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم (٣٣) ولقد أنزلنا اليكم آيت مبينت ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين (٣٤)

اني لانظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ . وأكثر أهل العلم على ان الفخذ عورة لما أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا احمد بن علي الكشميهني انا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن أبي كثير عن محمد بن جحش قال : مرّ رسول الله ﷺ على معمر وفخذاه مكشوفتان قال « يا معمر غط فخذيك فان الفخذين عورة» وروي عن ابن عباس وجرهد بن خويلد - كان من أصحاب الصفة - ان النبي ﷺ قال « أما علمت ان الفخذ عورة » قال محمد بن اسماعيل : حديث أنس أسند وحديث جرهد أحوط . أما المرأة مع الرجل فان كانت أجنبية حرة فجميع بدنها في حق الاجنبي عورة ، ولا يجوز النظر إلى شيء منها إلا الوجه والكفين ، وإن كانت أمة فعورتها مثل عورة الرجل ما بين السرة الى الركبة ، وكذلك المحارم بعضهم مع بعض والمرأة في النظر الى الرجل الاجنبي كهو معها . ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن امرأته وأمته التي تحل له وكذلك هي منه إلا نفس الفرج فانه يكره النظر اليه وإذا زوج الرجل أمته حرم عليه النظر إلى عورتها كالأمة الاجنبية . وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله ﷺ قال « إذا زوج أحدكم عبده أمته فلا ينظرن الى ما دون السرة وفوق الركبة »

قوله تعالى ﴿ وأنكحوا الايامى منكم ﴾ الايامى جمع الايم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة

اشتملت هذه الآيات الكريمات المبينة على جمل من الاحكام المحكمة والاوامر المبرمة فقوله تعالى (وأنكحوا الايامى منكم) الى آخره هذا أمر بالتزويج . وقد ذهب طائفة من العلماء الى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر قوله عليه السلام « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود، وقد جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « تزوجوا الولود تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة » وفي رواية « حتى بالسقط » والايامى جمع أيم ويقال ذلك للمرأة التي لازوج لها وللرجل الذي لازوجة له وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما حكاه الجوهري عن أهل اللغة، يقال رجل أيم وامرأة أيم . وقوله تعالى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رغبهم الله في التزويج وأمر به الاحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى فقال (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد الازرق حدثنا عمر بن عبد الواحد عن سعيد — يعني ابن عبد العزيز — قال بلغني ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ماوعدكم من الغنى قال تعالى (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) رواه ابن جرير وذكر البغوي عن عمر نحوه

وعن الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء والغازي في سبيل الله » رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقد زوج النبي ﷺ ذلك الرجل الذي لم يجد عليه

يقال رجل أيم وامرأة أيمة وايم ، ومعنى الآية زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ﴿ والصالحين من عبادكم وامائكم ﴾ وهذا الامر أمر ندب واستحباب يستحب لمن تاقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبة النكاح أن يتزوج وان لم يجد أهبة النكاح يكسر شهوته بالصوم لما أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسين الطوسي أنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرايني أنا أبو بكر محمد بن مرواد بن مسعود انا ابو عبد الله محمد بن أيوب البجلي انا محمد بن كثير أنا سفيان عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » وقال رسول الله ﷺ « تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الامم حتى بالسقط » وقال ﷺ « من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح » أما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه « فالتخلي للعبادة أفضل من النكاح عند الشافعي رحمه الله وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل، قال الشافعي وقد ذكر الله تعالى عبداً اكرمه فقال (وسيداً وحصوراً ونبيا من الصالحين) والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليه « وذكر القواعد من النساء ولم

إلا إزاره ولم يقدر على خاتم من حديد ومع هذا فزوجه بتلك المرأة وجعل صداقها عليه أن يعلمها ما معه القرآن . والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله

وأما ما يورده كثير من الناس على أنه حديث « تزوجوا فقراء يغنكم الله » فلا أصل له ولم أره باسناد قوي ولا ضعيف إلى الآن وفي القرآن غنية عنه وكذا هذه الاحاديث التي أوردناها ولله الحمد والمنة . وقوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزوجا بالتعفف عن الحرام كما قال ﷺ « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » الحديث، وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها وهي قوله (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات - الى قوله - وان تصبروا خير لكم) أي صبركم عن تزوج الاماء خير لكم لان الولد يجيء رقيقا (والله غفور رحيم) قال عكرمة في قوله (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) قال هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتهي فان كانت له امرأة فليذهب اليها وليقض حاجته منها » وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والارض حتى يغنيه الله

وقوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) هذا أمر من الله تعالى للسادة اذا طلب عبيدهم منهم الكتابة أن يكاتبوهم بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الامر

يندبهن الى النكاح ، وفي الآية دليل على ان تزويج النساء الأيامى الى الاولياء لان الله تعالى خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات لقوله تعالى (والصالحين من عبادكم وامائكم) وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم روي ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة ، وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي واحمد واسحاق ، وجوّز أصحاب الرأي للمرأة الحرة تزويج نفسها ، وقال مالك : ان كانت المرأة دنيئة جاز لها تزويج نفسها ، وان كانت شريفة فلا » والدليل على ان الولي شرط من جهة الاخبار ما أخبرنا عبد الواحد المليحي انا محمد بن الحسن بن احمد المخلدي انا أبو العباس محمد بن اسحاق السراج انا قتيبة بن سعيد انا ابو عوانة عن أبي اسحاق عن ابي بردة عن ابي موسى عن النبي ﷺ قال « لا نكاح إلا بولي » أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ انه قال « أيما امرأة نكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها

أمر ارشاد واستحباب لا أمر تحتم وإيجاب بل السيد مخير اذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه ، قال الثوري عن جابر عن الشعبي إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه ، وكذا روى ابن وهب عن اسماعيل بن عياش عن رجل عن عطاء بن أبي رباح إن يشأ كاتبه وإن يشأ لم يكاتبه وكذا قال مقاتل بن حيان والحسن البصري ، وذهب آخرون إلى أنه يجب على السيد اذا طلب منه عبده ذلك أن يجيبه إلى ماطلب أخذا بظاهر هذا الامر

وقال البخاري وقال روح عن ابن جريج قلت لعطاء أواجب علي اذا علمت له مالا أن أكاتبه؟ قال ماأراه إلا واجباً ؛ وقال عمرو بن دينار قلت لعطاء أتأثره عن أحد ؟ قال لا ثم أخبرني أن موسى ابن أنس أخبره أن سيرين سأل أنساً المكاتبة وكان كثير المال فأبى فانطلق إلى عمر رضي الله عنه فقال كاتبه فأبى فضربه بالدرة ويتلو عمر رضي الله عنه (فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) فكاتبه . هكذا ذكره البخاري معلقاً ، ورواه عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء : أواجب علي اذا علمت له مالا أن أكاتبه ؟ قال ماأراه إلا واجباً

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه فقال له عمر لتكاتبنه اسناد صحيح ، وروى سعيد بن منصور حدثنا هشيم بن جويبر عن الضحاك قال هي عزمة وهذا هو القول القديم من قولي الشافعي وذهب في الجديد إلى أنه لايجب لقوله عليه السلام « لايحل مال امريء مسلم إلا بطيب من نفسه » وقال ابن وهب قال مالك الامر عندنا أنه ليس على سيد العبد أن يكاتبه اذا سأله ذلك ولم أسمع أحداً

باطل - ثلاثاً - فان أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها ، فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له »

قوله تعالى ﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ قيل الغنى ههنا القناعة ، وقيل اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة ، وقال عمر : عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح والله عز وجل يقول (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وروي عن بعضهم ان الله تعالى وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وقال تعالى (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا ﴾ أي ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون مالا ينكحون به للصداق والنفقة ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ أي يوسع عليهم من رزقه

قوله تعالى ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ أي يطلبون المكاتبة ﴿ مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ﴾ سبب نزول هذه الآية ما روي ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين ديناراً فأداها وقتل يوم حنين في الحرب . والكتابة أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما تؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا أديت فأنت حر . والعبد يقبل ذلك فاذا

من الائمة أكره أحداً على أن يكاتب عبده ، قال مالك وإنما ذلك أمر من الله تعالى واذن منه للناس وليس بواجب ، وكذا قال الثوري وأبو حنيفة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية

وقول تعالى (إن علمتم فيهم خيراً) قال بعضهم أمانة وقال بعضهم صدقا ، وقال بعضهم مالا ، وقال بعضهم حيلة وكسبا ، وروى أبو داود في المراسيل عن يحيي بن أبي كثير قال ، قال رسول الله ﷺ (فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) قال « إن علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلابا على الناس »

وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) اختلف المفسرون فيه فقال بعضهم معناه اطرحوا لهم من الكتابة بعضها ثم قال بعضهم مقدار الربع وقيل الثلث ، وقيل النصف ، وقيل جزء من الكتابة من غير حد ، وقال آخرون بل المراد من قوله (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) هو النصيب الذي فرض الله لهم من أموال الزكاة وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه ومقاتل بن حيان واختاره ابن جرير ، وقال ابراهيم النخعي في قوله (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قال حث الناس عليه مولاه وغيره ، وكذا قال بريدة بن الحصيب الاسلمي وقتادة ، وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب ، وقد تقدم في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال ، ثلاثة حق على الله عونهم فذكر منهم المكاتب يريد الاداء ، والقول الاول أشهر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا وكيع عن ابن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر أنه كاتب عبداً له يكنى أبا أمية فجاء بنجمه حين حل فقال يا أبا أمية اذهب فاستعن به في مكاتبتك فقال يا أمير المؤمنين لو تركته حتى يكون من آخر نجم ؟ قال أخاف أن لا أدرك ذلك

أدى المال عتق، ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد أداء المال، وإذا عتق بعد أداء المال فما فضل في يده من المال يكون له ،ويتبعه أولاده الذين حصلوا في حال الكتابة في العتق ، وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال يكون لمولاه لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زا[illegible] بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع ان عبد الله ابن عمر كان يقول ، المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته شيء . ورواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا ، المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته درهم ، وذهب بعض أهل العلم الى ان قوله تعالى (فكاتبوهم) أمر ايجاب يجب على المولى أن يكاتب عبده الذي علم فيه خيراً إذا سأل العبد ذلك على قيمته أو أكثر ، وان سأل على أقل من قيمته فلا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار ، لما روي ان سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه فتلكأ عنه فشكا إلى عمر فعلاه بالدرة وأمره بالكتابة فكاتبه . وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ، ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه إلى

ثم قرأ (فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قال عكرمة فكان أول نجم أدى الاسلام

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال : كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبا لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع اليه صدقته ، ولكنه اذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قال ضعوا عنهم من مكاتبتهم ، وكذا قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي بزة وعبد الكريم بن مالك الجزري والسدي ، وقال محمد بن سيرين في الآية كان يعجبهم أن يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته ، وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان المقري أخبرنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج أخبرني عطاء بن السائب أن عبد الله بن جندب أخبره عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ربع الكتابة » وهذا حديث غريب ورفعه منكر والاشبه أنه موقوف على علي رضي الله عنه كما رواه عنه أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله

أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود كالدية في قتل الخطأ وجبت على العاقلة على سبيل المواساة فكانت عليهم مؤجلة منجمة ، وجوز أبو حنيفة الكتابة على نجم واحد وحالة

قوله تعالى ﴿ إن علمتم فيهم خيراً ﴾ اختلفوا في معنى الخير فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري ، وقال الحسن ومجاهد والضحاك مالا كقوله تعالى (ان ترك خيراً) أي مالا . وروي ان عبداً لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال : ألك مال ؟ قال لا قال تريد أن تطعمني من أوساخ الناس ولم يكاتبه . قال الزجاج : لو أراد به المال لقال : إن علمتم لهم خيرا . وقال ابراهيم وابن زيد وعبيدة صدقا وأمانة . وقال طاوس وعمرو بن دينار مالا وأمانة ، وقال الشافعي: وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فأحب أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا . أخبرنا ابو الحسن علي ابن يوسف الجويني انا ابو محمد الحسن بن علي بن شريك الشافعي انا عبد الله بن محمد بن مسلم انا أبو بكر الجورمندي انا يونس بن عبد الاعلى انا ابن وهب أخبرني الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الاداء ، والناكح يريد العفاف ، والمجاهد في سبيل الله »

وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة (ان علمتم فيهم خيراً) أي أقاموا الصلاة ، وقيل هو أن يكون العبد بالغا عاقلا ، فاما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق

قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ اختلفوا فيه فقال بعضهم: هذا خطاب

وقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) الآية كان أهل الجاهلية اذا كان لاحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت فلما جاء الاسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله ابن أبي بن سلول فانه كان له اماء فكان يكرههن على البغاء طلبا لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم

﴿ ذكر الآثار الواردة في ذلك ﴾

قال الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار رحمه الله في مسنده حدثنا احمد بن داود الواسطي حدثنا ابو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري قال كانت جارية لعبدالله بن أبي بن سلول يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) الآية

وقال الاعمش عن أبي سفيان عن جابر في هذه الآية قال نزلت في أمة لعبدالله بن أبي بن سلول يقال لها مسيكة كان يكرهها على الفجور وكانت لا بأس بها فتأبى فأنزل الله هذه الآية (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء — إلى قوله — ومن يكرهن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) وروى النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه . وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا عمرو ابن علي حدثنا علي بن سعيد حدثنا الاعمش حدثني ابو سفيان عن جابر قال كان لعبدالله بن أبي بن

الموالي يجب على المولى أن يحط عن مكاتبه من مال كتابته شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي، ثم اختلفوا في قدره فقال قوم يحط عنه ربع مال الكتابة وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعا ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يحط عنه الثلث . وقال الآخرون : ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وهو قول الشافعي. قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع عنه من آخر كتابته خمسة آلاف درهم ، وقال سعيد بن جبير : كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع من آخر كتابته ما أحب . وقال بعضهم : هو أمر استحباب والوجوب أظهر . وقال قوم أراد بقوله (وآتوهم من مال الله) أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات بقوله تعالى (وفي الرقاب) وهو قول الحسن وزيد بن أسلم . وقال ابراهيم : هو حث لجميع الناس على معونتهم، ولو مات المكاتب قبل أداء النجوم اختلف أهل العلم فيه فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة . واليه ذهب الشافعي وأحمد . وقال قوم : ان ترك وفاء

سلول جارية يقال لها مسيكة وكان يكرهها على البغاء فأنزل الله (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء — إلى قوله — ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) صرح الاعمش بالسماع من أبي سفيان طلحة بن نافع فدل على بطلان قول من قال لم يسمع منه انما هو صحيفة حكاه البزار ، وروى ابو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن جارية لعبدالله بن أبي كانت تزني في الجاهلية فولدت أولادا من الزنا فقال لها مالك لاتزنين قالت والله لا أزني فضربها فانزل الله عز وجل (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء)

وروى البزار أيضاً حدثنا احمد بن داود الواسطي حدثنا ابو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال : كانت جارية لعبدالله بن أبي يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا — إلى — ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم)

وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أن رجلا من قريش أسر يوم بدر وكان عندعبدالله بن أبي أسيراً وكانت لعبدالله بن أبي جارية يقال لهامعاذة وكان القرشي الاسير يريدها على نفسها وكانت مسلمة وكانت تمتنع منه لاسلامها ، وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولده فقال تبارك وتعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا)

وقال السدي أنزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وكانت له جارية تدعى معاذة وكان إذا نزل به ضيف أرسلها اليه ليواقعها ارادة الثواب منه والكرامة له فأقبلت الجارية إلى أبي بكر رضي الله عنه فشكت اليه ذلك فذكره ابو بكر للنبي ﷺ فأمره بقبضها فصاح عبدالله بن أبي من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا فأنزل الله فيهم هذا ، وقال مقاتل بن حيان بلغني والله أعلم أن

بما بقي عليه من الكتابة كان حراً ، وإن كان فيه فضل فالزيادة لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن ، وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي : ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتبعه الاولاد والاكتساب كما في الكتابة الصحيحة. ويفترقان في بعض الاحكام وهي ان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم ولا تبطل بموت المولى ، ويعتق بالابراء عن النجوم، والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل أداء المال ، حتى لو أدى المال بعد الفسخ لا يعتق ، ويبطل بموت المولى ولا يعتق بالابراء عن النجوم، وإذا عتق المكاتب باداء المال لا يثبت التراجع في الكتابة الصحيحة ويثبت في الكتابة الفاسدة فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته وهو يرجع على المولى بما دفع اليه ان كان مالا

قوله تعالى ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا ﴾ الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كانت له جاريتان معاذة ومسيكة وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما ،

هذه الآية نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين لهما إحداهما اسمها مسيكة وكانت للانصار ، وكانت أميمة أم مسيكة لعبدالله بن أبي وكانت معاذة وأروى بتلك المنزلة فأتت مسيكة وأمها النبي ﷺ فذكرتا ذلك له فأنزل الله في ذلك (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) يعني الزنا ، وقوله تعالى (ان أردن تحصنا) هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له

وقوله تعالى (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي من خراجهن ومهورهن وأولادهن وقد نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام ومهر البغي وحلوان الكاهن ، وفي رواية «مهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث ، وثمن الكلب خبيث» وقوله تعالى [ومن يكرهن فان الله من بعد إكراههن غفور رحيم] أي لهن كما تقدم في الحديث عن جابر ، وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فان فعلتم فان الله لهن غفور رحيم وإثمهن على من أكرههن ، وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والاعمش وقتادة . وقال ابو عبيد حدثني إسحاق الازرق عن عوف عن الحسن في هذه الآية [فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم] قال لهن والله لهن والله . وعن الزهري قال غفور لهن ما أكرهن عليه وعن زيد ابن أسلم قال غفور رحيم للمكرهات حكاهن ابن المنذر في تفسيره بأسانيده

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيى بن عبدالله حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبير قال في قراءة عبدالله بن مسعود [فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم] لهن وإثمهن على من أكرههن ، وفي الحديث المرفوع عن رسول الله ﷺ أنه قال « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيراً فقد استكثرنا منه ، وان يك شراً فقد آن لنا أن ندعه فأنزل الله هذه الآية . وروي أنه جاءت إحدى الجاريتين يوما ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا قالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا ، فاتيا رسول الله ﷺ وشكتا اليه فانزل الله هذه الآية (ولا تكرهوا فتياتكم) اماءكم (على البغاء) أي الزنا (ان أردن تحصنا) أي اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا وان لم يردن تحصنا كقوله تعالى (وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) أي اذا كنتم مؤمنين وقيل انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه انما يكون عند ارادة التحصن ، فاذا لم ترد التحصن بغت طوعا والتحصن التعفف . وقال الحسن بن الفضل : في الآية تقديم وتأخير تقديرها : وأنكحوا الايامى منكم ان أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ أي لتطلبوا من أموال الدنيا يريد من كسبهن وبيع أولادهن ﴿ ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ﴾ يعني للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال : لهن والله لهن والله

ولما فصل تبارك وتعالى هذه الاحكام وبينها قال تعالى [ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات] يعني القرآن فيه آيات واضحات مفسرات [ومثلا من الذين خلوا من قبلكم] أي خبراً عن الامم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى كما قال تعالى [فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين] أي زاجراً عن ارتكاب المآثم والمحارم (وموعظة للمتقين) أي لمن اتقى الله وخافه . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة القرآن: فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله

الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم (٣٥)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [الله نور السموات والارض] يقول هادي أهل السموات والارض . قال ابن جريج قال مجاهد وابن عباس في قوله [الله نور السموات والارض] يدبر الامر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما

وقال ابن جرير حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي حدثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس ابن مالك قال : إن الله يقول نوري هدى واختار هذا القول ابن جرير

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى (الله نور

قوله تعالى ﴿ ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ﴾ من الحلال والحرام ﴿ ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ﴾ أي شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون فهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر

قوله تعالى ﴿ الله نور السموات والارض ﴾ قال ابن عباس هادي أهل السموات والارض فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون ، وقال الضحاك منور السموات والارض يقال نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء ، وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض وقال أبي بن كعب والحسن وأبو العالية مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال بالنبات والاشجار ، وقيل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة أي منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل

اذا سار عبد الله عن مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها

السموات والارض ، مثل نوره) قال هو المؤمن الذي جعل الله الايمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال (الله نور السموات والارض) فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نور من آمن به ، قال فكان أبي بن كعب يقرؤها (مثل نور من آمن به) فهو المؤمن جعل الايمان والقرآن في صدره وهكذا رواه سعيد بن جبير وقيس بن سعد عن ابن عباس انه قرأها كذلك (مثل نور من آمن بالله) وقرأ بعضهم (الله منوّر السموات والارض) وعن الضحاك (الله نوّر السموات والارض) وقال السدي في قوله (الله نور السموات والارض) فبنوره أضاءت السموات والارض

وفي الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة عن رسول الله ﷺ انه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله » وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ اذا قام من الليل يقول « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن » الحديث . وعن ابن مسعود قال ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه

وقوله تعالى (مثل نوره) في هذا الضمير قولان [أحدهما] انه عائد إلى الله عزوجل أي مثل هداه في قلب المؤمن قاله ابن عباس (كمشكاة) [والثاني] ان الضمير عائد الى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة ، فشبه قلب المؤمن وماهو مفطور عليه من الهدى

قوله تعالى ﴿ مثل نوره ﴾ أي مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به كما قال [فهو على نور من ربه] وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن « وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن ، وقال بعضهم الكناية عائدة إلى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وكان أبي يقرأ مثل نور من آمن به وهو عبد جعل الايمان والقرآن في صدره « وقال الحسن وزيد بن أسلم أراد بالنور القرآن « وقال سعيد بن جبير والضحاك هو محمد ﷺ وقيل أراد بالنور الطاعة سمى طاعة الله نوراً وأضاف هذه الانوار إلى نفسه تفضيلا ﴿ كمشكاة ﴾ وهي الكوة التي لا منفذ لها فان كان لها منفذ فهي كوة « وقيل المشكاة حبشية قال مجاهد هي القنديل ﴿ فيها مصباح ﴾ أي سراج أصله من الضوء ومنه الصبح ومعناه كمصباح في مشكاة ﴿ المصباح في زجاجة ﴾ يعني القنديل قال الزجاج انما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوؤه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال ﴿ الزجاجة كأنها كوكب دري ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي دريء بكسر الدال والهمزة وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمز فمن كسر الدال فهو فعيل من الدرء وهو الدفع لان الكوكب يدفع الشياطين من السماء وشبهه بحالة الدفع لانه يكون في تلك الحالة أضوأ وأنور « ويقال هو من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فتضاعف ضوءه في ذلك الوقت « وقيل دريء مكرر أي طالع يقال درأ النجم

وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه كما قاله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستهدي به من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف فقوله (كمشكاة) قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد هو موضع الفتيلة من القنديل هذا هو المشهور ولهذا قال بعده (فيها مصباح) وهو الزبالة التي تضيء.

وقال العوفي عن ابن عباس قوله (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد ﷺ كيف يخلص نور الله من دون السماء ؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال تعالى [الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة] والمشكاة كوة في البيت قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نوراً ثم سماها أنواعاشتى ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هي الكوة بلغة الحبشة وزاد بعضهم فقال المشكاة الكوة التي لا منفذ لها وعن مجاهد المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل والقول الاول أولى وهو ان المشكاة هو موضع الفتيلة من القنديل ولهذا قال [فيها مصباح] وهو النور الذي في الزبالة ، قال أبي بن كعب المصباح النور وهو القرآن والايمان الذي في صدره وقال السدي هو السراج [المصباح في زجاجة] أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية ، وقال أبي بن كعب وغير واحد وهي نظير قلب المؤمن (الزجاجة كأنها كوكب دري) قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة من الدر أي كأنها كوكب من در . ، قرأ آخرون دريء ودريء بكسر الدال وضمها مع الهمزة من الدرء وهو الدفع، وذلك

اذا طلع وارتفع ويقال درأ علينا فلان أي طلع وظهر ، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة قال أكثر النحاة هو لحن لانه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين، قال أبو عبيدة وأنا أرى لها وجها وذلك أنها دروء على وزن فعول مثل سبوح وقدوس ثم استثقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها إلى الكسر كما قالوا عتي وهو فعول من عتوب ، وقرأ الآخرون (دري) بضم الدال وتشديد الياء بلا همز أي شديد الانارة نسبت إلى الدر في صفائه وحسنه وإن كان الكوكب أكثر ضوأ من الدر لكنه يفضل الكواكب بضيائه كما يفضل الدر سائر الحب ، وقيل الكوكب الدري واحد من الكواكب الخمسة العظام وهي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد ، وقيل شبهه بالكوكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لان الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف { يوقد } قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب توقد بالتاء وفتحها وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضي يعني المصباح أي اتقد يقال توقدت النار اذا اتقدت ، وقرأ أهل الكوفة غير حفص توقد بالتاء وضمها وفتح القاف خفيفا يعني الزجاجة أي نار الزجاجة لان الزجاجة لا توقد ، وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفا يعني المصباح { من شجرة مباركة زيتونة } أي من زيت شجرة مباركة فحذف المضاف بدليل قوله تعالى [يكاد زيتها يضيء] أراد بالشجرة المباركة الزيتونة وهي كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة

ان النجم إذا رمي به يكون أشد استنارة من سائر الاحوال ، والعرب تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراري ، قال أبي بن كعب كوكب مضيء ، وقال قتادة مضيء مبين ضخم [يوقد من شجرة مباركة] أي يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة [زيتونة] بدل أو عطف بيان [لا شرقية ولا غربية] أي ليست في شرقي بقعتها فلا تصل اليها الشمس من أول النهار ولا في غربيها فيقلص عنها الفيء قبل الغروب بل هي في مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار الى آخره فيجيء زيتها صافياً معتدلا مشرقا

وروى ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد أخبرنا عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله [زيتونة لا شرقية ولا غربية] قال هي شجرة بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل ولا كهف ولا يواريها شيء وهو أجود لزيتها ، وقال يحيى بن سعيد القطان عن عمران بن جرير عن عكرمة في قوله تعالى [لا شرقية ولا غربية] قال هي بصحراء وذلك أصفى لزيتها ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير عن عكرمة وسأله رجل عن قوله تعالى [زيتونة لا شرقية ولا غربية] قال تلك زيتونة بأرض فلاة اذا أشرقت الشمس أشرقت عليها فاذا غربت غربت عليها فذلك أصفى ما يكون من الزيت . وقال مجاهد في قوله تعالى [لا شرقية ولا غربية] قال ليست بشرقية لا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولكنها شرقية وغربية تصيبها إذا طلعت وإذا غربت

وعن سعيد بن جبير في قوله [زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء] قال هو أجود الزيت

لان الزيت يسرج به وهو أضوأ وأصفى الادهان وهو ادام وفاكهة ولا يحتاج في استخراجه إلى اعصار ، بل كل أحد يستخرجه . وجاء في الحديث أنه مصحة من الباسور وهي شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي أنا أبو أمية الطوسي أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عطاء — الذي كان بالشام وليس بابن أبي رباح — عن أسيد بن ثابت وأبي أسيد الانصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة »

قوله تعالى ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل هي ضاحية الشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها أضوأ ، وهذا كما يقال فلان ليس بأسود ولا بأبيض يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص ، بل اجتمع فيه كل واحد منهما ، وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض أي اجتمعت فيه الحلاوة والحموضة . هذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي والاكثرين ، وقال السدي وجماعة معناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل

قال إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق فاذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس، فالشمس تصيبها بالغداة والعشي فتلك لا تعد شرقية ولا غربية . وقال السدي قوله (زيتونة لا شرقية ولا غربية) يقول ليست بشرقية يحوزها المشرق ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق ولكنها على رأس جبل أو في صحراء تصيبها الشمس النهار كله . وقيل المراد بقوله تعالى (لا شرقية ولا غربية) انها في وسط الشجر ليست بادية للمشرق ولا للمغرب

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قول الله تعالى (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال هي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت قال فكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الفتن وقد يبتلى بها فيثبته الله فيها فهو بين أربع خلال، إن قال صدق، وإن حكم عدل، وإن ابتلي صبر، وان أعطي شكر، فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد قال حدثنا ابو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله [زيتونة لا شرقية ولا غربية] قال هي وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقا ولا غربا . وقال عطية العوفي [لا شرقية ولا غربية] قال هي شجرة في موضع من الشجر يرى ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس

فهي لا تضرها شمس ولا ظل ، وقيل معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لان الشام لا شرقي ولا غربي ، وقال الحسن ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره ﴿ يكاد زيتها ﴾ دهنها ﴿ يضيء ﴾ من صفائه ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾ أي قبل أن تصيبه النار ﴿ نور على نور ﴾ يعني نور المصباح على نور الزجاجة ، واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرني عن قوله تعالى (مثل نوره كمشكاة) فقال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة (توقد من شجرة مباركة) هي شجرة النبوة يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ، ولو لم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار ، وروى سالم عن ابن عمر في هذه الآية قال : المشكاة جوف محمد والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه (لا شرقية ولا غربية) لا يهودي ولا نصراني (توقد من شجرة مباركة) ابراهيم (نور على نور) نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد ﷺ ، وقال محمد بن كعب القرظي: المشكاة ابراهيم، والزجاجة اسماعيل ، والمصباح محمد صلوات الله عليهم أجمعين سماه الله مصباحا ، سماه سراجا فقال تعالى (وسراجا منيراً) توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم

عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى [لاشرقية ولا غربية] ليست شرقية ليس فيها غرب ، ولاغربية ليس فيها شرق ولكنها شرقية غربية ، وقال محمد بن كعب القرظي [لاشرقية ولا غربية] قال هي القبلية . وقال زيد بن أسلم [لاشرقية ولا غربية] قال الشام وقال الحسن البصري لو كانت هذه الشجرة في الارض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنه مثل ضربه الله تعالى لنوره ، وقال الضحاك عن ابن عباس [توقد من شجرة مباركة] قال رجل صالح [زيتونة لاشرقية ولا غربية] قال لايهودي ولا نصراني ، وأولى هذه الاقوال القول الاول هو وانها في مستوى من الارض في مكان فسيح باد ظاهر ضاح للشمس تقرعه من أول النهار الى آخره ليكون ذلك أصفى لزيتها وألطف كما قال غير واحد ممن تقدم ولهذا قال تعالى [يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار] قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني كضوء اشراق الزيت ، وقوله تعالى (نور على نور) قال العوفي عن ابن عباس يعني بذلك ايمان العبد وعمله ، وقال مجاهد والسدي يعني نور النار ونور الزيت ، وقال ابي بن كعب (نور على نور) فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره الى نور يوم القيامه الى الجنة

وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الاحبار فقال حدثني عن قول الله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) قال يكاد محمد ﷺ يبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت ان يضيء ، وقال السدي في قوله تعالى (نور على نور) قال نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا ولا يضيء واحد بغير صاحبه كذلك نور القرآن ونور الايمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما الا بصاحبه

سماه مباركة لان أكثر الانبياء من صلبه (لا شرقية ولا غربية) يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى تصلي قبل المشرق (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يوحى اليه (نور على نور) نبي من نسل نبي (نور) محمد (على نور) ابراهيم ، وقال بعضهم ، وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن . روى أبو العالية عن أبيّ بن كعب قال : هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله فيه من الايمان والقرآن في قلبه (يوقد من شجرة مباركة) وهي الاخلاص لله وحده فمثله كمثل الشجرة التي التف بها الشجر خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا اذا غربت ، فكذلك المؤمن قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر ، وإن ابتلي صبر ، وإن حكم عدل ، وإن قال صدق (يكاد زيتها يضيء) أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه (نور على نور) قال أبي فهو يتقلب في خمسة أنوار : قوله نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة . قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار ، فاذا مسته النار ازداد ضوءاً

وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) أي يرشد الله الى هدايته من يختاره كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الاوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله الديلمي عن عبدالله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصاب من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأ ضل . فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل »

﴿ طريق أخرى عنه ﴾ قال البزار حدثنا أيوب عن سويد عن يحيى بن أبي عمرو السيباني عن أبيه عن عبدالله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم نوراً من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل » ورواه البزار عن عبدالله بن عمرو من طريق آخر بلفظه وحروفه . وقوله تعالى (ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) لما ذكر تعالى هذا مثلا لنور هداه في قلب المؤمن ختم الآية بقوله (ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال

قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح . فأما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الاغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح ، فأي المدتين غلبت على الاخرى غلبت عليه » إسناده جيد ولم يخرجوه

على ضوئه ، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونوراً على نور ، قال الكلبي قوله (نور على نور) يعني إيمان المؤمن وعمله ، وقال السدي نور الايمان ونور القرآن ، وقال الحسن وابن زيد هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن ، والزجاجة قلب المؤمن ، والمشكاة فمه ولسانه ، والشجرة المباركة شجرة الوحي (يكاد زيتها يضيء) تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم تقرأ (نور على نور) يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نوراً على نور

قوله تعالى ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لدين الاسلام وهو نور البصيرة وقيل القرآن ﴿ ويضرب الله الامثال للناس ﴾ يبين الله الاشياء للناس تقريبا للافهام وتسهيلا لسبيل الادراك ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾

في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال (٣٦) رجال لا تلهيهم تجٰرة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوٰة وإيتاء الزكوٰة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصٰر (٣٧) ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب (٣٨)

لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن ومافيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل مثلا ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الارض وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد فقال تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع) أي أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والاقوال والافعال التي لا تليق فيها، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة (في بيوت أذن الله أن ترفع) قال نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء المفسرين. وقال قتادة هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها. وقد ذكر لنا أن كعباً كان يقول: مكتوب في التوراة ان بيوتي في الارض المساجد وانه من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر. رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره. وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها وذلك له محل مفرد يذكر فيه وقد كتبت في ذلك جزءاً على حدة ولله الحمد والمنة ونحن بعون الله تعالى نذكر ههنا طرفا من ذلك ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان

فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة» أخرجاه في الصحيحين

وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة» وللنسائي عن عمرو بن عنبسة مثله والاحاديث في هذا كثيرة جداً

قوله تعالى ﴿في بيوت أذن الله﴾ أي ذلك المصباح في بيوت وقيل يوقد في بيوت والبيوت هي المساجد. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المساجد بيوت الله في الارض وهي تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض، وروى صالح بن حيان عن ابي بريدة في قوله تعالى (في بيوت أذن الله) قال انما هي أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي: الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ قوله ﴿أن ترفع﴾ قال مجاهد أن تبنى نظيره

وعن عائشة رضي الله عنها قالت أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب. رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي، ولأحمد وأبي داود عن سمرة بن جندب نحوه وقال البخاري قال عمر : ابن للناس مايكنهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس.

وروى ابن ماجه قال قال رسول الله ﷺ « ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم » وفي اسناده ضعف . وروى أبو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « ماأمرت بتشييد المساجد » قال ابن عباس أزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى . وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد » رواه أحمد وأهل السنن إلا الترمذي . وعن بريدة أن رجلا أنشد في المسجد فقال من دعا إلى الجمل الاحمر فقال النبي ﷺ « لاوجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له » رواه مسلم

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال « نهى رسول ﷺ عن البيع والابتياع وعن تناشد الاشعار في المساجد . رواه أحمد وأهل السنن وقال الترمذي حسن . وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك » وإذا رأيتم من ينشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك » رواه الترمذي وقال حسن غريب . وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مرفوعا قال : خصال لا تنبغي في المسجد : لا يتخذ طريقا ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل ولا يمر فيه بلحم نيء ولا يضرب فيه حد ولا يقتص فيه أحد ولا يتخذ سوقا

وعن واثلة بن الاسقع عن رسول الله ﷺ قال « جنبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع » ورواه ابن ماجه أيضا وفي اسناده ضعف ، اما انه لا يتخذ طريقا فقد كره بعض العلماء المرور فيه الا لحاجة اذا وجد مندوحة عنه ، وفي الأثر ان الملائكة لتتعجب من الرجل يمر بالمسجد لا يصلي فيه، واما أنه لا يشهر فيه السلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل فلما يخشى من اصابة

قوله تعالى [وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت] قال الحسن أي تعظم أي لايذكر فيها الخنا من القول ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يتلى فيها كتابه ﴿ يسبح ﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بفتح الباء على غير تسمية الفاعل والوقف على هذه القراءة عند قوله (والآصال) وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلا للرجال (يسبح له) أي يصلي ﴿ له فيها بالغدو والآصال ﴾ أي بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد به الصلوات المفروضات فالتي تؤدى بالغداة صلاة الصبح ، والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يجمعها ، وقيل أراد به صلاة الصبح والعصر

بعض الناس به لكثرة المصلين فيه » ولهذا أمر رسول الله ﷺ اذا مر رجل بسهام أن يقبض على نصالها لئلا يؤذي أحداً كما ثبت ذلك في الصحيح . وأما النهي عن المرور باللحم النيء فيه فلما يخشى من تقاطر الدم منه كما نهيت الحائض عن المرور فيه اذ اخافت التلويث ، واما أنه لا يضرب فيه حد ولا يقتص منه فلما يخشى من ايجاد النجاسة فيه من المضروب أو المقطوع ، واما أنه لا يتخذ سوقا فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه فانه إنما بني لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبي ﷺ لذلك الاعرابي الذي بال في طائفة المسجد « ان المساجد لم تبن لهذا إنما بنيت لذكر الله والصلاة فيها » ثم أمر بسجل من ماء فاهريق على بوله

وفي الحديث الثاني « جنبوا مساجدكم صبيانكم » وذلك لانهم يلعبون فيه ولا يناسبهم . وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبيانا يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة وهي الدرة وكان يفتش المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحدا « ومجانينكم » يعني لاجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدي إلى اللعب فيها ، ولما يخشى من تقذيرهم المسجد ونحو ذلك « وبيعكم وشراءكم » كما تقدم « وخصوماتكم » يعني التحاكم والحكم فيه ، ولهذا نص كثير من العلماء على ان الحاكم لا ينتصب لفصل الأقضية في المسجد بل يكون في موضع غيره لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والالفاظ التي لا تناسبه « ولهذا قال بعده « ورفع أصواتكم »

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبدالله حدثنا يحيي بن سعيد حدثنا الجعد بن عبد الرحمن قال: حدثني يزيد بن حفصة عن السائب بن يزيد الكندي قال : كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فائتني بهذين فجئته بهما فقال من أنتما ؟ قالا من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل البلد لاوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ

وقال النسائي : حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : سمع عمر صوت رجل في المسجد فقال : أتدري أين أنت ؟ وهذا أيضا صحيح . وقوله « واقامة حدودكم وسل سيوفكم » تقدما وقوله « واتخذوا على أبوابها المطاهر » يعني المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة . وقد كانت قريبا من

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيي أنا عبد الله بن رجاء أنا همام بن أبي حمزة أن أبابكر ابن عبدالله بن قيس حدثه عن أبيه عن النبي ﷺ قال « من صلى البردين دخل الجنة » وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : التسبيح بالغدو صلاة الضحى

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعان أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد ابن زنجويه أنا عبد الله بن يوسف أنا الهيثم بن حميد أخبرني يحيى بن الحارث عن القاسم بن عبدالرحمن

مسجد رسول الله ﷺ آبار[1] يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضؤن وغير ذلك. وقوله « وجمروها في الجمع » يعني بخروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ » وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبيد الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ان عمر كان يجمر مسجد رسول الله ﷺ كل جمعة . اسناده حسن لا بأس به والله أعلم

وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال « صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا » وذلك انه اذا توضأ فاحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه : اللهم صل عليه » اللهم ارحمه . ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة .

وعند الدارقطني مرفوعا « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » وفي السنن « بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة » ويستحب لمن دخل المسجد أن يبدأ برجله اليمنى وأن يقول كما ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه كان اذا دخل المسجد يقول « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم » قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم

وروى مسلم بسنده عن أبي حميد أو أبي أسيد قال : قال رسول الله ﷺ « اذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك . واذا خرج فليقل : اللهم أسألك من فضلك » ورواه النسائي عنهما عن النبي ﷺ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك . واذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل : اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم » ورواه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما

وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا ليث بن أبي سليم عن عبدالله بن حسين عن أمه فاطمة بنت حسين عن جدتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » واذا

عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج المحرم » ومن مشى إلى تسبيح الضحى لاينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين »

قوله ﴿ رجال ﴾ قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لانه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المسجد ﴿ لا تلهيهم ﴾ لا تشغلهم ﴿ تجارة ﴾ قيل خص التجارة بالذكر لانها أعظم ما يشتغل به الانسان عن الصلاة والطاعات » وأراد بالتجارة الشراء » وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا

(١) في النسخة المكية اباريق

خرج صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن واسناده ليس بمتصل لان فاطمة بنت الحسين الصغرى لم تدرك فاطمة الكبرى

فهذا الذي ذكرناه مع ما تركناه من الاحاديث الواردة في ذلك كله محاذرة الطول داخل في قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع) وقوله (ويذكر فيها اسمه) أي اسم الله كقوله (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقوله (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقوله (وأن المساجد لله) الآية . وقوله (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يعني يتلى كتابه ، وقوله تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أي في البكرات والعشيات . والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كل تسبيح في القرآن هو الصلاة . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني بالغد و صلاة الغداة ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة فاحب أن يذكرهما وأن يذكر بهما عباده . وكذا قال الحسن والضحاك (يسبح له فيها بالغدو والآصال) يعني الصلاة، ومن قرأ من القراء (يسبح له فيها بالغدو والآصال) بفتح الباء من (يسبح) على أنه مبني لما لم يسم فاعله وقف على قوله (والآصال) وقفا تاما وابتدأ بقوله (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وكأنه مفسر للفاعل المحذوف كما قال الشاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

كأنه قال : من يبكيه ؟ قال هذا يبكيه ، وكأنه قيل من يسبح له فيها ؟ قال رجال . وأما على قراءة من قرأ [يسبح] بكسر الباء فجعله فعلا وفاعله [رجال] فلا يحسن الوقف الا على الفاعل لانه تمام الكلام فقوله تعالى [رجال] فيه اشعار بهممهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي بها صاروا عماراً للمساجد التي هي بيوت الله فى أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه كما قال تعالى [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه] الآية . وأما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها »

لانه ذكر البيع بعد هذا كقوله (واذا رأوا تجارة) يعني الشراء . وقال الفراء التجارة لاهل الجلب والبيع ماباعه الرجل على يديه ، قوله ﴿ ولا بيع عن ذكر الله ﴾ عن حضور المساجد لاقامة الصلاة ﴿ واقام ﴾ أي لاقامة ﴿ الصلواة ﴾ حذف الهاء وأراد اداءها في وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة وأعاد ذكر اقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لانه أراد باقام الصلاة حفظ المواقيت . روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام

وقال الامام أحمد: حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثني عمرو عن أبي السمح عن السائب مولى أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال «خير مساجد النساء قعر بيوتهن» وقال أحمد أيضا: حدثنا هارون أخبرني عبد الله بن وهب حدثنا داود بن قيس عن عبد الله بن سويد الانصاري عن عمته أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت النبي ﷺ فقالت يارسول الله اني أحب الصلاة معك. قال «قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي» قال فأمرت فبني لها مسجد في أقصى بيت من بيوتها فكانت والله تصلي فيه حتى لقيت الله تعالى. لم يخرجوه هذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط أن لا تؤذي أحداً من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب كما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تمنعوا اماء الله مساجد الله» رواه البخاري ومسلم، ولأحمد وأبي داود «وبيوتهن خير لهن» وفي رواية «وليخرجن وهن تفلات» أي لا ريح لهن

وقد ثبت في صحيح مسلم عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود قالت قال لنا رسول الله ﷺ «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا» وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ ثم يرجعن متلفعات بمروطهن مايعرفن من الغلس وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل

وقوله تعالى (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) الآية وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) الآية يقول تعالى لاتشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم لان ماعندهم ينفد وما عند الله باق، ولهذا قال تعالى (لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن

الصلاة) ﴿وإيتاء الزكاة﴾ المفروضة. قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها وقيل هي الاعمال الصالحة ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار﴾ قيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتنفتح الابصار من الاغطية، وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتتقلب الابصار من هوله أي ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الايمان أم من قبل الشمائل وذلك يوم القيامة، وقيل تتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج وتقلب البصر

ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) أي يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم ، قال هشيم عن شيبان قال حدثت عن ابن مسعود انه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي للصلاة المكتوبة تركوا بياعاتهم ونهضوا إلى الصلاة فقال عبدالله بن مسعود هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)الآية وهكذا روى عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان في السوق فاقيمت الصلاة فاغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبدالله بن بكير الصنعاني حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبدالله بن بحير حدثنا ابو عبد ربه قال قال أبو الدرداء رضي الله عنه اني قمت على هذا الدرج أبايع عليه أربح كل يوم ثلثمائة دينار أشهد الصلاة في كل يوم في المسجد اما اني لا أقول إن ذلك ليس بحلال ولكني أحب أن أكون من الذين قال الله فيهم (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) . وقال عمرو بن دينار الاعور كنت مع سالم بن عبدالله ونحن نريد المسجد فمررنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخمروا متاعهم فنظر سالم الى أمتعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الاية (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ثم قال هم هؤلاء ، وكذا قال سعيد بن أبي الحسن والضحاك لاتلهيهم التجارة والبيع أن يأتوا الصلاة في وقتها . وقال مطر الوراق كانوا يبيعون ويشترون ولكن كان أحدهم اذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) يقول عن الصلاة المكتوبة . وكذا قال مقاتل بن حيان والربيع بن أنس. وقال السدي عن الصلاة في جماعة . وقال مقاتل بن حيان لايلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله وأن يحافظوا على مواقيتها وما استحفظهم الله فيها

وقوله تعالى [يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار] أي يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والابصار أي من شدة الفزع وعظمة الاهوال كقوله [وأنذرهم يوم الآزفة] الآية وقوله (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) وقال تعالى [ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءاً ولاشكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا] وقوله تعالى ههنا [ليجزيهم الله أحسن ماعملوا] أي هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله

شخوصه من هول الامر وشدته ﴿ ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ﴾ يريد أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة (ليجزيهم الله أحسن ماعملوا) أي بأحسن ماعملوا يريد يجزيهم بحسناتهم وما كان من مساوي أعمالهم لايجزيهم بها ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ مالم يستحقوه بأعمالهم ﴿ والله يرزق من

[ويزيدهم من فضله] أي يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم « قال تعالى [إن الله لا يظلم مثقال ذرة] الآية وقال تعالى [من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها] الآية وقال [من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا] الآية وقال [والله يضاعف لمن يشاء] وقال ههنا [والله يرزق من يشاء بغير حساب] وعن ابن مسعود أنه جيء بلبن فعرضه على جلسائه واحداً واحداً فكلهم لم يشربه لانه كان صائما فتناوله ابن مسعود فشربه لانه كان مفطراً ثم تلا قوله [يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار] رواه النسائي وابن أبي حاتم من حديث الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عنه

وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبدالرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال رسول الله ﷺ « اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادي بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الخلائق » وروى الطبراني من حديث بقية عن اسماعيل بن عبد الله الكندي عن الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله [ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله] قال أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا

والذين كفروا أعمـٰلهم كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفّـٰه حسابه والله سريع الحساب (٣٩) أو كظلمـٰت في بحر لجّي يغشـٰه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمـٰت بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يرٰها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور (٤٠)

هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين ناريا ومائيا وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين مائيا وناريا، وقد تكلمنا على كل منهما في موضعه بما أغنى عن اعادته ولله الحمد والمنة . فأما الاول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة الى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الاعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الامر على

يشاء بغير حساب ﴾ ثم ضرب لاعمال الكفار مثلا فقال تعالى

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ السراب الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يشبه الماء الجاري على الارض يظنه من رآه ماء فاذا قرب منه انفش فلم ير شيئا « والآل ما ارتفع من الارض وهو شعاع يرى بين السماء والارض بالغدوات شبه الملاءة يرفع فيه الشخوص يرى فيه الصغير كبيراً والقصير طويلا، والرقراق يكون بالعشايا وهو ما ترقرق من السراب أي جاء وذهب، والقيعة جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الارض وفيه يكون السراب ﴿ يحسبه

شيء فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الارض من بعد كأنه بحر طام ، والقيعة جمع قاع كجار وجيرة ، والقاع أيضا واحد القيعان كما يقال جار وجيران وهي الارض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب ، وانما يكون ذلك بعد نصف النهار وأما الآل فانما يكون أول النهار يرى كانه ماء بين السماء والارض فاذا رأى السراب من هو محتاج الى الماء يحسبه ماء قصده ليشرب منه فلما انتهى اليه [لم يجده شيئا] فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وانه قد حصل شيئا فاذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئا بالكلية قد قبل اما لعدم الاخلاص أو لعدم سلوك الشرع كما قال تعالى [وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا] وقال ههنا [ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب] وهكذا روي عن أبي بن كعب وابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد

وفي الصحيحين أنه يقال يوم القيامة لليهود ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد عزير بن الله . فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون ؟ فيقولون يارب عطشنا فاسقنا فيقال ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فينطلقون فيتهافتون فيها ، وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب فاما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الاغشام المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى [أو كظلمات في بحر لجي] قال قتادة [لجي] هو العميق [يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها] أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب ؟ قال معهم قيل فالى أين يذهبون ؟ قال لا أدري .

الظمآن ﴾ أي يتوهمه العطشان ﴿ ماء حتى اذا جاءه ﴾ أي جاء ماقدر انه ماء وقيل جاء موضع السراب ﴿ لم يجده شيئا ﴾ على ماقدره وحسبه، كذلك الكافر يحسب أن عمله نافعه فاذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ولا نفعه ﴿ ووجد الله عنده ﴾ أي عند عمله أي وجد الله بالمرصاد ، وقيل قدم على الله ﴿ فوفاه حسابه ﴾ أي جزاء عمله ﴿ والله سريع الحساب * أو كظلمات ﴾ وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم فيها كظلمات ﴿ في بحر لجي ﴾ وهو العميق الكثير الماء ولجة البحر معظمه ﴿ يغشاه ﴾ يعلوه ﴿ موج من فوقه موج ﴾ متراكم ﴿ من فوقه سحاب ﴾ قرأ ابن كثير برواية القواس سحاب بالرفع والتنوين ﴿ ظلمات ﴾ بالجر على البدل من قوله (أو كظلمات) وروى أبو الحسن البزي عنه سحاب ظلمات بالاضافة ، وقرأ الآخرون سحاب ظلمات كلاهما بالرفع والتنوين فيكون تمام الكلام عند قوله سحاب ثم ابتدأ فقال ظلمات ﴿ بعضها فوق بعض ﴾ ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) أي ظلمة

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما [يغشاه موج] الآية يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهي كقوله [ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم] الاية وكقوله [أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة] الاية

وقال أبي بن كعب في قوله تعالى [ظلمات بعضها فوق بعض] فهو يتقلب في خمسة من الظلم فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة الى الظلمات الى النار ، وقال السدي والربيع بن أنس نحو ذلك أيضاً

وقوله تعالى (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور] أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر كقوله [من يضلل الله فلا هادي له] وهذا في مقابلة ماقال في مثل المؤمنين (يهدي الله لنوره من يشاء)فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نوراً وعن أيماننا نورا وعن شمائلنا نورا وأن يعظم لنا نورا

ألم تر أن الله يسبح له من في السموٰت والأرض والطير صفّٰت كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحهُ والله عليم بما يفعلون (٤١) ولله ملك السموٰت والأرض وإلى الله المصير (٤٢)

يخبر تعالى أنه يسبح له من في السموات والارض أي من الملائكة والاناسي والجان والحيوان حتى الجماد كما قال تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) الآية : وقوله تعالى (والطير صافات) أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها اليه وهو يعلم ما هي فاعلة

الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج فوق الموج وظلمة السحاب على ظلمة الموج ، وأراد بالظلمات أعمال الكافر، وبالبحر اللجي قلبه وبالموج مايغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة ،وبالسحاب الختم والطبع على قلبه ، قال أبي بن كعب في هذه الآية الكافر يتقلب في خمسة من الظلم : فكلامه ظلمة ،وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار ﴿ اذا أخرج ﴾ يعني الناظر ﴿ يده لم يكد يراها ﴾ يعني لم يقرب من أن يراها من شدة الظلمة ، وقال الفراء يكد صلة أي لم يرها ، قال المبرد يعنى لم يرها إلا بعد الجهد كما يقول القائل ماكدت أراك من الظلمة وقد رآه ولكن بعد يأس وشدة وقيل معناه قرب من رؤيتها ولم يرها كما يقال كاد النعام يطير ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وإيمانا فلا دين له ، وقيل من لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد ، وقال مقاتل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر والاكثرون على أنه عام في جميع الكفار

قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات ﴾ باسطات أجنحتهن بالهواء ، قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن

ولهذا قال تعالى (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أي كل قد أرشده الى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل. ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء. ولهذا قال تعالى (والله عليم بما يفعلون) ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والارض فهو الحاكم المتصرف الاله المعبود الذي لا تنبغي العبادة الا له ولا معقب لحكمه (والى الله المصير) أي يوم القيامة فيحكم فيه بما يشاء (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا) الآية فهو الخالق المالك الاله الحكم في الدنيا والاخرى وله الحمد في الاولى والآخرة

ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ويُنَزِّل من السماء من جبال فيها من بَرَد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار (٤٣) يُقَلِّب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرةً لأولي الابصار (٤٤)

يذكر تعالى أنه يسوق السحاب بقدرته أول ما ينشئها وهي ضعيفة وهو الازجاء (ثم يؤلف بينه) أي يجمعه بعد تفرقه (ثم يجعله ركاما) أي متراكما أي يركب بعضه بعضا (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من خلله وكذا قرأها ابن عباس والضحاك، قال عبيد بن عمير الليثي يبعث الله المثيرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله

وقوله (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قال بعض النحاة [من] الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة لبيان الجنس، وهذا انما يجيء على قول من ذهب من المفسرين الى أن قوله (من

حكم من في السماء والارض ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ قال مجاهد الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق، وقيل ان ضرب الاجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه قوله (كل قد علم) أي كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه. وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه ﴿والله عليم بما يفعلون * ولله ملك السموات والارض وإلى الله المصير * ألم تر أن الله يزجي﴾ يعني يسوق بأمره ﴿سحابا﴾ إلى حيث يريد ﴿ثم يؤلف بينه﴾ يعني يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض ﴿ثم يجعله ركاما﴾ متراكما بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق﴾ يعني المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ وسطه وهو جمع الخلل كالجبال جمع الجبل ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ يعني ينزل البرد ومن صلة، وقيل معناه (وينزل من السماء من جبال) أي مقدار جبال في الكثرة من البرد، ومن في قوله (من جبال) صلة أي وينزل من السماء جبالا من برد، وقيل معناه وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخبر الله تعالى عز وجل أن في السماء جبالا من برد، ومفعول الانزال محذوف تقديره وينزل من السماء من جبال فيها بردا فاستغني عن ذكر

جبال فيها من برد) معناه ان في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد ، وأما من جعل الجبال ههنا كناية عن السحاب فان من الثانية عند هذا لابتداء الغاية أيضا لكنها بدل من الاولى والله أعلم

وقوله تعالى (فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء) يحتمل أن يكون المراد بقوله(فيصيب به)أي بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد فيكون قوله [فيصيب به من يشاء]رحمة لهم (ويصرفه عمن يشاء) أي يؤخر عنهم الغيث ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله[فيصيب به] أي بالبرد نقمة على من يشاء لما فيه من نثر ثمارهم واتلاف زروعهم وأشجارهم ويصرفه عمن يشاء رحمة بهم . وقوله [يكاد سنا برقه يذهب بالابصار] أي يكادضوء برقه من شدته يخطف الابصار اذا اتبعته وتراءته

وقوله تعالى [يقلب الله الليل والنهار] أي يتصرف فيهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيراً ويقصر الذي كان طويلا والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه [ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار] أي لدليلا على عظمته تعالى كما قال تعالى [ان في خلق السموات والارض واختـلاف الليـل والنهار لآيات لاولي الالباب] وما بعدها من الآيات الكريمات

والله خلق كل دابة من ماء فمنهـم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير (٤٥)

المفعول الدلالة عليه ، قال أهل النحو ذكر الله تعالى(من)ثلاث مرات في هذه الاية فقوله من السماء لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء وقوله تعالى (من جبال) للتبعيض لان ما ينزله الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء ، وقوله تعالى (من برد) للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد ﴿ فيصيب به ﴾ يعني بالبرد ﴿ من يشاء ﴾ فيهلك زروعه وأمواله ﴿ ويصرفه عمن يشاء ﴾ فلا يضره ﴿ يكاد سنا برقه ﴾ يعني ضوء برق السحاب ﴿ يذهب بالابصار ﴾ من شدة ضوئه وبريقه ، وقرأ أبو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء ﴿ يقلب الله الليل والنهار ﴾ يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا الحميدي أنا سفيان أنا الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار » قوله تعالى ﴿ إن في ذلك ﴾ يعني في ذلك الذي ذكرت من هذه الاشياء ﴿ لعبرة لاولي الابصار ﴾ يعني دلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده

قوله تعالى ﴿ والله خلق كل دابة ﴾ قرأ حمزة والكسائي خالق كل بالاضافة ، وقرأ الآخرون خلق

يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية وما شاكلها (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالانعام وسائر الحيوانات ولهذا قال (يخلق الله ما يشاء) أي بقدرته لانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ولهذا قال [ان الله على كل شيء قدير]

لقد أنزلنا آيٰت مبينٰت والله يهدي من يشاء الى صرٰط مستقيم (٤٦)

يقرر تعالى انه أنزل في هذا القرآن من الحكم والحكم والامثال البينة المحكمة كثيراً جداً وانه يرشد إلى تفهمها وتعقلها أولي الالباب والبصائر والنهى ولهذا قال [والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم]

ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولٰئك بالمؤمنين (٤٧) وإذا دُعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون (٤٨) وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مُذعنين (٤٩) أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟ بل أولٰئك هم الظٰلمون (٥٠) إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولٰئك هم المفلحون (٥١) ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقْهِ فأولٰئك هم الفائزون (٥٢)

يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف مايبطنون يقولون قولا بألسنتهم [آمنا بالله

كل على الفعل ﴿ من ماء ﴾ يعني من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا، ولا يدخل فيه الملائكة ولا الجن لانا لانشاهدهم ، وقيل أصل جميع الخلق من الماء وذلك أن الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحا فخلق منها الملائكة وبعضه ناراً فخلق منها الجن وبعضه طينا فخلق منه آدم ﴿ فمنهم من يمشي على بطنه ﴾ كالحيات والحيتان والديدان ﴿ ومنهم من يمشي على رجلين ﴾ مثل بني آدم والطير ﴿ ومنهم من يمشي على أربع ﴾ كالبهائم والسباع ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الارض لانها في الصورة كالتي على الاربع وإنما قال من يمشي (ومن) انما تستعمل فيمن يعقل دون من لا يعقل من الحيات والبهائم لانه ذكر كل دابة فدخل فيه الناس وغيرهم ، واذا جمع اللفظ من يعقل ومن لا يعقل تجعل الغلبة لمن يعقل ﴿ يخلق الله مايشاء إن الله على كل شيء قدير * لقد أنزلنا ﴾ اليك ﴿ آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ﴾ يعني المنافقين

وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك] أي يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون ما لا يفعلون ولهذا قال تعالى [وما أولئك بالمؤمنين] وقوله تعالى [وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم الآية أي إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه وهذه كقوله تعالى [ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك - إلى قوله - رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً] وفي الطبراني من حديث روح بن عطاء عن أبي ميمونة عن أبيه الحسن عن سمرة مرفوعا « من دعي إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لاحق له »

وقوله تعالى [وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين] أي وإذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين وهو معنى قوله (مذعنين) وإذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا الى غير الحق وأحب أن يتحاكم الى غير النبي ﷺ ليروج باطله ثم ، فاذعانه أولا لم يكن عن اعتقاد منه ان ذلك هو الحق بل لأنه موافق لهواه ولهذا لما خالف الحق قصده عدل عنه الى غيره ولهذا قال تعالى [أفي قلوبهم مرض] الآية يعني لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين او يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم ، وأياما كان فهو كفر محض والله عليم بكل منهم وما هو منطو عليه من هذه الصفات

وقوله تعالى (بل أولئك هم الظالمون) أي بل هم الظالمون الفاجرون، والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا مبارك حدثنا الحسن قال : كان الرجل اذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي الى النبي ﷺ وهو محق أذعن وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق ، واذا أراد أن يظلم فدعي الى النبي ﷺ أعرض وقال انطلق الى فلان فأنزل الله هذه الآية فقال النبي ﷺ « من كان بينه وبين أخيه شيء فدعي الى حكم من حكام المسلمين فأبى أن يجيب فهو ظالم لا حق له » وهذا حديث غريب

يقولونه ﴿ ثم يتولى ﴾ يعرض عن طاعة الله ورسوله ﴿ فريق منهم من بعد ذلك ﴾ أي من بعد قولهم آمنا ويدعو إلى غير حكم الله قال الله تعالى ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ نزلت هذه الآية في بشر المنافق كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الاشرف فان محمداً يحيف علينا فأنزل الله هذه الآية

قوله ﴿ واذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ﴾ الرسول بحكم الله ﴿ اذا فريق منهم معرضون ﴾ يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة ﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين ﴾ مطيعين منقادين لحكمه يعني اذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً بالحق ﴿ أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا ﴾ يعني شكوا هذا استفهام ذم وتوبيخ يعني هم كذلك ﴿ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ يعني يظلم ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ لانفسهم باعراضهم عن

وهو مرسل ، ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله وسنة رسوله فقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أي سمعا وطاعة ، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب فقال تعالى (وأولئك هم المفلحون) وقال قتادة في هذه الآية (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) ذكر لنا أن عبادة بن الصامت وكان عقبيا بدريا أحد نقباء الانصار انه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية : ألا أنبئك بماذا عليك وبماذا لك ؟ قال بلى قال فان عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك ، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل ، وأن لا تنازع الامر أهله إلا ان يأمروك بمعصية الله بواحا فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله. وقال قتادة : ذكر لنا ان أبا الدرداء قال : لا اسلام إلا بطاعة الله ، ولا خير إلا في جماعة والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة . قال وقد ذكر لنا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : عروة الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين . رواه ابن أبي حاتم ، والاحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنة رسوله وللخلفاء الراشدين والائمة إذا أمروا بطاعة الله أكثر من أن تحصر في هذا المكان

وقوله (ومن يطع الله ورسوله) قال قتادة : يطيع الله ورسوله فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل . وقوله (فأولئك هم الفائزون) يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجنّ قل لا تقسموا طاعة معروفة. ان الله خبير بما تعملون (٥٣) قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حُمّل وعليكم

الحق ﴿ انما كان قول المؤمنين اذا دعوا إلى الله ورسوله ﴾ إلى كتاب الله ورسوله ﴿ ليحكم بينهم ﴾ هذا ليس على طريق الخبر لكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى ﴿ أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ أي سمعنا الدعاء وأطعنا بالاجابة ﴿ وأولئك هم المفلحون * ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما ساءه وسره ويخش الله على ماعمل من الذنوب ﴿ ويتقه ﴾ فيما بعده ﴿ فأولئك هم الفائزون ﴾ الناجون قرأ أبو عمرو وأبو بكر (يتقه) ساكنة الهاء ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون كما في نظائرها ، ويشبعها الباقون كسراً ، وقرأ حفص يتقه بسكون القاف واختلاس الهاء وهذه اللغة اذا سقطت الياء للجزم يسكنون ماقبلها يقولون لم أشتر طعاما بسكون الراء

قوله تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ جهد اليمين أن يحلف بالله ولا حلف فوق الحلف بالله

ما حمّلتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين (٥٤)

يقول تعالى مخبراً عن أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول ﷺ لئن أمرتهم بالخروج في الغزو ليخرجن ، قال الله تعالى (قل لا تقسموا) أي لا تحلفوا ، وقوله (طاعة معروفة) قيل معناه طاعتكم طاعة معروفة أي قد علم طاعتكم إنما هي قول لا فعل معه وكلما حلفتم كذبتم كما قال تعالى (يحلفون لكم لترضوا عنهم) الآية . وقال تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة) الآية ، فهم من سجيتهم الكذب حتى فيما يختارونه كما قال تعالى [ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون] وقيل المعنى في قوله [طاعة معروفة] أي ليكن أمركم طاعة معروفة أي بالمعروف من غير حلف ولا اقسام كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف فكونوا أنتم مثلهم (ان الله خبير بما تعملون) أي هو خبير بكم وبمن يطيع ممن يعصي ، فالحلف واظهار الطاعة والباطن بخلافه وان راج على المخلوق فالخالق تعالى يعلم السر وأخفى لا يروج عليه شيء من التدليس بل هو خبير بضمائر عباده وان أظهروا خلافها

ثم قال تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله . وقوله تعالى (فان تولوا) أي تتولوا عنه وتتركوا ما جاءكم به (فانما عليه ما حمل) أي ابلاغ الرسالة وأداء الامانة (وعليكم ما حملتم) أي بقبول ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه (وان تطيعوه تهتدوا) وذلك لانه يدعو الى صراط مستقيم [صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض] الآية . وقوله تعالى (وما على الرسول الا البلاغ المبين) كقوله تعالى [فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب] وقوله [فذكر انما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر] قال وهب بن منبه أوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له شعياء أن قم في بني اسرائيل فاني سأطلق لسانك بوحي فقام فقال : ياسماء اسمعي ويا أرض انصتي فان الله يريد أن يقضي شأنا ويدبر أمراً هو منفذه انه يريد أن يحول الريف الى الفلاة

﴿ لئن أمرتهم ليخرجن ﴾ وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال تعالى ﴿قل﴾ لهم ﴿لا تقسموا﴾ لا تحلفوا وقد تم الكلام ثم قال ﴿ طاعة معروفة ﴾ يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد وهي معروفة يعني أمر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون ،هذا معني قول مجاهد رضي الله عنه ، وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل ، وقال مقاتل بن سليمان لكن منكم طاعة معروفة ﴿ إن الله خبير بما تعملون ، قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

والآجام في الغيطان والانهار في الصحارى والنعمة في الفقراء والملك في الرعاة ويريد أن يبعث أميا من الاميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق لو يمر على السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه بشيراً ونذيراً لا يقول الخنا ، أفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ، وأسدده بكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدى امامه ، والاسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به من الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، واعرف به بعد النكرة ، وأكثر به القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، واستنقذ به فئاما من الناس عظيما من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت به الرسل . رواه ابن أبي حاتم

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـٰلحـٰت ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولـٰئك هم الفسقون (٥٥)

هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الارض أي أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وحكما فيهم وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة ، فانه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس ، وملوك عمان والنجاشي ملك

فان تولوا) يعني تولوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه ماحمل) يعني على الرسول ماكلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ماحملتم) من الاجابة والطاعة (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي التبليغ البين

قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) قال أبو العالية في هذه الآية : مكث النبي ﷺ بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار وكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه . فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فأنزل الله هذه الآية (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم) أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة

الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه ، ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث ما وهى بعد موته ﷺ وأخذ جزيرة العرب ومهدها وبعث جيوش الاسلام الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقا من أهلها ،وجيشا آخر صحبة أبي عبيدة رضي الله عنه ومن اتبعه من الامراء الى أرض الشام ،وثالثا صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها ،وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة ، ومنّ على أهل الاسلام بان ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله ، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر الى آخرها وأكثر اقليم فارس ، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر ، وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالهما في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله، عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة ، ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى أقصى مشارق الارض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب الى أقصى ما هنالك الاندلس وقبرص،وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ،ومن ناحية المشرق الى أقصى بلاد الصين،وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية، وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً ، وخذل الله ملكهم الاعظم خاقان ، وجبي الخراج من المشارق والمغارب الى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الامة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها » فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله،وصدق الله ورسوله،فنسأل الله الايمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا

قال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير

يعني والله ليستخلفنهم أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم (كما استخلف) بضم التاء وكسر اللام على مالم يسم فاعله ، وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى (وعد الله) قال قتادة كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء ، وقيل (كما استخلف الذين من قبلهم) أي بني اسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿ وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ أي اختار قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان ﴿ وليبدلنهم ﴾ قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب بالتخفيف من الابدال ، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبديل وهما لغتان وقال بعضهم التبديل تغير حال إلى حال والابدال رفع الشيء وجعل غيره مكانه ﴿ من بعد خوفهم أمنا

عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلا» ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عني فسألت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ ؟ فقال قال «كلهم من قريش» ورواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به ، وفي رواية لمسلم أنه قال ذلك عشية رجم ماعز بن مالك وذكر معه أحاديث أخر

وفي هذا الحديث دلالة على انه لابد من وجود اثني عشر خليفة عادل وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني عشر فان كثيراً من أولئك لم يكن لهم من الامر شيء ، فأما هؤلاء فانهم يكونون من قريش يلون فيعدلون وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة ، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين بل يكون وجودهم في الامة متتابعا ومتفرقا ، وقد وجد منهم أربعة على الولاء وهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ثم كانت بعدهم فترة ثم وجد منهم من شاء الله ، ثم قد يوجد منهم من بقي في الوقت الذي يعلمه الله تعالى ، ومنهم المهدي الذي اسمه يطابق اسم رسول الله ﷺ وكنيته كنيته يملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً وظلما

وقد روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا» وقال الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا] الآية قال كان النبي ﷺ وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده والى عبادته وحده لاشريك له سراً ، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال ، فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فصبروا على ذلك ماشاء الله ثم ان رجلا من الصحابة قال يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ « لن تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم

يعبدونني ﴾ آمنين ﴿ لايشركون بي شيئا ﴾ فأنجز الله وعده وأظهر دينه ، ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الارض

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن الحكم أنا النضر أنا اسرائيل أنا سعيد الطاهري أنا محمد بن خليفة عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكى اليه قطع السبيل فقال «ياعدي هل رأيت الحيرة ؟» قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال « فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحداً إلا الله — قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين قدسعروا البلاد — ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى — قلت كسرى بن هرمز ؟ قال — كسرى

محتبيا ليست فيه حديدة » وأنزل الله هذه الاية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فامنوا ووضعوا السلاح . ثم ان الله تعالى قبض نبيه ﷺ فكانوا كذلك آمنين في امارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فاتخذوا الحجزة والشرط وغيروا فغير بهم

وقال بعض السلف خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حق في كتاب الله ثم تلا هذه الآية ، وقال البراء بن عازب نزلت هذه الاية ونحن في خوف شديد » وهذه الاية الكريمة كقوله تعالى [واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض ـ الى قوله ـ لعلكم تشكرون]

وقوله تعالى [كما استخلف الذين من قبلهم] كما قال تعالى عن موسى عليه السلام انه قال لقومه [عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض] الاية وقال تعالى [ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) الآيتين . وقوله (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) الآية كما قال رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم حين وفد عليه « أتعرف الحيرة؟» قال لم أعرفها ولكن قد سمعت بها قال « فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز » قلت كسرى بن هرمز ؟ قال« نعم كسرى بن هرمز ،وليبذلن المال حتى لايقبله أحد »قال عدي بن حاتم فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد » ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز » والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لان رسول الله ﷺ قد قالها

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن أبي سلمة عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ « بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين في الارض ، فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة نصيب » وقوله تعالى (يعبدونني

ابن هرمز » ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج مل. كفه من ذهب وفضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم فليقولن له: ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول بلى ، فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » قال عدي سمعت رسول الله ﷺ يقول « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله . وكنت ممن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ماقال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « يخرج مل. كفه » وفي الآية دلالة على خلافة الصديق وامامة الخلفاء الراشدين

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أخبرني حماد هو ابن سلمة بن دينار عن سعيد بن جهان عن سفينة قال : سمعت النبي

لا يشركون بي شيئا) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس ان معاذ بن جبل حدثه قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ على حمار ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل قال « يامعاذ » قلت لبيك يارسول الله وسعديك قال : ثم سار ساعة ثم قال « يامعاذ بن جبل » قلت لبيك يارسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال « يامعاذ بن جبل قلت لبيك يارسول الله وسعديك قال « هل تدري ما حق الله على العباد ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » قال ثم سار ساعة ثم قال « يامعاذ بن جبل » قلت لبيك يارسول الله وسعديك قال « فهل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ » قال قلت الله ورسوله أعلم قال « فان حق العباد على الله أن لا يعذبهم » أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة

وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) أي فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما ، فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب وأيدهم تأييداً عظيما وحكموا في سائر العباد والبلاد ، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الاوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة - وفي رواية - حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك - وفي رواية - حتى يقاتلوا الدجال - وفي رواية - حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون » وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها

ﷺ يقول « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » ثم قال أمسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشراً وعثمان اثنتي عشرة ؟ وعلي ستة قلت لحماد : سفينة القائل لسعيد أمسك ؟ قال نعم . قوله تعالى ﴿ ومن كفر بعد ذلك ﴾ أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ العاصون لله ، قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله مابهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخوانا

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد النعيمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم المعروف بابن نصر أنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة المعروف بالطرابلسي أنا اسحاق بن ابراهيم بن عباد عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن حميد بن هلال قال : قال عبد الله بن سلام في عثمان إن الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله ﷺ حتى اليوم فوالله لئن قتلتموه ليذهبون ثم لا يعودون أبداً فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقي الله أجذم لا يد له وان سيف الله لم يزل مغموداً عنكم والله لئن قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم اما قال أبداً واما قال إلى يوم القيامة فما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفا ، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا

وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم تُرحمون (٥٦) لا تحسبن الذين كفروا مُعجزين في الأرض ومأوٰهم النار ولبئس المصير (٥٧)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين باقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لاشريك له وإيتاء الزكاة وهي الاحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم ، وأن يكونوا في ذلك مطيعين للرسول ﷺ أي سالكين وراءه فيما به أمرهم، وترك ماعنه زجرهم، لعل الله يرحمهم بذلك ،ولاشك أن من فعل هذا ان الله سيرحمه كما قال تعالى في الآية الاخرى [أولئك سيرحمهم الله]

وقوله تعالى [لا تحسبن] أي لا تظن يا محمد [ان الذين كفروا] أي خالفوك وكذبوك [معجزين في الارض] أي لا يعجزون الله بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب ولهذا قال تعالى [ومأواهم] أي في الدار الاخرة [النار ولبئس المصير] أي بئس المآل مآل الكافرين ، وبئس القرار وبئس المهاد

يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمٰنكم والذين لم يبلغوا الحلُم منكم ثلٰث مرات،من قبل صلوٰة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلٰث عورات لكم، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن،طوّافون عليكم بعضكم على بعض، كذلك يبين الله لكم الآيٰت والله عليم حكيم (٥٨) واذا بلغ الاطفٰل منكم الحُلُم فليستئذنوا كما استئذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم ايٰته والله عليم حكيم (٥٩) والقواعد من النساء الّتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيٰبهن غيرَ متبرجٰت بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم (٦٠)

هذه الايات الكريمة اشتملت على استئذان الاقارب بعضهم على بعض ،وما تقدم في أول السورة

قوله تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ أي افعلوها على رجاء الرحمة ﴿ لاتحسبن الذين كفروا ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة (لايحسبن) بالياء أي لايحسبن الذين كفروا أنفسهم ﴿ معجزين في الارض ﴾ وقرأ الآخرون بالتاء يقول لاتحسبن يامحمد الذين كفروا معجزين فائتين عنا ﴿ ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾

قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ﴾ الآية . قال ابن عباس رضي

فهو استئذان الاجانب بعضهم على بعض ، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال [الاول] من قبل صلاة الغداة لان الناس إذ ذاك يكونون نياما في فرشهم [وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة] أي في وقت القيلولة لان الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله [ومن بعد صلاة العشاء] لانه وقت النوم ، فيؤمر الخدم والاطفال ان لا يهجموا على أهل البيت في هذه الاحوال لما يخشى أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الاعمال ولهذا قال [ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن] أي إذا دخلوا في حال غير هذه الاحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم ولا عليهم ان رأوا شيئا في غير تلك الاحوال لانه قد أذن لهم في الهجوم ولانهم طوافون عليكم أي في الخدمة وغير ذلك. ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم ولهذا روى الامام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن النبي ﷺ قال في الهرة « انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم و الطوافات »

ولما كانت هذه الاية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلا جداً أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن [يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم] إلى آخر الاية، والاية التي في سورة النساء (واذا حضر القسمة أولو القربى) الاية ، والاية التي في الحجرات (ان اكرمكم عند الله أتقاكم)

وفي لفظ له أيضا من حديث اسمعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) الى آخر الاية

الله عنهما : وجه رسول الله ﷺ غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في أسماء بنت مرثد وكان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله ﷺ فقالت : ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم) اللام لام الامر (الذين ملكت أيمانكم) يعني العبيد والاماء ﴿ والذين لم يبلغوا الحلم منكم ﴾ من الاحرار ليس المراد منهم الاطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء ، بل الذين عرفوا أمر النساء ولكن لم يبلغوا ﴿ ثلاث مرات ﴾ أي ليستأذنوا في ثلاث أوقات ﴿ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴾ يريد المقيل ﴿ ومن بعد صلاة العشاء ﴾ وانما خص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان مالا يحب أن يراه أحد، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الاوقات ، وأما غيرهم فليستأذنوا في جميع الاوقات ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ قرأ حمزة والكسائي ثلاث

وروى أبو داود حدثنا ابن الصباح وابن سفيان وابن عبدة وهذا حديثه أخبرنا سفيان عن عبيد الله ابن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : لم يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي هذه تستأذن علي . قال ابو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به، وقال الثوري عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم)قال : لم تنسخ قلت فان الناس لا يعملون بها فقال : الله المستعان

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس : إن الله ستير يحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله، ثم جاء الله بعد بالستور فبسط الله عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به. وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس،ورواه أبو داود عن القعنبي عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به

وقال السدي كان أناس من الصحابة رضي الله عنهم يحبون أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله أن يأمروا المملوكين والغلمان ان لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا باذن ، وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله أعلم أن رجلا من الانصار وامرأته أسماء بنت مرثد صنعا للنبي ﷺ طعاما فجعل الناس يدخلون بغير إذن . فقالت أسماء يارسول الله ما أقبح هذا انه ليدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن فأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) إلى آخرها ، ومما يدل على أنها محكمة لم تنسخ قوله (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) ثم قال تعالى (وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما

بنصب الثاء بدلا من قوله (ثلاث مرات) وقرأ الآخرون بالرفع أي هذه الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ﴿ ليس عليكم ﴾ جناح ﴿ ولا عليهم ﴾ على العبيد والخدم والصبيان ﴿ جناح ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿ بعدهن ﴾ أي بعد هذه الاوقات الثلاثة ﴿ طوافون عليكم ﴾ أي العبيد والخدم يطوفون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالهم بغير اذن بعضكم على بعض أي يطوف ﴿ بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾ واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم منسوخ ،قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن للقوم ستور ولا حجاب فكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم مالا يحبون فأمروا بالاستئذان،وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة . روى سفيان عن موسى بن عائشة قال سألت الشعبي عن هذه

استأذن الذين من قبلهم)يعني إذا بلغ الاطفال الذين انما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال يعني بالنسبة إلى أجانبهم وإلى الاحوال التي يكون الرجل على امرأته ، وان لم يكن في الاحوال الثلاث

قال الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير إذا كان الغلام رباعيا فانه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه ، فاذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال ، وهكذا قال سعيد بن جبير . وقال في قوله (كما استأذن الذين من قبلهم) يعني كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه ، وقوله (والقواعد من النساء)قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقتادة هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد اللاتي لا يرجون نكاحا)أي لم يبق لهن تشوف إلى التزوج (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) أي ليس عليها من الحجر في التستر كما على غيرها من النساء

قال أبو داود حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثني علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن)الآية فنسخ واستثنى من ذلك القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا الاية . قال ابن مسعود في قوله (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) قال الجلباب أو الرداء وكذلك روي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن

الآية (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمنسوخة هي ؟ قال لا والله ، قلت إن الناس لا يعملون بها قال الله المستعان ، وقال سعيد بن جبير في هذه الآية إن ناسا يقولون نسخت، والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس

قوله تعالى ﴿ واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ﴾ أي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا ﴿فليستأذنوا﴾ أي يستأذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم ﴿ كما استأذن الذين من قبلهم ﴾من الاحرار والكبار وقيل يعني الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ دلالاته وقيل أحكامه ﴿ والله عليم ﴾ بأمور خلقه ﴿ حكيم ﴾ بما دبر لهم ، قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فانما أنزلت هذه الآية في ذلك ، وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته ؟ قال نعم إن لم يفعل رأى منها ما يكره

قوله تعالى ﴿ والقواعد من النساء ﴾ يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر لا يلدن ولا يحضن واحدتها قاعد بلا هاء ، وقيل قعدن عن الازواج وهذا معنى قوله ﴿ اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ أي لا يردن الرجال لكبرهن ، قال ابن قتيبة سميت المرأة قاعداً اذا كبرت لانها تكثر القعود، وقال ربيعة الرأي هن العجز اللاتي اذا رآهن الرجال استقذروهن ، فأما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية ﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ عند الرجال يعني يضعن بعض ثيابهن وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار ، فأما الخمار

جبير وأبي الشعثاء وابراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهري والاوزاعي وغيرهم ، وقال أبو صالح تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخار

وقال سعيد بن جبير وغيره في قراءة عبدالله بن مسعود (أن يضعن من ثيابهن) وهو الجلباب من فوق الخار فلا بأس أن يضعن عند غريب أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق . وقال سعيد بن جبير في الاية (غير متبرجات بزينة) يقول لايتبرجن بوضع الجلباب ليرى ما عليهن من الزينة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبدالله حدثنا ابن المبارك حدثني سوار بن ميمون حدثنا طلحة ابن عاصم عن أم المصاعن[1] أنها قالت دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت ياأم المؤمنين ما تقولين في الخضاب والنفاض والصباغ والقرطين والخلخال وخاتم الذهب وثياب الرقاق فقالت: يامعشر النساء قصتكن كلها واحدة أحل الله لكن الزينة غير متبرجات، أي لايحل لكن أن يروا منكن محرما ، وقال السدي كان شريك لي يقال له مسلم ، وكان مولى لامرأة حذيفة بن اليمان فجاء يوما إلى السوق وأثر الحناء في يده فسألته عن ذلك فأخبرني أنه خضب رأس مولاته وهي امرأة حذيفة فأنكرت ذلك فقال إن شئت أدخلتك عليها فقلت نعم فأدخلني عليها فاذا هي امرأة جليلة فقلت لها إن مسلما حدثني أنه خضب رأسك فقالت نعم يابني إني من القواعد اللاتي لايرجون نكاحا ، وقد قال الله تعالى في ذلك ماسمعت . وقوله (وأن يستعففن خير لهن) أي وترك وضعهن لثيابهن ، وإن كان جائزاً خير وأفضل لهن والله سميع عليم

(١) لم نر هذا الاسم في كتب اسماء الرواة وفي النسخة الاميرية أم الضياء

ليس على الأعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم، ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا . فاذا دخلتم

فلا يجوز وضعه ، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأبي بن كعب (أن يضعن من ثيابهن) ﴿ غير متبرجات بزينة ﴾ أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن ، والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ماينبغي لها أن تستره ﴿ وأن يستعففن ﴾ فلا يلقين الحجاب والرداء ﴿ خير لهن والله سميع عليم ﴾

قوله تعالى ﴿ ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ الآية . اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله عز وجل قوله (ياأيها الذين

بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مبركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيت لعلكم تعقلون (٦١)

اختلف المفسرون رحمهم الله في المعنى الذي رفع لاجله الحرج عن الاعمى والاعرج والمريض ههنا فقال عطاء الخراساني وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم يقال انها نزلت في الجهاد وجعلوا هذه الاية ههنا كالتي في سورة الفتح وتلك في الجهاد لا محالة أي انهم لا اثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم وكما قال تعالى في سورة براءة (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ٭ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه — الى قوله — أن لا يجدوا ماينفقون) وقيل المراد ههنا أنهم كانوا يتحرجون من الاكل مع الاعمى لانه لا يرى الطعام ومافيه من الطيبات فربما سبقه غيره الى ذلك ولا مع الاعرج لانه لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه جليسه والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره فكرهوا أن يؤاكلوهم لئلا يظلموهم فأنزل الله هذه الاية رخصة في ذلك وهذا قول سعيد بن جبير ومقسم . وقال الضحاك كانوا قبل البعثة يتحرجون من الاكل مع هؤلاء تقذراً وتعززاً ولئلا يتفضلوا عليهم فأنزل الله هذه الاية ٭ وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج) الاية قال كان الرجل يذهب بالاعمى أو بالاعرج أو بالمريض الى بيت أبيه أو أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته فكان الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت عشيرتهم فنزلت هذه الاية رخصة لهم ٭ وقال السدي كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنه فتتحفه المرأة بشيء من الطعام فلا يأكل من أجل أن رب البيت ليس ثم فقال الله تعالى (ليس على الاعمى حرج) الاية

لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عن أكل المال بالباطل ، والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي الطعام فانزل الله هذه الآية ٭ وعلى هذا التأويل يكون (على) بمعنى في أي ليس في الاعمى يعني ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى والاعرج والمريض . وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم ويقول الاعمى ربما آكل أكثر ويقول الاعرج ربما آخذ مكان الاثنين فنزلت هذه الآية . وقال مجاهد : نزلت الآية ترخصاً لهؤلاء في الاكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض

وقوله تعالى (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) انما ذكر هذا وهو معلوم ليعطف عليه غيره في اللفظ وليساوي به مابعده في الحكم وتضمن هذا بيوت الابناء لانه لم ينص عليهم ولهذا استدل بهذا من ذهب الى أن مال الولد بمنزلة مال أبيه ، وقد جاء في المسند والسنن من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنت ومالك لابيك » وقوله (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم — الى قوله — أو ماملكتم مفاتحه) هذا ظاهر وقد يستدل به من يوجب نفقة الاقارب بعضهم على بعض كما هو مذهب أبي حنيفة والامام أحمد بن حنبل في المشهور عنهما »

وأما قوله (أو ماملكت مفاتحه) فقال سعيد بن جبير والسدي هو خادم الرجل من عبد وقهرمان فلا بأس أن يأكل مما استودعه من الطعام بالمعروف » وقال الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان المسلمون يذهبون في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعون مفاتحهم إلى ضمنائهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا ما احتجتم اليه فكانوا يقولون انه لايحل لنا أن نأكل،انهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم ، وإنما نحن أمناء فأنزل الله (أوماملكتم مفاتحه) وقوله [أو صديقكم] أي بيوت أصدقائكم وأصحابكم فلا جناح عليكم في الاكل منها إذا علمتم أن ذلك لايشق عليهم ولا يكرهون ذلك ، وقال قتادة اذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير اذنه

وقوله (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية وذلك لما أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال المسلمون ان الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل من الاموال فلا يحل لاحد منا أن يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك فأنزل الله [ليس على الاعمى حرج - إلى قوله - أو صديقكم] وكانوا أيضا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم في ذلك فقال

من سمى الله في هذه الآية فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك الطعام ويقولون ذهب بنا إلى بيت غيره فأنزل الله هذه الآية . وقال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زمناهم[1] ويدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم . قال الحسن » نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد وقال تم الكلام عند قوله (ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام منقطع عما قبله ، وقيل لما نزل قوله (لا تأكلوا أموالكم بالباطل) قالوا لايحل لاحد منا أن يأكل عند أحد فانزل الله عز وجل ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي لاحرج عليكم أن تأكلوا من بيوت عيالكم وأزواجكم » وبيت المرأة كبيت الزوج . وقال ابن قتيبة: أراد من بيوت أولادكم نسب الاولاد إلى الآباء كما جاء في الحديث » أنت ومالك لابيك » ﴿ أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم

(١) الذي في ابن كثير ضمنائهم

[ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا] وقال قتادة: كان هذا الحي من بني كنانة يرى أحدهم ان مخزاة عليه أن يأكل وحده في الجاهلية حتى ان كان الرجل ليسوق الذود الحفل وهو جائع حتى يجد من يؤاكله ويشاربه فأنزل الله [ليس عليكم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا] فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده ومع الجماعة وان كان الاكل مع الجماعة أبرك وأفضل كما رواه الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده ان رجلا قال للنبي ﷺ انا نأكل ولا نشبع . قال « لعلكم تأكلون متفرقين، اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم به ، وقد روى ابن ماجه أيضا من حديث عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن أبيه عن عمر عن رسول الله ﷺ انه قال « كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة مع الجماعة »

وقوله (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري يعني فليسلم بعضكم على بعض ، وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته إلا يوجبه، قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس انه كان يقول : اذا دخل أحدكم بيته فليسلم . قال ابن جريج : قلت لعطاء أواجب اذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم » قال لا ولا أوثر وجوبه عن أحد ولكن هو أحب إلي وما أدعه الا ناسيا . وقال مجاهد : اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله ، واذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

وروى الثوري عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد : اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل بسم الله والحمد لله ، السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وقال قتادة : اذا دخلت

أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر . وقال الضحاك : يعني في بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده » والمفاتيح الخزائن لقوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب) ويجوز أن يكون الذي يفتح به » قال عكرمة : اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير ، وقال السدي الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه . وقال قوم (أو ما ملكتم مفاتحه) ما خزنتموه عندكم » قال مجاهد وقتادة من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وملكتم ﴿ أو صديقكم ﴾ الصديق الذي صدقك في المودة » قال ابن عباس نزلت في الحارث بن عمر رضي الله عنه خرج غازيا مع رسول الله ﷺ وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهوداً فسأله عن حاله فقال تحرجت أن آكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الآية ، وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه

على أهلك فسلم عليهم » واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه كان يؤمر بذلك » وحدثنا ان الملائكة ترد عليه

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن أنس قال : أوصاني النبي ﷺ بخمس خصال قال « يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك » وسلم على من لقيك من أمتي تكثر حسناتك، واذا دخلت - يعني بيتك - فسلم على أهلك يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين قبلك . يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة » . وقوله (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال محمد بن اسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقول : ما أخذت التشهد الا من كتاب الله سمعت الله يقول (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) فالتشهد في الصلاة: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . ثم يدعو لنفسه ويسلم » وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن اسحاق، والذي في صحيح مسلم عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ يخالف هذا والله أعلم

والتحرم بطعامه من غير استئذان منه في الاكل بهذه الآية والمعنى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير أن تتزودوا وتحملوا ، قوله ﴿ ليس عليكم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ﴾ نزلت في بني ليث بن بكر بن عمرو وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحداً أكل. هذا قول قتادة والضحاك وابن جريج ، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنهما كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول والله اني لاجنح أي أتحرج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية . وقال عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الانصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاءوا جميعا أو أشتاتا متفرقين ﴿ فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ﴾ أي يسلم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته وهو قول جابر وطاوس والزهري وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار » وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » حدثنا ان الملائكة ترد عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام على أهل البيت ورحمة الله . وروى عمرو بن دينار عن ابن

وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لما ذكر تعالى ما في هذه السورة الكريمة من الاحكام المحكمة والشرائع المتقنة المبرمة نبه تعالى عباده على انه يبين لعباده الآيات بيانا شافيا ليتدبروها ويتعقلوها لعلهم يعقلون

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه ، إن الذين يستئذنونك أولـئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم (٦٢)

وهذا ايضا ادب أرشد الله عباده المؤمنين اليه فكما امرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك امرهم بالاستئذان عند الانصراف لا سيما اذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صلاة جمعة او عيد او جماعة او اجتماع في مشورة ونحو ذلك امرهم الله تعالى أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه الا بعد استئذانه ومشاورته ، وان من يفعل ذلك فانه من المؤمنين الـكاملين ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا استأذنه احد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء ولهذا قال (فائذن لمن شئت منهم واستغفر لهم) الآية . وقد قال ابو داود حدثنا أحمد بن حنبل ومسدد قالا حدثنا بشر

عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿ تحية من عند الله ﴾ نصب على المصدر أي تحيون تحيـة ﴿ مباركة طيبة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيبة ههنا لما فيه من الثواب والاجر ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه ﴾ أي مع رسول الله ﷺ ﴿ على أمر جامع ﴾ يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة أو جمعة أو عيد او جماعة او تشاور في أمر نزل ﴿لم يذهبوا﴾ لم يتفرقوا عنه لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر ﴿ حتى يستأذنوه ﴾ قال المفسرون كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه فيعرف أنه إنما قام يستأذن فيأذن لمن شاء منهم . قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن ﴿ وإذا استأذن فللامام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن ، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة ويجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان ﴿ ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ﴾ أي أمرهم ﴿ فائذن لمن شئت منهم ﴾ في الانصراف معناه إذا شئت فائذن

هو ابن المفضل عن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد ان يقوم فليسلم فليست الاولى بأحق من الآخرة » وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عجلان به وقال الترمذي حديث حسن

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٦٣)

قال الضحاك عن ابن عباس كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاما لنبيه ﷺ قال فقولوا يا نبي الله يا رسول الله . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير . وقال قتادة: أمر الله أن يهاب نبيه ﷺ وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود . وقال مقاتل في قوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) يقول لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله . وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال أمرهم الله أن يشرفوه . هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) إلى آخر الآية وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون - إلى قوله - ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم) الآية فهذا كله من باب الادب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته

والقول الثاني في ذلك ان المعنى في (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي لا تعتقدوا ان دعاءه على غيره كدعاء غيره فان دعاءه مستجاب فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا . حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي والله أعلم

وقوله (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) قال مقاتل بن حيان هم المنافقون كان يثقل عليهم الحديث في يوم الجمعة ويعني بالحديث الخطبة فيلوذون ببعض أصحاب محمد ﷺ حتى يخرجوا من المسجد

وان شئت فلا تأذن ﴿واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم ۝ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه فان دعاءه موجب لنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره . وقال مجاهد وقتادة لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا: يا محمد يا ابن عبد الله . ولكن فخموه وشرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون﴾ أي يخرجون ﴿منكم لواذاً﴾ أي يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب واللواذ مصدر لاوذ يلاوذ ملاوذة ولواذاً قيل كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول

وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا باذن من النبي ﷺ في يوم الجمعة بعد ما يأخذ في الخطبة وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه الى النبي ﷺ فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل لان الرجل منهم كان اذا تكلم والنبي ﷺ يخطب بطلت جمعته

وقال السدي : كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم ، وقال قتادة في قوله (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) يعني لواذاً عن نبي الله وعن كتابه ، وقال سفيان (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) قال من الصف . وقال مجاهد في الآية (لواذا) قال خلافا . وقوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الاقوال والاعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ انه قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهراً (أن تصيبهم فتنة) أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة (أو يصيبهم عذاب أليم) أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك كما روى الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يعقن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها - قال - فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتتقحمون فيها » أخرجاه من حديث عبد الرزاق

ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤)

يخبر تعالى أنه مالك السموات والارض وانه عالم الغيب والشهادة وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم فقال (قد يعلم ما أنتم عليه) وقد للتحقيق كما قال قبلها (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) وقال تعالى (قد يعلم الله المعوقين منكم) الآية وقال تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك)

الله ﷺ مختفين ، قال ابن عباس رضي الله عنهما (لواذا) أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار ، ومعنى قوله (قد يعلم الله) التهديد بالمجازاة ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ أي أمره وعن صلة ، وقيل معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه ﴿ أن تصيبهم فتنة ﴾ أي لئلا تصيبهم فتنة قال مجاهد بلاء في الدنيا ﴿ أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ وجيع في الآخرة وقيل عذاب اليم عاجل في الدنيا ثم عظم نفسه فقال ﴿ ألا ان لله ما في السموات

الآية وقال (قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال (قد نرى تقلب وجهك في السماء) الآية فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بقد كقول المؤذن تحقيقا وثبوتا : قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة . فقوله تعالى (قد يعلم ماأنتم عليه) أي هو عالم به مشاهد له لا يعزب عنه مثقال ذرة كما قال تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم - إلى قوله - انه هو السميع العليم) وقوله (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) وقال تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي هو شهيد على عباده بما هم فاعلون من خير وشر ، وقال تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون) وقال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، الآية وقال تعالى (وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) وقال (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) والايات والاحاديث في هذا كثيرة جداً

وقوله (ويوم يرجعون اليه) أي ويوم يرجع الخلائق إلى الله وهو يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وحقير وصغير وكبير كما قال تعالى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحداً) ولهذا قال ههنا (ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم) والحمد لله رب العالمين ونسأله التمام

(آخر تفسير سورة النور ولله الحمد والمنة)

والارض ﴾ ملكا وعبيداً ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ من الايمان والنفاق أي يعلم وقد صلة ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾ يعني يوم البعث ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ من الخير والشر ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا عبد الله بن محمد بن شيبة ثنا محمد بن ابراهيم الكرابيسي ثنا سليمان بن توبة ابو داود الانصاري أنا محمد بن ابراهيم الشامي ثنا شعيب بن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور »

تفسير سورة الفرقان مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (١) الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا (٢)

يقول تعالى حامداً لنفسه الكريمة على مانزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) الاية وقال ههنا (تبارك) وهو تفاعل من البركة المستقرة الثابتة الدائمة (الذي نزل الفرقان) نزل فعل من التكرر والتكثر كقوله (والكتاب الذي نزل على رسوله * والكتاب الذي أنزل من قبل) لان الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة والقرآن نزل منجما مفرقا مفصلا آيات بعد آيات وأحكاما بعد أحكام وسوراً بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأشد اعتناء بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) ولهذا سماه ههنا الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والغي والرشاد ، والحلال والحرام

وقوله (على عبده) هذه صفة مدح وثناء لانه أضافه إلى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله وهي ليلة الاسراء فقال (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة اليه (وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه و نزول الملك اليه فقال [تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً]

وقوله [ليكون للعالمين نذيراً] أي انما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي جعله فرقانا عظيما ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء ويستقل على الغبراء كما قال ﷺ « بعثت إلى الاحمر والاسود » وقال

﴿ سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبارك ﴾ تفاعل من البركة عن ابن عباس معناه جاء بكل بركة دليله قول الحسن مجيء البركة من قبله » وقال الضحاك تعظم ﴿ الذي نزل الفرقان ﴾ أي القرآن ﴿ على عبده ﴾ محمد ﷺ ﴿ ليكون للعالمين نذيراً ﴾ أي للجن والانس قيل النذير هو القرآن وقيل محمد ﷺ ﴿ الذي له ملك السموات

«اني أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي »فذكر منهن « انه كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة» كما قال تعالى [قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا]الاية أي الذي أرسلني هو مالك السموات والارض الذي يقول للشيء كن فيكون وهو الذي يحيي ويميت « وهكذا قال ههنا [الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك] ونزه نفسه عن الولد وعن الشريك .ثم أخبر انه خلق كل شيء فقدره تقديراً أي كل شيء مما سواه مخلوق مربوب وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاء ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا (٣)

يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء المالك لأزمة الامور الذي ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ومع هذا عبدوا معه من الاصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً فكيف يملكون لعابديهم ؟(ولا يملكون موتا ولاحياة ولا نشوراً) أي ليس لهم من ذلك شيء بل ذلك كله مرجعه إلى الله عز وجل الذي هو يحيي ويميت ،وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم (ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة) كقوله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقوله (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون- إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون)فهو الله الذي لااله غيره ولارب سواه ولا تنبغي العبادة الا له لانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ،وهو الذي لاولد له ولا والد ولاعديل ولا بديل ولاوزير ولا نظير ،بل هو الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

وقال الذين كفروا إنْ هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما

وزورا(٤)وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تُملى عليه بُكرة وأصيلا (٥) قل أنزله الذي

والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء ﴾ مما يطلق عليه صفة المخلوق ﴿ فقدره تقديراً ﴾ فسواه وهيأه لما يصلح له لاخلل فيه ولا تفاوت « وقيل قدر لكل شيء تقديراً من الاجل والرزق فجرت المقادير على ماخلق

قوله عز وجل ﴿ واتخذوا ﴾ يعني عبدة الاوثان ﴿ من دونه آلهة ﴾ يعني الاصنام ﴿لايخلقون شيئا وهم يخلقون « ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا﴾ أي دفع ضر ولا جلب نفع ﴿ ولا يملكون موتا ولا حياة ﴾ أي اماتة واحياء ﴿ ولا نشورا ﴾ أي بعثا بعد الموت

قوله ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعني المشركين يعني النضر بن الحارث وأصحابه ﴿ إن هذا ﴾ ماهذا

يعلم السر في السموٰت والارض إنه كان غفورا رحيما (٦)

يقول تعالى مخبراً عن سخافة عقول الجهلة من الكفار في قولهم عن القرآن [ان هذا الا افك] أي كذب افتراه يعنون النبي ﷺ (وأعانه عليه قوم آخرون) أي واستعان على جمعه بقوم آخرين فقال الله تعالى(فقد جاءوا ظلما وزورا) أي فقد افتروا هم قولا باطلا وهم يعلمون أنه باطل ويعرفون كذب أنفسهم فيما زعموه (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها) يعنون كتب الاوائل أي استنسخها (فهي تملى عليه) أي تقرأ عليه (بكرة وأصيلا) أي في أول النهار وآخره وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته كل أحد منهم يعلم بطلانه فانه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمداً رسول الله ﷺ لم يكن يعاني شيئاً من الكتابة لا في أول عمره ولا في آخره وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحواً من أربعين سنة وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته وبره وأمانته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الاخلاق الرذيلة حتى أنهم كانوا يسمونه في صغره ، وإلى أن بعث الامين لما يعلمون من صدقه وبره فلما أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الاقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها وحاروا فيما يقذفونه به فتارة من افكهم يقولون ساحر وتارة يقولون شاعر وتاره يقولون مجنون وتارة يقولون كذاب

وقال الله تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وقال تعالى فى جواب ما عاندوا ههنا وافتروا (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض) الآية أي أنزل القرآن المشتمل على أخبار الاولين والآخرين أخباراً حقا صدقا مطابقا للواقع في الخارج ماضيا ومستقبلا الذي يعلم السر أي الله الذي يعلم غيب السموات والارض ، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر، وقوله تعالى (إنه كان غفوراً رحيما) دعاء لهم إلى التوبة والانابة وإخبار لهم بأن رحمته واسعة وان حلمه عظيم ، وأن من تاب اليه تاب عليه ، فهؤلاء مع كذبهم وافترائهم وفجورهم وبهتانهم وكفرهم وعنادهم وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا يدعوهم إلى التوبة والاقلاع عما هم فيه الى الاسلام والهدى كما قال

القرآن ﴿ إلا افك ﴾ كذب ﴿ افتراه ﴾ اختلقه محمد ﷺ ﴿ وأعانه عليه قوم آخرون ﴾ قال مجاهد يعني اليهود ، وقال الحسن هو عبيد بن الحصر الحبشي الكاهن ، وقيل جبر ويسار وعداس عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمداً ﷺ يأخذ منهم

قال الله تعالى ﴿ فقد جاءوا ﴾ يعني قائلي هذه المقالة ﴿ ظلما وزوراً ﴾ أي بظلم وزور فلما حذف الباء انتصب يعني جاءوا شركا وكذبا بنسبتهم كلام الله تعالى إلى الافك والافتراء ﴿ وقالوا أساطير الاولين اكتتبها ﴾ يعني النضر بن الحارث كان يقول إن هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار اكتتبها انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس ومعنى اكتتب

تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)وقال تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)
قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة

وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (٧) أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحورا (٨) انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا (٩) تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنت تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا (١٠) بل كذبو بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا (١١) إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (١٢) واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (١٣) لاتدعوا اليوم ثبورا وحدا وادعوا ثبورا كثيرا (١٤)

يخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم الحق بلا حجة ولا دليل منهم وانما تعللوا بقولهم (مالهذا الرسول يأكل الطعام) يعنون كما نأكله ويحتاج اليه كما نحتاج اليه (ويمشي في الاسواق)أي يتردد فيها واليها طلبا للتكسب والتجارة (لولا أنزل اليه فيكون معه نذيراً) يقولون هلا أنزل اليه ملك من عند الله فيكون له شاهداً على صدق مايدعيه

يعني طلب أن يكتب له لانه كان لايكتب ﴿ فهي تملى عليه ﴾ يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها ﴿ بكرة وأصيلا ﴾ غدوة وعشيا

قال الله عز وجل رداً عليهم ﴾ ﴿ قل أنزله ﴾ يعني القرآن ﴿ الذي يعلم السر ﴾ يعني الغيب ﴿في السموات والارض انه كان غفوراً رحيما ﴾ وقالوا مال هذا الرسول ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ يأكل الطعام ﴾ كما نأكل نحن ﴿ ويمشي في الاسواق يلتمس المعاش كما نمشي فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست أنت بملك ولا بملك لانك تأكل والملك لايأكل ولست بملك لان الملك لايتسوق وأنت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لان أكله الطعام لكونه آدميا ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة له وشيء من ذلك لاينافي النبوة ﴿ لولا أنزل اليه ملك ﴾ فيصدقه ﴿ فيكون معه نذيراً ﴾ داعيا ﴿أو يلقى اليه كنز ﴾ أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التردد والتصرف في طلب المعاش

وهذا كما قال فرعون (فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) وكذلك قال هؤلاء على السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا (أو يلقى اليه كنز) أي علم كنز ينفق منه (أو تكون له جنة يأ كل منها) أي تسير معه حيث سار ، وهذا كله سهل يسير على الله ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة البالغة (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) قال الله تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا) أي جاءوا بما يقذفونك به ويكذبون به عليك من قولهم ساحر مسحور مجنون كذاب شاعر وكلها أقوال باطلة كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك ولهذا قال (فضلوا)عن طريق الهدى (فلا يستطيعون سبيلا)وذلك أن كل من خرج عن الحق وطريق الهدى فانه ضال حيثما توجه لان الحق واحد ومنهجه متحد يصدق بعضه بعضا ثم قال تعالى مخبراً نبيه إنه إن شاء لآتاه خيراً مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن فقال (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك) الآية

قال مجاهد يعني في الدنيا قال وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصراً كبيراً كان أو صغيراً قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة قيل للنبي ﷺ إن شئت أن نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها ما لم نعطه نبيا قبلك ، ولا نعطي أحداً من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عندالله فقال « اجمعوها لي في الآخرة » فأنزل الله عز وجل في ذلك [تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك] الاية وقوله [بل كذبوا بالساعة] أي انما يقول هؤلاء هكذا تكذيبا وعنادا لأنهم يطلبون ذلك تبصراً واسترشاداً بل تكذيبهم بيوم مقامة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الاقوال (وأعتدنا) أي أرصدنا [لمن كذب بالساعة سعيراً] أي عذابا أليما حاراً لا يطاق في نار جهنم

﴿ أو تكون له جنة ﴾ بستان ﴿ يأكل منها ﴾ قرأ حمزة والكسائي نأكل بالنون أي نحن نأكل منها ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾ مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق ﴿ انظر ﴾ يامحمد ﴿ كيف ضربوا لك الامثال ﴾ يعني الاشباه فقالوا مسحور محتاج وغيره ﴿ فضلوا ﴾ عن الحق ﴿فلا يستطيعون سبيلا ﴾ إلى الهدى ومخرجا عن الضلالة

قوله ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴾ الذي قالوا وأفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا ، وروى عكرمة عن ابن عباس قال يعني خيرا من المشي في الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال ﴿ جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصوراً ﴾ بيوتا مشيدة والعرب تسمي كل بيت مشيد قصراً ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر ويجعل برفع اللام وقرأ الآخرون بجزمها على محل الجزاء في قوله (إن شاء جعل لك)

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبدالله

قال الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير [السعير] واد من قيح جهنم . وقوله [إذا رأتهم] أي جهنم [من مكان بعيد] يعني في مقام المحشر . قال السدي من مسيرة مائة عام [سمعوا لها تغيظاً وزفيرا) أي حنقا عليهم كما قال تعالى (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ) أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله

وروى ابن أبي حاتم حدثنا ادريس بن حاتم بن الاحنف الواسطي أنه سمع محمد بن الحسن الواسطي عن أصبغ بن زيد عن خالد بن كثير عن خالد بن دريك باسناده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « من يقل عليّ مالم أقل أو ادعى إلى غير والديه أو انتمى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار - وفي رواية - فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا » قيل يارسول الله وهل لها من عينين ؟ قال « أماسمعتم الله يقول (إذا رأتهم من مكان بعيد) » الاية ورواه ابن جرير عن محمد بن خداش عن محمد بن يزيد الواسطي به . وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل قال خرجنا مع عبدالله يعني ابن مسعود ومعنا الربيع بن خثيم فمروا على حداد فقام عبدالله ينظر الى حديدة في النار ، وينظر الربيع بن خثيم اليها فتمايل الربيع ليسقط فمر عبدالله على أبون على شاطىء الفرات فلما رآه عبدالله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الاية (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) فصعق يعني الربيع وحملوه الى أهل بيته فرابطه عبدالله الى الظهر فلم يفق رضي الله عنه « وحدثنا أبي حدثنا عبدالله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال « ان العبد ليجر الى النار فتشهق اليه شهقة البغلة الى الشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد الاخاف . هكذا رواه ابن أبي حاتم باسناده مختصرا » وقد رواه الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا عبيدالله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد باسناده الى ابن

ابن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني عبيدالله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم بن أبي عبدالرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما - أوقال - ثلاثا أو نحو هذا - فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، واذا شبعت حمدتك وشكرتك »

حدثنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيدالله الفارسي أنا أبو ذر محمد بن ابراهيم الصالحاني أنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ أنا أبو يعلى ثنا محمد بن بكار ثنا أبو معشر عن سعيد يعني المقبري عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ياعائشة « لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت نبيا عبداً وإن شئت نبيا ملكا فنظرت إلى جبريل فأشار إلي أن ضع نفسك » وفي روايه ابن

عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فتنزوي وتنقبض بعضها الى بعض فيقول لها الرحمن مالك؟ قالت انه يستجير مني فيقول أرسلوا عبدي وان الرجل ليجر الى النار فيقول يارب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان ظنك؟ فيقول أن تسعني رحمتك . فيقول أرسلوا عبدي وان الرجل ليجر الى النار فتشهق اليه النار شهوق البغلة الى الشعير وتزفر زفرة لايبقى أحد الا خاف وهذا اسناد صحيح

وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) قال ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه ترتعد فرائصه حتى إن ابراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه ويقول : رب لا أسألك اليوم الا نفسي . وقوله (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين) قال قتادة عن أبي أيوب عن عبدالله بن عمرو قال : مثل الزج في الرمح أي من ضيقه . وقال عبدالله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن يحيى بن أبي أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه سئل عن قول الله (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا) قال «والذي نفسي بيده انهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط» وقوله (مقرنين) قال أبو صالح يعني مكتفين (دعوا هنالك ثبورا) أي بالويل والحسرة والخيبة(لاتدعوا اليوم ثبوراً واحدا) الآية . روى الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادي ياثبوراه وينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار فيقول ياثبوراه ويقولون ياثبوراه فيقال لهم لاتدعوا

عباس فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل بيده أن تواضع فقلت « نبيا عبداً » قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لايأكل متكئا يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد

قوله عز وجل ﴿ بل كذبوا بالساعة ﴾ بالقيامة ﴿ وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ﴾ ناراً متسعرة ﴿ اذا رأتهم من مكان بعيد ﴾ قال الكلبي والسدي من مسيرة عام ، وقيل من مسيرة مائة سنة وقيل خمسمائة سنة ، وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كذب علي متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً » قالوا وهل لها من عينين ؟ قال « نعم ألم تسمعوا قول الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد » وقيل اذا رأتهم زبانيتها ﴿ سمعوا لها تغيظا ﴾ غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب ﴿ وزفيرا ﴾ صوتا ، فان قيل كيف يسمع التغيظ ؟ قيل معناه رأوا وعلموا أن لها تغيظا وسمعوا لها زفيراً كما قال الشاعر :

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا

أي وحاملا رمحا ، وقيل (سمعوا لها تغيظا) أي صوت التغيظ من التلهب والتوقد ، قال عبيد بن

اليوم ثبورا واحدا « وادعوا ثبورا كثيرا » لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن عفان به ، ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) الآية أي لاتدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا ، وقال الضحاك الثبور الهلاك والاظهر أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار كما قال موسى لفرعون (واني لاظنك يافرعون مثبورا) أي هالكا كما قال عبيدالله بن الزبعري

اذ أجاري الشيطان في سنن الغي . ومن مال ميله مثبور

قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وُعد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيراً (١٥) لهم فيها مايشاءون خلدين كان على ربك وعداً مسئولا (١٦)

يقول تعالى: يامحمد هذا الذي وصفناه لك من حال الاشقياء الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم فتلقاهم بوجه عبوس وتغيظ وزفير ويلقون في أماكنها الضيق مقرنين لايستطيعون حراكا ولا استنصارا ولا فكاكا مما هم فيه أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين من عباده التي أعدها لهم وجعلها لهم جزاءً ومصيرا على ما أطاعوه في الدنيا وجعل مآلهم اليها (لهم فيها مايشاءون) من الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد وهم في ذلك خالدون أبدا دائما سرمدا بلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء ولا يبغون عنها حولا وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم وأحسن به اليهم « ولهذا قال (كان على ربك وعدا مسئولا) أي لابد أن يقع وأن يكون كما حكاه أبو جعفر ابن جرير عن بعض علماء العربية أن معنى قوله (وعدا مسئولا) أي وعدا واجبا

عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه ﴿ واذا ألقوا منها مكانا ضيقا ﴾ قال ابن عباس يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح ﴿ مقرنين ﴾ مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الاغلال « وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل ﴿ دعوا هنالك ثبورا ﴾ قال ابن عباس ويلا ، وقال الضحاك هلاكا وفي الحديث « ان أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي ياثبوراه وينادون ياثبورهم فيقال لهم « ﴿ لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبوراً كثيراً ﴾ قيل أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة

قوله عز وجل ﴿ قل أذلك ﴾ يعني الذي ذكرته من صفة النار وأهلها ﴿ خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ﴾ ثوابا ﴿ ومصيراً ﴾ مرجعا ﴿ لهم فيها مايشاءون خالدين كان على ربك

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس (كان على ربك وعدا مسئولا) يقول سلوا الذي وعدتكم أو قال أو اعدنا كم ننجز ، وقال محمد بن كعب القرظي في قوله (كان على ربك وعدا مسئولا) ان الملائكة تسأل لهم ذلك (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم)

وقال أبو حازم إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا فانجز لنا ماوعدتنا فذلك قوله (وعدا مسئولا) وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ثم التنبيه على حال أهل الجنة كما ذكر تعالى في سورة الصافات حال أهل الجنة وما فيها من النضرة والحبور ثم قال (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * انها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رءوس الشياطين * فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم * ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم * انهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون)

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (١٧) قالو سبحـنك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا (١٨) فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ، ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا (١٩)

يقول تعالى مخبرا عما يقع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم فقال (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله)

قال مجاهد هو عيسى والعزير والملائكة (فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء) الآية أي فيقول

وعداً مسؤلا ﴾ مطلوبا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) يقول كان أعطى الله المؤمنين جنة الخلد وعداً وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسئلتهم إياه ذلك، قال محمد بن كعب القرظي الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم) ﴿ ويوم يحشرهم ﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب وحفص (يحشرهم) بالياء وقرأ الباقون بالنون ﴿ وما يعبدون من دون الله ﴾ قال مجاهد من الملائكة والجن والانس وعيسى وعزير * وقال عكرمة والضحاك والكلبي يعني الاصنام، ثم يخاطبهم ﴿ فيقول ﴾ قرأ ابن عامر بالنون والآخرون بالياء ﴿ أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ أخطؤا الطريق ﴿ قالوا سبحانك﴾ نزهوا الله من أن يكون معه إله ﴿ ماكان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ﴾ يعني ماكان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم ، وقيل ماكان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك وقرأ أبو جعفر (أن نتخذ) بضم النون وفتح الخاء فتكون من الثاني صلة ﴿ ولكن متعتهم وآباءهم ﴾ في الدنيا

تبارك وتعالى للمعبودين أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم كما قال الله تعالى (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ▪ ماقلت لهم إلا ما أمرتني به) الآية ولهذا قال تعالى مخبرا عما يجيب به المعبودون يوم القيامة (قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) قرأ الاكثرون بفتح النون من قوله (نتخذ من دونك من أولياء) أي ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك لا نحن ولا هم فنحن مادعوناهم الى ذلك بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك) الآية وقرأ آخرون (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ [1] من دونك من أولياء) أي ماينبغي لاحد أن يعبدنا فانا عبيد لك فقراء اليك وهي قريبة المعنى من الاولى (ولكن متعتهم وآباءهم) أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر أي نسوا ماأنزلته اليهم على ألسنة رسلك من الدعوة الى عبادتك وحدك لاشريك لك (وكانوا قوما بورا) قال ابن عباس أي هلكى ، وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري أي لاخير فيهم . وقال ابن الزبعرى حين أسلم

يا رسول المليك ان لساني راتق مافتقت اذ أنا بور
إذ أجاري الشيطان في سنن الـ ـغي ومن مال ميله مثبور

قال الله تعالى (فقد كذبوكم بما تقولون) أي فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم انهم لكم أولياء وانهم يقربونكم إلى الله زلفى كقوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ▪ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقوله (فلا يستطيعون صرفا ولا نصراً) أي لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لانفسهم (ومن يظلم منكم) أي يشرك بالله (نذقه عذابا كبيراً)

[1] أي بضم النون وفتح الخاء

بطول العمر والصحة والنعمة ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾ تركوا الموعظة والايمان بالقرآن ، وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه ﴿ وكانوا قوما بوراً ﴾ يعني هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان يقال رجل بائر وقوم بور وأصله من البوار وهو الكساد والفساد ومنه بوار السلعة وهو كسادها ، وقيل هو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث

قوله ﴿ فقد كذبوكم ﴾ هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون ﴿ بما تقولون ﴾ انهم آلهة ﴿ فما تستطيعون ﴾ قرأ حفص بالتاء يعني العابدين ، وقرأ الآخرون بالياء يعني الآلهة ﴿صرفا﴾ يعني صرف العذاب عن أنفسهم ﴿ ولا نصراً ﴾ يعني ولا نصر أنفسهم ، وقيل ولا نصركم أيها العابدون

وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ؕ وكان ربك بصيرا (٢٠)

يقول تعالى مخبراً عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين انهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون إلى التغذي به ويمشون في الاسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم فان الله تعالى جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والاقوال الفاضلة، والاعمال الكاملة والخوارق الباهرة والادلة الظاهرة مايستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ماجاءوا به من الله ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) وقوله [وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام] الاية

وقوله تعالى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) أي اختبرنا بعضكم ببعض وبلونا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع ممن يعصي ولهذا قال (أتصبرون وكان ربك بصيرا) أي بمن يستحق أن يوحى اليه كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك، وقال محمد بن إسحاق في قوله [وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون] قال يقول الله لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بهم وابتليكم بهم

من عذاب الله بدفع العذاب عنكم، وقيل الصرف الحيلة ومنه قول العرب انه ليصرف أي يحتال ﴿ ومن يظلم ﴾ بشرك ﴿ منكم نذقه عذابا كبيراً ﴾

قوله عز وجل ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين ﴾ يا محمد ﴿ إلا انهم ليأكلون الطعام ﴾ روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما عير المشركون رسول الله ﷺ (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) أنزل الله عز وجل هذه الآية أي ما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقيل معناه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل لهم مثل هذا انهم يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق كما قال في موضع آخر (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ﴾ أي بلية فالغني فتنة للفقير يقول الفقير مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع، وقال ابن عباس أي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى، وقيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك أن الشريف اذا أراد أن يسلم فرأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال أسلم بعده فيكون له علي السابقة والفضل فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وهذا قول الكلبي وقال مقاتل نزلت في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث وذلك أنهم لما رأوا ابا ذر وابن مسعود وعماراً وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قالوا أنسلم فنكون مثل هؤلاء؟

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى اني مبتليك ومبتلي بك » وفي المسند عن رسول الله ﷺ « لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة » وفي الصحيح انه عليه أفضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبيا ملكا أو عبدا رسولا فاختار أن يكون عبدا رسولا

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملئكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً (٢١) يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً (٢٢) وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلنه هباء منثوراً (٢٣) أصحب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا (٢٤)

يقول تعالى مخبرا عن تعنت الكفار في كفرهم ، وعنادهم في قولهم [لولا أنزل علينا الملائكة] أي بالرسالة كما تنزل على الانبياء كما أخبر الله عنهم في الاية الاخرى [قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله] ويحتمل أن يكون مرادهم ههنا [لولا أنزل علينا الملائكة] فنراهم عيانا فيخبرونا أن محمدا رسول الله كقولهم [حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا] وقد تقدم تفسيرها في سورة سبحان ولهذا قالو [أو نرى ربنا] ولهذا قال الله تعالى [لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا] وقد قال تعالى [ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى] الاية

وقوله تعالى [يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا] أي هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم بل يوم يرونهم لا بشرى يومئذ لهم وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار ، والغضب من الجبار ، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه : اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث ، اخرجي الى سموم وحميم وظل من يحموم فتأبى الخروج وتتفرق في البدن فيضربونه كما قال الله تعالى [ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم] الاية وقال تعالى [ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم] أي بالضرب [أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير

وقال مقاتل نزلت في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمداً من موالينا وأراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين ﴿ أتصبرون ﴾ يعني على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى ﴿ وكان ربك بصيراً ﴾ بمن صبر وبمن جزع

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر احمد بن الحسن انا أبو العباس الاصم ثنا زكريا بن يحيى المروزي ثنا سفيان بن عيينة عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال « اذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم [1] فلينظر إلى من دونه في المال والجسم [1] »

(١) في نسخة والحسم

الحق وكنتم عن آياته تستكبرون] ولهذا قال في هذه الآية الكريمة [يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين] وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم فانهم يبشرون بالخيرات ، وحصول المسرات ۔ قال الله تعالى [ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ۔ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم]

وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب: ان الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان . وقد تقدم الحديث في سورة ابراهيم عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ۔ ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقال آخرون : بل المراد بقوله (يوم يرون الملائكة لا بشرى) يعني يوم القيامة . قاله مجاهد والضحاك وغيرهما ، ولا منافاة بين هذا وما تقدم فان الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تتجلى للمؤمنين وللكافرين فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ۔ وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران فلا بشرى يومئذ للمجرمين (ويقولون حجراً محجوراً) أي وتقول الملائكة للكافرين حرام محرم عليكم الفلاح اليوم . وأصل الحجر المنع ومنه يقال حجر القاضي على فلان إذا منعه التصرف اما لفلس او سفه او صغر او نحو ذلك ۔ ومنه سمي الحجر عند البيت الحرام لانه يمنع الطواف أن يطوفوا فيه وإنما يطاف من ورائه ۔ ومنه يقال للعقل حجر لانه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق والغرض ان الضمير في قوله [ويقولون] عائد على الملائكة هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعطية العوفي وعطاء الخراساني وخصيف وغير واحد واختاره ابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو نعيم حدثنا موسى يعني ابن قيس عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري في الآية (ويقولون حجراً محجوراً) قال حراما محرما أن يبشر بما يبشر به المتقون ۔ وقد حكى ابن جرير عن ابن جريج انه قال ذلك من كلام المشركين [يوم يرون الملائكة] أي يتعوذون من الملائكة، وذلك ان العرب كانوا إذا نزل باحدهم نازلة أو شدة يقول [حجراً محجوراً] وهذا

قوله ﴿ وقال الذين لايرجون لقاءنا ﴾ أي لايخافون البعث ۔ قال الفراء الرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة ومنه قوله تعالى (مالكم لاترجون لله وقاراً) أي لاتخافون لله عظمة ﴿ لولا أنزل علينا الملائكة ﴾ فتخبرنا أن محمداً صادق ﴿ أو نرى ربنا ﴾ فيخبرنا بذلك ﴿ لقد استكبروا ﴾ أي تعظموا ﴿ في أنفسهم ﴾ بهذه المقالة وعتوا عتواً كبيراً ﴾ قال مجاهد عتواً طغواً ، قال مقاتل (عتواً) غلواً في القول والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ عند الموت ۔ وقيل في القيامة ﴿ لابشرى يومئذ للمجرمين ﴾ للكافرين وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم

القول وان كان له مأخذ ووجه ولكنه بالنسبة إلى السياق بعيد لا سيما وقد نص الجمهور على خلافه ، ولكن قد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد انه قال في قوله [حجراً محجوراً] أي عوذاً معاذاً فيحتمل انه أراد ما ذكره ابن جريج ولكن في رواية ابن أبي حاتم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه قال [حجراً محجوراً] عوذاً معاذاً الملائكة تقول ذلك فالله أعلم

وقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل) الآية هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر فاخبر انه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الاعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء ، وذلك لانها فقدت الشرط الشرعي إما الاخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله ، فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل ، فاعمال الكفار لا تخلوا من واحد من هذين وقد تجمعهما معا فتكون أبعد من القبول حينئذ ولهذا قال تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) قال مجاهد والثوري (وقدمنا) أي عمدنا وكذا قال السدي وبعضهم يقول أتينا عليه

وقوله تعالى (فجعلناه هباء منثوراً) قال سفيان الثوري عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه في قوله (هباء منثورا) قال شعاع الشمس إذا دخل الكوة ، وكذا روي من غير هذا الوجه عن علي ، وروي مثله عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي والضحاك وغيرهم ، وكذا قال الحسن البصري هو الشعاع في كوة أحدكم ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (هباء منثوراً) قال هو الماء المهراق ، وقال أبو الاحوص عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي (هباء منثورا) قال الهباء وهج الدواب ، وروي مثله عن ابن عباس أيضا والضحاك وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقال قتادة في قوله (هباء منثورا) قال أما رأيت يبس الشجر إذا ذرته الريح فهو ذلك الورق ، وقال عبد الله بن وهب أخبرني عاصم بن حكيم عن أبي سريع الطائي عن عبيد بن يعلى قال وان الهباء الرماد اذا ذرته الريح ، وحاصل هذه الاقوال التنبيه على مضمون الآية وذلك انهم عملوا أعمالا اعتقدوا أنها على شيء ، فلما عرضت على الملك الحكم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحداً إذا انها لا شيء بالكلية ، وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية كما قال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم

القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم هكذا قال عطية ، وقال بعضهم معناه أنه لا بشرى يوم القيامة للمجرمين أي لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المؤمنون ﴿ ويقولون حجراً محجوراً ﴾ قال عطاء عن ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله ، وقال مقاتل اذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن يكون لكم البشرى ، وقال بعضهم هذا قول الكفار للملائكة ، قال ابن جريج كانت العرب اذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجوراً فهم يقولونه اذا عاينوا الملائكة ، قال مجاهد يعني عوذاً معاذاً يستعيذون به من الملائكة ﴿ وقدمنا ﴾

أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى – إلى قوله تعالى – لا يقدرون على شيء مما كسبوا) وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وتقدم الكلام على تفسير ذلك ولله الحمد والمنة

وقوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) أي يوم القيامة (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون) وذلك ان أهل الجنة يصيرون الى الدرجات العاليات والغرفات الآمنات فهم في مقام أمين حسن المنظر طيب المقام (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) وأهل النار يصيرون الى الدركات السافلات والحسرات المتتابعات وأنواع العذاب والعقوبات (انها ساءت مستقرا ومقاما) أي بئس المنزل منظرا وبئس المقيل مقاما ولهذا قال تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا) أي بما عملوه من الاعمال المتقبلة نالوا ما نالوا وصاروا الى ما صاروا اليه بخلاف أهل النار فانهم ليس لهم عمل واحد يقتضي دخول الجنة لهم والنجاة من النار فنبه تعالى بحال السعداء على حال الاشقياء وانه لا خير عندهم بالكلية فقال تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) قال الضحاك عن ابن عباس انما هي ساعة فيقيل أولياء الله على الاسرة مع الحور العين ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين . وقال سعيد بن جبير : يفرغ الله من الحساب نصف النهار فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال الله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقال عكرمة اني لاعرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وهي الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الاكبر اذا انقلب الناس الى أهليهم للقيلولة فينصرف أهل النار الى النار ، وأما أهل الجنة فينطلق بهم الى الجنة فكانت قيلولتهم في الجنة واطعموا كبد حوت فاشبعهم كلهم وذلك قوله (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقال سفيان عن ميسرة عن المنهال عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقرأ (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم)

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا)قال قالوا

وعمدنا ﴿ إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾ أي باطلا لا ثواب له لأنهم لم يعملوه لله عزوجل واختلفوا في الهباء قال علي هو ما يرى في الكوة اذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار ولا يمس بالايدي ولا يرى في الظل وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد والمنثور المفرق ، وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر ، وقال مقاتل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير ، وقيل الهباء المنثور ما يرى في الكوة والهباء المنبث هو ما تطيره الرياح من سنابك الخيل

في الغرف من الجنة وكان حسابهم اذ عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله تعالى (فاما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب الى أهله مسرورا

وقال قتادة (خير مستقرا وأحسن مقيلا) مأوى ومنزلا ، وقال قتادة وحدث صفوان بن محرز انه قال : يجاء برجلين يوم القيامة أحدهما كان ملكا في الدنيا الى الحمرة والبياض فيحاسب فاذا عبد لم يعمل خيرا قط فيؤمر به الى النار والآخر كان صاحب كساء في الدنيا فيحاسب فيقول يارب ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به فيقول الله : صدق عبدي فارسلوه فيؤمر به الى الجنة ثم يتركان ما شاء الله ثم يدعي صاحب النار فاذا هو مثل الحممة السوداء فيقال له كيف وجدت فيقول شر مقيل فيقال له عد ثم يدعى بصاحب الجنة فاذا هو مثل القمر ليلة البدر فيقال له كيف وجدت ؟ فيقول رب خير مقيل فيقال له عد . رواها ابن أبي حاتم كلها

وقال ابن جرير : حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث ان سعيد الصواف حدثه انه بلغه ان يوم القيامة يقصر على المؤمن حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس وانهم يتقلبون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وذلك قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا)

ويوم تشقق السماء بالغمـٰم ونزل الملـٰئكة تنزيلا (٢٥) الملك يومئذ الحق للرحمـٰن وكان يوما على الكـٰفرين عسيرا (٢٦) ويوم يعض الظـٰلم على يديه يقول يـٰليتني اتخذت مع الرسول سبيلا (٢٧) يـٰويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا (٢٨) لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطـٰن للانسـٰن خذولا (٢٩)

قوله عز وجل ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً ﴾ أي من هؤلاء المشركين المتكبرين ﴿ وأحسن مقيلا ﴾ موضع قائلة يعني أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة ، قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقرأ (ثم إن مقيلهم لالى الجحيم) هكذا كان يقرأ ، وقال ابن عباس في هذه الآية الحساب ذلك اليوم في أوله ، وقال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة قال الازهري القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال (وأحسن مقيلا) والجنة لا نوم فيها ، ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس

قوله عز وجل ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ﴾ أي عن الغمام الباء وعن يتعاقبان كما يقال رميت عن القوس وبالقوس وتشقق بمعنى تتشقق أدغموا إحدى التاءين في الاخرى ، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة

يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الامور العظيمة فمنها انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام وهو ظل النور العظيم الذي يبهر الابصار ونزول ملائكة السموات يومئذ فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء . قال مجاهد وهذا كما قال تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلال من الغمام والملائكة) الآية

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا مؤمل حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس رضي الله عنهما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والانس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والانس ومن جميع الخلق فيحيطون بالجن والانس وبجميع الخلق ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والانس وجميع الخلق وهم أكثر من اهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق . ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والانس وجميع الخلق، ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تنشق السماء السابعة فينزل أهلها وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والانس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات وبالجن والانس وجميع الخلق كلهم وينزل ربنا عز وجل في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والانس ، وجميع الخلق لهم قرون ككعب القنا وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله عز وجل ما بين أخمص قدم أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه إلى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته إلى حجزته[1] مسيرة خمسمائة عام وما بين حجزته إلى

(١) في النسخة المكية ارنبته

بتخفيف الشين ههنا وفي سورة (ق) بحذف إحدى التاءين ، وقرأ الآخرون بالتشديد أي تتشقق بالغمام وهو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني اسرائيل في تيههم ﴿ ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ قرأ ابن كثير وننزل بنونين خفيف ورفع اللام الملائكة نصب، قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الارض من الجن والانس ، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ أي الملك الذي هو الملك الحق حقا ملك الرحمن يوم القيامة ، قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره ﴿ وكان يوما على الكافرين عسيراً ﴾ شديداً فهذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيراً . وجاء في الحديث « أنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا

ترقوته مسيرة خمسمائة عام وما بين ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام وجهنم محسه ، هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق

وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الحجاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد ابن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت ينزل منها من الملائكة أكثر من الانس والجن وهو يوم التلاق يوم يلتقى أهل السماء وأهل الارض فيقول أهل الارض جاء ربنا؟ فيقولون لم يجيء وهو آت ثم تنشق السماء الثانية ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس . قال فتنزل الملائكة الكروبيون ثم يأتي ربنا في حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة . قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه [1] يقول سبحان الملك القدوس وعلى رءوسهم شيء مبسوط كأنه القنا والعرش فوق ذلك. ثم وقف فمداره على علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف في سياقاته غالبا وفيها نكارة شديدة

(١) في نسخة يديه

وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا والله أعلم ، وقد قال الله تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة ■ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ■ والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك . وأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك رواه ابن جرير عنه

قوله ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾ أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا اليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ « ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » فقال عقبة أشهد ان لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فأكل رسول الله ﷺ من طعامه وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف ، فلما أخبر أبي بن خلف قال له ياعقبة صبأت ، قال لا والله ماصبأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم ، فقال ماأنا بالذي أرضى عنك أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام « لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبراً ، وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد بيده ، وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه وكان أثر ذلك فيه حتى الموت ، وقال الشعبي كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية [1] بن خلف فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من

(١) هو أخو أبي المتقدم

وقال أبو بكر بن عبدالله اذا نظر أهل الارض الى العرش يهبط عليهم من فوقهم (شخصت اليه أبصارهم) ورجفت كلاهم في أجوافهم وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم الى حناجرهم .

قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا المعتمر بن سليمان عن عبدالجليل عن أبي حازم عن عبدالله بن عمرو قال : يهبط الله عز وجل حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون الف حجاب منها النور والظلمة فيصوت في تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب. وهذا موقوف على عبدالله بن عمرو من كلامه ولعله من الزاملتين والله أعلم

وقوله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن) الآية كما قال تعالى : لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار وفي الصحيح أن الله تعالى يطوي السموات بيمينه ويأخذ الارضين بيده الاخرى ثم يقول :أنا الملك أنا الديان أين ملوك الارض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ وقوله (وكان يوما على الكافرين عسيراً) أي شديداً صعبا لانه يوم عدل وقضاء فصل كما قال تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير) فهذا حال الكافرين في هذا اليوم ، وأما المؤمنون فكما قال تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر) الآية

وروى الامام أحمد ثنا حسين بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يارسول الله (يوم كان مقداره خمسين الف سنة) ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ « والذي

وجهك إن بايعت محمداً فكفر وارتد فأنزل الله عز وجل (ويوم يعض الظالم) يعني عقبة بن ابي معيط ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه ندما وأسفاً على مافرط في جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر بالله بطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه ، قال عطاء يأكل يديه حتى تبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم يأكل هكذا كلما نبتت يده أكلها تحسراً على مافعل ﴿يقول ياليتني اتخذت﴾ في الدنيا ﴿مع الرسول سبيلا﴾ ليتني اتبعت محمداً ﷺ واتخذت معه سبيلا إلى الهدى، قرأ أبو عامر (ياليتني اتخذت) بفتح الياء والآخرون باسكانها ﴿ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا﴾ يعني أبي بن خلف ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ عن الايمان والقرآن ﴿بعد إذ جاءني يعني الذكر مع الرسول ﴿وكان الشيطان﴾ وهو كل متمرد عات من الانس والجن وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان ﴿للانسان خذولا﴾ أي تاركا يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب، وحكم هذه الآية عام في حق كل متحابين اجتمعا على معصية الله

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن العلاء انا ابو أسامة عن بزيد عن ابي بردة عن ابي موسى عن النبي ﷺ قال « مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة »

نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » وقوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) الآية يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ﷺ وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا مرية فيه وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول فاذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعض على يديه حسرة وأسفا وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الاشقياء فانها عامة في كل ظالم كما قال تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار) الآيتين فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم » ويعض على يديه قائلا ياليتني (اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة ، وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرهما (لقد أضلني عن الذكر) وهو القرآن بعد إذ جاءني أي بعد بلوغه إلي قال الله تعالى (وكان الشيطان للانسان خذولا) أي يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه اليه

وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً (٣٠) وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا (٣١)

يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال « يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) الآية فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعونه فهذا من هجرانه » وترك الايمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره

أخبرنا ابو بكر محمد بن عبدالله بن ابي توبة انا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا محمد بن يعقوب الكسائي انا عبدالله بن محمود انا ابراهيم بن عبدالله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن حيوة بن شريح اخبرني سالم بن غيلان ان الوليد بن قيس التجيبي اخبره انه سمع ابا سعيد الخدري قال سالم أو عن ابي الهيثم عن ابي سعيد انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك الا تقي »

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو بكر محمد بن احمد بن اسكاب النيسابوري انا ابو العباس الاصم ثنا حميد بن عياش الرملي انا مؤمل بن اسماعيل ثنا زهير بن محمد الخراساني ثنا موسى بن وردان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »

قوله تعالى ﴿ وقال الرسول ﴾ يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم ﴿ يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ يعني متروكا فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه » وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو

وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ▪ فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخطه ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه انه كريم وهاب

وقوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الامم الماضين لان الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين يدعون الناس الى ضلالهم وكفرهم كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) الآيتين ولهذا قال تعالى ههنا (وكفى بربك هاديا ونصيرا) أي لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه وصدقه واتبعه فان الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة وانما قال (هاديا ونصيرا) لان المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن لئلا يهتدي أحد به ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن فلهذا قال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) الآية

وقال الذين كفروا لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة. كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا (٣٢) ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً (٣٣) الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا (٣٤)

يقول تعالى مخبراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم حيث قالوا (لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة) أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي اليه جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة كالتوراة والانجيل والزبور وغيرها من الكتب الالهية فأجابهم الله تعالى عن ذلك بانه إنما نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج اليه من

الهذيان والقول السيء فزعموا انه شعر وسحر وهو قول النخعي ومجاهد ▪ وقيل قال الرسول يعني محمداً ﷺ يشكو قومه الى الله (يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) فعزاه الله تعالى فقال ﴿ وكذلك جعلنا ﴾ يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا ﴿ لكل نبي عدواً من المجرمين ﴾ يعني المشركين قال مقاتل يقول لايكبرن عليك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فاصبر لأمري كما صبروا فاني ناصرك وهاديك

قوله ﴿ وكفى بربك هاديا ونصيراً ▪ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ كذلك ﴾ فعلنا ﴿ لنثبت به فؤادك ﴾ يعني أنزلناه متفرقا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب أنزلت على

الاحكام ليثبت قلوب المؤمنين به كقوله [وقرآنا فرقناه] ولهذا قال [لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا] قال قتادة بيناه تبيينا . وقال ابن زيد وفسرناه تفسيرا (ولا يأتونك بمثل) أي بحجة وشبهة (إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) أي ولا يقولون قولا يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الامر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم . قال سعيد بن جبير عن ابن عباس [ولا يأتونك بمثل] أي بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول [الا جئناك بالحق] الآية أي الا نزل جبريل من الله تعالى بجوابهم وما هذا الا اعتناء وكبير شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله عزوجل بالقرآن صباحا ومساء وليلا ونهاراً سفراً وحضراً وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كانزال الكتاب مما قبله من الكتب المتقدمة فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر اخوانه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ٭ فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى ٭ وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا ففي الملأ الاعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك الى الارض منجما بحسب الوقائع والحوادث

وروى النسائي باسناده عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة . قال الله تعالى [ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا] وقال تعالى [وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا]

ثم قال تعالى مخبرا عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم الى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) وفي الصحيح عن أنس ان رجلا قال يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال «ان الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين

أنبياء يكتبون ويقرءون وأنزل الله القرآن على نبي أمي لايكتب ولا يقرأ ، ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ماهو جواب لمن سأل عن أمور ففرقناه ليكون اوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به ﴿ ورتلناه ترتيلا ﴾ قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترتيل وتثبيت ٭ وقال السدي فصلناه تفصيلا ، وقال مجاهد بعضه في اثر بعض ، وقال النخعي والحسن فرقناه تفريقا آية بعد آية ﴿ ولا يأتونك ﴾ يامحمد يعني هؤلاء المشركين ﴿ بمثل ﴾ يضربونه في ابطال أمرك ﴿ إلا جئناك بالحق ﴾ يعنى بما ترد به ماجاءوا به من المثل وتبطله فسمى مايوردون من الشبه مثلا وسمي مايدفع به الشبه حقا ﴿ وأحسن تفسيرا ﴾ يعني بيانا وتفصيلا والتفسير تفعيل من الفسر وهو كشف ماانغطي ثم ذكر مآل هؤلاء المشركين فقال ﴿ الذين ﴾ أي هم الذين ﴿ يحشرون على وجوههم ﴾ فيساقون ويجرون ﴿ إلى جهنم أولئك شر مكانا ﴾ يعني مكانة ومنزلة ويقال منزلا ومصيرا ﴿ وأضل سبيلا ﴾ اخطأ طريقا

ولقد آتينا موسى الكتب وجعلنا معه أخاه هرون وزيراً (٣٥) فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآيتنا فدمرنهم تدميرا (٣٦) وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقنهم وجعلنهم للناس آية وأعتدنا للظلمين عذابا أليما (٣٧) وعاداً وثمود وأصحب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً (٣٨) وكلا ضربنا له الامثل وكلا تبرنا تتبيراً (٣٩) ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً (٤٠)

يقول تعالى متوعدا من كذب رسوله محمداً ﷺ من مشركي قومه ومن خالفه ومحذرهم من عقابه وأليم عذابه مما أحله بالامم الماضية المكذبين لرسله فبدأ بذكر موسى وانه بعثه وجعل معه أخاه هارون وزيرا أي نبيا موازرا ومؤيدا وناصرا فكذبهما فرعون وجنوده [فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها] وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوحا عليه السلام ومن كذب برسوله فقد كذب بجميع الرسل اذ لا فرق بين رسول ورسول ولو فرض ان الله تعالى بعث اليهم كل رسول فانهم كانوا يكذبون ■ ولهذا قال تعالى (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) ولم يبعث اليهم الا نوح فقط وقد لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله عز وجل ويحذرهم نقمه [فما آمن معه الا قليل] ولهذا أغرقهم الله جميعا ولم يبق منهم أحد ولم يترك من بني آدم على وجه الارض سوى أصحاب السفينة فقط [وجعلناهم للناس آية] أي عبرة يعتبرون بها كما قال تعالى [انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ■ لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية] أي وأبقينا لكم من السفن ما تركبون في لجج البحار لتذكروا نعمة الله عليكم من انجائكم من الغرق وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق أمره

وقوله تعالى (وعادا وثمود وأصحاب الرس) قد تقدم الكلام على قصتيهما في غير ما سورة

قوله ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا ﴾ معينا وظهيراً ﴿ فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعني القبط ﴿ فدمرناهم ﴾ فيه اضمار اي فكذبوهما فدمرناهم ﴿ تدميرا ﴾ أهلكناهم اهلاكا ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾ أي الرسول ومن كذب رسولا واحداً فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكر بلفظ الجمع ﴿ أغرقناهم وجعلناهم للناس آية ﴾ يعني لمن بعدهم عبرة ﴿ وأعتدنا للظالمين ﴾ في الآخرة ﴿ عذابا أليما ﴾ سوى ماحل بهم من عاجل العذاب ﴿ وعادا وثمود ﴾ يعني وأهلكنا عادا وثمود ﴿ وأصحاب الرس ﴾ اختلفوا فيهم ، قال وهب بن منبه كانوا أهل بئر قعودا عليها وأصحاب مواشي يعبدون الاصنام فوجه الله اليهم شعيباً يدعوهم إلي الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي أذى شعيب عليه السلام فبينما هم حوالي البئر في منازلهم انهارت بهم البئر فخسف الله بهم وبديارهم

كسورة الاعراف بما أغنى عن الاعادة ، وأما أصحاب الرس فقال ابن جريج عن ابن عباس هم أهل قرية من قرى ثمود . وقال ابن جريج: قال عكرمة أصحاب الرس بفلج وهم أصحاب يس. وقال قتادة فلج من قرى اليمامة . وقال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في قوله (وأصحاب الرس) قال بئر بأذربيجان . وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة : الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها

وقال ابن اسحاق عن محمد بن كعب قال قال رسول الله ﷺ « ان أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود » وذلك ان الله تعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها الا ذلك العبد الاسود » ثم ان أهل القرية عدوا على النبي فحفروا له بئرا فالقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشتري به طعاما وشرابا ثم يأتي به الى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله تعالى عليها فيدلي اليه طعامه وشرابه ثم يردها كما كانت ، قال فكان ذلك ما شاء الله أن يكون ، ثم انه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين ثم انه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم انه هب واحتمل حزمته ولا يحسب الا انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم إنه ذهب الى الحفيرة موضعها الذي كانت فيه فالتمسه فلم يجده وكان قد بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه ، قال فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الاسود ما فعل فيقولون له لا ندري حتى قبض الله النبي وهب الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله ﷺ « ان ذلك الاسود لأول من يدخل الجنة » وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب مرسلا وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه ادراجا والله أعلم

وقال ابن جرير لا يجوز أن يحمل هؤلاء على انهم أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن لان الله أخبر عنهم انه أهلكهم وهؤلاء آمنوا بنبيهم الا أن يكون حدث لهم احداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم والله أعلم ، واختار ابن جرير ان المراد باصحاب الرس هم أصحاب الاخدود الذين ذكروا في سورة البروج فالله أعلم .

ورباعهم فهلكوا جميعاً ، والرس البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهو رس ، وقال قتادة والكلبي الرس بئر بأرض اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عز وجل ، وقال بعضهم هم بقية ثمود وقوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله (وبئر معطلة وقصر مشيد) وقال سعيد بن جبير : كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى ، وقال كعب ومقاتل والسدي الرس بئر بانطاكية فقتلوا فيها حبيباً النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس ، وقيل هم أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود الذي حفروه ، وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بئر ، وقيل الرس المعدن وجمعه

وقوله تعالى (وقرونا بين ذلك كثيرا) أي وأمما أضعاف من ذكر أهلكناهم كثيرة ولهذا قال (وكلا ضربنا له الامثال) أي بينا لهم الحجج ووضحنا لهم الادلة كما قال قتادة وأزحنا الاعذار عنهم (وكلا تبرنا تتبيرا) اي أهلكنا اهلاكا كقوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) والقرن هو الامة من الناس كقوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) وحده بعضهم بمائة وعشرين سنة وقيل بمائة وقيل بثمانين وقيل اربعين وقيل غير ذلك . والاظهر ان القرن هو الامة المتعاصرون في الزمن الواحد واذا ذهبوا وخلفهم جيل فهو قرن آخر كما ثبت في الصحيحين « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني قرية قوم لوط وهي سدوم التي أهلكها الله بالقلب وبالمطر من الحجارة التي من سجيل كما قال تعالى (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) وقال [وانكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون] وقال تعالى [وانها لبسبيل مقيم] وقال [وانهما لبامام مبين] ولهذا قال (أفلم يكونوا يرونها) اي فيعتبروا بما حل باهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول وبمخالفتهم أوامر الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) يعني المارين بها من الكفار لا يعتبرون لانهم لا يرجون نشورا أي معادا يوم القيامة

واذا رأوك إن يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ؟ (٤١) ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (٤٢) أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ إذا رأوه كما قال (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً) الآية يعنون بالعيب والنقص ، وقال ههنا (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا

رساس ﴿ وقرونا بين ذلك كثيرا ﴾ يعني وأهلكنا قرونا كثيرة بين عاد وأصحاب الرس ﴿ وكلا ضربنا له الامثال ﴾ يعني الاشباه في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الانذار ﴿ وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ يعني أهلكنا اهلاكا . وقال الاخفش كسرنا تكسيرا . قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته

قوله ﴿ ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء ﴾ يعنى الحجارة وهي قريات قوم لوط وكانت خمس قرى فأهلك الله اربعا منها وبقيت واحدة وهي صعر وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث ﴿ أفلم يكونوا يرونها ﴾ اذا مروا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتفكروا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم إلى الشام ﴿ بل كانوا لا يرجون ﴾ لا يخافون ﴿ نشورا ﴾ بعثا

قوله عز وجل ﴿ واذا رأوك ان يتخذونك ﴾ يعني ما يتخذونك ﴿ إلا هزواً ﴾ يعني مهزوءا به

هزوا أهـذا الذي بعث الله رسولا ؟) أي على سبيل التنقص والازدراء فقبحهم الله كما قال (ولقد استهزيء برسل من قبلك) الآية

وقوله تعالى [إن كاد ليضلنا عن آلهتنا] يعنون انه كاد يثنيهم عن عبادة الاصنام لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا عليها قال الله تعالى متوعداً لهم ومتهددا (وسوف يعلمون حين يرون العـذاب) الاية . ثم قال تعالى لنبيه منبهاً ان من كتب الله عليه الشقاوة والضلال فانه لا يهديه أحد إلا الله عز وجل [أفمن اتخذ إلهه هواه] أي مهما استحسن من شيء ورآه حسنا في هوى نفسه كان دينه ومذهبه كما قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء) الاية ولهذا قال ههنا [أفأنت تكون عليه وكيلا ؟] قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الابيض زمانا فاذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الاول

ثم قال تعالى [أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون] الاية أي هم أسوأ حالا من الانعام السارحة فان تلك تفعل ما خلقت له وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له فلم يفعلوا وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل اليهم

ألم تر الى ربك كيف مد الظـل ولو شاء لجعـله ساكنا ثم جعلنـا الشمس عليـه دليلا (٤٥) ثم قبضنه الينا قبضا يسيراً (٤٦) وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشوراً (٤٧)

نزلت في أبي جهل كان اذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ قال مستهزئا ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا ﴾ يعني قد قارب أن يضلنا ﴿ عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ﴾ يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ﴾ من اخطأ طريقا ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فاذا رأى حجرا أحسن منـه طرح الاول وأخذ الآخر فعبده ، وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله وخالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾ يعني حافظا يقول أفأنت عليه كفيل تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهوى من دون الله اي لست كذلك ، قال الكلبي نسختها آية القتال ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ﴾ ماتقول سماع طالب الافهام ﴿ أو يعـقلون ﴾ مايعاينون من الحجج والاعلام ﴿ ان هم ﴾ ماهم ﴿ إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا ﴾ لان البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربهـا وتنقاد لأربابها الذين يتعهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الـكفار لا يفعلون

قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ﴾ معنا ألم تر إلى مد ربك الظـل وهو ما بين طلوع

من ههنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الادلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الاشياء المختلفة والمتضادة فقال تعالى [ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ؟] قال ابن عباس وابن عمر وأبو العالية وأبو مالك ومسروق ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي والضحاك والحسن وقتادة : هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس [ولو شاء لجعله ساكنا] أي دائما لا يزول كما قال تعالى [قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً] الآيات

وقوله تعالى [ثم جعلنا الشمس عليه دليلا] أي لولا أن الشمس تطلع عليه لما عرف فان الضد لا يعرف الا بضده ، وقال قتادة والسدي دليلا تتلوه وتتبعه حتى تأتي عليه كله . وقوله تعالى [ثم قبضناه الينا قبضا يسيراً] أي الظل وقيل الشمس يسيرا أي سهلا قال ابن عباس سريعا وقال مجاهد خفياً وقال السدي قبضا خفياً حتى لا يبقى في الارض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة وقد أظلت الشمس ما فوقه ، وقال أيوب بن موسى في الآية [قبضا يسيرا] قليلا قليلا ، وقوله [وهو الذي جعل لكم الليل لباسا] أي يلبس الوجود ويغشاه كما قال تعالى [والليل إذا يغشى] (والنوم سباتا) أي قاطعا الحركة لراحة الابدان فان الاعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعاش فاذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معاً [وجعل النهار نشورا] أي ينتشر الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم كما قال تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله] الآية

وهو الذي أرسل الريـٰح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا (٤٨)

الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه كما قال في ظل الجنة (وظل ممدود) اذ لم يكن معه شمس ﴿ ولو شاء لجعله ساكناً ﴾ أي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس ، قال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة ، والفيء ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال سمي فيأ لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ﴾ يعني على الظل ، ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بأضدادها ﴿ ثم قبضناه ﴾ يعني الظل ﴿ الينا قبضا يسيرا ﴾ بالشمس التي تأتي عليه والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه أن الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس ، فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءا فجزءا (قبضا يسيرا) أي خفيا ﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباسا ﴾ أي سترا تستترون به يريد أن ظلمتـه تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه ﴿ والنوم سباتا ﴾ راحة لأبدانكم وقطعاً لعملكم وأصل السبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته ﴿ وجعل النهار نشورا ﴾ أي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء الرزق وتنتشرون لأشغالكم ﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ﴾ يعني المطر ﴿ وأنزلنا من

لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا (٤٩) ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا (٥٠)

وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم وهو انه تعالى يرسل الرياح مبشرات اي بمجيء السحاب بعدها ، والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير فمنها مايثير السحاب ، ومنها مايحمله ومنها مايسوقه ومنها مايكون بين يدي السحاب ، بشرا ومنها مايكون قبل ذلك تقم الارض ومنها مايلقح السحاب ليمطر ولهذا قال تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) أي آلة يتطهر بها كالسحور والوجور وما جرى مجراهما ، فهذا أصح مايقال في ذلك . وأما من قال انه فعول بمعنى فاعل أو انه مبني للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي باسناده إلى حميد الطويل عن ثابت البناني قال دخلت مع أبي العالية في يوم مطير وطرق البصرة قذرة فصلى فقلت له فقال (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) قال طهره ماء السماء وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن المسيب في هذه الاية قال: أنزله الله طهورا لاينجسه شيء . وعن أبي سعيد قال قيل يارسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يلقى فيها النتن ولحوم الكلاب ؟فقال « ان الماء طهور لاينجسه شيء » رواه الشافعي وأحمد وصححه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي

وروى ابن أبي حاتم باسناده حدثنا أبي حدثنا أبو الاشعث حدثنا معتمر سمعت أبي يحدث عن سيار عن خالد بن يزيد قال : كنا عند عبد الملك بن مروان فذكروا الماء فقال خالد بن يزيد : منه من السماء ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق فأما ما كان من البحر فلا يكون منه نبات

السماء ماء طهورا) والطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به كالسحور اسم لما يتسحر به « والفطور اسم لما يفطر به والدليل عليه ماروينا أن النبي ﷺ قال في البحر « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وأراد به المطهر فالماء مطهر لأنه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة كما قال في آية أخرى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) فثبت به أن التطهير يختص بالماء ، وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل وماء الورد والمرق ونحوها « ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها ، وذهب بعضهم إلى أن الطهور مايتكرر منه التطهير كالصبور اسم لمن يتكرر منه الصبر « والشكور اسم لمن يتكرر منه الشكر وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء الذي توضأ منه مرة ، وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته أم لا ؟ نظر إن كان الواقع شيئا لايمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار لاتزول طهوريته فيجوز الطهارة به كما لو تغير لطول المكث في قراره و كذلك لو وقع فيه مالا يخالطه

فأما النبات فما كان من السماء. وروي عن عكرمة قال ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الارض عشبة أو في البحر لؤلؤة ، وقال غيره : في البر بر ، وفي البحر در

وقوله تعالى (لنحيي به بلدة ميتا) أي أرضا قد طال انتظارها للغيث فهي هامدة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباها أنواع الازاهير والالوان كما قال تعالى [فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت] الاية [ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا] أي وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين اليه غاية الحاجة لشربهم وزروعهم وثمارهم كما قال تعالى [وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا] الاية وقال تعالى [فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها] الاية

وقوله تعالى [ولقد صرفناه بينهم ليذكروا] أي أمطرنا هذه الارض دون هذه وسقنا السحاب يمر على الارض ويتعداها ويتجاوزها الى الارض الاخرى فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقا والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء ، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة . قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ليس عام بأكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه كيف يشاء ثم قرأ هذه الاية [ولقد صرفناه

كالدهن يصب فيتروح الماء برائحته يجوز الطهارة به لان تغيره المجاورة لا للمخالطة ، وإن كان شيئا يمكن صون الماء منه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته ولا يجوز الوضوء به ، وإن لم يتغير أحد أوصافه ينظر إن كان الواقع فيه شيئا طاهرا لا تزول طهوريته فتجوز الطهارة به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا ، وإن كان الواقع فيه شيئا نجسا ينظر فان كان الماء قليلا أقل من القلتين ينجس الماء وإن كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمس قرب ووزنه خمسمائة رطل. والدليل عليه ما أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا ابو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن المنيب أنا جرير عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ أنه سئل عن الماء يكون في الفلاة من الارض وما ينوبه من الدواب والسباع فقال « اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث » وهذا قول الشافعي واحمد واسحاق وجماعة من أهل الحديث أن الماء اذا بلغ هذا الحد فلا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة ، وذهب جماعة إلى أن الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهو قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري ، واحتجوا بما أخبرنا ابو القاسم بن عبدالله بن محمد الحنفي أنا ابو الحارث طاهر بن محمد الطاهري ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم ثنا أبو الموجه بن محمد بن عمرو بن الموجه ثنا صدقة بن الفضل أنا أبو أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب القرظي عن عبدالله بن عبدالرحمن ثنا رافع بن خديج عن أبي سعيد الخدري قال : قيل يارسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يلقى فيه الحيض ولحوم الكلاب والنتن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الماء طهور لا ينجسه شيء »

بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا] أي ليذكروا باحياء الله الارض الميتة انه قادر على احياء الاموات والعظام الرفات . أو ليذكر من منع المطر انما أصابه ذلك بذنب أصابه فيقلع عما هو فيه . وقال عمر مولى عفرة : كان جبريل عليه السلام في موضع الجنائز فقال له النبي ﷺ « ياجبريل اني أحب أن أعلم أمر السحاب » قال فقال له جبريل يانبي الله هذا ملك السحاب فسله فقال تأتينا صكاك مختمة : اسق بلاد كذا وكذا كذا وكذا قطرة . رواه ابن أبي حاتم وهو حديث مرسل

وقوله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفورا) قال عكرمة يعني الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وهذا الذي قاله عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ انه قال لأصحابه يوما على أثر سماء أصابتهم من الليل « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب »

قوله عز وجل ﴿ لنحيي به ﴾ أي بالمطر ﴿ بلدة ميتا ﴾ ولم يقل ميتة لانه رجع به إلى الموضع والمكان ﴿ ونسقيه مما خلقنا أنعاما ﴾ نسقي من ذلك الماء أنعاما ﴿ وأناسي كثيرا ﴾ أي بشرا كثيرا والاناسي جمع إنسي « وقيل جمع انسان وأصله أناسين مثل بستان وبساتين فجعل الياء عوضاً عن النون .

قوله ﴿ ولقد صرفناه بينهم ﴾ يعني المطر مرة ببلد ومرة ببلد آخر . قال ابن عباس ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روي مرفوعا «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء » وذكر ابن اسحاق وابن جريج ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود يرفعه قال « ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم « واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فاذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار « وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطلا ورذاذا ونحوها ، وقيل التصريف راجع إلى الريح ﴿ ليذكروا ﴾ أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى ﴿ فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾ جحوداً وكفرانهم هو أنهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا

أخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك ابن أنس عن صالح بن كيسان عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر « فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب »

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (٥١) فلا تطع الكفرين وجـٰهدهم به جهادا كبيرا (٥٢) وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا (٥٣) وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا (٥٤)

يقول تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) يدعوهم إلى الله عز وجل ولكنا خصصناك يامحمد بالبعثة إلى جميع أهل الارض وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن (لأنذركم به ومن بلغ * ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده ـ لتنذر أم القرى ومن حولها ـ قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا) وفي الصحيحين « بعثت إلى الاحمر والاسود » وفيهما « وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » ولهذا قال تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به) يعني بالقرآن قاله ابن عباس (جهادا كبيرا) كما قال تعالى [ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين] الآية

وقوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) أي خلق الماءين الحلو والملح ، فالحلو كالانهار والعيون والآبار وهذا هو البحر الحلو العذب الفرات الزلال ، قاله ابن جريج واختاره ابن جرير . وهذا المعنى لاشك فيه فانه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات ، والله سبحانه وتعالى انما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه « فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم اليه أنهاراً وعيونا في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لانفسهم وأراضيهم

وقوله تعالى (وهذا ملح أجاج) أي مالح مر زعاق لا يستطاع وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب: البحر المحيط ومايتصل به من الزقاق وبحر القلزم وبحر اليمن وبحر البصرة وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الخزر وما شاكلها وشابهها من البحار الساكنة التي لا تجري « ولكن تموج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح « ومنها مافيه «مدوجزر» في أول كل شهر

قوله تعالى ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ﴾ رسولا ينذرهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل نذارة جميعها لتستوجب بصبرك عليه ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم ﴿ وجاهدهم به ﴾ أي بالقرآن ﴿ جهادا كبيرا ﴾ شديداً ﴿ وهو الذي مرج البحرين ﴾ أي خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر « وقيل أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرج وأصل المرج الخلط والارسال يقال مرجت الدابة وأمرجتها اذا أرسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشاء ﴿ هذا عذب فرات ﴾ شديد العذوبة والفرات أعذب المياه ﴿ وهذا ملح أجاج ﴾ شديد الملوحة « وقيل أجاج أي مر ﴿ وجعل بينهما برزخا ﴾ أي حاجزاً

يحصل منها مد وفيض فاذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع إلى غايتها الاولى ، فاذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد إلى الليلة الرابعة عشر ثم تشرع في النقص ، فأجرى الله سبحانه وتعالى وهو ذو القدرة التامة العادة بذلك ، فكل هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالى مالحة لئلا يحصل بسببها نتن الهواء فيفسد الوجود بذلك ، ولئلا تجوي الارض بما يموت فيها من الحيوان ، ولما كان ماؤها ملحاً كان هواؤها صحيحا وميتها طيبة ولهذا قال رسول الله ﷺ وقد سئل عن ماء البحر أنتوضأ به فقال « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » رواه الائمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن باسناد جيد

وقوله تعالى (وجعل بينهما برزخا وحجرا) أى بين العذب والمالح [برزخا] أى حاجزاً وهو اليبس من الارض [وحجرا محجورا] أى مانعا من أن يصل أحدهما الى الآخر كقوله [مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان] وقال تعالى [أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون] وقوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشرا) الاية أى خلق الانسان من نطفة ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل الخلقة ذكرا وأنثى كما يشاء (فجعله نسبا وصهرا) فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ثم يتزوج فيصير صهرا ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات ، وكل ذلك من ماء مهين ولهذا قال تعالى [وكان ربك قديرا]

ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا (٥٥)

وما أرسلنـٰك إلا مبشرا ونذيرا (٥٦) قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى

ربه سبيلا (٥٧) وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده

خبيرا (٥٨) الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش

بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب ﴿ وحجرا محجورا ﴾ أي سترا ممنوعا فلا يبغيان فلا يفسد الملح العذب

قوله ﴿ وهو الذي خلق من الماء ﴾ من النطفة ﴿ بشرا فجعله نسباً وصهراً ﴾ أي جعله ذا نسب وذا صهر ، قيل النسب ما لا يحل نكاحه ، والصهر ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها ، وقيل وهو الصحيح النسب من القرابة ، والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو السبب المحرم للنكاح وقد ذكرنا أن الله تعالى حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعاً في قوله (حرمت عليكم أمهاتكم) ﴿ وكان ربك قديراً ﴾ ويعبدون من دون الله ﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿ مالا ينفعهم ﴾ ان عبدوه

الرحمنُ فسْئل به خبيرا (٥٩) واذا قيل لهم اسجدوا للرحمـٰن قالوا وما الرحمـٰن أنسجد لما تأمرنا؟ وزادهم نفورا (٦٠)

يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الاصنام التي لا تملك لهم ضراً ولا نفعا بلا دليل قادهم إلى ذلك ولا حجة أدتهم اليه بل بمجرد الاراء ، والتشهي والاهواء ، فهم يوالونهم ويقاتلون في سبيلهم ويعادون الله ورسوله والمؤمنين فيهم ولهذا قال تعالى [وكان الكافر على ربه ظهيرا] أي عونا في سبيل الشيطان على حزب الله وحزب الله هم الغالبون كما قال تعالى [واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون] أي آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصرا ، وهؤلاء الجهلة للاصنام جند محضرون يقاتلون عنهم ، ويذبون عن حوزتهم ، ولكن العاقبة والنصرة لله ولرسوله وللمؤمنين في الدنيا والاخرة . قال مجاهد [وكان الكافر على ربه ظهيرا] قال يظاهر الشيطان على معصية الله ويعينه . وقال سعيد بن جبير [وكان الكافر على ربه ظهيرا] يقول عونا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، وقال زيد بن أسلم [وكان الكافر على ربه ظهيرا] قال مواليا

ثم قال تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) أي بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين مبشرا بالجنة لمن أطاع الله ونذيرا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله (قل ما أسألكم عليه من أجر) أي على هذا البلاغ وهذا الانذار من أجرة أطلبها من أموالكم وانما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم - إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي طريقا ومسلكا ومنهجا يقتدي فيها بما جئت به

ثم قال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت) أي في أمورك كلها كن متوكلا على الله الحي الذي لا يموت أبدا الذي هو [الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم] الدائم الباقي السرمدي الابدي الحي القيوم رب كل شيء ومليكه اجعله ذخرك وملجأك ، وهو الذي يتوكل عليه

﴿ ولا يضرهم ﴾ ان تركوه ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾ أي معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي ، وقال الزجاج أي يعاون الشيطان على معصية الله لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان ، وقيل معناه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي هينا ذليلا كما يقال للرجل جعلني بظهير أي جعلني هيناً ويقال ظهره به اذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت اليه

قوله ﴿ وما أرسلناك لا مبشرا ونذيرا ﴾ أي منذرا ﴿ قل ما أسئلكم عليه ﴾ أي على تبليغ الوحي ﴿ من أجر ﴾ فتقولوا انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه ﴿ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ﴾ هذا من الاستثناء المنقطع . مجازه لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا بالانفاق من ماله في سبيله فعل ذلك والمعنى لا أسألكم لنفسي أجرا ولكن لا أمنع من انفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى

ويفزع اليه فانه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس]

وروى ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا عبدالله بن محمد بن علي بن نفيل قال قرأت على معقل يعني ابن عبيدالله عن عبدالله بن أبي حسين عن شهر بن حوشب قال : لقي سلمان النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال « لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت » وهذا مرسل حسن. وقوله تعالى [وسبح بحمده] أي أقرن بين حمده وتسبيحه ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » أي اخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى [رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا] وقال تعالى [فاعبده وتوكل عليه] وقال تعالى [قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا]

وقوله تعالى [وكفى به بذنوب عباده خبيرا] أي بعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة .وقوله تعالى (الذي خلق السموات والارض] الآية أي هو الحي الذي لا يموت وهو خالق كل شيء وربه ومليكه الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع في ارتفاعها واتساعها والارضين السبع في سفولها وكثافتها (في ستة أيام ثم استوى على العرش) أي يدبر الامر ويقضي الحق وهو خير الفاصلين وقوله (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) أي استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به ، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد آدم على الاطلاق في الدنيا والآخرة الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فما قاله فهو الحق وما أخبر به فهو الصدق ، وهو الامام المحكم الذي اذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم اليه فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان . قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء) الآية وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) وقال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الاوامر والنواهي ولهذا قال تعالى (فاسأل به خبيرا)

قال مجاهد في قوله (فاسأل به خبيرا) قال ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك . وكذا قال ابن

جنته ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده ﴾ أي صل له شكراً على نعمه، وقيل قل سبحان الله والحمد لله ﴿ وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴾ عالما بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها

قوله ﴿ الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا ﴾ أي بالرحمن ، قال الكلبي يقول فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكرنا من خلق السموات والارض والاستواء على العرش ، وقيل الخطاب للرسول والمراد منه غيره لانه كان مصدقا به والمعنى أيها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل الباء بمعنى عن أي فاسأل عنه خبيرا وهو الله

جريج وقال شمر بن عطية في قوله [فاسأل به خبيرا] هذا القرآن خبير به . ثم قال تعالى منكرا على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الاصنام والانداد [واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن] أي لانعرف الرحمن وكان ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي ﷺ للكاتب « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقالوا لانعرف الرحمن ولا الرحيم ولكن اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم ولهذا أنزل الله تعالى [قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ماتدعوا فله الاسماء الحسنى] أي هو الله وهو الرحمن « وقال في هذه الآية [واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن] أي لا نعرفه ولا نقربه [أنسجد لما تأمرنا] أي لمجرد قولك [وزادهم نفورا] فأما المؤمنون فانهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ويفردونه بالالهية ويسجدون له

وقد اتفق العلماء رحمهم الله على أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروع السجود عندها لقارئها ومستمعها كما هو مقرر في موضعه والله سبحانه وتعالى أعلم

تبارك الذي جعل في السماء بُروجا وجعل فيها سِراجا وقمرا منيرا (٦١) وهو الذي جعل الَّيل والنهار خِلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورا (٦٢)

يقول تعالى ممجدا نفسه ومعظما على جميل ماخلق في السماوات من البروج وهي الكواكب العظام في قول مجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح والحسن وقتادة « وقيل هي قصور في السماء للحرس يروى هذا عن علي وابن عباس ومحمد بن كعب وابراهيم النخعي وسليمان بن مهران الاعمش وهو رواية

عز وجل ، وقيل جبريل عليه السلام ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴾ مانعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ قرأ حمزة والكسائي (يأمرنا) بالياء أي لما يأمرنا محمد بالسجود له « وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يامحمد ﴿ وزادهم ﴾ يعني زادهم قول القائل لهم (اسجدوا للرحمن) ﴿ نفورا ﴾ عن الدين والايمان

قوله عز وجل ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا ﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة النجوم هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها « وقال عطية العوفي [بروجا] أي قصورا فيها الحرس كما قال [ولو كنتم في بروج مشيدة] وقال عطاء عن ابن عباس هي البروج الاثني عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ، فالحمل والعقرب بيتا المريخ « والثور والميزان بيتا الزهرة « والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد « والسرطان بيت القمر « والاسد بيت الشمس ، والقوس والحوت بيتا المشتري ، والجدي والدلو بيتا زحل ، وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية « والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء

عن أبي صالح أيضا والقول الاول أظهر اللهم الا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس فيجتمع القولان كما قال تعالى [ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح] الآية ولهذا قال تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا) وهي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود كما قال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا وقرا منيرا) أي مشرقا مضيئا بنور آخر من غير نور الشمس كما قال تعالى (وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا)

وقال مخبرا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) ثم قال تعالى (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) أي يخلف كل واحد منهما صاحبه يتعاقبان لا يفترقان اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب ذاك كما قال تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الآية وقال يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) الآية وقال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) الآية

وقوله تعالى (لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) أي جعلهما يتعاقبان توقيتا لعبادة عباده له عز وجل فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل ، وقد جاء في الحديث الصحيح أن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل . وقال ابو داود الطيالسي حدثنا أبو حمزة عن الحسن أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى فقيل له صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه فقال انه بقي علي من وردي شيء فأحببت أن أتمه أو قال أقضيه وتلا هذه الآية (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحسن

والميزان والدلو مثلثة هوائية ، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ يعني الشمس كما قال [وجعل الشمس سراجا] وقرأ حمزة والكسائي سرجا بالجمع يعني النجوم ﴿ وقمرا منيرا ﴾ والقمر قد دخل في السرج على قراءة من قرأ بالجمع غير أنه خصه بالذكر لنوع فضيلة كما قال [فيهما فاكهة ونخل ورمان] خص النخل والرمان بالذكر مع دخولها في الفاكهة

قوله ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ﴾ اختلفوا فيها ، قال ابن عباس والحسن وقتادة يعني خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه ، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر . قال شقيق : جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال : فاتتني الصلاة الليلة ؟ فقال أدرك مافاتك من ليلتك في نهارك فان الله عز وجل جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر ، وقال مجاهد يعني جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض ، وقال ابن زيد وغيره يعني يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان ﴿ لمن أراد أن يذكر ﴾ قرأ

وقال مجاهد وقتادة خلفة أي مختلفين أي هذا بسواده وهذا بضيائه

وعبادُ الرحمٰن الذين يمشون على الارض هَونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (٦٣) والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما (٦٤) والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما (٦٥) إنها ساءت مستقرا ومقاما (٦٦) والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتُروا وكان بين ذلك قواما (٦٧)

هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يمشون أي بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار كقوله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا) الآية فأما هؤلاء فانهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أشر ولا بطر ، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعا ورياء فقد كان سيد ولد آدم ﷺ اذا مشى كأنما ينحط من صبب وكأنما الارض تطوى له

وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع حتى روي عن عمر أنه رأى شابا يمشي رويدا فقال مابالك أأنت مريض ؟ قال لا يا أمير المؤمنين فعلاه بالدرة وأمره أن يمشي بقوة . وانما المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله ﷺ « اذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وائتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فأتموا »

وقال عبدالله بن المبارك عن معمر عن عمر بن المختار عن الحسن البصري في قوله (وعباد الرحمن) الآية قال : ان المؤمنين قوم ذلل ذلت منهم والله الاسماع والابصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض، وانهم والله لأصحاء ولكنهم دخلهم من الخوف مالم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا ، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس) ولا تعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنة، ولكن أبكاهم الخوف من النار، انه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه

حمزة بتخفيف الذال والكاف وضمها من الذكر ، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي يتذكر ويتعظ ﴿أو أراد شكورا﴾ قال مجاهد أي شكر نعمة ربه عليه فيهما

قوله عز وجل ﴿ وعباد الرحمن ﴾ يعني أفاضل العباد وقيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله ﴿الذين يمشون على الارض هونا ﴾ يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين، وقال الحسن علماء وحكماء وقال محمد بن الحنفية أصحاب وقار وعفة لا يسفهون وإن سفه عليهم حلموا . والهون في اللغة الرفق واللين ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون ﴾ يعني السفهاء بما يكرهون ﴿قالوا سلاما﴾ قال مجاهد سداداً من القول وقال مقاتل بن حيان قولا يسلمون فيه من الاثم وقال الحسن ان جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف

على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله نعمة الا في مطعم أو مشرب فقد قل علمه حضر وعذابه .

وقوله تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) أي إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل الا حلما وكما قال تعالى (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) الآية . وروى الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الاعمش عن أبي خالد الوالبي عن النعمان بن مقرن المزني قال قال رسول الله ﷺ وسب رجل رجلا عنده فجعل المسبوب يقول: عليك السلام فقال رسول الله ﷺ « أما ان ملكا بينكما يذب عنك كلما شتمك هذا قال له بل أنت وأنت أحق به ، واذا قلت له وعليك السلام قال لا بل عليك وأنت أحق به » اسناده حسن ولم يخرجوه

وقال مجاهد [قالوا سلاما] قالوا سدادا « وقال سعيد بن جبير ردوا معروفا من القول ، وقال الحسن البصري قالوا سلام عليكم ان جهل عليهم حلموا، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر ان ليلهم خير ليل فقال تعالى (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) أي في طاعته وعبادته كما قال تعالى (كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالاسحار هم يستغفرون) وقوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية وقال تعالى [أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه] الاية ولهذا قال تعالى [والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما] أي ملازما دائما كما قال الشاعر :

ان يعذب يكن غراما وان يعـ ـط جزيلا فانه لا يبالي

ولهذا قال الحسن في قوله [ان عذابها كان غراما] كل شيء يصيب ابن آدم ويزول عنه فليس بغرام وانما الغرام اللازم مادامت الارض والسموات وكذا قال سليمان التيمي . وقال محمد بن كعب (ان عذابها كان غراما) يعني ماتعموا في الدنيا ان الله تعالى سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها اليه فأغرمهم

وروي عن الحسن معناه سلموا عليهم دليله قوله عز وجل (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) قال الكلبي وأبو العالية هذ قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما)قال هذا وصف ليلهم

قوله تعالى ﴿ والذين يبيتون لربهم ﴾ يقال لمن أدرك الليل بات نام أو لم ينم يقال بات فلان قلقا والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة ﴿سجدا﴾ على وجوههم ﴿وقياما﴾ على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما

أخبرنا عبد الواحد المليحي أن ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عثمان بن حكيم عن عبد

فأدخلهم النار [انها ساءت مستقرا ومقاما] أى بئس المنزل منظرا وبئس المقيل مقاما . وقال ابن أبي حاتم عند قوله [انها ساءت مستقرا ومقاما] حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن مالك بن الحارث قال : اذا طرح الرجل في النار هوى فيها فاذا انتهى الى بعض أبوابها قيل له مكانك حتى تتحف قال فيسقى كأسا من سم الاساود والعقارب قال فيتميز الجلد على حدة والشعر على حدة والعصب على حدة والعروق على حدة

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان في النار لجبابا فيها حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال الدهم فاذا قذف بهم في النار خرجت اليهم من أوطانها فأخذت بشفاههم وأبشارهم وأشعارهم فكشطت لحومهم إلى أقدامهم فاذا وجدت حر النار رجعت

وقال الامام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سلام يعني ابن مسكين عن أبي ظلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن عبداً في جهنم لينادي الف سنة ياحنان يامنان فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فائتني بعبدي هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين يبكون فيرجع إلى ربه عز وجل فيخبره فيقول الله عز وجل ائتني به فانه في مكان كذا وكذا فيجيء به فيوقفه على ربه عز وجل فيقول له ياعبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول يارب شر مكان وشر مقيل فيقول الله عز وجل ردوا عبدي فيقول يارب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيها فيقول الله عز وجل دعوا عبدي »

وقوله تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم بل عدلا خياراً وخير الامور أوسطها لا هذا ولا هذا (وكان بين ذلك قواما) كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك

الرحمن بن أبي عمرة عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله ﷺ « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله

قوله عز وجل ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ﴾ يعني ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار . ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه وملازمته اياه ، قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوا فأغرمهم فيه فبقوا في النار . قال الحسن كل غريم يفارق غريمه الا جهنم . والغرام الشر اللازم وقيل غراما هلاكا ﴿ إنها ﴾ يعني جهنم ﴿ ساءت مستقرا ومقاما ﴾ يعني بئس موضع قرار وإقامة ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ أهل المدينة وابن عامر بضم الياء وكسر التاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم التاء وكلها لغات صحيحة يقال أقتر وقتر بالتشديد وقتر يقتر واختلفوا في معنى الاسراف والاقتار فقال بعضهم الاسراف النفقة في معصية

ولا تبسطها كل البسط) الاية وقال الامام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم الغساني عن ضمرة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال « من فقه الرجل قصده في معيشته » ولم يخرجوه

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا مسكين بن عبد العزيز العبدي حدثنا ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « ماعال من اقتصد » لم يخرجوه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا ابراهيم بن محمد بن ميمون حدثنا سعد بن حكيم عن مسلم بن حبيب عن بلال - يعني العبسي - عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ « ما أحسن القصد في الغنى وما أحسن القصد في الفقر وما أحسن القصد في العبادة » ثم قال لا نعرفه يروى إلا من حديث حذيفة رضي الله عنه « وقال الحسن البصري ليس في النفقة في سبيل الله سرف ، وقال إياس بن معاوية : ماجاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف . وقال غيره السرف النفقة في معصية الله عز وجل

والذين لايدعون مع الله إلـها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما (٦٨) يضعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا (٦٩) إلا من تاب وآمن وعمل عملا صلحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنت وكان الله غفورا رحيما (٧٠) ومن تاب وعمل صلحا فانه يتوب الى الله متابا (٧١)

قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبدالله هو ابن مسعود قال سئل رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قال ثم أي ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قال ثم أي قال « ان تزاني حليلة جارك » قال عبدالله وأنزل الله تصديق ذلك (والذين لايدعون مع الله إلها آخر) الاية وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السري عن أبي معاوية به . وقد أخرجه

الله وان قلت « والاقتار منع حق الله تعالى وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج ، وقال الحسن في هذه الآية لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن فرائض الله « وقال قوم الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير « والاقتار التقصير عما لابد منه وهذا معنى قول ابراهيم لايجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقه يقول الناس قد أسرف ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار حسنة بين السيئتين . وقال يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لايأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام مايسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ، ومن الثياب مايستر عوراتهم ومايكنهم من الحر والقر . قال عمر بن الخطاب كفى سرفا أن لايشتهي الرجل شيئا الا اشتراه فأكله

قوله عز وجل ﴿ والذين لايدعون مع الله إلها آخر ﴾ الآية . أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي

البخاري ومسلم من حديث الاعمش ومنصور زاد البخاري وواصل ثلاثتهم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود فالله أعلم، ولفظها عن ابن مسعود قال: قلت يارسول الله أي الذنب أعظم الحديث. طريق غريب

وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن إسحاق الاهوازي حدثنا عامر بن مدرك حدثنا السري يعني ابن إسماعيل حدثنا الشعبي عن مسروق قال: قال عبدالله خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فاتبعته فجلس على نشز من الارض وقعدت أسفل منه ووجهي حيال ركبتيه واغتنمت خلوته وقلت بأبي أنت وأمي يارسول الله أي الذنب أكبر؟ قال « ان تدعو لله ندا وهو خلقك -قلت ثم مه قال - ان تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك - قلت ثم مه قال - ان تزاني حليلة جارك » ثم قرأ (والذين لا يدعون مع الله) الآية

وقال النسائي حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع « ألا انما هي أربع » فما أنا بأشح عليهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ: لاتشركوا بالله شيئا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا. وقال الامام احمد حدثنا علي بن المديني رحمه الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعيد الانصاري سمعت أبا طيبة الكلاعي سمعت المقداد بن الاسود رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ لاصحابه « ماتقولون في الزنا؟ » قالوا حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ لاصحابه لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره — — قال فما تقولون في السرقة؟ » قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام قال « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره »

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي ﷺ قال « مامن ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لايحل له » وقال ابن جريج أخبرني يعلى عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس يحدث أن

أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف أنا ابن جريج أخبره قال: قال يعلى وهو يعلى بن مسلم أنا سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزل (والذين لايدعون مع الله إلها آخر) ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل [قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله]

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن الاعمش عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل قال: قال عبدالله بن

ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الآية ونزلت (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن أبي فاختة قال : قال رسول الله ﷺ لرجل « إن الله ينهاك أن تعبد المخلوق وتدع الخالق » وينهاك أن تقتل ولدك وتغذو كلبك » وينهاك أن تزني بحليلة جارك » قال سفيان وهو قوله « والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الآية . وقوله تعالى (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) روي عن عبدالله بن عمرو أنه قال : أثام واد في جهنم . وقال عكرمة (يلق أثاما) أودية في جهنم يعذب فيها الزناة . وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد ، وقال قتادة (يلق أثاما) نكالا كنا نحدث أنه واد في جهنم

وقد ذكر لنا أن لقمان كان يقول : يا بني إياك والزنا فان أوله مخافة وآخره ندامة » وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن جرير وغيره عن أبي امامة الباهلي موقوفا ومرفوعا أن غيا وأثاما بئران في قعر جهنم أجارنا الله منهما بمنه وكرمه . وقال السدي يلق أثاما جزاء وهذا أشبه بظاهر الآية وبهذا فسره بما بعده مبدلا منه وهو قوله تعالى (يضاعف له العذاب يوم القيامة) أي يكرر عليه ويغلظ ويخلد فيه مهانا أي حقيراً ذليلا

وقوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) أي جزاؤه على مافعل من هذه الصفات القبيحة ماذكر (الا من تاب) أي في الدنيا إلى الله عز وجل من جميع ذلك فان الله يتوب عليه ، وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل » ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء (ومن يقتل مؤمنا متعمداً) الآية فان هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة فتحمل على من لم يتب لان هذه مقيدة بالتوبة ثم قد قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به) الآية

وقد ثبتت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ بصحة توبة القاتل كما ذكر مقرراً من قصة الذي قتل

مسعود رضي الله عنه ؛ قال رجل يارسول الله ؛ أي ذنب أكبر عند الله ؟ قال « أن تدعو لله نداً وهو خلقك » قال ثم أي ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قال ثم أي » قال « أن تزاني حليلة جارك » فأنزل الله تصديقها (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما)

قوله عز وجل ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أي شيئاً من هذه الافعال ﴿ يلق أثاما ﴾ يوم القيامة . قال ابن عباس رضي الله عنهما انما يريد جزاء الأثم » وقال أبو عبيدة الاثام العقوبة ، وقال مجاهد الاثام واد في جهنم يروى ذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويروى في الحديث » الغي والاثام بئران يسيل فيهما صديد أهل النار » ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴾ قرأ ابن عامر وأبو

مائة رجل ثم تاب فقبل الله توبته، وغير ذلك من الاحاديث . وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) في معنى قوله (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قولان أحدهما أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم الى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات ، وروي عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان ينشد عند هذه الآية

بدلن بعد حره خريفا　　وبعد طول النفس الوجيفا

يعني تغيرت تلك الاحوال الى غيرها ، وقال عطاء بن أبي رباح هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيراً . وقال سعيد بن جبير أبدلهم الله بعبادة الاوثان عبادة الرحمن وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات ، وقال الحسن البصري أبدلهم الله بالعمل السيء العمل الصالح وأبدلهم بالشرك اخلاصا ، وأبدلهم بالفجور احصانا ، وبالكفر إسلاما ، وهذا قول أبي العالية وقتادة وجماعة آخرين (والقول الثاني) أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذاك الا لأنه كلما تذكر مامضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة وان وجده مكتوبا عليه فانه لايضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم. فمن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اني لاعرف آخر أهل النار خروجا من النار ، وآخر أهل الجنة دخولا الى الجنة يؤتى برجل فيقول نحوا عنه كبار ذنوبه

بكر يضاعف ويخلد برفع الفاء والدال على الابتداء وشدد ابن عامر يضعف ، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ﴾ قال قتادة الا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني أبو الحسين بن محمد بن عبدالله ثنا موسى بن محمد ثنا موسى بن هارون الحمال ثنا ابراهيم بن محمد الشافعي ثنا عبدالله بن رجاء عن عبيدالله بن عمر عن علي بن زيد عن يوسف محمد بن مهران عن ابن عباس قال: قرأناها على عهد رسول الله ﷺ سنتين (والذين لايدعون مع الله إلها آخر) الآية ثم نزلت إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) فما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قط كفرحه بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ﴾ فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا . قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والسدي والضحاك يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك إيمانا ،

وسلوه عن صغارها قال فيقال له عملت يوم كذا كذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا كذا وكذا فيقول نعم لايستطيع أن ينكر من ذلك شيئا فيقال: فان لك بكل سيئة حسنة فيقول يارب عملت أشياء لا أراها ههنا » قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه انفرد باخراجه مسلم

وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا هشيم بن يزيد حدثنا محمد بن اسماعيل حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « اذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان أعطني صحيفتك فيعطيه إياها فما وجد في صحيفته من حسنة محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات فاذا أراد أحدكم أن ينام فليكبر ثلاثا وثلاثين تكبيرة ويحمد أربعا وثلاثين تحميدة ويسبح ثلاثا وثلاثين تسبيحة فتلك مائة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة وعارم قالا حدثنا ثابت يعني ابن يزيد أبو زيد حدثنا عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال يعطى الرجل يوم القيامة صحيفته فيقرأ أعلاها فاذا سيئاته فاذا كاد يسوء ظنه نظر في أسفلها فاذا حسناته ثم ينظر في أعلاها فاذا هي قد بدلت حسنات « وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا سليمان بن موسى الزهري ابو داود حدثنا ابو العنبسي عن أبيه عن أبي هريرة قال : ليأتين الله عز وجل بأناس يوم القيامة رأوا أنهم قد استكثروا من السيئات قيل من هم يا أبا هريرة قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عبدالله بن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا ابو حمزة عن أبي الضيف ـ قال وكان من أصحاب معاذ بن جبل ـ قال : يدخل أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم أصحاب اليمين قلت لم سموا أصحاب اليمين » قال لأنهم قد عملوا بالسيئات والحسنات فاعطوا كتبهم بأيمانهم فقرءوا سيئاتهم حرفا حرفا وقالوا يا ربنا هذه سيئاتنا فأين حسناتنا . فعند ذلك محا الله السيئات وجعلها حسنات فعند ذلك قالوا (هاؤم اقرءوا كتابيه) فهم أكثر أهل الجنة ، وقال علي بن الحسين زين العابدين (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قال في الآخرة وقال مكحول يغفرها لهم فيجعلها حسنات رواهما ابن أبي حاتم، وروى ابن جرير عن سعيد بن المسيب

وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا » وقال قوم يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول يدل عليه ماأخبرنا أبو محمد عبدالله ابن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو عمار الحسين بن حريث ثنا وكيع ثنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ « اني لأعلم آخر رجل يخرج من النار يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وهو مقر لاينكر وهو مشفق من كبارها فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول رب إن لي ذنوبا ما أراها ههنا » قال أبو ذر لقد رأيت

مثله . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولا يحدث قال: جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال يارسول الله رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الارض لأوبقتهم فهل له من توبة ؟ فقال النبي ﷺ «أسلمت» قال اما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فقال النبي ﷺ « فان الله غافر لك ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنات » فقال يا رسول الله وغدراتي وفجراتي ؟ فقال « وغدراتك وفجراتك » فولى الرجل يكبر ويهلل

وروى الطبراني من حديث أبي المغيرة عن صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي فروة انه أتى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة فهل له من توبة ؟ فقال « أسلمت؟ » فقال نعم قال « فافعل الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات كلها» قال وغدراتي وفجراتي ؟ قال « نعم » فما زال يكبر حتى توارى . ورواه الطبراني من طريق أبي فروة الرهاوي عن بس الزيات عن أبي سلمة الحمصي عن يحيى بن جابر عن سلمة بن نفيل مرفوعا

وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان عن فليح بن عبيد بن أبي عبيد الشماس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءتني امرأة فقالت هل لي من توبة اني زنيت وولدت وقتلته ، فقلت لا ولا نعمت العين ولا كرامة. فقامت وهي تدعو بالحسرة، ثم صليت مع النبي ﷺ الصبح فقصصت عليه ما قالت المرأة وماقلت لها فقال رسول الله ﷺ « بئسما قلت أما كنت تقرأ هذه الاية ؟ » (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر - الى قوله - الا من تاب)الاية فقرأتها عليها فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجا .هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي رجاله من لا يعرف والله أعلم ، وقد رواه ابن جرير من حديث ابراهيم بن المنذر الحزامي بسنده بنحوه وعنده : فخرجت تدعو بالحسرة وتقول ياحسرتا أخلق هذا الحسن للنار ، وعنده انه لما رجع من عند رسول الله ﷺ تطلبها في جميع دور المدينة فلم يجدها، فلما كان من الليلة المقبلة جاءته فأخبرها بما قال له رسول الله ﷺ فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجا وتوبة مما عملت » وأعتقت جارية كانت معها وابنتها وتابت الى الله عز وجل

رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . وقال بعضهم إن الله عز وجل يمحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة

قوله عز وجل ﴿ ومن تاب وعمل صالحا ﴾ قال بعض أهل العلم هذا في التوبة عن غير ماسبق ذكره في الآية الاولى من القتل والزنا، يعني من تاب من الشرك وعمل صالحاً أي أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن ﴿ فانه يتوب إلى الله ﴾ أي يعود اليه بعد الموت ﴿ متابا ﴾ حسناً يفضل به على غيره ممن قتل وزنى » فالتوبة الاولى وهو قوله (ومن تاب) رجوع عن الشرك والثاني رجوع إلى الله للجزاء

ثم قال تعالى مخبراً عن عموم رحمته بعباده وانه من تاب منهم تاب عليه من أي ذنب كان جليلا أو حقيراً كبيرا أو صغيراً فقال تعالى (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب إلى الله متابا) أي فان الله يقبل توبته كما قال تعالى (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه) الاية وقال تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الاية وقال تعالى (قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) الاية أي لمن تاب اليه

والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللّغو مروا كراما (٧٢) والذين إذا ذكّروا بآيـٰت ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانا (٧٣) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزوٰجنا وذريّـٰتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماما (٧٤)

وهذه أيضاً من صفات عباد الرحمن أنهم لايشهدون الزور قيل هو الشرك وعبادة الاصنام وقيل الفسق والكفر واللغو والباطل ، وقال محمد بن الحنفية هو اللغو والغناء . وقال أبو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم هو أعياد المشركين . وقال عمرو بن قيس هي مجالس السوء والخنا . وقال مالك عن الزهري : شرب الخمر لايحضرونه ولا يرغبون فيه كما جاء في الحديث « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر » وقيل المراد بقوله تعالى (لايشهدون الزور) أي شهادة الزور وهي الكذب متعمداً على غيره كما في الصحيحين عن أبي بكرة قال قال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر — ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال – الشرك بالله وعقوق الوالدين – وكان متكئا فجلس فقال – ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. والأظهر من السياق أن المراد لايشهدون الزور أي لايحضرونه ولهذا قال تعالى (وإذا مروا باللغو مروا كراما) أي لايحضرون الزور واذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء ولهذا قال (مروا كراما)

والمكافأة » وقال بعضهم هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات ومعناه ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله ، وقوله (يتوب إلى الله) خبر بمعنى الامر أي ليتب إلى الله ، وقيل معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله

قوله ﴿ والذين لايشهدون الزور ﴾ قال الضحاك وأكثر المفسرين يعنى الشرك » وقال علي بن طلحة يعنى شهادة الزور . وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في السوق » وقال ابن جريج يعني الكذب ، وقال مجاهد يعني أعياد المشركين وقيل النوح ، قال قتادة لايساعدون أهل الباطل على باطلهم » وقال محمد بن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء . قال ابن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو الحسن العجلي عن محمد بن مسلم أخبرني ابراهيم بن ميسرة ان ابن مسعود مر بلهو فلم يقف فقال رسول الله ﷺ « لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريما » وحدثنا الحسين بن محمد بن سلمة النحوي ثنا حبان أنا عبدالله أنا محمد بن مسلم أخبرني ميسرة قال بلغني أن ابن مسعود مر بلهو معرضة فلم يقف فقال رسول الله ﷺ « لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريما » ثم تلا ابراهيم بن ميسرة (واذا مروا باللغو مروا كراما)

وقوله تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) وهذه أيضا من صفات المؤمنين (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) بخلاف الكافر فانه اذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير عما كان عليه بل يبقى مستمراً على كفره وطغيانه وجهله وضلاله كما قال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون « وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم) فقوله (لم يخروا عليها صما وعميانا) أي بخلاف الكافر الذي اذا سمع آيات الله فلا تؤثر فيه فيستمر على حاله كأن لم يسمعها أصم أعمى ، قال مجاهد قوله (لم يخروا عليها صما وعميانا) قال لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئا « وقال الحسن البصري رضي الله عنه « كم من رجل يقرؤها ويخر عليها أصم أعمى. وقال قتادة قوله تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) يقول لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه فهم والله قوم عقلوا عن الحق وانتفعوا بما سمعوا من كتابه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا عبدالله بن حمران ثنا ابن عون قال سألت الشعبي قلت : الرجل يرى القوم سجوداً ولم يسمع ما سجدوا أيسجد معهم « قال فتلا هذه الآية . يعني انه لا يسجد معهم لانه لم يتدبر أمر السجود، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة بل يكون على بصيرة من أمره ويقين واضح بين.
وقوله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له « قال ابن عباس يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة ، قال عكرمه : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين

مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق ﴿ واذا مروا باللغو مروا كراما ﴾ قال مقاتل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد. نظيره قوله [واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه] قال السدي وهي منسوخة بآية القتال « قال الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجلس اللهو والباطل [مروا كراما] مسرعين معرضين يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه وأكرم نفسه عنه ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا ﴾ لم يقعوا ولم يسقطوا ﴿عليها صما وعميانا﴾ كأنهم صم عمي « بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه . قال القتيبي لم يتغافلوا

وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال: ان يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميه طاعة الله ،لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولداً او ولد ولد أو أخا أو حميا مطيعا لله عز وجل . قال ابن جريج : في قوله (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) قال يعبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني يسألون الله تعالى لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم الاسلام

وقال الامام أحمد حدثنا معمر بن بشير حدثنا عبدالله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال : جلسنا إلى المقداد بن الاسود يوما فمر به رجل فقال طوبى لهاتين العينين اللتين رأيا رسول الله ﷺ لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت فاستغضب المقداد فجعلت أعجب لانه ماقال إلا خيراً ، ثم أقبل اليه فقال مايحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه لايدري لو شهده كيف يكون فيه ،والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه . أولا تحمدون الله إذ أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاء بغيركم ؟ لقد بعث الله النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبيا من الانبياء في فترة جاهلية، مايرون أن دينا أفضل من عبادة الاوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه للايمان يعلم انه ان هلك دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وانها التي قال الله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه

وقوله تعالى (واجعلنا للمتقين إماما) قال ابن عباس والحسن والسدي وقتادة والربيع بن أنس أئمة يقتدى بنا في الخير . وقال غيرهم هداة مهتدين دعاة إلى الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة

عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها

قوله ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ﴾ قرأ بغير ألف أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر ،وقرأ الباقون بالالف على الجمع ﴿ قرة أعين ﴾ يعني أولاداً أبراراً أتقياء يقولون اجعلهم صالحين فتقر أعيننا بذلك . قال القرظي ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل وقاله الحسن.ووحد القرة لانها مصدر وأصلها من القر لان العرب تتأذى من الحر وتستروح إلى البرد وتذكر قرة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن . ويقال دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار . وقال الازهري معنى قرة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر إلى غيره ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ يعني أئمة يقتدون في الخير بنا ولم يقل أئمة كقوله تعالى [إنا رسول رب العالمين] وقيل أراد أئمة كقوله [فانهم عدو لي] يعني أعداء ويقال أميرنا هؤلاء أي أمراؤنا . وقيل لأنه مصدر كالصيام والقيام يقال أم إماما كما يقال قام قياما وصام صياما .قال الحسن

بعبادة أولادهم وذرياتهم وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابا ، وأحسن مآبا ، ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية»

أولئك يُجزون الغرفة بما صبروا ويُلقَّون فيها تحية وسلاما (٧٥) خالدين فيها حسُنت مستقراً ومقاما (٧٦) قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لِزاما (٧٧)

لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ماذكر من الصفات الجميلة ، والاقوال والافعال الجليلة ، قال بعد ذلك كله (أولئك) الطبقات أي المتصفون بهذه (يجزون) يوم القيامة (الغرفة) وهي الجنة ، قاله أبو جعفر الباقر وسعيد بن جبير والضحاك والسدي سميت بذلك لارتفاعها (بما صبروا) أي على القيام بذلك (ويلقون فيها) أي في الجنة (تحية وسلاما) أي يبتدرون فيها بالتحية والاكرام ، ويلقون التوقير والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

وقوله تعالى (خالدين فيها) أي مقيمين لايظعنون ولايحولون ولايموتون ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولا كما قال تعالى (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض)

نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون . وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هداة كما قال [وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا] ولاتجعلنا أئمة ضلالة كما قال [وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار] وقيل هذا من المقلوب يعني واجعل المتقين لنا إماما واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم وهو قول مجاهد ﴿ أولئك يجزون ﴾ يعني ينالون ﴿ الغرفة ﴾ يعني الدرجة الرفيعة في الجنة والغرفة كل بناء مرتفع عال . وقال عطاء يريد غرف الدر والزبرجد في الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ على أمر الله تعالى وطاعته ، وقيل على أذى المشركين . وقيل عن الشهوات ﴿ ويلقون فيها ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الياء وتخفيف القاف كما قال [فسوف يلقون غيا] وقرأ الآخرون بضم الياء وتشديد القاف كما قال [ولقاهم نضرة وسرورا] وقوله ﴿تحية﴾ أي ملكا وقيل بقاء دائما ﴿ وسلاما ﴾ أي يسلم بعضهم على بعض . وقال الكلبي يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويرسل الرب اليهم بالسلام ، وقيل سلاما أي سلامة من الآفات ﴿ خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما ﴾ أي موضع قرار وإقامة

قوله ﴿ قل مايعبأ بكم ربي ﴾ قال مجاهد وابن زيد أي مايصنع وما يفعل بكم . قال أبو عبيدة يقال ماعبأت به شيئاً أي لم أعده فوجوده وعدمه سواء . مجازه أي وزن وأي مقدار لكم عنده ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ إياه . وقيل لولا إيمانكم ، وقيل لولا عبادتكم . وقيل لولا دعاؤه إياكم إلى الاسلام

الاية . وقوله تعالى (حسنت مستقراً ومقاما) أي حسنت منظراً وطابت مقيلا ومنزلا ، ثم قال تعالى (قل ما يعبأ بكم ربي) أي لا يبالي ولا يكترث بكم اذا لم تعبدوه ، فانه انما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلا . قال مجاهد وعمرو بن شعيب (ما يعبأ بكم ربي) يقول ما يفعل بكم ربي ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله [قل ما يعبأ بكم ربي] الآية يقول لولا إيمانكم وأخبر تعالى الكفار انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حببه الى المؤمنين

وقوله تعالى [فقد كذبتم] أيها الكافرون [فسوف يكون لزاما] أي فسوف يكون تكذيبكم لزاما لكم يعني مقتضياً لعذابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك يوم بدر كما فسره بذلك عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري [فسوف يكون لزاما] أي يوم القيامة ولا منافاة بينهما

﴿ آخر تفسير سورة الفرقان ولله الحمد والمنة ﴾

فاذا آمنتم ظهر لكم قدر ، وقال قوم معناها قل ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه يعني انه خلقكم لعبادته كما قال (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وهذا قول ابن عباس ومجاهد ، وقال قوم (قل ما يعبأ) ما يبالي بمغفرتكم (ربي لولا دعاؤكم) معه آلهة أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم كما قال الله تعالى (ما يفعل بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) وقيل ما يعبأ بعذابكم لولا دعاؤكم إياه في الشدائد كما قال (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله) وقال (فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) وقيل (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) يقول ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم ﴿ فقد كذبتم ﴾ أيها الكافرون . يخاطب أهل مكة يعني ان الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه ﴿ فسوف يكون لزاما ﴾ هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبكم لزاما . قال ابن عباس موتا ، وقال أبو عبيدة هلاكا ، وقال ابن زيد قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله . وقال ابن جرير عذابا دائما وهلاكا مقيما يلحق بعضكم ببعض واختلفوا فيه فقال قوم هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد ومقاتل يعني انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الاعمش عن مسروق قال : قال عبد الله خمس قد مضين : الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام ، وقيل اللزام هو عذاب الآخرة

تفسير سورة الشعراء وهي مكية

(ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها سورة الجامعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣) إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (٤) وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين (٥) فقد كذبوا فسيأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزئون (٦) أو لم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (٧) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٩)

أما الكلام على الحروف المقطعة في اوائل السور فقد تكلمنا عليه في أول تفسير سورة البقرة . وقوله تعالى [تلك آيات الكتاب المبين] أى هذه آيات القرآن المبين أي البين الواضح الجلي الذي يفصل بين الحق والباطل والغي والرشاد . وقوله تعالى [لعلك باخع] أي مهلك نفسك أي مما تحرص وتحزن عليهم [أن لا يكونوا مؤمنين] وهذه تسلية من الله لرسوله ﷺ في عدم ايمان من لم يؤمن

(سورة الشعراء مكية)

الا أربع آيات من آخر السورة من قوله (والشعراء يتبعهم الغاوون) مائتان وسبع وعشرون آيات وروينا عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسم ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر طسم وطس وحم ويس بكسر الطاء والياء والحاء، وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر ، وقرأ الآخرون بالفتح على التفخيم، وأظهر النون من السين عند الميم في طسم أبو جعفر وحمزة وأخفاها الآخرون « وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال : طسم عجزت العلماء عن تفسيرها ، وروى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من أسماء القرآن ، وقال مجاهد اسم السورة . قال محمد بن كعب القرظي أقسم الله بطوله وسنائه وملكه ﴿ تلك ﴾ أي هذه ﴿ آيات الكتاب المبين « لعلك باخع ﴾ قاتل ﴿ نفسك ألا

به من الكفار كما قال تعالى [فلا تذهب نفسك عليهم حسرات] كقوله [فلعلك باخع نفسك على آثارهم] الاية . قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعطية والضحاك والحسن وغيرهم (لعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك .قال الشاعر

ألا أيهذا الباخع الحزن نفسه * لشيء نحته عن يديه المقادر

ثم قال تعالى (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لو نشاء لانزلنا آية تضطرهم إلى الايمان قهراً ولكن لا نفعل ذلك لانا لا نريد من أحد إلا الايمان الاختياري.وقال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا * أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)الآية فنفذ قدره ومضت حكمته وقامت حجته البالغة على خلقه بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم

ثم قال تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) أي كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)وقال تعالى (ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وقال تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه) الآية ولهذا قال تعالى ههنا (فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) أي فقد كذبوا بما جاءهم من الحق فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب

يكونوا مؤمنين ﴾ أي إن لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على إيمانهم فأنزل الله هذه الآية ﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ قال قتادة لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله . وقال ابن جريج معناه لو شاء الله لاراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية . وقوله عز وجل (خاضعين) ولم يقل خاضعة وهي صفة الاعناق ففيه أقاويل أحدها أراد أصحاب الاعناق فحذف الاصحاب وأقام الاعناق مقامهم لان الاعناق اذا خضعت فأربابها خاضعون جعل الفعل أولا للاعناق ثم جعل خاضعين للرجال . وقال الاخفش رد الخضوع على المضمر الذي أضاف الاعناق اليه ، وقال قوم ذكر الصفة لمجاورتها المذكر وهو قوله «هم» على عادة العرب في تذكير المؤنث اذا أضافوه إلى مذكر وتأنيث المذكر اذا أضافوه إلى مؤنث ، وقيل أراد فظلوا خاضعين فعبر بالعنق عن جميع البدن كقوله (ذلك بما قدمت يداك ، وألزمناه طائره في عنقه) وقال مجاهد أراد بالاعناق الرؤساء والكبراء أي فظلت كبراؤهم خاضعين ، وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء القوم عنقا عنقا أي جماعات وطوائف وقيل انما قال خاضعين على وفاق رءوس الآي ليكون على نسق واحد

قوله ﴿ وما يأتيهم من ذكر ﴾ وعظ وتذكير ﴿ من الرحمن محدث ﴾ أي محدث انزاله فهو محدث في التنزيل . قال الكلبي كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الاول ﴿ إلا كانوا عنه

ينقلبون) ثم نبه تعالى على عظمة سلطانه وجلالة قدره وشأنه الذين اجترءوا على مخالفة رسوله وتكذيب كتابه وهو القاهر العظيم القادر الذي خلق الارض وأنبت فيها من كل زوج كريم من زروع وثمار وحيوان . قال سفيان الثوري عن رجل عن الشعبي: الناس من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم (إن في ذلك لآية) أي دلالة على قدرة الخالق للاشياء الذي بسط الارض ورفع بناء السماء ، ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه . وقوله (وان ربك لهو العزيز) أي الذي عز كل شيء وقهره وغلبه (الرحيم) أي بخلقه فلا يعجل على من عصاه بل يؤجله وينظره ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر

قال ابو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن إسحاق العزيز في نقمته وانتصاره ممن خالف أمره وعبد غيره ، وقال سعيد بن جبير الرحيم بمن تاب اليه وأناب

واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين (١٠) قوم فرعون ألا يتقون (١١) قال رب اني أخاف أن يكذبون (١٢) ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل الى هـٰرون (١٣) ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون (١٤) قال كلا فاذهبا بآيتنا انا معكم مستمعون (١٥) فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العـٰلمين (١٦) أن أرسل معنا بني إسراءيل (١٧) قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين (١٨) وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكـٰفرين (١٩) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين (٢٠) ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين (٢١) وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسراءيل (٢٢)

معرضين ﴾ أي عن الايمان به ﴿ فقد كذبوا فسيأتيهم ﴾ أي فسوف يأتيهم ﴿ أنباء ﴾ أخبار وعواقب ﴿ ما كانوا به يستهزئون ۞ أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج ﴾ صنف وضرب ﴿ كريم ﴾ حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام يقال نخلة كريمة اذا كثر لبنها . قال الشعبي الناس من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم ﴿ إن في ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ لآية ﴾ دلالة علي وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ مصدقين أي سبق علمي فيهم ان أكثرهم لايؤمنون . وقال سيبويه كان ههنا صلة مجازه وما أكثرهم مؤمنين ﴿ وإن ربك لهو العزيز ﴾ العزيز بالنقمة من أعدائه ﴿ الرحيم ﴾ ذوالرحمة بأوليائه

قوله عز وجل ﴿ وإذ نادى ربك موسى ﴾ واذكر يامحمد إذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة

يخبر تعالى عما أمر به عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام حين ناداه من جانب الطور الايمن ، وكلمه وناجاه ، وأرسله واصطفاه ، وأمره بالذهاب إلى فرعون وملئه ، ولهذا قال تعالى (أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون ، قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون * ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) هذه أعذار سأل من الله إزاحتها عنه كما قال في سورة طه (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري — إلى قوله — قد أوتيت سؤلك ياموسى) وقوله تعالى (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) أي بسبب قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر

[قال كلا] أي قال الله له لاتخف من شيء من ذلك كقوله (سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا - أي برهانا - فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) (فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) كقوله (انني معكما أسمع وأرى) أي انني معكما بحفظي وكلاءتي ونصري وتأييدي (فائتيا فرعون

والنار ﴿ أن ائت القوم الظالمين ﴾ يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب ﴿ قوم فرعون ألا يتقون ﴾ ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته ﴿ قال ﴾ يعني موسى ﴿ رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ﴾ بتكذيبهم إياي ﴿ ولا ينطلق لساني ﴾ قال هذا للعقدة التي كانت على لسانه . قرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بنصب القافين على معنى وأن يضيق ، وقرأ العامة برفعهما رداً على قوله (إني أخاف) ﴿ فأرسل إلى هارون ﴾ ليوازرني ويظاهرني على تبليغ الرسالة ﴿ ولهم عليّ ذنب ﴾ أي دعوى ذنب وهو قتله القبطي ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ أي يقتلونني به ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ كلا ﴾ أي لن يقتلوك ﴿ فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون ﴾ سامعون مايقولون ذكر معكم بلفظ الجمع وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة ، وقيل أراد معكما ومع بني اسرائيل نسمع مايجيبكم فرعون ﴿ فائتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ﴾ ولم يقل رسولا رب العالمين لانه أراد الرسالة أي انا ذو رسالة رب العالمين كما قال كثير

لقد كذب الواشون مابحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

أي بالرسالة . وقال أبو عبيدة يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولي ووكيلي وهذان وهؤلاء رسولي ووكيلي كما قال الله تعالى (وهم لكم عدو) وقيل معناه كل واحد منا رسول رب العالمين ﴿ أن أرسل ﴾ أي بأن أرسل ﴿ معنا بني اسرائيل ﴾ أي الى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفاً فانطلق موسى الى مصر وهارون بها فأخبره بذلك . وفي القصة أن موسى رجع الي مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصا والمكتل معلق في رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارون بأن الله أرسلني الى فرعون وأرسلني اليك حتى ندعو فرعون إلى الله فخرجت أمهما وصاحت وقالت إن

فقولا انا رسول رب العالمين) كقوله في الآية الاخرى (انا رسول ربك) أي كل منا أرسل اليك (أن أرسل معنا بني إسرائيل) أي أطلقهم من أسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك فانهم عباد الله المؤمنون وحزبه المخلصون وهم معك في العذاب المهين فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون هنا لك بالكلية ونظر اليه بعين الازدراء والغمص فقال (ألم نربك فينا وليداً) الاية أي أما أنت ذاك الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الاحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلا وجحدت نعمتنا عليك ولهذا قال (وأنت من الكافرين) أي الجاحدين . قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير (قال فعلتها اذاً) أي في تلك الحال (وأنا من الضالين) أي قبل أن يوحى إلي وينعم الله علي بالرسالة والنبوة

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم (وأنا من الضالين) أي الجاهلين قال ابن جريج وهو كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ففررت منكم لما خفتكم) الاية

فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما اليه قتلكما . فلم يمتنعا لقولها وذهبا إلى باب فرعون ليلا ودقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب ؟ وروي انه اطلع البواب عليهما فقال من أنتما ؟ فقال موسى (انا رسول رب العالمين) فذهب البوابون إلى فرعون وقال إن مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعاهما ، وروي أنهما انطلقا جميعاً الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه ، فدخل البواب وقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين ، فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه وأديا رسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته ﴿ فقال الم نربك فينا وليداً ﴾ صبياً ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ وهو ثلاثون سنة ﴿ وفعلت فعلتك التي فعلت ﴾ يعني قتل القبطي ﴿ وأنت من الكافرين ﴾ قال الحسن والسدي يعني وأنت من الكافرين بالهك الذي تدعيه ومعناه على ديننا هذا الذي تعيبه . وقال أكثر المفسرين معنى قوله (وأنت من الكافرين) يعني من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي . يقول ربيناك فينا فكافأتنا ان قتلت منا نفساً وكفرت بنعمتنا وهذا رواية العوفي عن ابن عباس ، وقال ان فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ فعلتها اذاً ﴾ اى فعلت مافعلت حينئذ ﴿ وانا من الضالين ﴾ اى من الجاهلين لم يأتني من الله شيء وقيل من الجاهلين بأن ذلك يؤدي الى قتله ، وقيل من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد ، وقيل من المخطئين ﴿ ففررت منكم لما خفتكم ﴾ الى مدين ﴿ فوهب لي ربي حكما ﴾ يعني النبوة وقال مقاتل يعني العلم والفهم ﴿ وجعلني من المرسلين ، وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل ﴾ اختلفوا في تأويلها فحملها بعضهم على الاقرار وبعضهم على الانكار فمن قال هو اقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل مجازاه بلى وتلك نعمة لك علي أن عبدت بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني ، ومن قال هو انكار

أي انفصل الحال الاول وجاء أمر آخر فقد أرسلنى الله اليك فان أطعته سلمت وان خالفته عطبت ثم قال موسى (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) أي وما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخدما تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك أفيفي إحسانك الى رجل واحد منهم بما أسأت الى مجموعهم أي ليس ماذكرته شيئا بالنسبة الى مافعلت بهم

قال فرعون ومارب العلمين (٢٣) قال رب السموٰت والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين (٢٤) قال لمن حوله ألا تستمعون ؟ (٢٥) قال ربكم ورب آبائكم الاولين (٢٦) قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون (٢٧) قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (٢٨)

يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده في قوله (ومارب العالمين) وذلك أنه كان يقول لقومه (ماعلمت لكم من إله غيري * فاستخف قومه فأطاعوه) وكانوا يجحدون الصانع جل وعلا ويعتقدون أنه لارب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى اني رسول رب العالمين قال له فرعون ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدي هذه الاية كقوله تعالى (قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقدغلط فانه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية بل

قال قوله (وتلك نعمة) هو على طريق الاستفهام أي وتلك نعمة حذف ألف الاستفهام كقوله (أفهم الخالدون) قال الشاعر

تروح من الحي ام تبتكر   وماذا يضرك لو تنتظر

اي أتروح من الحي . قال عمر بن عبدالله بن ابي ربيعة :

لم أنس يوم الرحيل وقفتها   وطرفها في دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة   تتركني هكذا وتنطلق

أى أتتركني يقول : تمن علي أن ربيتني وتنسى جنايتك على بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة. أو يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه ذل فتعبيدك بني اسرائيل قد أحبط احسانك الي. وقيل معناه تمن علي بالتربية : وقوله (أن عبدت بني اسرائيل) أي باستعبادك بني اسرائيل وقتلك أولادهم دفعت اليك حتى ربيتني وكفلتني ولو لم تستعبدهم وتقتلهم كان لي من أهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم فأي نعمة لك علي، قوله عبدت أى اتخذتهم عبيداً يقال عبدت فلانا وأعبدته وتعبدته واستعبدته أي اتخذته عبداً (قال فرعون ومارب العالمين) يقول أي شيء رب العالمين الذى تزعم انك رسوله

كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر وان كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين (قال رب السموات والارض وما بينهما) أي خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لاشريك له هو الله الذي خلق الاشياء كلها العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات ، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير، وما يحتوي عليه الجو الجميع عبيد له خاضعون ذليلون (ان كنتم موقنين) أى ان كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة فعند ذلك التفت فرعون الى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلا لهم على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله (ألا تستمعون) أى ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم الها غيري فقال لهم موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) أي خالقكم وخالق آبائكم الاولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه (قال) أى فرعون لقومه (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) أى ليس له عقل في دعواه ان ثم رباغيرى (قال) أى موسى لأولئك الذين أوعز اليهم فرعون ماأوعز من الشبهة فأجاب موسى بقوله (رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) أى هو الذى جعل المشرق مشرقا تطلع منه الكواكب . والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذى سخرها فيه وقدرها فان كان هذا الذى يزعم أنه ربكم والهكم صادقا فليعكس الامر وليجعل المشرق مغربا والمغرب مشرقا كما قال تعالى عن الذى (حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) الاية . ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته عدل الى استعمال جاهه وقوته وسلطانه ، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه

اليّ . يستوصفه الهه الذى أرسله اليه بما وهو سؤال عن جنس الشيء والله منزه عن الجنسية فاجابه موسى عليه السلام بذكر أفعاله التى يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها ﴿ قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين ﴾ انه خالقها قال أهل المعانى أي كما توقنون هذه الأشياء التى تعاينونها فايقنوا أن اله الخالق هو الله عز وجل فلما قال موسى ذلك تحير فرعون في جواب موسى ﴿ قال لمن حوله ﴾ من أشراف قومه ، قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة قال لهم فرعون استبعاداً لقول موسى : ﴿ ألا تسمعون ﴾ وذلك انهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم فزادهم موسى فى البيان ﴿ فقال ربكم ورب آبائكم الا ولين ﴾

﴿ قال ﴾ يعني فرعون ﴿ ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ﴾ يتكلم بكلام لانعقله ولا نعرف صحته وكان عندهم أن من لايعتقد مايعتقدون ليس بعاقل فزاد موسي في البيان ﴿فقال رب المشرق

قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (٢٩) قال أولو جئتك بشيء مبين ؟ (٣٠) قال فأت به إن كنت من الصادقين (٣١) فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين (٣٢) ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين (٣٣) قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم (٣٤) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون؟ (٣٥) قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين (٣٦) يأتوك بكل سحار عليم (٣٧)

لما قامت الحجة على فرعون بالبيان والعقل عدل الى أن يقهر موسى بيده وسلطانه فظن انه ليس وراء هذا المقام مقال فقال (لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين) فعند ذلك قال موسى (أولو جئتك بشيء مبين ؟) أي ببرهان قاطع واضح (قال فائت به ان كنت من الصادقين * فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) أي ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج (ونزع يده) أي من جيبه (فاذا هي بيضاء للناظرين) أى تتلألأ كقطعة من القمر فبادر فرعون بشقاوته الى التكذيب والعناد فقال للملأ حوله (ان هذا لساحر عليم) أى فاضل بارع في السحر فروّج عليهم فرعون ان هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة ، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته والكفر به فقال (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) الآية أي أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم فأشيروا علي فيه ماذا أصنع به؟ (قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحار عليم) أي أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار عليم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء

والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ ﴿ فقال ﴾ فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبراً عن الحق ﴿ لئن اتخذت الهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ من المحبوسين قال الكلبي كان سجنه أشد من القتل لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه شيئاً من عمقه يهوي في الأرض ﴿ قال ﴾ له موسى حين توعده بالسجن ﴿ أولو جئتك ﴾ أي وإن جئتك ﴿ بشيء مبين ﴾ بآية مبينة ومعنى الآية : أتفعل ذلك وإن أتيتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان ﴿ قال ﴾ له فرعون ﴿ فائت به ﴾ فانا لن نسجنك حينئذ ﴿ ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ﴾ فقال وهل غيرها ﴿ ونزع ﴾ موسى ﴿ يده فاذا هي بيضاء للناظرين ﴾ ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ للملأ حوله ان هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون * قالوا أرجه وأخاه

به فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد ، فأجابهم إلى ذلك ، وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك ليجتمع الناس في صعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة

فَجُمِعَ السحرة لميقات يوم معلوم (٣٨) وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ؟ (٣٩) لعلنا نتّبع السحرة ان كانوا هم الغالبين (٤٠) فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً ان كنا نحن الغالبين (٤١) قال نعم وإنكم اذاً لمن المقربين (٤٢) قال لهم موسى ألقوا ما أنتم مُلقون (٤٣) فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (٤٤) فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون (٤٥) فألقي السحرة ساجدين (٤٦) قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) رب موسى وهارون (٤٨)

ذكر الله تعالى هذه المناظرة الفعلية بين موسى عليه السلام والقبط في سورة الاعراف وفي سورة طه وفي هذه السورة . وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وهذا شأن الكفر والايمان ماتواجها وتقابلا إلا غلبه الايمان (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون - وقل جاء الحق وزهق الباطل) الاية ولهذا لما جاء السحرة وقد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخييلا في ذلك ، وكان السحرة جمعاً كثيراً ، وجماً غفيراً ، قيل كانوا اثني عشر الفا وقيل خمسة عشر الفا ، وقيل سبعة عشر الفا ، وقيل تسعة عشر الفا ، وقيل بضعة وثلاثين الفا ، وقيل ثمانين الفا ، وقيل غير ذلك والله أعلم بعدتهم

قال ابن إسحاق : وكان أمرهم راجعاً إلى أربعة منهم وهم رؤساؤهم وهم : سابور وعاذور وحطحط ويصفى . وحشر الناس في الاجتماع ذلك اليوم وقال قائلهم (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى بل الرعية على دين ملكهم (فلما جاء السحرة) أي إلى مجلس فرعون وقد ضربوا له وطاقا وجمع خدمه وحشمه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته ، فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الاحسان اليهم والتقرب اليه إن غلبوا أي هذا الذي جمعتنا من أجله فقالوا (أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ؟ قال نعم وإنكم

وابعث فى المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحار عليم * فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾ وهو يوم الزينة : وروي عن ابن عباس قال وافق ذلك اليوم يوم السبت فى أول يوم من السنة وهو يوم النيروز ﴿ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ﴾ لتنظروا الى مايفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة ﴿ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ لموسى وقيل انما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء وأرادوا بالسحرة

إذاً لمن المقربين) أي وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي . فعادوا إلى مقام المناظرة (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى* قال بل ألقوا) وقد اختصر هذا ههنا فقال لهم موسى (ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وهذا كما تقول الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئا هذا بثواب فلان

وقد ذكر الله تعالى في سورة الاعراف انهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم . وقال في سورة طه (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى - إلى قوله - ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال ههنا (فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون) أي تختطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئا، قال الله تعالى(فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون - إلى قوله - رب موسى وهارون) فكان هذا أمراً عظيما جداً وبرهانا قاطعا للعذر وحجة دامغة ، وذلك ان الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا غُلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة وسجدوا لله رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة ، فغلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله وكان وقحا جريئا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرع يتهددهم ويتوعدهم ويقول (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقال (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) الاية

قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين(٤٩) قالوا لا ضير إنا الى ربنا منقلبون(٥٠) انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين(٥١)

تهددهم فلم ينفع ذلك فيهم وتوعدهم فما زادهم الا ايمانا وتسليما، وذلك انه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر الا أن يكون الله قد أيده به وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه ، ولهذا لما قال لهم فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟) أي كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ولا تفتاتوا علي في ذلك فان أذنت لكم فعلتم وان منعتكم امتنعتم فاني أنا الحاكم المطاع [انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهذه مكابرة

موسى وهارون وقومهما(فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً ان كنا نحن الغالبين*قال نعم وانكم لمن المقربين * قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون*فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون*فألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون*قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون*

يعلم كل أحد بطلانها فانهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر ؟ هذا لا يقوله عاقل . ثم توعدهم فرعون بقطع الايدي والأرجل والصلب فقالوا [لا ضير] أى لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به [انا الى ربنا منقلبون] أى المرجع الى الله عز وجل وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخفى عليه مافعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء ولهذا قالوا [انا نطمع أن يغفر لنا خطايانا] أي ماقارفنا من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر [ان كنا أول المؤمنين] أى بسبب انا بادرنا قومنا من القبط الى الايمان . فقتلهم كلهم

وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون (٥٢) فأرسل فرعون في المدائن حـٰشرين (٥٣) ان هؤلاء لشِرْذمة قليلون (٥٤) وانهم لنا لغائظون (٥٥) وانا لجميع حـٰذرون (٥٦) فأخرجنـٰهم من جنّت وعيون (٥٧) وكنوز ومقام كريم (٥٨) كذلك وأورثنـٰها بني اسراءيل (٥٩)

لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون ، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني اسرائيل ليلا من مصر وأن يمضي بهم حيث يؤمر ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل . خرج بهم بعد ما استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا ، وكان خروجه بهم فيما ذكره غير

لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين * قالوا لاضير ﴾ لا ضرر ﴿ انا الى ربنا منقلبون * انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا ﴾ لأن كنا ﴿ أول المؤمنين ﴾ من أهل زماننا

﴿ وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون ﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر وروي عن ابن جريج قال أوحى الله تعالى الى موسى أن : اجمع بني اسرائيل كل أهل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر الملائكة فلا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري . ففعل ذلك فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا . فأرسل في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في الكرسي العظيم ﴿ فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ﴾ يحشرون الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة وقيل حتى يجمعوا له الجيش ، وذكر بعضهم أنه كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية وقال لهم ﴿ ان هؤلاء لشرذمة ﴾ عصابة ﴿ قليلون ﴾ والشرذمة القطعة من الناس غير الكثير وجمعها شراذم قال أهل

واحد من المفسرين وقت طلوع القمر . وذكر مجاهد رحمه الله انه كسف القمر تلك الليلة فالله أعلم وأن موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بني اسرائيل عليه فاحتمل تابوته معهم ويقال انه هو الذي حمله بنفسه عليهما السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك اذا خرج بنو اسرائيل أن يحتملوه معهم

وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمه الله فقال : حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي اسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى قال : نزل رسول الله ﷺ باعرابي فأكرمه فقال له رسول الله ﷺ « تعاهدنا » فأتاه الاعرابي فقال له رسول الله ﷺ « ماحاجتك ؟ » قال ناقة برحلها وأعنز يحتلبها أهلي « فقال « أعجزت أن تكون مثل عجوز بني اسرائيل؟» فقال له أصحابه وما عجوز بني اسرائيل يارسول الله؟ قال « ان موسى عليه السلام لما أراد أن يسير ببني اسرائيل أضل الطريق فقال لبني اسرائيل ماهذا؟ فقال له علماء بنى اسرائيل نحن نحدثك إن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لانخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا ، فقال لهم موسى فأيكم يدري أين قبر يوسف؟ قالوا مايعلمه إلا عجوز من بنى اسرائيل فأرسل اليها فقال لها دليني على قبر يوسف ، فقالت والله لاأفعل حتى تعطينى حكمي ، فقال لها وما حكمك ؟ قالت حكمي أن أكون معك في الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له أعطها حكمها ، قال فانطلقت معهم الى بحيرة مستنقع ماء فقالت لهم انضبوا هذا الماء فلما أنضبوه قالت احفروا ، فلما حفروا استخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه اذا الطريق مثل ضوء النهار» وهذا حديث غريب جداً والاقرب انه موقوف والله أعلم

التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف وعن ابن مسعود قال كانوا ستمائة وسبعين ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون ﴿ وإنهم لنا لغائظون ﴾ يقال غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبه والغيظ الغضب واحديقول أغضبونا بمخالفتهم ديننا وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير اذن منا ﴿ وانا لجميع حاذرون ﴾ قرأ أهل الحجاز والبصرة حذرون وفرهين بغير ألف، وقرأ الآخرون حاذرون وفارهين بالالف فيهما وهما لغتان، وقال أهل التفسير حاذرون أي مؤدون ومقوون أي ذووا أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح ومعنى حذرون أي خائفون شرهم، وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المستيقظ وقال الفراء الحاذر الذي يحذرك الآن والحذر المخوف وكذلك لا تلقاه الا حذرا والحذر اجتناب الشيء خوفا منه ﴿ فأخرجناهم من جنات ﴾ وفي القصة أن البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل ﴿وعيون ﴾ أنهار جارية ﴿ وكنوز ﴾ يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانه لم يعط حق الله منها ومالم يعط حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهرا ، قيل كان لفرعون ثمانية آلاف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل

فلما أصبحوا وليس في ناديهم داع ولا مجيب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني اسرائيل لما يريد الله به من الدمار ، فأرسل سريعا في بلاده حاشرين أى من يحشر الجند ويجمعه كالنقباء والحجاب ونادى فيهم [ان هؤلاء] يعني بني اسرائيل [لشرذمة قليلون] أى لطائفة قليلة [وانهم لنا لغائظون] أى كل وقت يصل منهم الينا مايغيظنا [وانا لجميع حاذرون] أى نحن كل وقت نحذر من غائلتهم . وقرأ طائفة من السلف [وانا لجميع حذرون] اى مستعدون بالسلاح ، واني أريد أن أستأصل شأفتهم وأبيد خضراءهم فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم ، قال الله تعالى [فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم] أى فخرجوا من هذا النعيم الى الجحيم وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والانهار والاموال والارزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) كما قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها) الآية وقال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) الآيتين

فأتبعوهم مُشرقين (٦٠) فلما تراءى الجمعان قال أصحٰب موسى انا لمُدرَكون (٦١) قال كلا ان معي ربي سيهدين (٦٢) فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرق كالطود العظيم (٦٣) وأزلفنا ثم الآخرين (٦٤) وأنجينا موسى ومن معه أجمعين (٦٥) ثم أغرقنا الآخرين (٦٦) ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٦٧) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٦٨)

ذكر غير واحد من المفسرين ان فرعون خرج في محفل عظيم وجمع كبير هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه أولي الحل والعقد والدول من الامراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود ، فاما ماذكره غير واحد من الاسرائيليات من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس منها مائة الف على خيل دهم ففيه نظر

فرس طوق من ذهب ﴿ ومقام كريم ﴾ أي مجلس حسن قال المفسرون أراد مجالس الامراء والرؤساء التي كانت تحفها الاتباع وقال مجاهد وسعيد بن جبير هي المنابر وذكر بعضهم أنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف عليهم الاقبية من الديباج مخوصة بالذهب ﴿ كذلك ﴾ كما وصفنا ﴿ وأورثناها ﴾ بهلاكهم ﴿ بني اسرائيل ﴾ وذلك أن الله تعالى رد بني اسرائيل الى مصر بعد ما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والمساكن ﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾ يعني لحقوهم في وقت اشراق الشمس وهو اضاءتها أي أدرك

وقال كعب الاحبار فيهم ثمانمائة الف حصان أدهم وفي ذلك نظر ، والظاهر أن ذلك من مجازفات بني إسرائيل والله سبحانه وتعالى أعلم ، والذي أخبر به القرآن هو النافع ولم يعين عددهم اذ لا فائدة تحته لأنهم خرجوا بأجمعهم (فأتبعوهم مشرقين) أي وصلوا اليهم عند شروق الشمس وهو طلوعها (فلما تراءى الجمعان) اي رأى كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك (قال أصحاب موسى انا لمدركون) وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار أمامهم البحر وقد أدركهم فرعون بجنوده فلهذا قالوا (انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين) أي لا يصل اليكم شيء مما تحذرون فان الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير ههنا بكم وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد ، وكان هارون عليه السلام في المقدمة ومعه يوشع بن نون ، مؤمن آل فرعون وموسى عليه السلام في الساقة ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام يا نبي الله ههنا أمرك ربك أن تسير ؟ فيقول نعم فاقترب فرعون وجنوده ولم يبق الا القليل فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فضربه وقال انفلق باذن الله. وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف عن عبدالله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال : يامن كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء ، والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجا فأوحى الله اليه (أن اضرب بعصاك البحر) وقال قتادة أوحى الله تلك الليلة الى البحر أن اذا ضربك موسى بعصاه فاسمع له وأطع فبات البحر تلك الليلة وله اضطراب ولا يدري من أي جانب يضربه موسى فلما انتهى اليه موسى قال له فتاه يوشع بن نون يانبي الله أين أمرك ربك عز وجل؟ قال أمرني أن أضرب البحر قال فاضربه، وقال محمد بن إسحاق أوحى الله فيما ذكر لي الى البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق ، قال فبات البحر يضطرب ويضرب بعضه بعضا فرقا من الله تعالى وانتظاراً لما أمره الله ، وأوحى الله الى موسى (أن اضرب بعصاك البحر) فضربه بها ففيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق، وذكر غير واحد أنه جاءه فكناه فقال انفلق علي أبا خالد باذن الله

قوم فرعون موسى وأصحابه وقت شروق الشمس ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه وكسر حمزة الراء من تراءى وفتحها الآخرون ﴿ قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾ يعني سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم ﴿قال﴾ موسى ثقة بوعد الله إياه ﴿كلا﴾ لن يدركونا ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ يدلني على طريق النجاة ﴿ فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ﴾ يعني فضربه فانفلق فانشق ﴿فكان كل فرق﴾ قطعة من الماء ﴿كالطود العظيم﴾ كالجبل الضخم قال ابن جريج وغيره لما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج مثل الجبال فقال يوشع يامكلم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا؟ قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما

قال الله تعالى (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) أي كالجبل الكبير قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن كعب والضحاك وقتادة وغيرهم . وقال عطاء الخراساني هو الفج بين الجبلين ، وقال ابن عباس صار البحر اثني عشر طريقا لكل سبط طريق ، وزاد السدي وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض ، وقام الماء على حيله كالحيطان وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته فصار يبسا كوجه الارض قال الله تعالى (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لاتخاف دركا ولا تخشى) وقال في هذه القصة (وأزلفنا ثم الآخرين) أي هنالك قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقتادة والسدي (وأزلفنا) أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنيناهم اليه (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) أي أنجينا موسى وبني اسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم احد، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل الا هلك ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شبابة حدثنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله هو ابن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى ببني اسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبحت ، وقال لاوالله لايفرغ من سلخها حتى يجتمع الي ستمائة الف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى الى البحر فقال له انفرق . فقال له البحر قد استكبرت ياموسى وهل انفرقت لاحد من ولد آدم فأنفرق لك ؟ قال ومع موسى رجل على حصان له فقال له ذلك الرجل أين أمرت يانبي الله ؟ قال :ما أمرت الا بهذا الوجه يعني البحر فأقحم فرسه فسبح به فخرج فقال اين امرت يانبي الله قال ما أمرت إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت ثم اقتحم الثانية فسبح ثم خرج فقال أين أمرت يانبي الله ؟ قال ما أمرت الا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت . قال فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر . فضربه موسى بعصاه فانفلق فكان فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يتراءون فلما خرج أصحاب موسى وتتام أصحاب فرعون التقى البحر عليهم فأغرقهم

يواري حافر دابته الماء . وقال الذي يكتم إيمانه يا مكلم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء ، وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده ﴿وأزلفنا﴾ يعني وقربنا ﴿ ثم الاخرين ﴾ يعني قوم فرعون يقول قدمناهم الى البحر وقربناهم الى الهلاك وقال أبو عبيدة (وأزلفنا) جمعنا ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة الجمع وفي القصة أن جبريل كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون وكان يسوق بني اسرائيل ويقولون ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل وكان يزغ قوم فرعون وكانوا يقولون ما رأينا أحسن زغة من هذا ﴿ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ﴾ فرعون وقومه وقال سعيد بن جبير كان البحر ساكنا قبل ذلك فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب فجعل يمد ويجزر ﴿ إن في

وفي رواية إسرائيل عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله قال : فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انطم عليهم البحر فما رئي سواد أكثر من يومئذ، وغرق فرعون لعنه الله . ثم قال تعالى (ان في ذلك لآية) أي في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة (وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم تفسيره

واتل عليهم نبأ ابراهيم (٦٩) إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون؟ (٧٠) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عٰكفين (٧١) قال هل يسمعونكم اذ تدعون؟ (٧٢) أو ينفعونكم أو يضرون (٧٣) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٧٤) قال أفرءيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الاقدمون (٧٦) فانهم عدوٌ لي الا ربَّ العٰلمين (٧٧)

هذا اخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله ابراهيم عليه السلام امام الحنفاء . أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لاشريك له والتبري من الشرك وأهله فان الله تعالى (آتى ابراهيم رشده من قبل) أي من صغره الى كبره فانه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الاصنام مع الله عز وجل فقال لابيه وقومه ماذا تعبدون أي ماهذه التماثيل التي أنتم لها كفون ؟ (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أي مقيمين على عبادتها ودعائها (قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون* قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) يعني اعترفوا بأن أصنامهم لاتفعل شيئاً من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون

ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ أي من أهل مصر قيل لم يكن آمن من أهل مصر الا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن ومريم بنت ناموشي التي دلت على عظام يوسف عليه السلام ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ العزيز في الانتقام من أعدائه الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم

قوله ﴿ واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون ﴾ أي شيء تعبدون ﴿ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴾ يعني نقيم على عبادتها قال بعض أهل العلم انما قال فنظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار ﴿ قال هل يسمعونكم ﴾ أي هل يسمعون دعاكم ﴿ اذ تدعون ﴾ قال ابن عباس يسمعون لكم ﴿ أو ينفعونكم ﴾ قيل بالرزق ﴿ أو يضرون ﴾ إن تركتم عبادتها ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ معناه انها لاتسمع قولا ولا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرا لكن اقتدينا بآبائنا وفيه إبطال التقليد فى الدين ﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم* وآباؤكم الأقدمون ﴾ الأولون ﴿ فانهم عدو لي ﴾ يعنى أعدائي ووحده على معنى أن

فعند ذلك قال لهم ابراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين) أي ان كانت هذه الاصنام شيئا ولها تأثير فلتخلص إلي بالمساءة فاني عدو لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها ، وهذا كما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) الآية وقال هود عليه السلام (اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) وهكذا تبرأ ابراهيم من آلهتهم فقال (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله] الآية . وقال تعالى [قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم — الى قوله — حتى تؤمنوا بالله وحده] وقال تعالى [واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون * الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة] يعني لا اله الا الله

الذي خلقني فهو يَهدين (٧٨) والذي هو يطعمني و يسقين (٧٩) واذا مرِضت فهو يَشفين (٨٠) والذي يميتني ثم يُحيين (٨١) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (٨٢)

يعني لا أعبد الا الذي يفعل هذه الاشياء (الذي خلقني فهو يهدين) أي هو الخالق الذي قدر قدراً وهدى الخلائق اليه فكل يجري على ماقدر وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء (والذي هو يطعمني ويسقين) أي هو خالقي ورازقي بما سخر ويسر من الاسباب السماوية والارضية فساق المزن وأنزل الماء وأحيى به الارض وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد وأنزل الماء عذبا زلالا يسقيه مما

كل معبود لكم عدو لي فان قيل كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات قيل معناه فانهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة كما قال تعالى (سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقال الفراء هو من المقلوب أراد فاني عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك . وقيل فانهم عدو لي على معنى أني لا أتولاهم ولا أطلب من جهتهم نفعا كما لا يتولى العدو ولا يطلب من جهته النفع قوله ﴿ الا رب العالمين ﴾ اختلفوا في هذا الاستثناء قيل هو استثناء منقطع كانه قال فانهم عدو لي لكن رب العالمين وليي وقيل إنهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله فقال ابراهيم كل من تعبدون أعدائي الا رب العالمين . وقيل إنهم غير معبود لي الا رب العالمين فاني أعبده وقال الحسين بن الفضل معناه الا من عبد رب العالمين ثم وصف معبوده فقال ﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾ أي يرشدني الى طريق النجاة ﴿ والذي هو يطعمني ويسقين ﴾ أي يرزقني ويغذوني بالطعام والشراب فهو رازقي ومن عنده رزقي ﴿ واذا مرضت ﴾ أضاف المرض الى نفسه وان كان المرض والشفاء كله من الله استعمالا لحسن الادب كما قال الخضر (فاردت أن أعيبها ـ وقال ـ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) ﴿ فهو يشفين ﴾ أي يبرئني من المرض ﴿ والذي يميتني ثم يحيين ﴾ أدخل ثم ههنا للتراخي أي يميتني في الدنيا ويحييني في الآخرة ﴿ والذي

خلق أنعاما وأناسي كثيراً . وقوله (واذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض إلى نفسه وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه ولكن أضافه إلى نفسه أدبا كما قال تعالى آمراً المصلي أن يقول (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخر السورة فأسند الانعام والهداية إلى الله تعالى والغضب حذف فاعله أدبا وأسند الضلال إلى العبيد كما قالت الجن [وانا لاندري أشر أريد بمن في الارض أم اراد بهم ربهم رشداً] وكذا قال ابراهيم (واذا مرضت فهو يشفين) أي اذا وقعت في مرض فانه لايقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الاسباب الموصلة اليه (والذي يميتني ثم يحيين) أي هو الذي يحيي ويميت لايقدر على ذلك أحد سواه فانه هو الذي يبدىء ويعيد (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي لايقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة الا هو ومن يغفر الذنوب الا الله وهو الفعال لما يشاء

رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين (٨٣) واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤) واجعلني من ورثة جنة النعيم (٨٥) واغفر لأبي انه كان من الضالين (٨٦) ولا تخزني يوم يُبعثون (٨٧) يوم لاينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم ٨٩)

وهذا سؤال من ابراهيم عليه السلام أن يؤتيه ربه حكما . قال ابن عباس وهو العلم ، وقال عكرمة هو اللب ، وقال مجاهد هو القرآن ، وقال السدي هو النبوة . وقوله (وألحقني بالصالحين) أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة كما قال النبي ﷺ عند الاحتضار « اللهم في الرفيق الاعلى » قالها ثلاثا . وفي الحديث في الدعاء « اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبدلين » وقوله (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي واجعل لي ذكراً جميلا بعدي اذكر به ويقتدى بي في الخير كما قال تعالى [وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين] قال مجاهد وقتادة (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) يعني الثناء الحسن . قال مجاهد كقوله تعالى (وآتيناه في الدنيا حسنة) الآية كقوله [وآتيناه أجره في الدنيا] الآية . قال ليث بن أبي سليم

أطمع ﴾ أرجو ﴿ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ أي خطاياي يوم الحساب قال مجاهد هو قوله أني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي، وزاد الحسن وقوله للكوكب هذا ربي أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص بن غياث عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت قلت يارسول الله: ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين فهل ذاك نافعه ؟ قال « لاينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه واخبار أنه لا تصلح الالهية إلا لمن يفعل هذه الافعال ﴿ رب هب لي حكما ﴾

كل ملة تحبه وتتولاه وكذا قال عكرمة . وقوله تعالى (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي أنعم علي في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم . وقوله (واغفر لأبي) الآية كقوله [ربنا اغفرلي ولوالدي] وهذا مما رجع عنه ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى [وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه — الى قوله — إن ابراهيم لأواه حليم] وقدقطع تعالى الالحاق في استغفاره لأبيه فقال تعالى [قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه — الى قوله — وما أملك لك من الله من شيء] وقوله (ولا تخزني يوم يبعثون) أي أجرني من الخزي يوم القيامة ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم

وقال البخاري عند هذه الآية قال ابراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يلقى ابراهيم يوم القيامة أباه عليه الغبرة والقترة » وفي رواية أخرى حدثنا اسماعيل حدثنا أخي عن ابن ابي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يلقى ابراهيم أباه فيقول يارب انك وعدتني أن لاتخزني يوم يبعثون فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين » هكذا رواه عندهذه الآية . وفي أحاديث الانبياء بهذا الاسناد بعينه منفرداً به ولفظه « يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لاتعصيني فيقول أبوه فاليوم لاأعصيك » فيقول ابراهيم يارب انك وعدتني أن لاتخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من ابي الابعد فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول ياابراهيم انظر تحت رجلك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار » ورواه عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه الكبير

وقوله (ولا تخزني يوم يبعثون) أخبرنا أحمد بن حفص بن عبدالله حدثني أبي حدثني ابراهيم ابن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان ابراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة وقال « قد نهيتك عن هذا فعصيتني » قال لكني اليوم لا أعصيك واحدة ، قال يارب وعدتني أن لاتخزني يوم يبعثون فان أخزيت أباه فقد أخزيت الابعد » قال ياابراهيم إني حرمتها على الكافرين فأخذ منه . قال ياابراهيم أين أبوك

قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقال مقاتل الفهم والعلم وقال الكلبي النبوة ﴿وألحقني بالصالحين﴾ بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجيء بعدي فأعطاه الله ذلك فجعل كل أهل الاديان يتلونه ويثنون عليه قال القتيبي وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لان القول يكون به ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أي ممن تعطيه جنة النعيم ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ وقال هذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما سبق ذكره في سورة التوبة ﴿ولا تخزني﴾ لاتفضحني ﴿يوم يبعثون﴾ يوم

قال أنت أخذته مني ، قال انظر أسفل منك فنظر فاذا ذيخ يتمرغ في نتنه فأخذ بقوائمه فألقي في النار » وهذا اسناد غريب وفيه نكارة والذيخ هو الذكر من الضباع كأنه حول آزر إلى صورة ذيخ متلطخ بعذرته فيلقى في النار كذلك . وقد رواه البزار باسناده من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة عن النبي ﷺ وفيه غرابة . ورواه أيضاً من حديث قتادة عن جعفر بن عبد الغافر عن ابي سعيد عن النبي ﷺ بنحوه

وقوله (يوم لاينفع مال ولا بنون) أى لايقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الارض ذهباً (ولا بنون)أى ولو افتدى بمن على الارض جميعا ولا ينفع يومئذ إلا الايمان بالله واخلاص الدين له والتبري من الشرك وأهله ولهذا قال (إلا من أتى الله بقلب سليم) اى سالم من الدنس والشرك قال ابن سيرين القلب السليم أن يعلم ان الله حق وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور . وقال ابن عباس (إلا من أتى الله بقلب سليم) القلب السليم أن يشهد أن لا إله الا الله ، وقال مجاهد والحسن وغيرهما (بقلب سليم) يعني من الشرك ، وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالي [في قلوبهم مرض] قال أبو عثمان النيسابوري هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة

وأزلفت الجنة للمتقين (٩٠) وبُرّزت الجحيم للغاوين (٩١) وقيل لهم أين ماكنتم تعبدون (٩٢) من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ (٩٣) فكبكبوا فيها هم والغاوون (٩٤) وجنود إبليس أجمعون (٩٥) قالوا وهم فيها يختصمون (٩٦) تالله ان كنا لفي ضلال مبين (٩٧) إذ نسويكم برب العلمين (٩٨) وما أضلنا إلا المجرمون (٩٩) فما لنا من شفعين (١٠٠) ولا صديق حميم (١٠١) فلو أن لنا كرّة فنكون من المؤمنين (١٠٢) ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٠٣) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٠٤)

لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ﴾ أي خالص من الشرك والشك ، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد هذا قول أكثر المفسرين، وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى (في قلوبهم مرض) قال أبو عثمان النيسابوري هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السنة ﴿ وأزلفت ﴾ قربت ﴿ الجنة للمتقين وبرزت ﴾ أظهرت ﴿ الجحيم للغاوين ﴾ للكافرين ﴿ وقيل لهم ﴾ يوم القيامة ﴿ أينما كنتم تعبدون - من دون الله هل ينصرونكم ﴾ يمنعونكم من العذاب ﴿ أو ينتصرون ﴾ لانفسهم ﴿ فكبكبوا فيها ﴾ قال ابن عباس جمعوا

(وأزلفت الجنة) اي قربت وأدنيت من أهلها مزخرفة مزينة لناظريها وهم المتقون الذين رغبوا فيها على ما في الدنيا وعملوا لها في الدنيا (وبرزت الجحيم للغاوين) أى أظهرت وكشف عنها وبدت منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر وقيل لاهلها تقريعاً وتوبيخاً (أين ماكنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون) أى ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله من تلك الاصنام والانداد تغني عنكم اليوم شيئاً ولا تدفع عن أنفسها فانكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون . وقوله (فكبكبوا فيها هم والغاوون) قال مجاهد يعني فدهوروا فيها ، وقال غيره كبوا فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر والمراد أنه ألقى بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك (وجنود ابليس أجمعون) أى ألقوا فيها عن آخرهم (قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) أى [يقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار] ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة (تالله ان كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) اي نجعل أمركم مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين (وما أضلنا الا المجرمون) أى مادعانا إلى ذلك الا المجرمون (فما لنا من شافعين) قال بعضهم يعني من الملائكة كما يقولون (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) وكذا قالوا (فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم) اى قريب . قال قتادة يعلمون والله أن الصديق اذا كان صالحا نفع ، وان الحميم اذا كان صالحا شفع (فلو ان لنا كرة فنكون

وقال مجاهد دهوروا وقال مقاتل قذفوا وقال الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال القتيبي ألقوا على رءوسهم ﴿هم والغاوون﴾ يعني الشياطين قاله قتادة ومقاتل وقال الكلبي كفرة الجن ﴿ وجنود ابليس أجمعون ﴾ وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والانس ويقال ذريته ﴿ قالوا ﴾ أي قال الغاوون للشياطين والمعبودين ﴿ وهم فيها يختصمون ﴾ مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضا ﴿ تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم ﴾ نعدلكم ﴿ برب العالمين ﴾ فنعبدكم ﴿ وما أضلنا ﴾ أي ما دعانا الى الضلال ﴿ الا المجرمون ﴾ قال مقاتل يعني الشياطين وقال الكلبي الا أولونا الذين اقتدينا بهم، وقال أبو العالية وعكرمة يعني ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصي ﴿ فمالنا من شافعين ﴾ أي من يشفع لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين ﴿ ولا صديق حميم ﴾ أي قريب يشفع لنا يقوله الكافر حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، والصديق هو الصادق في المودة بشرط الدين أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا محمد بن الحسين اليقطيني أنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد بن مسلم ثنا من سمع أبا الزبير يقول أشهد لسمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم » فيقول الله تعالى أخرجوا

من المؤمنين) وذلك انهم يتمنون ان يردون إلى دار الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون والله تعالى يعلم انهم لو ردوا إلى دار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون

وقد أخبر الله تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة ص ثم قال تعالى [ان ذلك لحق تخاصم أهل النار] ثم قال تعالى (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أى ان في محاجة ابراهيم لقومه وإقامة الحجج عليهم في التوحيد لآية أى لدلالة واضحة جلية على أن لا إله الا الله (وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم)

كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥) اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون (١٠٦) اني لكم رسول أمين(١٠٧) فاتقوا الله وأطيعون(١٠٨)وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري الا على رب العلمين (١٠٩) فاتقوا الله وأطيعون (١١٠)

هذا اخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض بعد ماعبدت الاصنام والانداد فبعثه الله ناهياً عن ذلك ومحذراً من وبيل عقابه فكذبه قومه فاستمروا على ماهم عليه من الفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى ، ونزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل فلهذا قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) اي ألا تخافون الله في عبادتكم غيره (اني لكم رسول أمين) أي اني رسول من الله اليكم أمين فيما بعثني الله به أبلغكم رسالات ربي ولا أزيد فيها ولا أنقص منها (فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر)الآية أى لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل أدخر ثواب ذلك عند الله (فاتقوا الله وأطيعون) فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني الله به وائتمنني عليه

له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم * قال الحسن : استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة ﴿فلو أن لنا كرة﴾ أي رجعة الى الدنيا ﴿ فنكون من المؤمنين * ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين* وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ العزيز الذي لايغالب فالله عزيز وهو في وصف عزته رحيم

قوله عز وجل ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ قيل للحسن البصري يا أبا سعيد أرأيت قوله (كذبت قوم نوح المرسلين - و - كذبت عاد المرسلين - و - كذبت ثمود المرسلين) وانما أرسل اليهم رسول واحد؟قال ان الآخر جاء بما جاء به الاول فاذا كذبوا واحدا فقد كذبوا الرسل أجمعين ﴿ اذقال لهم أخوهم ﴾ في النسب لا في الدين ﴿نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين ﴾ على الوحي ﴿ فاتقوا الله ﴾ بطاعته وعبادته ﴿ وأطيعون ﴾ فيما آمركم به من الايمان والتوحيد ﴿ وما أسألكم

قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (١١١) قال وما علمي بما كانوا يعملون (١١٢) إنْ حسابُهم الا على ربي لو تشعرون (١١٣) وما أنا بطارد المؤمنين (١١٤) ان أنا الا نذير مبين (١١٥)

يقولون لانؤمن لك ولا نتبعك ونتأسى في ذلك بهؤلاء الارذلين الذين اتبعوك وصدقوك وهم أراذلنا ولهذا قالوا (أنؤمن لك واتبعك الارذلون*قال وماعلمي بما كانوا يعملون) أي وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي ولو كانوا على اي شيء كانوا عليه لايلزمني التنقيب عنهم والبحث والفحص انما عليّ ان أقبل منهم تصديقهم إياي وأكل سرائرهم إلى الله عز وجل (إن حسابهم الا على ربي لو تشعرون * وما أنا بطارد المؤمنين) كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ويتابعوه فأبى عليهم ذلك وقال (وما أنا بطارد المؤمنين * ان انا الا نذير مبين) أى انما بعثت نذيراً فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وأنا منه سواء كان شريفاً أو وضيعا او جليلا او حقيراً

قالوا لئن لم تنته ينوح لتكونن من المرجومين (١١٦) قال رب ان قومي كذبون (١١٧) فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين (١١٨) فأنجينه ومن معه في الفلك المشحون (١١٩) ثم أغرقنا بعد الباقين (١٢٠) ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٢١) وان ربك لهو العزيز الرحيم (١٢٢)

لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله تعالى ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا في الآخر (لئن لم تنته يانوح لتكونن

عليه من أجر ان أجري﴾ ثوابي ﴿الا على رب العالمين * فاتقوا الله﴾ بطاعته وعبادته ﴿وأطيعون * قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون﴾ قرأ يعقوب (وأتباعك الارذلون) السفلة وعن ابن عباس قال الصاغة وقال عكرمة الحاكة والاساكفة ﴿قال﴾ نوح ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء، إنما كلفت أن أدعوهم الى الله ولي منهم ظاهر أمرهم ﴿ان حسابهم﴾ ماحسابهم ﴿الا على ربي لو تشعرون﴾ لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم. قال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم ﴿وما أنا بطارد المؤمنين * ان أنا الا نذير مبين * قالوا لئن لم تنته يانوح﴾ عما تقول ﴿لتكونن من المرجومين﴾ قال مقاتل والكلبي من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك من

من المرجومين) اي لئن لم تنته عن دعوتك ايانا إلى دينك (لتكونن من المرجومين) اي لنرجمنك فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه فقال (رب إن قومي كذبون * فافتح بيني وبينهم فتحا) الآية كما قال في الآية الاخرى [فدعا ربه أني مغلوب فانتصر] الى آخر الآية . وقال ههنا (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون * ثم أغرقنا بعد الباقين) والمشحون هو المملوء بالامتعة والازواج التي حمل فيها من كل زوجين اثنين أي أنجينا نوحا ومن اتبعه كلهم وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم)

كذّبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون (١٢٤) اني لكم رسول أمين (١٢٥) فاتقوا الله وأطيعون (١٢٦) وما أسألكم عليه من أجر ان أجري إلا على رب العلمين (١٢٧) أتبنون بكل ريع آية تعبثون (١٢٨) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (١٢٩) واذا بطشتم بطشتم جبارين (١٣٠) فاتقوا الله وأطيعون (١٣١) واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون (١٣٢) أمدكم بأنعم وبنين (١٣٣) وجنّت وعيون (١٣٤) اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (١٣٥)

وهذا اخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام أنه دعا قومه عاداً وكان قومه يسكنون الاحقاف وهي جبال الرمل قريبا من حضرموت متاخمة بلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال في سورة الاعراف (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد والطول المديد والارزاق الدارة والاموال والجنات والانهار والابناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه فبعث الله هوداً اليهم رجلا منهم رسولا وبشيراً ونذيراً فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم نقمته وعذابه

المشؤمين ﴿قال رب ان قومي كذبون * فافتح﴾ فاحكم ﴿بيني وبينهم فتحا﴾ حكما ﴿ونجني ومن معي من المؤمنين * فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان كلها ﴿ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ أي أغرقنا بعد انجاء نوح وأهله من بقي من قومه ﴿ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿كذبت عاد المرسلين * إذ قال لهم أخوهم﴾ يعني في النسب لا في الدين ﴿هود ألا تتقون * إني لكم رسول أمين﴾ على الرسالة قال الكلبي أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تتهموني اليوم ﴿فاتقوا الله وأطيعون * وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري الا على رب العالمين * أتبنون بكل ريع﴾

في مخالفته وبطشه فقال لهم كما قال نوح لقومه إلى أن قال (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) اختلف المفسرون في الريع بما حاصله أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة يبنون هناك بنيانا محكما هائلا باهراً ولهذا قال (أتبنون بكل ريع آية) أي معلما بناء مشهوراً (تعبثون) أي وانما تفعلون ذلك عبثا لا للاحتياج اليه بل لمجرد اللعب واللهو واظهار القوة ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك لانه تضييع للزمان واتعاب للابدان في غير فائدة واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون)

قال مجاهد: والمصانع البروج المشيدة والبنيان المخلد، وفي رواية عنه بروج الحمام، وقال قتادة هي مأخذ الماء. قال قتادة وقرأ بعض الكوفيين (وتتخذون مصانع كأنكم خالدين) وفي القراءة المشهورة (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) أي لكى تقيموا فيها أبدا وذلك ليس بحاصل لكم بل زائل عنكم كما زال عمن كان قبلكم. وروى ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن عجلان حدثني عون بن عبدالله بن عتبة أن أبا الدرداء رضي الله عنه لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الشجر قام في مسجدهم فنادى يا أهل دمشق فاجتمعوا اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا تستحيون، ألا تستحيون، تجمعون مالا تأكلون، وتبنون مالا تسكنون، وتأملون مالا تدركون، انه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غروراً، وأصبح جمعهم بورا، وأصبحت مساكنهم قبورا، ألا ان عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلا وركابا فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟

وقوله (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) أي يصفهم بالقوة والغلظة والجبروت (فاتقوا الله وأطيعون) أي اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون

قال الوالبي عن ابن عباس بكل شرف وقال الضحاك ومقاتل والكلبي بكل طريق وهو رواية العوفي عن ابن عباس. وعن مجاهد قال هو الفج بين الجبلين وعنه أيضا أنه المنظرة ﴿آية﴾ علامة ﴿تعبثون﴾ بمن مر بالطريق والمعنى أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم، وعن سعيد بن جبير ومجاهد هذا في بروج الحمام أنكر عليهم هود اتخاذها بدليل قوله تعبثون أي تلعبون، وهم كانوا يلعبون بالحمام. وقال أبو عبيدة الريع المكان المرتفع ﴿وتتخذون مصانع﴾ قال ابن عباس ابنية وقال مجاهد قصوراً مشيدة وعن الكلبي أنها الحصون وقال قتادة مآخذ الماء يعني الحياض واحدتها مصنعة ﴿لعلكم تخلدون﴾ أي كأنكم تبقون فيها خالدين والمعنى أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون ﴿وإذا بطشتم﴾ أخذتم وسطوتم ﴿بطشتم جبارين﴾ قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب ﴿فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون﴾ أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم

أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ■ اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أي ان كذبتم وخالفتم فدعاهم الى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم

قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (١٣٦) إن هذا إلا خُلق الاولين (١٣٧)

ومانحن بمعذبين (١٣٨) فكذبوه فأهلكنٰهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٣٩)

وان ربك لهو العزيز الرحيم (١٤٠)

يقول تعالى مخبراً عن جواب قوم هود ■ بعد ماحذرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضحه (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي لانرجع عما نحن عليه (ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك ■ ومانحن لك بمؤمنين) وهكذا الامر فان الله تعالى قال (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) ■ قال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون) الآية وقولهم (ان هذا الا خلق الاولين) قرأ بعضهم (ان هذا الا خلق الاولين) بفتح الخاء وتسكين اللام ، قال ابن مسعود والعوفي عن عبدالله بن عباس وعلقمة ومجاهد يعنون ما هذا الذي جئتنا به الا أخلاق الاولين كما قال المشركون من قريش (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) وقال (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون * فقد جاءوا ظلما وزورا ■ وقالوا أساطير الاولين ـ ■ قيل للذين كفروا ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) وقرأ آخرون (ان هذا الا خلق الاولين) بضم الخاء واللام يعنون دينهم وما هم عليه من الامر هو دين الاولين من الآباء والاجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا معاد ولهذا قالوا (ومانحن بمعذبين)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ان هذا الا خلق الاولين) يقول دين الاولين ، وقاله عكرمة وعطاء الخراساني وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقوله تعالى (فكذبوه فأهلكناهم) أي استمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده فأهلكهم الله وقد بين سبب اهلاكه اياهم في غير موضع من القرآن بانه أرسل عليهم ريحا صرصراً عاتية أي ريحاشديدة الهبوب ذات برد شديد جداً فكان اهلاكهم من جنسهم فانهم كانوا أعتى شيء وأجبره فسلط الله

فقال﴿أمدكم بأنعام وبنين *وجنات وعيون﴾ يعني بساتين وأنهار ﴿إني أخاف عليكم﴾ قال ابن عباس ان عصيتموني ﴿عذاب يوم عظيم ■ قالوا سواء علينا﴾ يعني مستو عندنا ﴿أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ الوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد قال الكلبي نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا ﴿ان هذا﴾ ما هذا ﴿الا خلق الاولين﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو والكسائي ويعقوب خلق بفتح

عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة كما قال تعالى [ألم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد]وهم عاد الاولى كما قال تعالى [وأنه أهلك عاداً الاولى] وهم من نسل ارم بن سام بن نوح (ذات العماد) الذين كانوا يسكنون العمد ، ومن زعم أن ارم مدينة فانما أخذ ذلك من الاسرائيليات من كلام كعب ووهب وليس لذلك أصل أصيل ولهذا قال [التي لم يخلق مثلها في البلاد]أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ولو كان المراد بذلك مدينة لقال التي لم يبن مثلها في البلاد وقال تعالى [فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون] وقد قدمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا مقدار أنف الثور . عتت على الخزنة فأذن الله لها في ذلك فسلكت فحصبت بلادهم فحصبت كل شيء لهم كما قال تعالى [تدمر كل شيء بأمر ربها] الآية وقال تعالى [واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية — الى قوله — حسوما — أي كاملة — فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية] أي بقوا أبدانا بلا رءوس وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخ دماغه وتكسر رأسه وتلقيه كأنهم أعجاز نخل منقعر وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات وحفروا لهم في الارض الى أنصافهم فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئا [إن أجل الله اذا جاء لا يؤخر] ولهذا قال تعالى [فكذبوه فأهلكناهم] الآية

كذبت ثمود المرسلين (١٤١) اذ قال لهم أخوهم صلح ألا تتقون (١٤٢) اني لكم رسول أمين (١٤٣) فاتقوا الله وأطيعون (١٤٤)وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العلمين (١٤٥)

وهذا اخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله صالح عليه السلام أنه بعثه الى قومه ثمود وكانوا عربا يسكنون مدينة الحجر التي بين وادالقرى وبلاد الشام ، ومساكنهم معروفة مشهورة، وقد قدمنا في سورة الاعراف الاحاديث المروية في مرور رسول الله ﷺ بهم حين أراد غزو الشام فوصل الى تبوك ثم عاد الى المدينة ليتأهب لذلك، وكانوا بعد عاد وقبل الخليل عليه السلام ، فدعاهم نبيهم

الخاء وسكون اللام أي اختلاق الاولين وكذبهم دليل هذه القراءة قوله تعالى (وتخلقون افكا) وقرأ الآخرون خلق بضم الخاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب ﴿ وما نحن بمعذبين * فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ كذبت ثمود المرسلين * اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون * إني لكم رسول

صالح الى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لاشريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه ، وأخبرهم أنه لايبتغي بدعوتهم أجراً منهم وانما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال

أتتركون في ماههنا آمنين (١٤٦) في جنت وعيون (١٤٧) وزروع ونخل طلعها هضيم (١٤٨) وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين (١٤٩) فاتقوا الله وأطيعون (١٥٠) ولا تطيعوا أمر المسرفين (١٥١) الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون (١٥٢)

يقول لهم واعظا لهم ومحذرهم نقم الله أن تحل بهم ومذكراً بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الارزاق الدارة وجعلهم في أمن من المحذورات، وأنبت لهم من الجنات، وفجر لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزروع والثمرات، ولهذا قال [ونخل طلعها هضيم]

قال العوفي عن ابن عباس أينع وبلغ فهو هضيم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [ونخل طلعها هضيم] يقول معشبة . وقال اسماعيل بن أبي خالد عن عمرو بن أبي عمرو - وقد أدرك الصحابة - عن ابن عباس في قوله (ونخل طلعها هضيم) قال إذا رطب واسترخى . رواه ابن أبي حاتم ثم قال : وروي عن أبي صالح نحو هذا . وقال أبو إسحاق عن أبي العلاء [ونخل طلعها هضيم] قال هو المذنب من الرطب . وقال مجاهد :هو الذي إذا يبس تهشم وتفتت وتناثر .

وقال ابن جريج سمعت عبد الكريم أنبأنا أمية سمعت مجاهداً يقول [ونخل طلعها هضيم] قال : حين يطلع تقبض عليه فتهضمه فهو من الرطب الهضيم ومن اليابس الهشيم تقبض عليه فتهشمه . وقال عكرمة وقتادة :الهضيم الرطب اللين . وقال الضحاك : إذا كثر حمل الثمرة وركب بعضها بعضاً فهو هضيم . وقال مرة هو الطلع حين يتفرق ويخضر . وقال الحسن البصري هو الذي لانوى له .وقال أبو صخر : مارأيت الطلع حين ينشق عنه الكم فترى الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو الهضيم

أمين * فاتقوا الله واطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري الا على رب العالمين * اتتركون فيما ههنا ﴾ يعني في الدنيا ﴿ آمنين ﴾ من العذاب ﴿ في جنات وعيون وزروع ، ونخل طلعها ﴾ ثمرها يريد ما يطلع منها من الثمر ﴿ هضيم ﴾ قال ابن عباس لطيف ومنه هضيم الكشح اذا كان لطيفا وروى عطية عنه يانع نضيج . وقال عكرمة هو اللين وقال الحسن هو الرخو وقال مجاهد متهشم متفتت اذا مس ، وذلك أنه ما دام رطبا فهو هضيم فاذا يبس فهو هشيم . وقال الضحاك ومقاتل قد ركب بعضه بعضا حتى هضم بعضه بعضا أي كسره ، وقال أهل اللغة هو المنضم بعضاً الى بعض في وعائه قبل أن يظهر، وقال الازهري الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعومة وقيل هضيم

وقوله (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) قال ابن عباس وغير واحد يعني حاذقين. وفي رواية عنه شرهين أشرين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا منافاة بينهما فانهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكناها وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ولهذا قال (فاتقوا الله وأطيعون) أي أقبلوا على ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتعبدوه وتوحدوه وتسبحوه بكرة وأصيلا (ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون) يعني رؤساءهم وكبراءهم الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق

قالوا انما أنت من المسحَّرين (١٥٣) ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصدقين (١٥٤) قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (١٥٥) ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم (١٥٦) فعقروها فأصبحوا ندمين (١٥٧) فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٥٨) وان ربك لهو العزيز الرحيم (١٥٩)

يقول تعالى مخبراً عن ثمود في جوابهم لنبيهم صالح عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة ربهم عز وجل انهم (قالوا إنما أنت من المسحرين) قال مجاهد وقتادة يعنون من المسحورين. وروى أبو صالح عن ابن عباس (من المسحورين) يعني من المخلوقين واستشهد بعضهم على هذا بقول الشاعر

فان تسألينا فيم نحن فاننا　　عصافير من هذا الانام المسحر

يعني الذين لهم سحر والسحر هو الرئة، والاظهر في هذا قول مجاهد وقتادة انهم يقولون انما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك. ثم قالوا (ما أنت إلا بشر مثلنا) يعني فكيف أوحي اليك دوننا كما قالوا في الآية الاخرى (أألقي عليه الذكر من بيننا؟ بل هو كذاب أشر * سيعلمون غداً من الكذاب الاشر)

أي هاضم يهضم الطعام وكل هذا للطافته ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين ﴾ وقرىء فارهين قيل معناهما واحد وقيل فارهين أي حاذقين بنحتها من قولهم فره الرجل فراهة فهو فاره ومن قرأ فرهين قال ابن عباس أشرين بطرين وقال عكرمة ناعمين وقال مجاهد شرهين قال قتادة معجبين بصنيعكم قال السدي متجبرين وقال أبو عبيدة مرحين وقال الاخفش فرحين. والعرب تعاقب بين الهاء والحاء مثل مدحته ومدهته قال الضحاك كيسين ﴿فاتقوا الله وأطيعون * ولا تطيعوا أمر المسرفين ﴾ قال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم ﴿الذين يفسدون في الارض ﴾ بالمعاصي ﴿ ولا يصلحون ﴾ لا يطيعون الله فيما أمرهم به ﴿ قالوا انما أنت من المسحرين ﴾ قال مجاهد وقتادة من المسحرين المخدوعين أي ممن يسحر مرة بعد مرة وقال الكلبي

ثم انهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم ، وقد اجتمع ملأهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء ـ وأشاروا إلى صخرة عندهم ـ من صفتها كذا وكذا فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعنه فأعطوه ذلك فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عزوجل أن يجيبهم إلى سؤالهم فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا اليها عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها فآمن بعضهم وكفر أكثرهم ، (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) يعني ترد ماءكم يوما ويوما تردونه أنتم (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) فحذرهم نقمة الله ان أصابوها بسوء . فمكثت الناقة بين أظهرهم حينا من الدهر ترد الماء وتأكل الورق والمرعى وينتفعون بلبنها يحلبون منها مايكفيهم شربا وريا ، فلما طال عليهم الأمد وحضر أشقاهم تمالؤا على قتلها وعقرها (فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب) وهو أن أرضهم زلزلت زلزالا شديداً وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها وأتاهم من الأمر مالم يكونوا يحتسبون [وأصبحوا في ديارهم جاثمين] (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم)

كذبت قوم لوط المرسلين (١٦٠) اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ؟ (١٦١) اني لكم رسول أمين (١٦٢) فاتقوا الله وأطيعون (١٦٣) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجريَ الا على رب العلمين (١٦٤)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آزر وهو ابن أخي ابراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد بعثه الى أمة عظيمة في حياة ابراهيم عليهما السلام ، وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكها الله بها وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد الغور متاخمة لجبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك ، فدعاهم الى الله عز وجل أن

عن أبي صالح عن ابن عباس أي المخلوقين المعللين بالطعام والشراب يقال سحره أي علله بالطعام والشراب يريد أنك تأكل الطعام والشراب ولست بملك بل ﴿ ما أنت الا بشر مثلنا فائت بآية ﴾ على صحة ما تقول ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ انك رسول الله الينا ﴿ قال هذه ناقة لها شرب ﴾ حظ ونصيب من الماء ﴿ ولكم شرب يوم معلوم * ولا تمسوها بسوء ﴾ بعقر ﴿ فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين ﴾ على عقرها حين رأوا العذاب ﴿ فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾

قوله تعالى ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين * إذ قال لهم أخوهم لوط الا تتقون * إني لكم رسول

يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله اليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق الى فعله من اتيان الذكور دون الاناث ولهذا قال تعالى

أتأتون الذكران من العلمين ؟ (١٦٥) وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (١٦٦) قالوا لئن لم تنته يلوط لتكونن من المخرجين (١٦٧) قال اني لعملكم من القالين (١٦٨) رب نجني وأهلي مما يعملون (١٦٩) فنجينه وأهله أجمعين (١٧٠) إلا عجوزاً في الغبرين (١٧١) ثم دمرنا الآخرين (١٧٢) وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين (١٧٣) ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٧٤) وان ربك لهو العزيز الرحيم (١٧٥)

لما نهاهم نبي الله عن ارتكاب الفواحش وغشيانهم الذكور وأرشدهم الى اتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له الا أن قالوا (لئن لم تنته يالوط) أي عما جئتنا به (لتكونن من المخرجين) أي ننفيك من بين أظهرنا كما قال تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) فلما رأى أنهم لا يرتدعون عما هم فيه وانهم مستمرون على ضلالتهم تبرأ منهم وقال [اني لعملكم من القالين] أي المبغضين لا أحبه ولا أرضى به واني بريء منكم ثم دعا الله عليهم فقال [رب نجني وأهلي مما يعملون] قال الله تعالى [فنجيناه وأهله أجمعين] أي كلهم [الا عجوزاً في الغابرين] وهي امرأته وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الاعراف وهود وكذا في الحجر حين أمره الله أن يسري بأهله الا امرأته وانهم

أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما اسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين * أتأتون الذكران﴾ قال مقاتل يعني جماع الرجال ﴿من العالمين﴾ يعني من بني آدم ﴿وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ قال مجاهد تركتم اقبال النساء إلى أدبار الرجال ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام ﴿قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين﴾ من قريتنا ﴿قال اني لعملكم من القالين﴾ المبغضين ثم دعا فقال ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ من العمل الخبيث قال الله تعالى ﴿فنجيناه وأهله أجمعين * الا عجوزاً في الغابرين﴾ وهي امرأة لوط بقيت في العذاب والهلاك ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ اى أهلكناهم ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ قال وهب بن منبه الكبريت والنار ﴿ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾

لايلتفتوا اذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه فصبروا لامر الله واستمروا وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عم جميعهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال تعالى [ثم دمرنا الآخرين *وأمطرنا عليهم مطراً — الى قوله — وان ربك لهو العزيز الرحيم]

كذب أصحٰب الئيكة المرسلين (١٧٦) إذ قال لهم شعيب ألا تتقون (١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨) فاتقوا الله وأطيعون (١٧٩) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العٰلمين (١٨٠)

هؤلاء — يعني أصحاب الايكة — هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أنفسهم وإنما لم يقل ههنا أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى عبادة الايكة وهي شجرة وقيل شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها فلهذا لما كذب أصحاب الأيكة المرسلين لم يقل : إذ قال لهم أخوهم شعيب وإنما قال (إذ قال لهم شعيب) فقطع نسب الاخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا اليه وان كان أخاهم نسباً . ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة فظن ان أصحاب الايكة غير أهل مدين فزعم أن شعيبا عليه السلام بعثه الله إلى أمتين ومنهم من قال ثلاث أمم

وقد روى اسحاق بن بشر الكاهلي — وهو ضعيف — حدثني ابن السدي عن أبيه وزكريا بن عمرو عن خصيف عن عكرمة قالا : مابعث الله نبياً مرتين إلا شعيباً مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة ومرة الى أصحاب الايكة فأخذهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة. وروى أبو القاسم البغوي عن هدبة عن همام عن قتادة في قوله تعالى [وأصحاب الرس] قوم شعيب وقوله [وأصحاب الايكة] قوم شعيب . وقاله إسحاق بن بشر . وقال غير جويبر أصحاب الايكة ومدين هما واحد والله أعلم

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شعيب من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية ابن هشام عن هشام بن سعيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ « إن قوم مدين وأصحاب الايكة أمتان بعث الله اليهما شعيبا النبي عليه السلام »

قوله عز وجل ﴿ كذب أصحاب الايكة المرسلين ﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام . قرأ العراقيون الأيكة ههنا وفي ص بالهمز وسكون اللام وكسر التاء ، وقرأ الآخرون ليكة بفتح اللام والتاء غير مهموز جعلوها اسم البلدة ، وهو لاينصرف ولم يختلفوا في سورة الحجر وق انهما مهموزان مكسوران والايكة الغيضة من الشجر الملتف ﴿ إذ قال لهم شعيب ﴾ ولم يقل أخوهم لانه لم يكن من أصحاب الايكة في النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وكان الله تعالى بعثه إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الايكة ﴿ ألا تتقون * اني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم

وهذا غريب وفي رفعه نظر والأشبه أن يكون موقوفا . والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء. ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على أنهما أمة واحدة

أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين (١٨١) وزنوا بالقسطاس المستقيم (١٨٢) ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين (١٨٣) واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين (١٨٤)

يأمرهم عليه السلام بإيفاء المكيال والميزان وينهاهم عن التطفيف فيهما فقال (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) أي اذا دفعتم للناس فكملوا الكيل لهم ولا تبخسوا الكيل فتعطوه ناقصا وتأخذوه إذا كان لكم تاما وافيا ولكن خذوا كما تعطون ، وأعطوا كما تأخذون (وزنوا بالقسطاس المستقيم) والقسطاس هو الميزان وقيل هو القبان . قال بعضهم هو معرب من الرومية قال مجاهد القسطاس المستقيم هو العدل بالرومية . وقال قتادة القسطاس العدل

وقوله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوهم أموالهم (ولا تعثوا في الارض مفسدين) يعني قطع الطريق كما قال في الآية الاخرى (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) وقوله [واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين] يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الاوائل كما قال موسى عليه السلام [ربكم ورب آبائكم الاولين] قال ابن عباس ومجاهد والسدي وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [والجبلة الاولين] يقول خلق الاولين . وقرأ ابن زيد [ولقد أضل منكم جبلا كثيرا]

قالوا إنما أنت من المسحرين (١٨٥) وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكذبين (١٨٦) فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصدقين (١٨٧) قال ربي أعلم بما تعملون (١٨٨) فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (١٨٩) ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠) وان ربك لهو العزيز الرحيم (١٩١)

عليه من أجر إن أجري الا على رب العالمين ﴾ وانما كانت دعوة هؤلاء الانبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الاجر على الدعوة وتبليغ الرسالة ﴿ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ﴾ الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم * ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * واتقوا الذى خلقكم والجبلة ﴾ الخليقة ﴿ الاولين ﴾ يعني الامم المتقدمين والجبلة الخلق يقال جبل أي خلق قوله ﴿ قالوا انما أنت من المسحرين * وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين * فاسقط

يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها تشابهت قلوبهم حيث قالوا [إنما أنت من المسحرين] يعنون من المسحورين كما تقدم [وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين] أي تتعمد الكذب فيما تقوله لا أن الله أرسلك الينا [فأسقط علينا كسفاً من السماء] قال الضحاك : جانباً من السماء ، وقال قتادة قطعاً من السماء وقال السدي عذاباً من السماء . وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً ـ إلى أن قالوا ـ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا] وقوله [وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء] الآية . وهكذا قال هؤلاء الكفار الجهلة [فأسقط علينا كسفاً من السماء] الآية [قال ربي أعلم بما تعملون] يقول الله أعلم بكم فان كنتم تستحقون ذلك جازاكم به وهو غير ظالم لكم وهكذا وقع بهم جزاء كما سألوا جزاء وفاقاً ولهذا قال تعالى [فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم] وهذا من جنس ما سألوه من إسقاط الكسف عليهم ، فان الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكنهم منه شيء ، ثم أقبلت اليهم سحابة أظلتهم فجعلوا ينطلقون اليها يستظلون بظلها من الحر ، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شرراً من نار ولهباً ووهجاً عظيماً ورجفت بهم الارض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم ولهذا قال تعالى (انه كان عذاب يوم عظيم)

وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ففي الاعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وذلك لأنهم قالوا (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) فأرجفوا نبي الله ومن اتبعه فأخذتهم الرجفة . وفي سورة هود قال (فأخذتهم الصيحة) وذلك لانهم استهزءوا بنبي الله في قولهم (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد) قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم فقال (فأخذتهم الصيحة) الآية ، وههنا قالوا (فأسقط علينا كسفاً من السماء) الآية على وجه التعنت والعناد ، فناسب أن يحقق عليهم ما استبعدوا وقوعه (فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) قال قتادة قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : ان الله سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلهم منه شيء ، ثم ان الله تعالى أنشأ لهم سحابة فانطلق اليها أحدهم فاستظل بها فأصاب تحتها برداً وراحة فأعلم بذلك قومه فأتوها جميعاً فاستظلوا تحتها فأججت عليهم ناراً . وهكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم

علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين ، قال ربي أعلم بما تعملون ﴾ أي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم وليس العذاب إلي وما علي الا الدعوة ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ﴾ وذلك انه أخذهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فاذا دخلوها وجدوها أشد حراً فخرجوا

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : بعث الله اليهم الظلة حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى . وقال محمد بن كعب القرظي : ان أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا ان يدخلوا إلى البيوت فتسقط عليهم فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال : ما رأيت كاليوم ظلا أطيب ولا أبرد من هذا ، هلموا أيها الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا جميعا ثم تلا محمد بن كعب [فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم] وقال محمد بن جرير حدثني الحارث حدثني الحسن حدثني سعيد بن زيد أخو حماد ابن زيد حدثنا حاتم بن أبي صغيرة حدثني يزيد الباهلي سألت ابن عباس عن هذه الآية (فأخذهم عذاب يوم الظلة) الآية قال بعث الله عليهم رعدة وحراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرابا إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً . قال ابن عباس فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم [إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم] أي العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين

وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥)

يقول تعالى مخبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ (وانه) أي القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله [وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث] الآية (لتنزيل رب العالمين) أي أنزله الله عليك ، وأوحاه اليك (نزل به الروح الامين) وهو جبريل عليه السلام قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفي والسدي والضحاك والزهري وابن جريج وهذا مما لا نزاع فيه . قال الزهري وهذه كقوله (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه) وقال مجاهد : من كلمه الروح الامين لا تأكله الارض (على قلبك لتكون من المنذرين) أي نزل به ملك كريم أمين ذو مكانة عند الله مطاع في الملأ الأعلى [على قلبك] يا محمد سالما من الدنس والزيادة والنقص [لتكون من المنذرين] أي لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه

فأظلتهم سحابة وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا ذكرناه في سورة هود ﴿ انه كان عذاب يوم عظيم * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ وانه ﴾ يعني القرآن ﴿ لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين ﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص نزل خفيف الروح الامين برفع الحاء والنون أي نزل جبريل بالقرآن وقرأ

وتبشر به المؤمنين المتبعين له

وقوله تعالى (بلسان عربي مبين) أي هذا القرآن الذي أنزلناه اليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بينا واضحا ظاهراً قاطعا للعذر مقيما للحجة دليلا إلى المحجة. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر العتكي حدثنا عباد بن عباد المهلبي عن موسى بن محمد عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن إذ قال لهم « كيف ترون بواسقها؟» قالوا ماأحسنها وأشد تراكمها قال « فكيف ترون قواعدها؟ » قالوا ماأحسنها وأشد تمكنها قال « فكيف ترون جريها » قالوا ماأحسنه وأشد سواده قال «فكيف ترون رحاها استدارت ؟» قالوا ماأحسنها وأشد استدارتها قال « فكيف ترون برقها أوميض أم خفق أم يشق شقا؟» قالوا بل يشق شقا قال « الحياء الحياء ان شاء الله » قال فقال رجل يارسول الله بأبي وأمي ماأفصحك مارأيت الذي هو أعرب منك قال فقال « حق لي وإنما أنزل القرآن بلساني والله يقول (بلسان عربي مبين)»

وقال سفيان الثوري : لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه ، واللسان يوم القيامة بالسريانية فمن دخل الجنة تكلم بالعربية . رواه ابن أبي حاتم

وإنه لفي زُبُر الأولين(١٩٦)أولم يكن لهم آيةً أن يعلمه عُلمٰؤ بني إسراءيل (١٩٧)ولو نزلنٰه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩)

يقول تعالى : وان ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الاولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيبا في ملئه بالبشارة بأحمد (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) والزبر ههنا هي الكتب وهي جمع زبرة وكذلك الزبور وهو

الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون اى نزل الله به جبريل لقوله عز وجل (وانه لتنزيل رب العالمين) ﴿ على قلبك ﴾ يامحمد حتى وعيته ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ المخوفين ﴿بلسان عربي مبين﴾ قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا مافيه ﴿ وانه ﴾ اي ذكر انزال القرآن قاله أكثر المفسرين، وقال مقاتل ذكر محمد ﷺ ونعته ﴿ لفي زبر ﴾ كتب ﴿ الاولين ، أولم يكن لهم آية ﴾ قرأ ابن عامر تكن بالتاء آية بالرفع جعل الآية اسما وخبره أن يعلمه ، وقرأ الآخرون بالياء آية نصب جعلوا الآية خبر يكن معناه أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علم بنى اسرائيل آية أى علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ لان العلماء الذين كانوا من بني اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم وهم عبد الله بن سلام وأصحابه . قال ابن عباس بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ فقالوا إن هذا لزمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه

كتاب داود ، وقال الله تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) أي مكتوب عليهم في صحف الملائكة

ثم قال تعالى (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) أي أوليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها ، والمراد العدول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته كما أخبر بذلك من آمن منهم كعبدالله بن سلام وسلمان الفارسي عمن أدركه منهم ومن شاكلهم قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي) الآية ثم قال تعالى مخبراً عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن انه لو نزل على رجل من الاعاجم ممن لا يدري من العربية كلمة وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفصاحته لا يؤمنون به ولهذا قال (ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) كما أخبر عنهم في الآية الاخرى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا) الآية، وقال تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى) الاية وقال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الاية

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون ؟ (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون ؟ (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظلمين (٢٠٩)

يقول تعالى كذلك سلكنا التكذيب والكفر والجحود والعناد أي ادخلناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به اي بالحق (حتى يروا العذاب الاليم) اي حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار (فيأتيهم بغتة) أي عذاب الله بغتة (وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون) أى يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلا ليعملوا في زعمهم بطاعة الله كما قال الله تعالى (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب — الى قوله — مالكم من زوال) فكل ظالم وفاجر وكافر اذا شاهد عقوبته ندم

قوله تعالى ﴿ أن يعلمه ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ علماء بني اسرائيل ﴾ قال عطية كانوا خمسة : عبدالله ابن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد ﴿ ولو نزلناه ﴾ يعني القرآن ﴿ على بعض الاعجمين ﴾ جمع الاعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربيا في النسب ، والعجمي منسوب الى العجم وإن كان فصيحا . ومعنى الآية ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان ﴿ فقرأه عليهم ﴾ بغير لغة العرب ﴿ ما كانوا به مؤمنين ﴾ وقالوا ما نفقه قولك ، نظيره قوله عز وجل (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته) وقيل معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من اتباعه

قوله ﴿ كذلك سلكناه ﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿ في قلوب

ندما شديداً هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله (ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا — إلى قوله — قال قد أجيبت دعوتكما) فأثرت هذه الدعوة في فرعون فما آمن حتى رأى العذاب الاليم (حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل — إلى قوله — وكنت من المفسدين) وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيات

وقوله تعالى (أفبعذابنا يستعجلون) انكار عليهم وتهديد لهم فانهم كانوا يقولون للرسول تكذيبا واستبعاداً ائتنا بعذاب الله كما قال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب) الآيات. ثم قال (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي لو أخرناهم وأنظرناهم وأملينا لهم برهة من الدهر وحينا من الزمان وان طال ثم جاءهم أمر الله أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وقال تعالى (يود أحدهم لو يعمر الف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) وقال تعالى (وما يغني عنه ماله اذا تردى) ولهذا قال تعالى (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)

وفي الحديث الصحيح « يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت خيراً قط ؟ هل رأيت نعيما قط ؟ فيقول لا والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا كان في الدنيا فيصبغ في الجنة صبغة ثم يقال له هل رأيت بؤسا قط ؟ فيقول لا والله يارب » أي ما كأن شيئا كان . ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت

كأنك لم تؤثر من الدهر ليلة اذا أنت أدركت الذي أنت تطلب

ثم قال تعالى مخبراً عن عدله في خلقه أنه ما أهلك أمة من الامم الا بعد الاعذار اليهم، والانذار لهم وبعثة الرسل اليهم، وقيام الحجة عليهم، ولهذا قال تعالى [وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين] كما قال تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] وقال تعالى [وما كان

المجرمين* لايؤمنون به ﴾ اي بالقرآن ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ﴾ يعني عند الموت ﴿ فيأتيهم ﴾ يعني العذاب ﴿ بغتة ﴾ فجأة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ به في الدنيا ﴿ فيقولوا هل نحن منظرون ﴾ أي لنؤمن ونصدق يتمنون الرجعة والنظرة . قال مقاتل لما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب ؟

قال الله تعالى ﴿ أفبعذابنا يستعجلون * افرأيت ان متعناهم سنين ﴾ كثيرة في الدنيا يعنى كفار مكة ولم نهلكهم ﴿ ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ﴾ يعني العذاب ﴿ ماأغنى عنهم ماكانوا يمتعون ﴾ به في تلك السنين. والمعنى انهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئاً ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط

قوله ﴿ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ﴾ رسل ينذرونهم ﴿ ذكرى ﴾ محلها نصب أي

ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا — الى قوله — وأهلها ظالمون]

وما تنزلت به الشيطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢)

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انه نزل به الروح الامين المؤيد من الله [وما تنزلت به الشياطين] ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه . أحدها أنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم لان من سجاياهم الفساد واضلال العباد ، وهذا فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونور وهدى وبرهان عظيم فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة ، ولهذا قال تعالى [وما ينبغي لهم] وقوله تعالى [وما يستطيعون] أي ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك قال الله تعالى [لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله] ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا الى ذلك لانهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله لان السماء ملئت حرسا شديداً وشهبا في مدة انزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد من الشياطين الى استماع حرف واحد منه لئلا يشتبه الامر ، وهذا من رحمة الله بعباده ، وحفظه لشرعه ، وتأييده لكتابه ولرسوله ، ولهذا قال تعالى [انهم عن السمع لمعزولون] ، قال تعالى مخبراً عن الجن [وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشهبا ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا — الى قوله — أم أراد بهم ربهم رشدا]

فلا تدعُ مع الله الها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤)

واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فان عصوك فقل إني بريء مما تعملون (٢١٦)

وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يريك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في السجدين (٢١٩)

إنه هو السميع العليم (٢٢٠)

ينذرونهم تذكرة وقيل رفع أي تلك ذكرى ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا اليهم ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فقال جل ذكره (وما تنزلت به) أي بالقرآن الشياطين ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ أن ينزلوا بالقرآن ﴿ وما يستطيعون ﴾ ذلك ﴿ انهم عن السمع ﴾ اي عن استراق السمع من السماء ﴿ لمعزولون ﴾ اي محجوبون بالشهب مرجومون ﴿ فلا تدع مع الله الها آخر فتكون

يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لاشريك له ومخبراً أن من أشرك به عذبه ، ثم قال تعالى آمرا لرسوله ﷺ أن ينذر عشيرته الاقربين أي الادنين اليه ، وانه لايخلص أحداً منهم الا ايمانه بربه عز وجل « وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين ومن عصاه من خلق الله كائنا من كان فليتبرأ منه ولهذا قال تعالى (فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون) وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال تعالى (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) وقال تعالى (لتنذر أم القرى ومن حولها] وقال تعالى [وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم] وقال تعالى [لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا] وقال تعالى [لانذركم به ومن بلغ] كاقال تعالى [ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده]

وفى صحيح مسلم « والذي نفسي بيده لايسمع بي أحد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لايؤمن بي الا دخل النار » وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلنذكرها

﴿ الحديث الاول ﴾ قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن نمير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رض) قال : لما أنزل الله عز وجل (وأنذر عشيرتك الاقربين) أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى « ياصباحاه » فاجتمع الناس اليه بين رجل يجيء اليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله ﷺ « يابني عبد المطلب ، يابني فهر ، يابني لؤي « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ « قالوا نعم ، قال « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا الا لهذا وأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الاعمش به

من المعذبين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق عليّ ولو اتخذت الها غيري لعذبتك

قوله ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾ روى محمد بن اسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال ابن عمرو عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن ابي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ (وأنذر عشيرتك الاقربين) دعاني رسول الله ﷺ فقال « ياعلي ان الله يأمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره نصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال لي يامحمد الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك . فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن « ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس رضي الله عنهما وأبو لهب ، فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعته فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله

﴿ الحديث الثاني ﴾ قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما نزلت (وأنذر عشيرتك الاقربين) قام رسول الله ﷺ فقال « يافاطمة ابنة محمد ، ياصفية ابنة عبد المطلب يابني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ماشئتم » انفرد باخراجه مسلم

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الامام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك ابن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) دعا رسول الله ﷺ قريشا فعم وخص فقال « يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يامعشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فاني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها » ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به ، وقال الترمذي غريب من هذا الوجه . ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسلا ولم يذكر فيه أبا هريرة ، والموصول هو الصحيح ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعني ابن اسحاق عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يابني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله ، ياصفية عمة رسول الله ويافاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فاني لا أغني عنكما من الله شيئا سلاني من مالي ماشئتما » تفرد به من هذا الوجه . وتفرد به أيضا عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ، ورواه أيضا عن حسن ثنا ابن لهيعة عن الاعرج عن أبي

ﷺ جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال « خذوا باسم الله » فأكل القوم حتى مالهم بشيء حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ماقدمت لجميعهم ثم قال « اسق القوم » فجئتهم بذلك العس » فشربوا حتى رووا جميعا ، وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال الغد « يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم ، فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم » ففعلت ثم جمعت فدعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال « يابني عبد المطلب إني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرني على أمري هذا ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟ » فأحجم القوم عنها جميعا فقلت وأنا أحدثهم سنا يانبي الله أنا وزيرك عليه قال فأخذ برقبتي فقال « ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن

هريرة مرفوعا . وقال أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ضمام بن اسماعيل عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « يابني قصي يابني هاشم يابني عبد مناف أنا النذير والموت المغير ،والساعة الموعد»

﴿ الحديث الرابع ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا التيمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا : لما نزلت (وأنذر عشيرتك الاقربين) صعد رسول الله ﷺ رضمة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادي« يابني عبد مناف انما أنا نذير،انما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب يدبر أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادي ويهتف ياصباحاه » ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان عبدالرحمن بن مل النهدي عن قبيصة وزهير ابن عمرو الهلالي به

﴿ الحديث الخامس ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الاعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله الاسدي عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) جمع النبي ﷺ من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال : وقال لهم « من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي ؟ » فقال رجل لم يسمه شريك : يارسول الله أنت كنت بحري من يقوم بهذا ،قال ثم قال لآخر ،قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي أنا

﴿ طريق أخرى بأبسط من هذا السياق ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي رضي الله عنه قال : جمع رسول الله

عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة حدثنا الاعمش حدثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت (وأنذر عشيرتك الاقربين) ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف « ياصباحاه » فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال « أرأيتم ان أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي » ـ قالوا ما جربنا عليك كذبا قال ـ فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب تبالك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت (تبت يدا أبي لهب وقد تب) هكذا قرأ الاعمش يومئذ .أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الاعمش حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (وأنذر عشيرتك الاقربين) صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ماهو فجاء أبو لهب وقريش وقال « أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم

ﷺ أو دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب وقال « يابني عبد المطلب إني بعثت اليكم خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي » قال فلم يقم اليه أحد » قال فقمت اليه وكنت أصغر القوم قال فقال « اجلس » ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم اليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي »

﴿ طريق أخرى أغرب وأبسط من هذا السياق بزيادات أخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال : حدثني من سمع عبدالله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله (وأنذر عشيرتك الاقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) قال رسول الله ﷺ « عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال يامحمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك » قال علي رضي الله عنه فدعاني فقال يا علي « إن الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يامحمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك . فاصنع لنا ياعلي شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا اليه وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث فقدمت اليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله ﷺ جذبة فشقها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال

مصدقي ؟ - قالوا نعم ماجربنا عليك كذبا قال - فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة ابن عبدالرحمن ان أبا هريرة قال قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) فقال « يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا » يا بني عبدمناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا» أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي أبو سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا أبو اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن مطرف

« كلوا بسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى الا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ « اسقهم ياعلي » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله « فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لهدما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ « فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ « يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالامس فأكلوا حتى نهلوا عنه « وايم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ « اسقهم ياعلي » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب بالكلام فقال : لهدما سحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ « ياعلي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني الى ماسمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالامس فأكلوا حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه « وايم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها ثم قال رسول الله ﷺ « يابنى عبد المطلب إني والله ماأعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة » قال أحمد بن عبد الجبار بلغني أن ابن اسحاق انما سمعه من عبد الغفار ابن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث

وقد رواه أبو جعفر ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحاق عن عبد الغفار بن القاسم

ابن عبد الله بن الشخير عن عياض بن حمار المجاشعي قال قال رسول الله ﷺ «ان الله عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، وانه قال ان كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال » واني خلقت عبادي حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا » وان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب، وان الله تعالى أمرني ان أخوف قريشا فقلت يارب انهم إذا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة » فقال انما بعثتك لأبتليك وابتلي بك » وقد أنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه في المنام واليقظة فاغزهم نغزك » وانفق ننفق عليك، وابعث جيشا نمددك بخمسة أمثالهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ـ ثم قال ـ أهل الجنة ثلاثة امام مقسط ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم ورجل غني متعفف متصدق، وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون بذلك أهلا ولا مالا ، ورجل ان أصبح أصبح يخادعك عن أهلك ومالك ورجل لا يخفى له طمع وان دق الا ذهب به ، والشنظير الفاحش وذكر البخل والكذب

عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب فذكر مثله وزاد بعد قوله « إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا » قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يانبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال « إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » ثم قام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع . تفرد بهذا السياق عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم وهو متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الائمة رحمهم الله

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا الحسين عن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: قال علي رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) قال لي رسول الله ﷺ « اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام واناء لبنا » قال ففعلت ثم قال لي « ادع بني هاشم » قال فدعوتهم وانهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بادامها ، قال فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله ﷺ من ذروتها ثم قال « كلوا » فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيئتها لم يزدردوا منها إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالاناء فشربوا حتى رووا قال وفضل فضل « فلما فرغوا أراد رسول الله ﷺ أن يتكلم فبدروه الكلام فقالوا مارأينا كاليوم في السحر . فسكت رسول الله ﷺ ثم قال « اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام » قال فدعاهم فلما أكلوا وشربوا قال فبدروه فقالوا مثل مقالتهم الاولى فسكت رسول الله ﷺ ثم قال « اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام » فصنعت قال فجمعتهم فلما أكلوا وشربوا بدرهم رسول الله ﷺ الكلام فقال « أيكم يقضي عنى ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟ » قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله قال وسكت أنا اسن العباس. ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت أنا يارسول الله قال واني يومئذ لاسوأهم هيئة وإني لأعمش العينين ضخم البطن خمش الساقين

قوله عز وجل ﴿ واخفض جناحك ﴾ يعني ألن جانبك ﴿ لمن اتبعك من المؤمنين « فان عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ من الكفر وعبادة غير الله ﴿ وتوكل ﴾ قرأ أهل المدينة والشام فتوكل بالفاء، وكذلك هو في مصاحفهم،وقرأ الباقون بالواو (وتوكل) ﴿ على العزيز الرحيم ﴾ ليكفيك كيد الاعداء ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ الى صلاتك عن أكثر المفسرين وقال مجاهد الذي يراك أينما كنت وقيل حين تقوم لدعائهم ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ يعني يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك قال عكرمة وعطية عن ابن عباس في الساجدين أي في المصلين

فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه ، ومعنى سؤاله ﷺ لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني إن قتل في سبيل الله كأنه خشي اذا قام باعباء الانذار أن يقتل فلما أنزل الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فعند ذلك أمن وكان أولا يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) ولم يكن أحد في بني هاشم إذ ذاك أشد إيمانا وإيقانا وتصديقا لرسول الله ﷺ من علي رضي الله عنه ولهذا بدرهم إلى التزام ماطلب منهم رسول الله ﷺ ثم كان بعد هذا والله أعلم دعاؤه الناس جهرة على الصفا وانذاره لبطون قريش عموما وخصوصا حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لينبه بالادنى على الاعلى أي انما أنا نذير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي من طريق عمرو بن سمرة عن محمد بن سوقة عن عبد الواحد الدمشقي قال : رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويفتيهم وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون فقيل له مابال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين ؟ فقال لاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أزهد الناس في الدنيا الانبياء ، وأشدهم عليهم الاقربون » وذلك فيما أنزل الله عز وجل قال تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين — إلى قوله — فقل إني بريء مما تعملون)

وقوله تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم) أي في جميع أمورك فانه مؤيدك وحافظك وناصرك ومظفرك ومعلي كلمتك ، وقوله تعالى (الذي يراك حين تقوم) أي هو معتن بك كما قال تعالى [فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا] قال ابن عباس (الذي يراك حين تقوم) يعني إلى الصلاة ، وقال عكرمة هو يرى قيامه وركوعه وسجوده ، وقال الحسن (الذي يراك حين تقوم) اذا صليت وحدك ، وقال الضحاك (الذي يراك حين تقوم) أي من فراشك أو مجلسك ، وقال قتادة (الذي يراك) قائما وجالسا وعلى حالاتك .

وقوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) قال قتادة (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) قال في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع . وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري ، وقال مجاهد كان رسول الله ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه . ويشهد لهذا ماصح في الحديث

وقال مقاتل والكلبي أي مع المصلين في الجماعة . يقول يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين في الجماعة . وقال مجاهد يرى تقلب بصرك في المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لأراكم من وراء ظهري » قال الحسن وتقلبك في الساجدين أي تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين . وقال سعيد بن جبير يعني وتصرفك

« سووا صفوفكم فاني أراكم من وراء ظهري » وروى البزار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبيا »

وقوله تعالى (انه هو السمع العليم) أي السميع لاقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم كما قال تعالى [وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه] الآية

هل أنبئكم على من تنزّل الشيٰطين (٢٢١) تنزّل على كل أفاك أثيم (٢٢٢) يلقون السمع وأكثرهم كٰذبون (٢٢٣) والشعراء يتبعهم الغاوون (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون مالا يفعلون (٢٢٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الصلحٰت وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلَب ينقلبون (٢٢٧)

يقول تعالى مخاطبا لمن زعم من المشركين أن ماجاء به الرسول ﷺ ليس بحق وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه أو أنه أتاه به رئي من الجان فنزه الله سبحانه وتعالى جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ونبه أن ماجاء به انما هو من عند الله وأنه تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم أمين عظيم ، وأنه ليس من قبل الشياطين فانهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم وانما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة . ولهذا قال تعالى (هل أنبئكم) أي أخبركم (على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم) أي كذوب في قوله وهو الافاك اثيم وهو الفاجر في أفعاله . فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة ، فان الشياطين أيضا كذبة فسقة (يلقون

في أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك والساجدين هم الانبياء . وقال عطاء عن ابن عباس أراد تقلبك في أصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى أخرجك في هذه الامة ﴿ إنه هو السميع العليم * هل أنبئكم ﴾ هل أخبركم ﴿ على من تنزل الشياطين ﴾ هذا جواب قولهم تنزل عليهم الشياطين ، ثم بين فقال ﴿ تنزل ﴾ أي تتنزل ﴿ على كل أفاك ﴾ كذاب ﴿ أثيم ﴾ فاجر قال قتادة هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقون الى أوليائهم من الانس وهو قوله عز وجل ﴿ يلقون السمع ﴾ أي يستمعون من الملائكة مسترقين فيلقون الى الكهنة ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ لأنهم يخلطون به كذبا كثيرا

قوله عز وجل ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ وذكر مقاتل أسماءهم فقال ومنهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وأمية بن أبي الصلت

السمع) أي يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الانس فيحدثون بها فيصدقهم الناس في كل ماقالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء كما صح بذلك الحديث، كما رواه البخاري من حديث الزهري أخبرني يحيى بن عروة بن الزبير أنه سمع عروة بن الزبير يقول : قالت عائشة رضي الله عنها : سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال « انهم ليسوا بشيء » قالوا يارسول الله فانهم يحدثون بالشيء يكون حقا ، فقال النبي ﷺ « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاج فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة »

وروى البخاري أيضا حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : ان النبي ﷺ قال « اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير » فيسمعها مسترقو السمع » ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض — وصفه سفيان بيده فحرفها وبدد بين أصابعه — فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى

الثقفي تكلموا بالكذب على رسول الله ﷺ وبالباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه ويروون عنهم ،وذلك قوله (والشعراء يتبعهم الغاوون) هم الرواة الذين يروون هجاء النبي ﷺ والمسلمين وقال قتادة ومجاهد الغاوون هم الشياطين وقال الضحاك تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين ومع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية . وهي رواية عطية عن ابن عباس ﴿ ألم تر أنهم في كل واد ﴾من أودية الكلام﴿ يهيمون ﴾ حائرون وعن طريق الحق جائرون . والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له . قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية في كل لغو يخوضون . وقال مجاهد في كل فن يفتنون وقال قتادة يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل. فالوادي مثل لفنون الكلام كما يقال أنا في واد وأنت في واد. وقيل في كل واد يهيمون أي على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافي ﴿وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾ أي يكذبون في شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن الاعمش عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا يريه خير من أن يمتلىء شعرا » ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية ويهجون الكفار وينافحون عن النبي ﷺ وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن عبد الله بن بشران أنا

يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » تفرد به البخاري . وروى مسلم من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن رجال من الانصار قريبا من هذا وسيأتي عند قوله تعالى في سبأ [حتى اذا فزع عن قلوبهم] الآية . وقال البخاري وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن أبا الاسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال « ان الملائكة تحدث في العنان — والعنان الغمام — بالامر في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة » ورواه البخاري في موضع آخر من كتاب بدء الخلق عن سعيد بن أبي زيد عن الليث عن عبدالله بن أبي جعفر عن أبي الاسود محمد بن عبدالرحمن عن عروة عن عائشة بنحوه

وقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الكفار يتبعهم ضلال الانس والجن ، وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وقال عكرمة كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام من الناس ولهذا فئام من الناس فأنزل الله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون)

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن الهاد عن يحنس مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد قال : بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج اذ عرض شاعر ينشد فقال النبي ﷺ « خذوا الشيطان — او — امسكوا الشيطان ، لان يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعراً » وقوله تعالى [ألم تر أنهم في كل واد يهيمون] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل

اسمعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه انه قال للنبي ﷺ ان الله قد انزل في الشعر ما انزل فقال النبي ﷺ « ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل » اخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني انا ابو القاسم علي بن احمد الخزاعي انا الهيثم بن كليب انا ابو عيسى الترمذى ثنا اسحاق بن منصور انا عبد الرزاق انا جعفر بن سليمان ثنا ثابت عن انس ان النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال النبي ﷺ « خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل » أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة اخبرني عدي

لغو يخوضون . وقال الضحاك عن ابن عباس في كل فن من الكلام، وكذا قال مجاهد وغيره ، وقال الحسن البصري قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة في شتيمة فلان ومرة في مديحة فلان . وقال قتادة الشاعر يمدح قوما بباطل ويذم قوما بباطل .

وقوله تعالى [وانهم يقولون ما لا يفعلون] قال العوفي عن ابن عباس كان رجلان على عهد رسول الله أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين وانهما تهاجيا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء. فقال الله تعالى [والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وانهم يقولون مالا يفعلون]

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الامر ، فان الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيتكثرون بما ليس لهم، ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما اذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حدا هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا لأنهم يقولون مالا يفعلون؟ على قولين

وقد ذكر محمد بن إسحاق ومحمد بن سعد في الطبقات والزبير بن بكار في كتاب الفكاهة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدي بن نضلة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم

اذا شئت غنتني دهاقين قرية ورقاصة تحدو على كل مبسم

فان كنت ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالاصغر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أي والله انه ليسوءني ذلك ومن لقيه فليخبره

انه سمع البراء قال قال رسول الله ﷺ لحسان « اهجهم - أو - هاجهم وجبريل معك » اخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا اسمعيل بن موسى الفزارى وعلي ابن حجر - المعنى واحد - قالا ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح عن رسول الله ﷺ ويقول رسول الله ﷺ « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله » أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثني أبي عن جدي ثنا خالد بن زيد حدثني سعيد بن أبي هلال عن عمارة بن غزية عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ان رسول الله ﷺ

أني قد عزلته ، وكتب إليه عمر (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله الا هو اليه المصير)(أما بعد) فقد بلغني قولك

لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا بالجوسق المتهدم

وايم الله انه ليسوؤني وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال والله يا أمير المؤمنين ماشربتها قط ، وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني . فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لي عملا أبداً وقد قلت ماقلت . فلم يذكر انه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون ما لا يفعلون ولكن ذمه عمر رضي الله عنه ولامه على ذلك وعزله به ، ولهذا جاء في الحديث « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً يريه خير له من أن يمتلىء شعراً » والمراد من هذا أن الرسول ﷺ الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لان حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو إلا ذكر وقرآن مبين) وقال تعالى (انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون * تنزيل من رب العالمين) وهكذا قال ههنا (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين - إلى أن قال - وما تنزلت به الشياطين وماينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون - إلى أن قال - هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ؟ وانهم يقولون ما لا يفعلون)

وقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الداري قال : لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون قالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي ﷺ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال « أنتم » (وذكروا الله كثيراً) قال « أنتم » (وانتصروا من بعد ما ظلموا) قال « أنتم » رواه ابن

قال « اهجوا قريشا فانه أشد عليهم من رشق النبل » فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ، ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الاسد الضارب بذنبه . ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال : والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال رسول الله ﷺ « لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي » فأتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد خلص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان « إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله » وقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « هجاهم حسان فشفى واشتفى » قال حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحاق

وقد روى ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي سعيد الاشج عن أبي أسامة عن الوليد بن أبي كثير عن يزيد ابن عبدالله عن أبي الحسن مولى نوفل ان حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة أتيا رسول الله ﷺ حين أنزلت هذه الآية (والشعراء يتبعهم الغاوون) يبكيان فقال رسول الله ﷺ وهو يقرؤها عليهما (والشعراء يتبعهم الغاوون - حتى بلغ - إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال « أنتم » وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا أبو مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال : لما نزلت [والشعراء يتبعهم الغاوون - الى قوله - وانهم يقولون ما لا يفعلون] قال عبد الله بن رواحة يارسول الله قد علم الله أني منهم فأنزل الله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الانصار ؟ وفي ذلك نظر . ولم يتقدم الا مرسلات لا يعتمد عليها والله أعلم . ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الانصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بذم الاسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام السيء ، فان الحسنات يذهبن السيئات . وامتدح الاسلام وأهله في مقابلة ما كان يذمه ، كما قال عبدالله بن الزبعرى حين أسلم :

يا رسول المليك ان لساني ... راتق ما فتقت اذ أنا بور

اذ أجاري الشيطان في سنن الغي ... ومن مال ميله مثبور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه وأكثرهم « هجواً » فلما أسلم لم يكن أحد أحب اليه من رسول الله ﷺ وكان يمدح رسول الله ﷺ بعد ما كان يهجوه « ويتولاه بعد ما كان قد عاداه . وهكذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس ان أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال يارسول الله ثلاث أعطنيهن قال « نعم » قال : معاوية تجعله كاتباً

هجوت محمداً برا تقيا ... رسول الله شيمته الوفاء

فان أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن أن مروان بن الحكم أخبره أن عبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث أخبره أن أبي بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ قال « إن من الشعر لحكمة » قالت عائشة رضي الله عنها : الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح . قال الشعبي كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول الشعر وكان عمر رضي الله تعالى عنه

بين يديك قال «نعم» قال وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال «نعم» وذكر الثالثة ولهذا قال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) قيل معناه ذكروا الله كثيراً في كلامهم وقيل في شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما سبق

وقوله تعالى [وانتصروا من بعد ما ظلموا] قال ابن عباس يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسان «اهجهم - أو قال - هاجهم وجبريل معك» وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه انه قال للنبي ﷺ ان الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ «ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل»

وقوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) كقوله تعالى (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) الاية. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة» قال قتادة ابن دعامة في قوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) يعني من الشعراء وغيرهم. وقال أبو داود الطيالسي حدثنا اياس بن أبي تميمة قال حضرت الحسن ومر عليه بجنازة نصراني فقال (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وقال عبد الله بن أبي رباح عن صفوان بن محرز انه كان اذا قرأ هذه الاية بكى حتى أقول قد اندق قضيب زوره (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وقال ابن وهب أخبرنا ابن سريج الاسكندراني عن بعض المشيخة انهم كانوا بأرض الروم فبينما هم ليلة على نار يشتوون عليها أو يصطلون اذا بركبان قد أقبلوا فقاموا اليهم فاذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوه فجلس معهم - قال - وصاحب لنا قائم يصلي حتى مر بهذه الاية (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يخربون البيت. وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين. والصحيح أن هذه الاية عامة في كل ظالم كما قال ابن أبي حاتم: ذكر عن يحيى بن زكريا ابن يحيى الواسطي حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المحبر حدثنا هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كتب أبي في وصيته سطرين: بسم الله الرحمن الرحيم هذا

يقول الشعر وكان علي رضي الله تعالى عنه أشعر الثلاثة، وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده فروي أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها فقال:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر

فأنشده ابن أبي ربيعة القصيدة الى آخرها وهي قريبة من سبعين بيتاً، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ قال مقاتل انتصروا من المشركين لانهم بدءوا بالهجاء، ثم أوعد شعراء

ماوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب
اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه وان يجر ويبدل فلا أعلم الغيب
(وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)

(آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين)

تفسير سورة النمل وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (١) هدى وبشرى للمؤمنين (٢) الذين
يقيمون الصلوٰة ويؤتون الزكوٰة وهم بالآخرة هم يوقنون (٣) إن الذين لا يؤمنون بالآخرة
زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (٤) أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون
(٥) وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم (٦)

قد تقدم الكلام في سورة البقرة على الحروف المقطعة في اوائل السور ، وقوله تعالى [تلك آيات]
اي هذه آيات [القرآن وكتاب مبين] اي بين واضح [هدى وبشرى للمؤمنين] اي انما تحصل
الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه وعمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة
المفروضة وأيقن بالدار الاخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الاعمال خيرها وشرها والجنة والنار

المشركين فقال ﴿ وسيعلم الذين ظلموا ﴾ أشركوا وهجروا رسول الله ﷺ ﴿ أي منقلب ينقلبون ﴾
أي مرجع يرجعون بعد الموت . قال ابن عباس رضي الله عنهما إلى جهنم والسعير والله أعلم

﴿ سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طس ﴾ قال ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى . وقد سبق الكلام في حروف الهجاء ﴿ تلك
آيات القرآن ﴾ أي هذه آيات القرآن ﴿ وكتاب مبين ﴾ يعني وآيات كتاب مبين ﴿ هدى وبشرى
للمؤمنين ﴾ يعني هو هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين المصدقين به بالجنة ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾
أي يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ يعطون ماوجب عليهم من زكاة أموالهم

كما قال تعالى [قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر] الاية وقال تعالى [لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا] ولهذا قال تعالى ههنا [ان الذين لا يؤمنون بالآخرة] أي يكذبون بها ويستبعدون وقوعها [زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون] اي حسنا لهم ماهم فيه ومددنا لهم في غيهم فهم يتيهون في ضلالهم وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة كما قال تعالى [ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة] الاية [اولئك الذين لهم سوء العذاب] اي في الدنيا والآخرة (وهم في الآخرة هم الاخسرون) اي ليس يخسر انفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر

وقوله تعالى (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) اي وانك يا محمد لتلقى أي لتأخذ القرآن من لدن حكيم عليم اي من عند حكيم عليم اي حكيم في امره ونهيه عليم بالامور جليلها وحقيرها فخبره هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

إذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون (٧) فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحٰن الله رب العٰلمين (٨) يٰموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم (٩) وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يٰموسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون (١٠) الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم (١١) وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيٰت الى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فٰسقين (١٢) فلما جاءتهم آيٰتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (١٣) وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عٰقبة المفسدين (١٤)

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مذكرا له ما كان من أمر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله

لأربابها ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ۞ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم ﴾ القبيحة حتى رأوها حسنة ﴿ فهم يعمهون ﴾ أي يترددون فيها متحيرين ﴿ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ شدة العذاب في الدنيا بالقتل والاسر ببدر ﴿ وهم في الآخرة هم الاخسرون ﴾ لانهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار ﴿ وانك لتلقى القرآن ﴾ أي تؤتى القرآن ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾ أي وحيا من عند الله الحكيم العليم

قوله عز وجل ﴿ إذ قال موسى لاهله ﴾ أي واذكر يا محمد اذ قال موسى لأهله في مسيره من مدين

وكلمه وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والادلة القاهرة وابتعثه إلى فرعون وملئه فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له . فقال تعالى (اذ قال موسى لاهله) أي اذكر حين سار موسى بأهله فأضل الطريق وذلك في ليل وظلام فآنس من جانب الطور ناراً أي رأى ناراً تأجج وتضطرم فقال (لاهله اني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر) أي عن الطريق (أو آتيكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون) أي تستدفئون به وكان كما قال. فانه رجع منها بخبر عظيم ، واقتبس منها نوراً عظيما ولهذا قال تعالى (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) أي فلما أتاها ورأى منظراً هائلا عظيما حيث انتهى اليها والنار تضطرم في شجرة خضراء لاتزداد النار إلا توقداً ولا تزداد الشجرة الا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فاذا نورها متصل بعنان السماء

قال ابن عباس وغيره لم تكن ناراً وانما كانت نوراً يتوهج ، وفي رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوقف موسى متعجبا مما رأى (فنودي أن بورك من في النار) قال ابن عباس تقدس (ومن حولها) أي من الملائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة

إلى مصر ﴿ إني آنست ناراً ﴾ أي أبصرت ناراً ﴿ سآتيكم منها بخبر ﴾ أي امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق أو النار وكان قد ضل الطريق ﴿ أو آتيكم بشهاب قبس ﴾ قرأ أهل الكوفة بشهاب بالتنوين جعلوا القبس نعتا للشهاب ، وقرأ الآخرون بلا تنوين على الاضافة وهو اضافة الشيء الى نفسه لان الشهاب والقبس متقاربان في المعنى ، وهو العود الذي في أحد طرفيه نار وليس في الطرف الآخر نار . وقال بعضهم الشهاب هو شيء ذو نور مثل العمود والعرب تسمي كل أبيض ذي نور شهابا والقبس القطعة من النار ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ تستدفئون من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء ﴿ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها ﴾ أي بورك على من في النار أو في من في النار . والعرب تقول باركه الله وبارك فيه وبارك عليه بمعنى واحد . وقال قوم البركة راجعة إلى موسى والملائكة . معناه بورك من في طلب النار وهو موسى عليه السلام ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار . ومعناه بورك فيك ياموسى وفي الملائكة الذين حول النار . وهذا تحية من عندالله عز وجل لموسى بالبركة كما حيا ابراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) ومذهب أكثر المفسرين أن المراد بالنار النور وذكر بلفظ النار لان موسى حسبه ناراً ، ومن في النار هم الملائكة وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها ، وقيل من في النار ومن حولها جميعاً الملائكة ، وقيل من في النار موسى ومن حولها الملائكة ، وموسى وإن لم يكن فى النار كان قريبًا منها كما يقال بلغ فلان المنزل اذا قرب منه وان لم يبلغه بعد . وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة الى النار . وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال معناه بوركت النار

وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا شعبة والمسعودي عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » زاد المسعودي « وحجابه النور أو النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » ثم قرأ أبو عبيدة أن بورك من في النار ومن حولها ؛ وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة . وقوله تعالى (وسبحان الله رب العالمين) أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلي العظيم المباين لجميع المخلوقات ولا يكتنفه الارض والسموات بل هو الاحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات

وقوله تعالى (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم) أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذي عز كل شيء وقهره وغلبه الحكيم في أقواله وأفعاله ، ثم أمره أن يلقي عصاه من يده ليظهر له دليلا واضحا على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء ، فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ؛ ولهذا قال تعالى (فلما رآها تهتز كأنها جان) والجان ضرب من الحيات أسرعه حركة وأكثره اضطرابا

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : سمعت أبيا يقرأ أن بوركت النار ومن حولها . ومن قد يأتي بمعنى ما كقوله تعالى [فمنهم من يمشي على بطنه] وما قد يكون صلة في الكلام كقوله (جند ماهنالك) ومعناه بورك في النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام وسمى النار مباركة كما سمى البقعة مباركة فقال (في البقعة المباركة)

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله (بورك من في النار) يعني قدس من في النار وهو الله عنى به نفسه ، على معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها ، كما روي أنه مكتوب في التوراة : جاء الله من سيناء ، وأشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران . فمجيئه من سيناء بعثه موسى منها ، ومن ساعير بعثه المسيح منها ، ومن جبال فاران بعثه المصطفى منها وفاران مكة قيل كان ذلك نوره عز وجل . قال سعيد بن جبير كانت النار بعينها . والنار إحدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث « حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » ثم نزه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال جل ذكره ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال ﴿ ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ والهاء في قوله (انه) عماد وليس بكناية ، وقيل هي كناية عن الامر والشأن أي الامر والشأن أي المعبود أنا ثم أرى موسى آية على قدرته فقال ﴿ وألق عصاك فلما رآها تهتز ﴾ تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ وهي الحية الصغيرة التي يكثر

وفي الحديث نهى عن قتل حياة البيوت فلما عاين موسى ذلك (ولى مدبراً ولم يعقب) أي لم يلتفت من شدة فرقه (ياموسى لاتخف إني لايخاف لدي المرسلون) أي لاتخف مما ترى فاني أريد أن أصطفيك رسولا وأجعلك نبيا وجيها . وقوله تعالى (الا من ظلم ثم بدل حسنابعد سوء فاني غفور رحيم) هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل سيء ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب فان الله يتوب عليه كما قال تعالى (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاثم اهتدى) وقال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية والآيات في هذا كثيرة جداً

وقوله تعالى (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصدق من جعل له معجزة ، وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده في جيب درعه فاذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قمر لها لمعان تتلألأ كالبرق

اضطرابها ﴿ ولى مدبراً ﴾ وهرب من الخوف ﴿ ولم يعقب ﴾ ولم يرجع يقال عقب فلان اذا رجع وكل راجع معقب ، وقال قتادة ولم يلتفت فقال الله عز وجل ﴿ ياموسى لاتخف إني لايخاف لدي المرسلون ﴾ يريد اذا أمنتهم لايخافون ، أما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أخشاكم لله» وقوله ﴿ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ﴾ واختلف في هذا الاستثناء قيل هذا إشارة الى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك ثم تاب فقال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له . قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انما أخفتك لقتلك النفس وقال معنى الآية لايخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحاً وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله (الا من ظلم) ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة ، وفي الآية متروك استغني عن ذكره بدلالة الكلام عليه تقديره فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم . قال بعض العلماء ليس هذا باستثناء من المرسلين لانه لايجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك في الكلام معناه لايخاف لدي المرسلون انما الخوف على غيرهم من الظالمين الا من ظلم ثم تاب وهذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فان الله غفور رحيم يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه . وقال بعض النحويين الا ههنا بمعنى ولا يعني لايخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء . يقول لايخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى [لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم] يعني ولا الذين ظلموا ثم أراه الله آية أخرى فقال

﴿ وأدخل يدك في جيبك ﴾ والجيب حيث جيب من القميص أي قطع . قال أهل التفسير كانت عليه مدرعة من صوف لاكم لها ولا أزرار فأدخل يده في جيبه وأخرجها فاذا هي تبرق مثل

الخاطف . وقوله تعالى (في تسع آيات) أي هاتان ثنتان من تسع آيات أؤيدك بهن وأجعلهن برهانا لك الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) كما تقدم تقرير ذلك هنالك

وقوله تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أي بينة واضحة ظاهرة (قالوا هذا سحر مبين) وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين وجحدوا بها أي في ظاهر أمرهم (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها ظلما وعلواً أي ظلما من أنفسهم سجية ملعونة وعلواً أي استكباراً عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم في اهلاك الله اياهم واغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة وفحوى الكلام يقول احذروا أيها المكذبون لمحمد الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الاولى والاحرى فان محمداً ﷺ أشرف وأعظم من موسى ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله وما سبقه من البشارات من الانبياء به وأخذ المواثيق له ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

ولقد آتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (١٥) وورث سليمن داود وقال يا أيها الناس عُلمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين (١٦) وحُشر لسليمن جنودُه من الجن والانس والطير فهم يوزعون (١٧) حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مسكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون (١٨) فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (١٩)

البرق فذلك قوله ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ من غير برص ﴿ في تسع آيات ﴾ يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن ﴿ إلى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ، فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ﴾ بينة واضحة يبصر بها ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ ظاهر ﴿ وجحدوا بها ﴾ أي أنكروا الآيات ولم يقروا أنها من عند الله ﴿ واستيقنتها أنفسهم ﴾ يعني علموا أنها من عند الله . قوله ﴿ ظلما وعلواً ﴾ يعني شركا وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾

قوله عز وجل ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علما ﴾ يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير

يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجميلة وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة والملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين ولهذا قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين)

قال ابن أبي حاتم ذكر عن ابراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدي قال: كتب عمر بن عبدالعزيز ان الله لم ينعم على عبده نعمة فيحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه لو كنت لاتعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل . قال الله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) فأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام

وقوله تعالى (وورث سليمان داود) أي في الملك والنبوة وليس المراد وراثة المال اذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود فانه قد كان لداود مائة امرأة، ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة فان الانبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله « نحن معاشر الانبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة » وقال (ياأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل

الشياطين وتسبيح الجبال ﴿ وقالا الحمد لله الذي فضلنا ﴾ بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس ﴿ على كثير من عباده المؤمنين ۞ وورث سليمان داود ﴾ نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده ، وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطي سليمان ماأعطي داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين . وقال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبداً من سليمان وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى ﴿ وقال ياأيها الناس علمنا منطق الطير ﴾ سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس . روي عن كعب قال : صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال : أتدرون مايقول ؟ قالوا لا ، قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب، وصاحت فاختة فقال أتدرون ماتقول ؟ قالوا لا ، قال انها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طاوس فقال أتدرون مايقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول كما تدين تدان . وصاح هدهد فقال أتدرون مايقول هذا؟ قالوا لا ، قال فانه يقول من لايرحم لايرحم . وصاح صرد فقال أتدرون ماتقول؟ قالوا لا ، قال فانه يقول استغفروا الله يامذنبين . قال وصاحت طيطوى فقال أتدرون ماتقول ؟ قالوا لا ،قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال ، وصاح خطاف فقال أتدرون مايقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول قدموا خيراً تجدوه . وهدرت حمامة فقال أتدرون ماتقول ؟ قالوا لا ، قال فانها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه . وصاح قمري فقال أتدرون مايقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار ،والحدأة تقول كل شيء هالك الا الله . والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه ، والضفدع يقول سبحان ربي القدوس ، والبازي يقول سبحان ربي

شيء) أي أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم حتى انه سخر له الانس والجن والطير ، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله، ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس فهو قول بلا علم، ولو كان الامر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة اذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ويعرف ماتقول وليس الامر كما زعموا ولا كما قالوا بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت الى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال ، ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان مايتخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى (علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) أي مما يحتاج اليه الملك (إن هذا لهو الفضل المبين) أي الظاهر البين لله علينا

وبحمده ، والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان . وعن مكحول قال : صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون مايقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى . وعن فرقد السبخي قال : مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون مايقول هذا البلبل ؟ قالوا الله ونبيه أعلم ، قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء.

وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء فان أخبرتنا آمنا وصدقنا ؟ قال سلوا تفقها ولا تسألوا تعنتا ، قالوا أخبرنا ما يقول القبر في صفيره والديك في صقيعه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله ، وماذا يقول الزرزور والدراج ؟ قال نعم أما القبر فيقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد ، وأما الديك فيقول اذكروا الله ياغافلون ، وأما الضفدع فيقول سبحان المعبود في لجج البحار ، وأما الحمار فيقول اللهم العن العشار ، وأما الفرس فيقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، وأما الزرزور فيقول اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم يارزاق ، وأما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى . قال فأسلم اليهود وحسن اسلامهم . وروي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي قال : اذا صاح النسر قال ياابن آدم عش ماشئت آخره الموت ، واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس انس ، واذا صاح القبر قال الحي العن مبغضي آل محمد ، واذا صاح الخطاف قرأ (الحمد لله رب العالمين) ويمد الضالين كما يمد القاري.

قوله تعالى ﴿ وأوتينا من كل شيء ﴾ يؤتاه الانبياء والملوك . قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح ﴿ إن هذا لهو الفضل المبين ﴾ الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا ، وروي أن سليمان عليه السلام أعطي مشارق الارض ومغاربها

قال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع » قال فخرج ذات يوم وأغلقت الابواب فأقبلت امرأة تطلع الى الدار فاذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت ؟ من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة ؟ والله لتفتضحن بداود. فجاء داود عليه السلام فاذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت ؟ فقال الذي لا يهاب الملوك ولا يمتنع من الحجاب. فقال داود أنت إذاً والله ملك الموت مرحباً بأمر الله فتزمل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان عليه السلام للطير أظلي على داود فظللت عليه الطير حتى أظلمت عليه الارض، فقال لها سليمان اقبضي جناحا جناحا. قال أبو هريرة يارسول الله كيف فعلت الطير؟ فقبض رسول الله ﷺ يده وغلبت عليه يومئذ المصرحية. قال أبو الفرج بن الجوزي: المصرحية هي النسور الحمراء

وقوله تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) أي وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير يعني ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الانس وكانوا هم الذين يلونه والجن وهم بعدهم في المنزلة والطير ومنزلتها فوق رأسه، فان كان حر أظلته منه بأجنحتها. وقوله (فهم يوزعون) أي يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له، قال مجاهد جعل على كل صف وزعة يردون أولاها على أخراها لئلا يتقدموا في المسير كما يفعل الملوك اليوم

وقوله (حتى إذا أتوا على وادي النمل) أي حتى اذا مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش

فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ملك جميع أهل الدنيا من الجن والانس والدواب الطير والسباع وأعطي على ذلك منطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة

قوله عز وجل ﴿ وحشر لسليمان ﴾ وجمع لسليمان ﴿ جنوده من الجن والانس والطير ﴾ في مسيره ﴿ فهم يوزعون ﴾ فهم يكفون. قال قتادة كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد أولها إلى آخرها لئلا يتقدموا في المسير. والوازع الحابس وهو النقيب، وقال مقاتل (يوزعون) يساقون وقال السدي يوقفون، وقيل يجمعون وأصل الوزع الكف والمنع. قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية يأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح فأخبرتك

قوله عز وجل ﴿ حتى اذا أتوا على وادي النمل ﴾ روي عن وهب بن منبه عن كعب قال: كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد

والجنود على وادي النمل (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أورد ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن أن اسم هذه النملة حرس وأنها من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان وانها كانت عرجاء وكانت بقدر الذئب . أي خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

وقدور عظام يسع كل قدر عشر جزائر، وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوي بهم، فسار من اصطخر إلى اليمن فسلك مدينة رسول الله ﷺ فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه. ورأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله ▪ فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله الى البيت ما يبكيك؟ فقال يارب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك. فأوحى الله اليه أن لاتبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديداً، وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي ▪ وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني، وأفرض على عبادي فريضة يدفون اليك دفيف النسور إلى وكرها، ويحنون اليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة الى بيضتها ، وأطهرك من الاوثان وعبدة الشياطين ، ثم مضى سليمان حتى مروا بوادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي النمل. هكذا قال كعب انه واد بالطائف ، وقال قتادة ومقاتل هو أرض بالشام ▪ وقيل واد كان يسكنه الجن وأولئك بوادي النمل مراكبهم، وقال نوف الحميري كان نمل ذلك الوادي أمثال الذباب ▪ وقيل كالبخاتي والمشهور أنه النمل الصغير ، وقال الشعبي كانت تلك النملة ذات جناحين ▪ وقيل كانت نملة عرجاء فنادت ﴿ قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾ ولم تقل ادخلن لأنه لما جعل لهم قولا كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين ﴿ لايحطمنكم ﴾ لايكسرنكم ﴿ سليمان وجنوده ﴾ والحطم الكسر ﴿ وهم لايشعرون ﴾ فسمع سليمان قولها وكان لايتكلم خلق الا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان ▪ قال مقاتل سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال . قال الضحاك كان اسم تلك النملة طاحية ▪ قال مقاتل كان اسمها خرمى(١) فان قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والارض؟ قيل كانت جنوده ركبانا وفيهم مشاة على الارض تطوى لهم ▪ ويحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان. قال أهل التفسير علم النمل أن سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم. ومعنى الآية انكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطؤكم ولم يشعروا بكم . وروي أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم قوله عز وجل ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ قال الزجاج : أكثر ضحك الانبياء التبسم ▪ وقوله

(١) في ابن كثير حرس

وأن أعمل صالحا ترضاه) أي ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي من تعليمي منطق الطير والحيوان وعلى والدي بالاسلام لك ، والايمان بك (وأن أعمل صالحا ترضاه) أي عملا تحبه وترضاه (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلى من أوليائك ، ومن قال من المفسرين إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وان هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أوغير ذلك من الاقاويل فلا حاصل لها

وعن نوف البكالي أنه قال كان نمل سليمان أمثال الذئاب ، هكذا رأيته مضبوطاً بالياء المثناة من تحت وانما هو بالباء الموحدة وذلك تصحيف والله أعلم . والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكا من ذلك وهذا أمر عظيم جداً . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا مسعر عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي فاذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن سقياك ، وإلا تسقنا تهلكنا . فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم

وقد ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « قرصت نبيا من الانبياء نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله اليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الامم تسبح فهلا نملة واحدة ؟

(ضاحكا) أي متبسما قيل كان أوله التبسم وآخره الضحك

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن سليمان حدثني بن وهب أنا عمرو وهو ابن الحارث أنا أبي النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت : مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم .

أخبرنا عبدالله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبوعيسى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن عبدالله بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: مارأيت أحداً أكثر تبسما من رسول الله ﷺ . قال مقاتل كان ضحك سليمان من قول النملة تعجبا لان الانسان اذا رأى مالا عهد له به تعجب وضحك. ثم حمد سليمان ربه على ماأنعم عليه ﴿ وقال رب أوزعني ﴾ ألهمني ﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ أي أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس : يريد مع ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين ، وقيل أدخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين

وتفقّد الطير فقال ماليَ لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (٢٠) لأعذبنه عذاباً شديداً أولاً ذبحنه أوليأتيني بسلطان مبين (٢١)

قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره : كان الهدهد مهندساً يدل سليمان عليه السلام على الماء إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الارض كما يرى الانسان الشيء الظاهر على وجه الارض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الارض فاذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره ، فنزل سليمان عليه السلام يوماً بفلاة من الارض فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم يره (فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) حدث يوماً عبد الله بن عباس بنحو هذا وفي القوم رجل من الخوارج يقال له نافع بن الازرق وكان كثير الاعتراض على ابن عباس فقال له قف يا ابن عباس غلبت اليوم قال ولم؟ قال انك تخبر عن الهدهد انه يرى الماء في تخوم الارض، وان الصبي ليضع له الحبة في الفخ ويحثو على الفخ تراباً فيجيء الهدهد ليأخذها فيقع في الفخ فيصيده الصبي فقال ابن عباس : لولا أن يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أجبته ثم قال له ويحك انه إذا نزل القدر عمي البصر وذهب الحذر ، فقال له نافع : والله لا أجادلك في شيء من القرآن أبداً

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله البرزي من أهل برزة من غوطة دمشق وكان من الصالحين يصوم الاثنين والخميس وكان أعور قد بلغ الثمانين . فروى ابن عساكر بسنده إلى أبي

قوله عز وجل ﴿ وتفقد الطير ﴾ أي طلبها وبحث عنها والتفقد طلب مافقد ومعنى الآية طلب مافقد من الطير ﴿ فقال مالي لا أرى الهدهد ﴾ أي ماللهدهد لا أراه تقول العرب مالي أراك كئيباً أي مالك . والهدهد طائر معروف . وكان سبب تفقد الهدهد وسؤاله عنه قيل اخلاله بالنوبة . وذلك أن سليمان كان اذا نزل منزلا يظله وجنده جناح الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروي عن ابن عباس أن الهدهد كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده فينقر الارض ثم تجيء الشياطين فيسلخونه ويستخرجون الماء . قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق ياوصاف انظر ماتقول إن الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه . فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال دون البصر . وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر . فنزل سليمان منزلا فاحتاج الى الماء فطلبوا فلم يجدوا فتفقد الهدهد ليدل على الماء فقال مالي لا أرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك في غيبته فقال ﴿ أم كان من الغائبين ﴾ يعني أكان من الغائبين والميم صلة وقيل أم بمعنى بل ثم أوعده على غيبته فقال

سليمان بن زيد أنه سأله عن سبب عوره فامتنع عليه فألح عليه شهوراً فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة في قرية برزة وسألاه عن واد بها فأريتهما إياه فأخرجا مجامر وأوقدا فيها بخورا كثيرا حتى عجعج الوادي بالدخان، فأخذا يعزمان والحيات تقبل من كل مكان اليهما فلا يلتفتان إلى شيء منها، حتى أقبلت حية نحو الذراع وعيناها تتوقدان مثل الدينار، فاستبشرا بها عظيما وقالا الحمد لله الذي لم يخيب سفرنا من سنة وكسرا المجامر وأخذا الحية فأدخلا في عينها ميلا فاكتحلا به، فسألتهما أن يكحلاني فأبيا فألححت عليهما وقلت لابد من ذلك وتوعدتهما بالدولة فكحلا عيني الواحدة اليمنى فحين وقع في عيني نظرت إلى الارض تحتي مثل المرآة أنظر ماتحتها كما ترى المرآة، ثم قالا لي: سر معنا قليلا فسرت معهما وهما يحدثاني حتى إذا بعدت عن القرية أخذاني فكتفاني وأدخل أحدهما يده في عيني ففقأها ورمى بها ومضيا، فلم أزل كذلك، ملقى مكتوفا حتى مر بي نفر ففك وثاقي، فهذا ما كان من خبر عيني

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو الغساني حدثنا عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن قال: اسم هدهد سليمان عليه السلام عنبر. وقال محمد بن اسحاق: كان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضره إلا الهدهد (فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) أخطأه بصري من الطير أم غاب فلم يحضر؟ وقوله (لأعذبنه عذابا شديدا) قال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد عن ابن عباس يعني نتف

﴿ لأعذبنه عذابا شديداً ﴾ واختلفوا في العذاب الذي أوعده به فأظهر الاقاويل أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لايمتنع من النمل ولا من هوام الارض، وقال مقاتل بن حيان لاطلينه بالقطران ولأشمسنه، وقيل لأودعنه القفص، وقيل لافرقن بينه وبين إلفه، وقيل لأحبسنه مع ضده ﴿ أو لأذبحنه ﴾ لاقطعن حلقه ﴿ أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ بحجة بينة في غيبته وعذر ظاهر قرأ ابن كثير ليأتينني بنونين الاولى مشددة، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة وكان سبب غيبته على ماذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والانس والشياطين والطيور والوحوش مابلغ معسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ماشاء الله أن يقيم وكان ينحر كل يوم بمقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف كبش، وقال لمن حضره من أشراف قومه ان هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناوأه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لاتأخذه في الله لومة لائم. قالوا فبأي دين يدين يانبي الله؟ قال يدين بدين الحنيفية البيضاء فطوبى لمن أدركه وآمن به. فقالوا كم بيننا وبين خروجه يانبي الله؟ قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل. قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه

ريشه ، وقال عبدالله بن شداد نتف ريشه وتشميسه وكذا قال غير واحد من السلف أنه نتف ريشه وتركه ملقى يأكله الذر والنمل . وقوله (أو لأذبحنه) يعني قتله (أو ليأتيني بسلطان مبين) بعذر بين واضح ، وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد : لما قدم الهدهد قالت له الطير ماخلفك فقد نذر

ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى . فلما نزل قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا هو بهدهد فهبط عليه ، وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير اليمن ليعفور سليمان من أين أقبلت وأين تريد ؟ قال : أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود . فقال ومن سليمان ؟ قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت ؟ قال أنا من هذه البلاد . قال ومن ملكها ؟ قال امرأة يقال لها بلقيس وإن اصاحبكم ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كلها وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل ، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر ملكها ؟ قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وما رجع الى سليمان إلا في وقت العصر . قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل على غير الماء فسأل الانس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا فتفقد الطير ففقد الهدهد ، فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلحك الله ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان . فغضب عند ذلك سليمان (وقال لأعذبنه عذابا شديدا) الآية ثم دعا العقاب سيد الطير فقال عليّ بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء . فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فاذ هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء . فناشده فقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي الا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء . قال فولى عنه العقاب وقال له ويلك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك . ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا إلى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا ولقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال فقال الهدهد : أوما استثنى رسول الله ؟ قالوا بلى قال (أو ليأتيني بسلطان مبين) قال فنجوت إذاً . ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت ؟ لاعذبنك عذابا شديدا فقال الهدهد يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ، ثم سأله فقال له ما الذي أبطأ

سليمان دمك، فقال هل استثنى؟ قالوا نعم قال (لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين)قال نجوت اذاً ،قال مجاهد انما دفع الله عنه ببره بأمه

فمكث غير بعيد فقال أحطتُ بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين (٢٢) إني

وجدت امرأة تملكهم وأوتيتْ من كل شيء ولها عرش عظيم (٢٣) وجدتها وقومها يسجدون

للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (٢٤)

ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبْء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون (٢٥)

الله لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم (٢٦)

يقول تعالى (فمكث) الهدهد (غير بعيد) أي غاب زمانا يسيرا ثم جاء فقال لسليمان (أحطت بما لم تحط به) أي اطلعت على مالم تطلع عليه أنت ولا جنودك (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) أي بخبر صدق حق يقين « وسبأ هم حمير وهم ملوك اليمن » ثم قال (اني وجدت امرأة تملكهم) قال الحسن البصري وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ « وقال قتادة . كانت أمها جنية وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة . وقال زهير بن محمد هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية ،وقال ابن جريج بلقيس بنت ذي شرخ وأمها بلتعة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان مائة الف قيل تحت كل قيل مائة الف مقاتل ،وقال

بلك عني فقال الهدهد ما أخبر الله عنه في قوله ﴿فمكث﴾ قرأ عاصم ويعقوب فمكث بفتح الكاف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان ﴿غير بعيد﴾ أي غير طويل ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾ والاحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته يقول علمت مالم تعلم وبلغت مالم تبلغه أنت ولا جنودك ﴿وجئتك من سبأ﴾ قرأ أبو عمرو والبزي عن ابن كثير من سبأ ولسبأ في سورة سبأ مفتوحة الهمزة، وقرأ القواس عن ابن كثير ساكنة بلا همزة وقرأ الآخرون بالجر فمن لم يجره جعله اسم البلد ومن جره جعله اسم رجل، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن سبأ فقال « كان رجلا له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة » ﴿ بنبأ ﴾ بخبر ﴿ يقين ﴾ فقال سليمان وما ذاك قال ﴿ إني وجدت امرأة تملكهم ﴾ وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشان قد ولد له أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لي وابى ان يتزوج فيهم فزوجوه

الاعمش عن مجاهد كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر الف قيل تحت كل قيل مائة الف مقاتل ٠
وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى (اني وجدت امرأة تملكهم) كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثني عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بارض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء ، وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة اليمن والله أعلم

وقوله (وأوتيت من كل شيء) أي من متاع الدنيا مما يحتاج اليه الملك المتمكن (ولها عرش عظيم) يعني سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلي . قال زهير بن محمد كان من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والزبرجد ٠ طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا ٠

وقال محمد بن إسحاق كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ وكان انما يخدمها النساء ولها ستمائة امرأة تلي الخدمة

قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم وكان فيه ثلثمائة وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه ٠ قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب

امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها . وجاء في الحديث ٠ إن احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها قوم آخرون فملكوا عليهم رجلا وافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من ارض اليمن ، ثم إن الرجل الذي ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت ذلك بلقيس ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا ارغب عنك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبني اليهم . فجمعهم وخطبها اليهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال لهم إنها ابتدأتني فاحب ان تسمعوا قولها فجاءوها فذكروا لها فقالت نعم احببت الولد فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في اناس كثير من حشمها فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت راسه وانصرفت من الليل الى منزلها ٠ فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها فلما رأوه علموا أن تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا أنت بهذا الملك أحق من غيرك فملكوها

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عثمان بن الهيثم انا عوف عن الحسن عن ابي بكرة رضي الله عنه قال لما بلغ رسول الله ﷺ ان اهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال ٠ لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة ٠

قوله تعالى ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ يحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ سرير ضخم كان مضروبا من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من

من مقابلتها فيسجدون لها صباحا ومساء ولهذا قال (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق [فهم لا يهتدون]

وقوله (ألا يسجدوا لله) أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي اخلاص السجود لله وحده دون ماخلق من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم إياه تعبدون) وقرأ بعض القراء (ألا يا اسجدوا لله) جعلها ألا الاستفتاحية ويا للنداء ، وحذف المنادى تقديره عنده ألا ياقوم اسجدوا لله . وقوله (الذي يخرج الخبء في السموات والارض)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيئة في السماء والارض ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد ، وقال سعيد بن المسيب الخبء الماء وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والارض ما جعل فيهما من الارزاق . المطر من السماء والنبات من الارض ، وهذا مناسب من كلام الهدهد الذي جعل الله فيه من الخاصية ماذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجري في تخوم الارض وداخلها . وقوله (ويعلم ماتخفون وماتعلنون) أي يعلم مايخفيه العباد ومايعلنونه من الاقوال والافعال ، وهذا كقوله تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به

الياقوت والزمرد عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين وطوله في السماء ثلاثون ذراعا . وقال مقاتل كان طوله ثمانين ذراعا وطوله في الهواء ثمانين ذراعا. وقيل طوله ثمانين ذراعا وعرضه اربعين ذراعا وارتفاعه ثلاثين ذراعا ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا ﴾ قرا ابو جعفر والكسائي الا يسجدوا بالتخفيف واذا وقفوا يقولون الايا ثم يبتدئون اسجدوا على معنى الا يا هؤلاء اسجدوا جعلوه امرا من عند الله مستأنفا وحذفوا هؤلاء اكتفاء بدلالة يا عليها وذكر بعضهم سماعا من العرب الا يا ارحمونا يريدون الا يا قوم قال الاخطل

ألا يااسلمي ياهند هند بني بكر وإن كان حيانا غداً آخر الدهر

يريد ألا ياهند اسلمي وعلى هذا يكون قوله ألا كلاما معترضاً من غير القصة اما من الهدهد واما من سليمان . قال أبو عبيدة هذا أمر من الله مستأنف يعني ألا أيها الناس اسجدوا ، وقرأ الآخرون ألا يسجدوا بالتشديد بمعنى وزين لهم الشيطان أعمالهم ائلا يسجدوا ﴿ الله الذي يخرج الخبء ﴾ أي الخفي المخبأ ﴿ في السموات والارض ﴾ أي ماخبأت . قال أكثر المفسرين خبء السماء المطر وخبء الارض النبات ، وفي قراءة عبدالله (يخرج الخبء من السموات والارض) ومن وفي يتعاقبان تقول العرب لاستخرجن العلم فيكم يريد منكم ، وقيل معنى الخبء الغيب يريد يعلم غيب السموات والارض ﴿ ويعلم ماتخفون وما تعلنون ﴾ قرأ الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء فيهما لان أول الآية خطاب على

ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وقوله (الله لا إله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المدعو الله وهو الذي لا إله الا هو رب العرش العظيم الذي ليس في المخلوقات أعظم منه. ولما كان الهدهد داعيا الى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له نهي عن قتله كما رواه الامام احمد وابو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد واسناده صحيح

قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (٢٧) اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون (٢٨) قالت يا أيها الملؤ إني ألقي إلي كتاب كريم (٢٩) انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠) ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين (٣١)

يقول تعالى مخبراً عن قيل سليمان للهدهد حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) أي أصدقت في اخبارك هذا (أم كنت من الكاذبين) في مقالتك لتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتابا إلى بلقيس وقومها ، وأعطاه ذلك الهدهد فحمله ، قيل في جناحه كما هي عادة الطير ، وقيل بمنقاره ، وذهب الى بلادهم فجاء الى قصر بلقيس إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها فألقاه اليها من كوة هنالك بين يديها ثم تولى ناحية أدبا ورياسة فتحيرت مما رأت

قراءة الكسائي بتخفيف ألا وقرأ الآخرون بالياء ﴿ الله لا إله الا هو رب العرش العظيم ﴾ أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيما فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل . تم ههنا كلام الهدهد ، فلما فرغ الهدهد من كلامه

﴿ قال ﴾ سليمان للهدهد ﴿ سننظر أصدقت ﴾ فيما أخبرت ﴿ أم كنت من الكاذبين ﴾ فدلهم الهدهد على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان ابن داود الى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وائتوني مسلمين . قال ابن جريج لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه ، وقال قتادة وكذلك كل الانبياء كانت تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون ، فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه فقال للهدهد ﴿ اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة ساكنة الهاء ، ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون كسراً والآخرون بالاشباع كسراً ﴿ ثم تول عنهم ﴾ تنح عنهم فكن قريباً منهم ﴿ فانظر ماذا يرجعون ﴾ يردون من الجواب . وقال ابن زيد في الآية تقديم وتأخير مجازها : اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم . أي انصرف إلي فأخذ الهدهد الكتاب فأتى به

وحاطها ذلك ثم عمدت الى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته فاذا فيه (إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم * أن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين) فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها ثم قالت لهم (ياأيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم) تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره كون طائر جاء به فألقاه اليها ثم تولى عنها أدبا وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ، ولا سبيل لهم إلى ذلك ثم قرأته عليهم (إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا علي وائتوني مسلمين) فعرفوا أنه من نبي الله سليمان عليه السلام ، وانه لا قبل لهم به وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة فانه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها

قال العلماء لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام ، وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا في تفسيره حيث قال : حدثنا أبي حدثنا هارون بن الفضل ابو يعلى الخياط حدثنا ابو يوسف عن سلمة بن صالح عن عبدالكريم أبي أمية عن ابن بريدة عن أبيه قال : كنت أمشي مع

الى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب ، وكانت اذا رقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها . هذا قول قتادة ، وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها

وقال ابن منبه وابن زيد كان لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها . فجاء الهدهد الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب اليها أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل . وعن ابن عباس قال : كان مع بلقيس مائة ألف قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل الملك دون الملك الاعظم . وقال قتادة ومقاتل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف ، قال فجاءوا وأخذوا مجالسهم ﴿ قالت ﴾ لهم بلقيس ﴿ ياأيها الملأ ﴾ وهم أشراف الناس وكبراؤهم ﴿ إني ألقي إلي كتاب كريم ﴾ قال عطاء والضحاك سمته كريما لانه كان مختوما . وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال ، كرامة الكتاب ختمه ؛ وقال قتادة ومقاتل (كتاب كريم) أي حسن وهو اختيار الزجاج وقال حسن ما فيه . وروي عن ابن عباس كريم أي شريف لشرف صاحبه ، وقيل سمته كريما لانه كان مصدراً ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت الكتاب فقالت ﴿ انه من سليمان ﴾ وبينت المكتوب

رسول الله ﷺ فقال « اني أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعد سليمان بن داود » قلت يانبي الله أي آية ؟ قال « سأعلمكها قبل أن أخرج من المسجد » قال فانتهى الى الباب فأخرج إحدى قدميه فقلت نسي ثم التفت إلي وقال « إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » هذا حديث غريب واسناده ضعيف . وقال ميمون بن مهران كان رسول الله ﷺ يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)

وقوله (أن لا تعلوا علي) قال قتادة يقول لاتجبروا علي [وائتوني مسلمين] وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم لاتمتنعوا ولا تتكبروا علي وائتوني مسلمين . قال ابن عباس موحدين » وقال غيره مخلصين ، وقال سفيان بن عيينة طائعين

قالت يا أيها الملؤ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون (٣٢) قالوا نحن ألو قوة وألو بأس شديد والأمر اليك فانظري ما ذا تأمرين (٣٣) قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (٣٤) وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون (٣٥)

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها وماقد نزل بها ولهذا قالت [يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون] أي حتى تحضرون وتشيرون [قالوا نحن ألو قوة وألو بأس شديد] أي منوا اليها بعددهم وعددهم وقوتهم ثم فوضوا اليها بعد ذلك الامر فقالوا : والامر اليك (فانظري ماذا تأمرين) أي نحن ليس لنا عاقة ولا بنا بأس ان شئت أن تقصديه وتحاربيه فمالنا عاقة عنه » وبعد هذا فالامر اليك مري فينا رأيك نمتثله ونطيعه

فقالت ﴿ وانه بسم الله الرحمن الرحيم » ألا تعلوا علي ﴾ قال ابن عباس أي لاتتكبروا علي » وقيل لاتتعظموا ولا تترفعوا علي ، وقيل معناه لاتمتنعوا علي من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر ﴿ وائتوني مسلمين ﴾ مؤمنين طائعين قيل هو من الاسلام وقيل هو من الاستسلام

قوله ﴿ قالت ياأيها الملأ أفتوني في أمري ﴾ أشيروا علي فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه ﴿ ماكنت قاطعة ﴾ قاضية وفاصلة ﴿ أمراً حتي تشهدون ﴾ أي تحضرون ﴿ قالوا ﴾ مجيبين لها ﴿ نحن أولو قوة ﴾ في القتال ﴿ وأولو بأس شديد ﴾ عند الحرب . قال مقاتل وأرادوا بالقوة كثرة العدد وبالبأس الشديد الشجاعة . وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا ﴿ والامر اليك ﴾ أيتها الملكة في القتال وتركه ﴿ فانظري ﴾ من الرأي ﴿ ماذا تأمرين ﴾ تجدينا لأمرك مطيعين ﴿ قالت ﴾

قال الحسن البصري رحمه الله فوضوا أمرهم الى علجة تضطرب ثدياها فلما قالوا لها ماقالوا كانت هي أحزم رأيا منهم وأعلم بأمر سليمان ، وأنه لاقبل لها بجنوده وجيوشه وماسخر له من الجن والانس والطير ، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمراً عجيبا بديعا فقالت لهم اني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص الي واليكم الهلاك والدمار دون غيرنا ، ولهذا قالت [إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها]

بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال ﴿ إن الملوك اذا دخلوا قرية ﴾ عنوة ﴿ أفسدوها ﴾ خربوها ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر تحذرهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وتناهى الخبر عنها ههنا فصدق الله قولها فقال ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ أي كما قالت هي يفعلون ثم قالت

﴿ وإني مرسلة اليهم بهدية ﴾ والهدية هي العطية على طريق الملاطفة وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست فقالت الملأ من قومها (إني مرسلة اليهم) أي إلى سليمان وقومه (بهدية) أصانعه بها عن ملكي وأختبره بها أملك هو أم نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف ، وإن كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه. فذلك قوله تعالى ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ فأهدت اليه وصفاء ووصائف . قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحداً كي لايعرف الذكر من الانثى ، وقال مجاهد ألبس الغلمان لباس الجواري وألبس الجواري لبسة الغلمان واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة ، وقال مجاهد ومقاتل مائتا غلام ومائتا جارية ، وقال قتادة وسعيد بن جبير أرسلت اليه بلبنة من ذهب في حرير وديباج ،وقال ثابت البناني أهدت اليه صفائح الذهب في أوعية الديباج ، وقيل كانت أربع لبنات من ذهب ، وقال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب ، وفي آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وألبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق ، وحملت الجواري على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وغواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه المسك والعنبر والعود الالنجوج وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معه كتابا بنسخة الهدية وقالت فيه إن كنت نبيا فميز لي بين الوصائف والوصفاء وأخبرني بما في الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدر ثقبا مستويا وأدخل خيطا في الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه

قال ابن عباس أي اذا دخلوا بلداً عنوة أفسدوه أي خربوه [وجعلوا أعزة اهلها أذلة] اي وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهوان اما بالقتل أوبالاسر . قال ابن عباس قالت بلقيس [ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة] قال الرب عز وجل [وكذلك يفعلون] ثم عدلت الى المصالحة والمهادنة والمسالمة والمخادعة والمصانعة فقالت [واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون] اي سأبعث اليه بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فلعله

بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجواري أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم أنه ملك ولا يهولنك منظره فأنا أعز منه ، وإن رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان فأخبره الخبر كله . فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه الى تسعة فراسخ ميدانا واحداً بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطا شرفها من الذهب والفضة، ثم قال أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر ؟ قالوا يانبي الله انا رأينا دواب في بحر كذا وكذا منقطة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص ، فقال علي بها الساعة فأتوا بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفتها فيها ، ثم قال للجن علي بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما دنا القوم من الميدان، ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على ابن الذهب والفضة تقاصرت أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا

وفي بعض الروايات أن سليمان لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة امرهم أن يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبنات التي معهم فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا وكانت الارض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان، فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب ففزعوا . فقالت لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والهوام والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان، فنظر اليهم سليمان نظراً حسنا بوجه طلق ، وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاءوا له وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ثم قال : اين الحقة فأتي بها فحركها وجاءه جبريل فأخبره بما في الحقة فقال : ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة . فقال سليمان من لي بثقبها فسأل سليمان الانس ثم الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ، ثم سأل الشياطين

يقبل ذلك منا ويكف عنا او يضرب علينا خراجا نحمله اليه في كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا . قال قتادة رحمه الله ما كان أعقلها في اسلامها وشركها علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها ان قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وان لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه

فلما جاء سليمن قال أتمدونن بمال فما آتني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (٣٦) ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صغرون (٣٧)

ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت اليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلي، وغير ذلك ، وقال بعضهم أرسلت بلبن من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت اليه بآنية من ذهب . قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما أرسلت جواري في زي الغلمان وغلمانا في زي الجواري فقالت ان عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا فأمرهم سليمان فتوضؤا فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء وجعل الغلام يغترف فميزهم بذلك ، وقيل بل جعلت الجارية تغسل باطن يدها قبل ظاهرها والغلام بالعكس ، وقيل بل جعلت الجواري يغسلن من أكفهن الى مرافقهن ، والغلمان من مرافقهم الى كفوفهم ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم . وذكر بعضهم أنها أرسلت اليه بقدح ليملأه ماء رواء

فقالوا ترسل إلى الارضة فجاءت الارضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ماحاجتك ؟ فقالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ، وروي انه جاءت دودة تكون في الصفصاف فقالت أنا أدخل الخيط في الثقب على أن يكون رزقي في الصفصاف فجعل لها ذلك فأخذت الخيط بفيها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر ثم قال : من لهذه الخرزة فيسلكها في الخيط ؟ فقالت دودة بيضاء أنا لها يارسول الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ماحاجتك؟ فقالت تجعل رزقي في الفواكه ، قال لك ذلك ، ثم ميز بين الجواري والغلمان بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه ، والغلام يأخذه من الآنية يضرب به وجهه ، وكانت الجارية تصب الماء على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا ، وكان الغلام يحدر الماء على يديه حدراً فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال الله تعالى

﴿ فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال ﴾ قرأ حمزة ويعقوب أتمدوني بنون واحدة مشددة واثبات الياء ، وقرأ الآخرون بنونين خفيفتين ويثبت الياء أهل الحجاز والبصرة والآخرون يحذفونها ﴿ فما آتاني الله ﴾ أعطاني الله من النبوة والدين والحكمة والملك ﴿ خير ﴾ أفضل ﴿ مما آتاكم بل أنتم

لا من السماء ولا من الارض . فأجرى الخيل حتى عرقت ثم ملأه من ذلك ، وبخرزة وسلك ليجعله فيها ففعل ذلك والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الاسرائيليات . والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ماجاءوا به بالكلية ولا اعتنى به بل أعرض عنه ، وقال منكراً عليهم (أتمدونن بمال) أي أتصانعونني بمال لاتركتكم على شرككم وملككم (فما آتاني الله خير مما آتاكم) أي الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه (بل أنتم بهديتكم تفرحون) أي أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف . وأما أنا فلا أقبل منكم الا الاسلام او السيف

قال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه: أمر سليمان الشياطين فموهوا له الف قصر من ذهب وفضة . فلما رأت رسلها ذلك قالوا مايصنع هذا بهديتنا ، وفي هذا جواز تهيؤ الملوك واظهارهم الزينة للرسل والقصاد (ارجع اليهم) اي بهديتهم (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) اي لاطاقة لهم بقتالهم (ولنخرجنهم منها أذلة) اي ولنخرجنهم من بلدتهم أذلة (وهم صاغرون) اي مهانون مدحورون. فلما رجعت اليها رسلها بهديتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هي وقومها وأقبلت تسير اليه في جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان ناوية متابعته في الاسلام ، ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم عليه ووفودهم اليه فرح بذلك وسره

بهديتكم تفرحون ﴾ لانكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون باهداء بعضكم إلى بعض ، فأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي . لان الله تعالى قد مكنني فيها وأعطاني منها مالم يعط أحداً ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد ﴿ ارجع اليهم ﴾ بالهدية ﴿ فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم ﴾ لاطاقة لهم ﴿ بها ولنخرجنهم منها ﴾ اي من أرضهم وبلادهم وهي سبأ ﴿ أذلة وهم صاغرون ﴾ ذليلون إن لم يأتوني مسلمين

قال وهب وغيره من أهل الكتب فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان قالت . قد عرفت والله ماهذا بملك وما لنا به طاقة فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها ثم أغلقت دونه الابواب ووكلت به حراساً يحفظونه ، ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لايخلص اليه أحد ولا يقربه حتى آتيك. ثم أمرت منادياً ينادي في أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل وشخصت إلى سليمان في اثنى عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يدى كل قيل الوف كثيرة . قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيباً لايبتدأ بشيء حتى يكون هو الذى يسأل عنه ، فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجاً قريبا منه فقال ماهذا ؟ قالوا بلقيس وقد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان . قال ابن عباس وكان بين الكوفة والحيرة مسيرة قدر فرسخ فأقبل سليمان حينئذ على جنوده

قال يأيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟ (٣٨) قال عفريت من الجن

أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (٣٩) قال الذي عنده علم من

الكتٰب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي

ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠)

قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال : فلما رجعت اليها الرسل بما قال سليمان قالت قد والله عرفت ماهذا بملك وما لنابه من طاقةوما نصنع بمكابرته شيئا ، وبعثت اليه إني قادمة عليك بملوك قومي لانظر ما أمرك وما تدعونا اليه من دينك،ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه ،وكان من ذهب منصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ثم أقفلت عليه الابواب ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا يخلص اليه أحد من عباد الله ، ولا يرينه أحد حتى آتيك. ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يدي كل قيل الوف كثيرة فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى اذا دنت جمع من عنده من الجن والانس ممن تحت يده فقال (يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) وقال قتادة لما بلغ سليمان أنها جائية وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه ، وكان من ذهب وقوائمه لؤلؤ وجوهر ، وكان مستراً بالديباج والحرير ، فكانت عليه تسعة مغاليق فكره أن يأخذه بعد اسلامهم . وقد علم نبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم ودماؤهم فقال (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين)وهكذا قال عطاء الخراساني والسدي وزهير بن محمد (قبل أن يأتوني مسلمين) فتحرم علي أموالهم باسلامهم (قال عفريت من الجن) قال مجاهد اي ماردمن الجن. قال شعيب الجبائي وكان اسمه كوزن ، وكذا قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وكذا قال ايضاً

قوله تعالى ﴿ قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ﴾ أي مؤمنين . وقال ابن عباس طائعين واختلفوا في السبب الذي لاجله أمر سليمان باحضار عرشها فقال أكثرهم لان سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها ، وقيل ليريها قدرة الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها ، وقال قتادة لانه أعجبته صفته لما وصفه الهدهد فأحب أن يراه . قال ابن زيد أراد أن يأمر بتنكيره وتغييره ليختبر بذلك عقلها

قوله ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ وهو المارد القوي ، قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان ، قال ابن عباس العفريت الداهية ، وقال الضحاك هو الخبيث ، وقال الربيع الغليظ ، قال الفراء القوي الشديد

وهب بن منبه قال ابوصالح وكان كأنه جبل (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك)
قال ابن عباس يعني قبل أن تقوم من مجلسك ، وقال مجاهد مقعدك ، وقال السدي وغيره كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من اول النهار إلى أن تزول الشمس (واني عليه لقوي امين) قال ابن عباس اي قوي على حمله امين على مافيه من الجوهر . فقال سليمان عليه السلام اريد أعجل من ذلك ، ومن ههنا يظهر أن سليمان أراد باحضار هذا السرير إظهار عظمة ماوهب الله له من الملك وماسخر له من الجنود الذى لم يعطه أحد قبله ولا يكون لاحد من بعده ، وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لان هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه ، هذا وقد حجبته بالاغلاق والاقفال والحفظة . فلما قال سليمان أريد أعجل من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) قال ابن عباس وهو آصف كاتب سليمان ، وكذا روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان انه آصف بن برخياء ، وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم ، وقال قتادة كان مؤمنا من الانس واسمه آصف ، وكذا قال ابو صالح والضحاك وقتادة انه كان من الانس زاد قتادة من بني اسرائيل ، وقال مجاهد كان اسمه أسطرم

وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بليخا ، وقال زهير بن محمد هو رجل من الانس يقال له ذوالنور ، وزعم عبدالله بن لهيعة أنه الخضر وهو غريب جداً . وقوله (أنا آتيك به قبل أن يرتد

وقيل هو صخر الجني وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أي من مجلسك الذي تقضي فيه ، قال ابن عباس وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه إلى متسع النهار ﴿ وإني عليه ﴾ أي على حمله ﴿ لقوي أمين ﴾ على مافيه من الجواهر ، فقال سليمان : أريد أسرع من هذا
قوله ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾ واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل ، وقيل هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان ، وقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب ، واذا سئل به أعطى . وروى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون به خداً حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدي سليمان . وقال الكلبي خر آصف ساجداً ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الارض حتى نبع عند كرسي سليمان . وقيل كانت المسافة مقدار شهرين واختلفوا في الدعاء الذي دعا به آصف ، فقال مجاهد ومقاتل ياذا الجلال والاكرام ، وقال الكلبي ياحي ياقيوم ، وروي ذلك عن عائشة ، وروي عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم الكتاب ياإلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لاإله الا أنت ائتني بعرشها ، وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرائيل آتاه الله علما وفهما ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ﴾ قال سليمان هات ، قال أنت النبي بن النبي

اليك طرفك) اى ارفع بصرك وانظر مد بصرك مماتقدر عليه فانك لايكل بصرك الا وهو حاضر عندك ، وقال وهب بن منبه امدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به فذكروا انه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى ، قال مجاهد قال : ياذا الجلال والاكرام ، وقال الزهري قال : ياإلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائتني بعرشها قال فمثل بين يديه ، قال مجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن إسحاق وزهير بن محمد وغيرهم لما دعا الله تعالى وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس وكان في اليمن وسليمان عليه السلام ببيت المقدس غاب السرير وغاص في الارض ثم نبع من بين يدي سليمان

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم لم يشعر سليمان الا وعرشها يحمل بين يديه قال وكان هذا الذى جاء به من عباد البحر فلما عاين سليمان وملأه ذلك ورآه مستقراً عنده (قال هذا من فضل ربي) اى هذا من نعم الله علي (ليبلوني) أى ليختبرني (أأشكر ام أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه) كقوله (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) وكقوله (ومن عمل صالحاً فلانفسهم يمهدون) وقوله (ومن كفر فان ربي غني كريم] اى هو غني عن العباد وعبادتهم كريم اى كريم في نفسه وان لم يعبده أحد فان عظمته ليست مفتقرة الى أحد ، وهذا كما قال موسى [ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله غني حميد]

وفي صحيح مسلم «يقول الله تعالى: ياعبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا ، ياعبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل منكم مانقص ذلك من ملكي شيئا ، ياعبادى انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»

وليس أحد أوجه عند الله منك فان دعوت الله وطلبت اليه كان عندك ، فقال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت

وقوله تعالى (قبل أن يرتد اليك طرفك) قال سعيد بن جبير يعني من قبل أن يرجع اليك أقصى من ترى وهو أن يصل اليك من كان منك على مد بصرك ، قال قتادة قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر ، وقال مجاهد يعني ادامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئا . قال وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى أمثله بين يديك ﴿ فلما رآه ﴾ يعني رأى سليمان العرش ﴿ مستقراً عنده ﴾ محمولا اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿ قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ﴾ نعمه ﴿أم أكفر ﴾ فلا أشكرها ﴿ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ﴾ أي يعود نفع شكره اليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ﴿ ومن كفر فان ربي غني ﴾ عن شكره ﴿ كريم ﴾ بالافضال على من يكفر نعمه

قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لايهتدون (٤١) فلما جاءت

قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين (٤٢) وصدها ما

كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كفرين (٤٣) قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته

حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي

وأسلمت مع سليمن لله رب العلمين (٤٤)

لما جيء سليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل قدومها امر به ان يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته هل تقدم على انه عرشها أو انه ليس بعرشها فقال (نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لايهتدون)

قال ابن عباس نزع منه فصوصه ومرافقه ، وقال مجاهد أمر به فغير ما كان فيه أحمر جعل أصفر وما كان أصفر جعل احمر ، وما كان أخضر جعل أحمر غير كل شيء عن حاله ، وقال عكرمة زادوا فيه ونقصوا وقال قتادة جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه ونقصوا (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) أي عرض عليها عرشها وقد غير ونكر وزيد فيه ونقص منه فكان فيها ثبات وعقل ، ولها لب ودهاء وحزم ، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها ولا انه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وان غير

قوله تعالى ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ يقول غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته . قال قتادة ومقاتل هو أن يزاد فيه وينقص منه ، وروي أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله وجعل مكان الجوهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر أحمر ﴿ ننظر أتهتدي ﴾ الى عرشها فتعرفه ﴿ أم تكون من ﴾ الجاهلين ﴿ الذين لايهتدون ﴾ اليه وانما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي اليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية واذا ولدت له ولداً لاينفكون من تسخير سليمان وذريته ومن بعده فاساءوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار وإنها شعراء الساقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح

قوله ﴿ فلما جاءت قيل ﴾ لها ﴿ أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ﴾ قال مقاتل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها ، وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب (قالت كأنه هو) فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر ، وقيل اشتبه عليها أمر العرش لانها تركته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما

وبدل ونكر فقالت (كأنه هو) أي يشبهه ويقاربه ، وهذا غاية في الذكاء والحزم

وقوله (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) قال مجاهد يقوله سليمان ، وقوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين) هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعيد بن جبير رحمهما الله أي قال سليمان (أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وهي كانت قد صدها أي منعها من عبادة الله وحده (ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين) وهذا الذي قاله مجاهد وسعيد وحسن وقاله ابن جرير أيضاً ، ثم قال ابن جرير ويحتمل أن يكون في قوله (وصدها) ضمير يعود إلى سليمان أو إلى الله عز وجل تقديره ومنعها (ما كانت تعبد من دون الله) أي صدها عن عبادة غير الله (انها كانت من قوم كافرين) [قلت] ويؤيده قول مجاهد انها انما أظهرت الاسلام بعد دخولها إلى الصرح كما سيأتي

وقوله (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) وذلك ان سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصراً عظيماً من قوارير أي من زجاج وأجرى تحته الماء فالذي لا يعرف أمره يحسب انه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه . واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه فقيل انه عزم على تزوجها واصطفائها لنفسه ذكر له جمالها وحسنها ولكن في ساقيها هلف عظيم ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة. فساءه ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته هذا قول محمد بن كعب القرظي وغيره ، فلما دخلت وكشفت عن ساقيها رأى أحسن الناس ساقا وأحسنهم قدما ولكن رأى على رجليها شعراً لانها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل له الموسى فقالت لاأستطيع ذلك . وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئا غير الموسى يذهب به هذا الشعر فصنعوا

أغنى عنك اغلاق الابواب فقالت ﴿ وأوتينا العلم ﴾ بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسل ﴿ من قبلها ﴾ من قبل الآية في العرش ﴿ وكنا مسلمين ﴾ منقادين طائعين لأمر سليمان وقيل قوله (وأوتينا العلم من قبلها) قاله سليمان يقول وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة (وكنا مسلمين) هذا قول مجاهد . وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله

قوله عز وجل ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ أي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس أن تعبد الله أي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله .فعلى هذا التأويل يكون ما في محل الرفع ، وقيل معناه ما صدها عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن ان في عقلها شيئاً ، بل ما كانت تعبد من دون الله ، وقيل معناه وصدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل ما نصبا ﴿ انها كانت من قوم كافرين ﴾ هذا استئناف أخبر الله تعالى

له النورة وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والسدي وابن جريج وغيرهم

وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلي الصرح ليريها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لا تشك انه ماء تخوضه فقيل لها انه صرح ممرد من قوارير، فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها في عبادة الشمس من دون الله، وقال الحسن البصري: لما رأت العلجة الصرح عرفت والله أن قد رأت ملكا أعظم من ملكها، وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال: أمر سليمان بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس ثم قال لها ادخلي الصرح ليريها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لا تشك انه ماء تخوضه قيل لها انه صرح ممرد من قوارير، فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله عز وجل وحده وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمان ساجداً إعظاما لما قالت وسجد معه الناس فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قال ويحك ماذا قلت؟ قالت أنسيت ما قلت؟ فقالت (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فأسلمت وحسن إسلامها

وقد روى الامام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا أثراً غريبا عن ابن عباس فقال حدثنا الحسين بن علي عن زائدة حدثني عطاء بن السائب حدثنا مجاهد ونحن في الازد قال حدثنا ابن عباس قال: كان سليمان عليه السلام يجلس على سريره ثم توضع كراسي حوله فيجلس عليها الانس ثم يجلس الجن ثم

أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس

قوله ﴿ قيل لها ادخلي الصرح ﴾ الآية وذلك أن سليمان أراد أن ينظر الى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهما لما قالت الشياطين ان رجليها كحافر الحمار وهي شعراء الساقين أمر الشياطين فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج وقيل بيتا من زجاج كانه الماء بياضا وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس. وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء. وقيل إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها كما فعلت هي بالوصائف والوصيفات فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح

﴿ فلما رأته حسبته لجة ﴾ وهي معظم الماء ﴿ وكشفت عن ساقيها ﴾ لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان فاذا هي أحسن الناس قدما وساقا الا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان

الشياطين ثم تأتي الريح فترفعهم ثم تظلهم الطير ثم يغدون قدر مايشتهي الراكب أن ينزل شهراً ورواحها شهرا « قال فبينما هو ذات يوم في مسير له إذ تفقد الطير ففقد الهدهد فقال (مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين « لاعذبنه عذابا شديداً أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) قال وكان عذابه إياه أن ينتفه ثم يلقيه في الارض فلا يمتنع من نملة ولا من شيء من هوام الارض

قال عطاء وذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد (فمكث غير بعيد — فقرأ حتى انتهى إلى قوله — سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا) وكتب بسم الله الرحمن الرحيم الى بلقيس (أن لاتعلوا علي واتوني مسلمين) فلما ألقى الهدهد الكتاب اليها ألقي في روعها انه كتاب كريم وانه من سليمان وأن لاتعلوا علي واتوني مسلمين قالوا نحن أولو قوة قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون « فلما جاءت الهدية سليمان قال أتمدونني بمال ارجع اليهم فلما نظر إلى الغبار أخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكة سبأ ومن معها حين نظر الى الغبار كما بيننا وبين الحيرة « قال عطاء ومجاهد حينئذ في الازد . قال سليمان أيكم يأتيني بعرشها ؟ قال وبين عرشها وبين سليمان حين نظر الى الغبار مسيرة شهرين « قال عفريت من الجن (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال وكان لسليمان مجلس يجلس فيه للناس كما يجلس الامراء ثم يقوم فقال (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال سليمان أريد أعجل من ذلك « فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا أنظر في كتاب ربي ثم آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال فنظر اليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره فنبع عرشها من تحت قدم سليمان من تحت كرسي كان سليمان يضع عليه رجله ثم يصعد الى السرير « قال فلما رأى سليمان عرشها قال (هذا من فضل ربي) الآية (قال نكروا لها عرشها) فلما جاءت قيل أهكذا

ذلك صرف بصره عنها وناداها ﴿ قال إنه صرح ممرد ﴾ مجلس مستو ﴿ من قوارير ﴾ وليس بماء ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت و ﴿ قالت رب إني ظلمت نفسي ﴾ بالكفر وقال مقاتل لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله فقالت (رب إني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك ﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ أي أخلصت له التوحيد وقيل إنها لما بلغت الصرح فظننته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل علي أهون من هذا فقولها (ظلمت نفسي) تعني بذلك الظن واختلفوا في أمرها بعد اسلامها فقال عون ابن عبد الله سأل رجل عبد الله بن عتبة هل تزوجها سليمان « فقال انتهى أمرها الى قولها (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) يعني لا علم لنا وراء ذلك. وقال بعضهم تزوجها ولما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس ما يذهب هذا قالوا الموسى فقالت المرأة لم تمسني حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيها قال الحسن فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم

عرشك قالت كأنه هو ، قال فسألته حين جاءته عن أمرين قالت لسليمان أريد ماء ليس من أرض ولا سماء ، وكان سليمان اذا سئل عن شيء سأل الانس ثم الجن ثم الشياطين . قال فقالت الشياطين هذا هين أجر الخيل ثم خذ عرقها ثم املأ منه الآنية ، قال فأمر بالخيل فاجريت ثم أخذ عرقها فملأ منه الآنية ، قال وسألت عن لون الله عز وجل ، قال فوثب سليمان عن سريره فخر ساجداً فقال يا رب لقد سألتني عن أمر انه ليتعاظم في قلبي أن أذكره لك ، فقال ارجع فقد كفيتكهم قال فرجع الى سريره قال ماسألت عنه؟ قالت ماسألتك الا عن الماء فقال لجنوده ماسألت عنه؟ فقالوا ماسألتك الا عن الماء ، قال ونسوه كلهم . قال وقالت الشياطين ان سليمان يريد أن يتخذها لنفسه فان اتخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد لم ننفك من عبوديته ، قال فجعلوا صرحا ممرداً من قوارير فيه السمك قال فقيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فاذا هي شعراء ، فقال سليمان هذا قبيح فما يذهبه ؟ قالوا يذهبه الموسى فقال أثر الموسى قبيح قال فجعلت الشياطين النورة ، قال فهو أول من جعلت له النورة ، ثم قال ابو بكر بن ابي شيبة ما احسنه من حديث [قلت] بل هو منكر غريب جداً ولعله من اوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله اعلم

والاقرب في مثل هذه السياقات انها متلقاة عن اهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الامة من اخبار بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ ، وقد اغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو اصح منه وأنفع واوضح وابلغ ولله الحمد والمنة.

اصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع ، قال الله سبحانه وتعالى اخباراً عن فرعون لعنه الله انه قال لوزيره هامان (ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب) الآية . والصرح قصر في اليمن عالي البناء ، والممرد المبني بناء محكما أملس (من قوارير) أي زجاج ، وتمريد البناء تمليسه ، ومارد

سأل الشياطين فقالوا إنا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سنحين وبينون وغمدان . ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيما ذكر . وروي عن وهب قال زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك أزوجكه . قالت ومثلي يانبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ماكان ؟ قال نعم انه لايكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ماأحل الله لك ، فقالت زوجني ان كان لابد من ذلك ذاتبع ملك همدان فزوجها إياه ثم ردها إلى اليمن وسلط زوجها ذاتبع على اليمن ودعا زوبعة أمير الجن باليمن فقال اعمل لذي تبع ما استعملك

حصن بدومة الجندل . والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصراً عظيما منيفا من زجاج لهذه الملكة ليريها عظمة سلطانه ، فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره انقادت لامر الله تعالى وعرفت انه نبي كريم ، وملك عظيم ،وأسلمت لله عز وجل وقالت (رب اني ظلمت نفسي) أي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)أي متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لاشريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً

ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صـٰلحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون (٤٥) قال يـٰقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة؟ لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ؟ (٤٦) قالوا اطيّرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تُفتنون (٤٧)

يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام حين بعثه الله اليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له (فاذا هم فريقان يختصمون) قال مجاهد :مؤمن وكافر كقوله تعالى (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ؛ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ؛ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون)(قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أي لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته ولهذا قال (لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ؛ قالوا اطيرنا بك وبمن معك) أي مارأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيراً ؛ وذلك انهم لشقائهم كان لا يصيب أحداً منهم سوء إلا قال هذا من قبل صالح وأصحابه ،قال مجاهد تشاءموا بهم وهذا كما قال الله تعالى إخباراً عن قوم فرعون (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان

فيه فلم يزل بها ملكا يعمل له فيهما ما أراد حتى مات سليمان ، فلما أن حال الحول وتبينت الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يامعشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم .فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع سليمان ، وقيل ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة

قوله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن ﴾ أي بأن ﴿ اعبدوا الله ﴾ وحده ﴿فاذا هم فريقان ﴾ مؤمن وكافر ﴿ يختصمون ﴾ في الدين . قال مقاتل واختصامهم ماذكر في سورة الاعراف (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم — الى قوله — ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين) ﴿ قال ﴾ لهم صالح ﴿ ياقوم لم تستعجلون بالسيئة ﴾ بالبلاء والعقوبة ﴿ قبل الحسنة ﴾ العافية والرحمة ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ تستغفرون الله ﴾ بالتوبة من كفركم ﴿ لعلكم ترحمون ؛ قالوا اطيرنا ﴾ أي تشاءمنا وأصله تطيرنا ﴿ بك وبمن معك ﴾ قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل

تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) الآية وقال تعالى (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عندالله) أي بقضائه وقدره ، وقال تعالى مخبراً عن أهل القرية اذجاءها المرسلون (قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) الآية وقال هؤلاء (اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله) أي يجازيكم على ذلك (بل أنتم قوم تفتنون) قال قتادة تبتلون بالطاعة والمعصية . والظاهر أن المراد بقوله [تفتنون] أي تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال

وكان في المدينة تسعةُ رهط يفسدون في الارض ولا يُصلحون (٤٨) قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنّه وأهله ثم لنقولن لوليّه ماشهدنا مَهلِك أهله وإنا لصـٰدقون (٤٩) ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون (٥٠) فانظر كيف كان عٰقبة مكرهم أنا دمرنٰهم وقومَهم أجمعين (٥١) فتلك بيوتهم خاويةٌ بما ظلموا ، ان في ذلك لآية لقوم يعلمون (٥٢) وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٣)

يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورءوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال إلى انهم عقروا الناقة وهموا بقتل صالح أيضاً بأن يبيتوه في أهله ليلا فيقتلوه غيلة ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه انهم ما علموا بشيء من امره وانهم لصادقون فيما أخبروهم ، من انهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى [وكان في المدينة] أي مدينة ثمود [تسعة رهط] أي تسعة نفر (يفسدون في الارض ولا يصلحون) وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود لانهم كانوا كبراءهم ورؤساءهم . قال

لانه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا أصابنا هذا الضرر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك ﴿ قال طائركم عند الله ﴾ أي مايصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره وهو مكتوب عليكم. سمي طائراً لسرعة نزوله بالانسان فانه لاشيء أسرع من قضاء محتوم ، قال ابن عباس الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم ، وقيل (طائركم) أي عملكم (عند الله) سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء ﴿ بل أنتم قوم تفتنون ﴾ قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر نظيره قوله تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال محمد بن كعب القرظي تعذبون

قوله تعالى ﴿ وكان في المدينة ﴾ يعني مدينة ثمود وهي الحجر ﴿ تسعة رهط ﴾ من أبناء أشرافهم ﴿ يفسدون في الارض ولا يصلحون ﴾ وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة وهم غواة قوم صالح ورأسهم قدار بن سالف وهو الذي تولى عقرها كانوا يعملون بالمعاصي ﴿ قالوا تقاسموا بالله ﴾ تحالفوا يقول

العوفي عن ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أي الذين صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم قبحهم الله ولعنهم ، وقد فعل ذلك

وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس : كان أسماء هؤلاء التسعة زعمي وزعيم وهرم وهريم وداب وصواب ورياب وسطيع وقدار بن سالف عاقر الناقة أي الذي باشر ذلك بيده ، قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) وقال تعالى (إذ انبعث أشقاها) وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر بن ربيعة الصنعاني سمعت عطاء ـ هو ابن أبي رباح ـ يقول (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون) قال كانوا يقرضون الدراهم يعني انهم كانوا يأخذون منها ، وكأنهم كانوا يتعاملون بها عدداً كما كان العرب يتعاملون

وقال الامام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال قطع الذهب والورق من الفساد في الارض ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس

والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة كان من صفاتهم الافساد في الارض بكل طريق يقدرون عليها فنها ما ذكره هؤلاء الأئمة وغير ذلك . وقوله تعالى (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) أي تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح عليه السلام ، فكادهم الله وجعل الدائرة عليهم ، قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين ، وقال قتادة تواثقوا على أن يأخذوه ليلا فيقتلوه . وذكر لنا أنهم بينما هم معانيق إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأهمدتهم ، قال العوفي عن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة قالوا حين عقروها لنبيتن صالحا وأهله فنقتله ثم نقول لاولياء صالح ماشهدنا من هذا شيئا وما لنا به من علم فدمرهم الله أجمعين .

بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم ، وموضع تقاسموا جزم على الامر ، وقال قوم محله نصب على الفعل الماضي يعني انهم تحالفوا وتواثقوا . تقديره قالوا متقاسمين بالله ﴿ لنبيتنه ﴾ أي لنقتلنه بياتا أي ليلا ﴿ وأهله ﴾ أي قومه الذين أسلموا معه . وقرأ الاعمش وحمزة والكسائي لتبيتنه ولتقولن بالتاء فيهما وضم لام الفعل على الخطاب ، وقرأ الآخرون بالنون فيهما وفتح لام الفعل ﴿ ثم لنقولن لوليه ﴾ أي لولي دمه ﴿ ماشهدنا ﴾ ماحضرنا ﴿ مهلك أهله ﴾ أي اهلاكهم ولا ندري من قتله ومن فتح الميم فمعناه هلاك أهله ﴿ وانا لصادقون ﴾ في قولنا ماشهدنا ذلك

قوله ﴿ ومكروا مكراً ﴾ غدروا غدراً حين قصدوا تبييت صالح والفتك به ﴿ ومكرنا مكراً ﴾ جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿ وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا ﴾ قرأ أهل الكوفة أنا بفتح الالف رداً على العاقبة أي كانت العاقبة أنا دمرناهم ، وقرأ الآخرون إنا بالكسر على الاستئناف ﴿ دمرناهم ﴾ أي أهلكناهم التسعة واختلفوا في كيفية هلاكهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة

وقال محمد بن إسحاق قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبداً وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا ، وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم ، لما عقروا الناقة قال لهم صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) قالوا زعم صالح انه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه فخرجوا إلى كهف أي غار هناك ليلا فقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ففرغنا منهم ، فبعث الله عليهم صخرة من الهضب حيالهم فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدري قومهم أين هم ، ولا يدرون ما فعل بقومهم . فعذب الله هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه ثم قرأ (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية) أي فارغة ليس فيها أحد (بما ظلموا ، ان في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون)

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفحشة وأنتم تبصرون (٥٤) أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون (٥٥) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (٥٦) فأنجينه وأهله إلا امرأته قدرنها من الغبرين (٥٧) وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين (٥٨)

بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم ، قال مقاتل نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فأهلكهم ﴿ وقومهم أجمعين ﴾ أهلكهم الله بالصيحة ﴿ فتلك بيوتهم خاوية ﴾ نصب على الحال أي خالية ﴿ بما ظلموا ﴾ أي بظلمهم وكفرهم ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ لعبرة ﴿ لقوم يعلمون ﴾ قدرتنا ﴿ وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ يقال كان الناجون منهم أربعة آلاف

قوله تعالى ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ﴾ وهي الفعلة القبيحة ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ أي

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام انه أنذر قومه نقمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم اليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكور دون الاناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) أي يرى بعضكم بعضاً وتأتون في ناديكم المنكر (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) أي لا تعرفون شيئا لا طبعاً ولا شرعا كما قال في الآية الاخرى (أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) أي يتحرجون من فعل ماتفعلونه ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فانهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، قال الله تعالى (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) أي من الهالكين مع قومها لانها كانت رداً لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا اليهم لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله ﷺ لا كرامة لها

وقوله تعالى (وأمطرنا عليهم مطراً) أي حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ولهذا قال (فساء مطر المنذرين) أي الذين قامت عليهم الحجة ووصل اليهم الانذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهموا باخراجه من بينهم

قل الحمد لله وسلم على عباده الذين اصطفى آلله خير أمَّا يشركون ؟ (٥٩) أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون (٦٠)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول [الحمد لله] أي على نعمه على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والاسماء الحسنى ، وأن يسلم على عباد الله الذين

تعلمون أنها فاحشة ، وقيل معناه يرى بعضكم بعضاً وكانوا لا يستترون عتواً منهم ﴿ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون * فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون ﴾ من أدبار الرجال ﴿ فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها ﴾ قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا ﴿ من الغابرين ﴾ أي الباقين في العذاب ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ وهو الحجارة ﴿ فساء ﴾ فبئس ﴿ مطر المنذرين ﴾

قوله تعالى ﴿ قل الحمد لله ﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل على جميع نعمه ﴿ وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ قال مقاتل هم الانبياء والمرسلون

اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبياؤه الكرام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام، هكذا قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وغيره ان المراد بعباده الذين اصطفى هم الانبياء قال وهو كقوله (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)

وقال الثوري والسدي هم أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم أجمعين وروي نحوه عن ابن عباس أيضاً ولا منافاة فانهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالانبياء بطريق الاولى والاحرى. والقصد ان الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل باوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر، أن يحمدوه على جميع أفعاله ، وأن يسلموا على عباده المصطفين الاخيار . وقد قال ابو بكر البزار حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح حدثنا طلق بن غنام حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي إن شاء الله عن أبي مالك عن ابن عباس (وسلام على عباده الذين اصطفى) قال هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه رضي الله عنهم

وقوله تعالى (آلله خير أم مايشركون) استفهام انكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى ، ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى (أمن خلق السموات) أي خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفائها، وماجعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والافلاك الدائرة، وخلق الارض في استفالها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والاطواد والسهول والاوعار ، والفيافي والقفار ، والزروع والاشجار ، والثمار والبحار ، والحيوان على اختلاف الاصناف والاشكال والالوان وغير ذلك. وقوله تعالى (وأنزل لكم من السماء ماء) اي جعله رزقا للعباد (فأنبتنا به حدائق) أي بساتين (ذات بهجة) اي منظر حسن وشكل بهي (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) اي لم تكونوا تقدرون على انبات أشجارها ، وأنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المتفرد به دون ماسواه من الاصنام والانداد كما يعترف به هؤلاء المشركون كما قال تعالى في الآية الاخرى

دليله قوله عز وجل (وسلام على المرسلين) وقال ابن عباس في رواية أبي مالك : هم أصحاب محمد ﷺ وقال الكلبي هم أمة محمد ﷺ ، وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين ﴿ آلله خير أما يشركون ﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم يشركون بالياء ، وقرأ الآخرون بالتاء يخاطب أهل مكة وفيه إلزام الحجة على المشركين بعد هلاك الكفار يقول: آلله خير لمن عبده أم الاصنام خير لمن عبدها والمعنى أن الله نجى من عبده من الهلاك ، والاصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب بهم ﴿ أمن خلق السموات والارض ﴾ معناه آلهتكم خير أم الذي خلق السموات والارض ﴿ وأنزل لكم من السماء ماء ﴾ يعني المطر ﴿ فأنبتنا به حدائق ﴾ بساتين جمع حديقة . قال الفراء الحديقة البستان المحاط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة ﴿ ذات بهجة ﴾ أي منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه ﴿ ماكان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ أن ماينبغي لكم لانكم لاتقدرون عليها ﴿ أإله مع الله ﴾

(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله — ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) اي هم معترفون بانه الفاعل لجميع ذلك وحده لاشريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون انه لا يخلق ولا يرزق ، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى (أإله مع الله) أي أإله مع الله يعبد ، وقد تبين لكم ولكل ذي لب مما يعترفون به أيضاً انه الخالق الرازق . ومن المفسرين من يقول معنى قوله (أإله مع الله) فعل هذا وهو يرجع إلى معنى الاول لان تقدير الجواب انهم يقولون ليس ثم أحد فعل هذا معه بل هو المتفرد به فيقال فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير؟ كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) الآية . وقوله تعالى ههنا (أمن خلق السموات والارض) (أمن) في هذه الآيات كلها تقديره أمن يفعل هذه الاشياء كمن لا يقدر على شيء منها هذا معنى السياق وان لم يذكر الآخر لان في قوة الكلام مايرشد إلى ذلك . وقد قال الله تعالى (آلله خير أم مايشركون) ثم قال في الآية الاخرى (بل هم قوم يعدلون) أي يجعلون لله عدلا ونظيراً وهكذا قال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) اى أمن هو هكذا كمن ليس كذلك ولهذا قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب ، أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) وقال تعالى (أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي أمن هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم يعلم الغيب جليله وحقيره كمن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الاصنام التي عبدوها ولهذا قال [وجعلوا لله شركاء قل سموهم] وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها

أمَّن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أءله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون (٦١)

يقول (أمن جعل الارض قراراً) أي قارة ساكنة ثابتة لاتميد ولا تتحرك بأهلها وترجف بهم فانها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الاخرى (الله الذي جعل لكم الارض قراراوالسماء بناء) (وجعل خلالها أنهارا) أي جعل فيها الانهار العذبة الطيبة شقها في خلالها وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك ، وسيرها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم

استفهام على طريق الانكار أي هل معه معبود سواه يعينه على صنعه ؛ بل ليس معه إله ﴿ بل هم قوم ﴾ يعني كفار مكة ﴿ يعدلون ﴾ يشركون

قوله ﴿ أم من جعل الارض قراراً ﴾ لاتميد بأهلها ﴿ وجعل خلالها ﴾ وسطها ﴿ أنهاراً ﴾ تطرد

حيث ذرأهم في أرجاء الارض وسير لهم ارزاقهم بحسب مايحتاجون اليه (وجعل لها رواسي) أي جبالا شامخة ترسي الارض وتثبتها لئلا تميد بكم (وجعل بين البحرين حاجزا) أي جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزا أي مانعاً يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا فان الحكمة الالهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه فان البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس والمقصود منها أن تكون عذبة زلالا يسقى الحيوان والنبات والثمار منها ، والبحار المالحة هي المحيطة بالارجاء والاقطار من كل جانب والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحا اجاجا لئلا يفسد الهواء بريحها كما قال تعالى (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) ولهذا قال تعالى (أإله مع الله؟) أي فعل هذا أو يعبد على القول الاول والآخر وكلاهما متلازم صحيح (بل أكثرهم لا يعلمون) أي في عبادتهم غيره

أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكّرون (٦٢)

ينبه تعالى انه هو المدعو عند الشدائد ، المرجو عند النوازل كما قال (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، وقال تعالى (ثم إذا مسكم الضر فاليه تجأرون) وهكذا قال ههنا (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا اليه ، والذي لا يكشف ضر المضر ورين سواه

قال الامام احمد أنبأنا عفان أنبأنا وهيب أنبأنا خالد الحذاء عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من بلهجيم قال قلت يارسول الله إلى ما تدعو قال « أدعو إلى الله وحده الذي ان مسك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي ان أضللت بارض قفر فدعوته رد عليك ، والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك » قال قلت أوصني قال « لا تسبن أحدا ولا تزهدن في المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط اليه وجهك ولو أن تفرغ من دلوك في اناء المستقي ، واتزر الى نصف الساق فان أبيت فالى الكعبين ، وإياك وإسبال الازار فان اسبال الازار من المخيلة وان الله لا يحب المخيلة » وقد رواه الامام احمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابي فقال : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس هو ابن عبيد حدثنا عبيدة الهجيمي عن أبيه عن أبي تميمة الهجيمي عن جابر بن سليم الهجيمي قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة وقد وقع هدبها على قدميه فقلت أيكم محمد رسول الله؟ فأومأ بيده إلى نفسه فقلت يارسول الله أنا من أهل البادية وفي جفاؤهم فأوصني قال « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن

بالمياه ﴿ وجعل لها رواسي ﴾ جبالا ثوابت ﴿ وجعل بين البحرين ﴾ العذب والمالح ﴿ حاجزاً ﴾ مانعاً لئلا يختلط أحدهما بالآخر ﴿ أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ توحيد ربهم وسلطانه

قوله ﴿ أمن يجيب المضطر ﴾ المكروب المجهود ﴿ اذا دعاه ويكشف السوء ﴾ الضر ﴿ ويجعلكم

تلقى أخاك ووجهك منبسط ولوأن تفرغ من دلوك في اناء المستقي ، وان امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فانه يكون لك أجره وعليه وزره ، وإياك واسبال الازار فان اسبال الازار من المخيلة وان الله لايحب المخيلة ، ولا تسبن أحداً » قال فما سببت بعده أحداً ولا شاة ولا بعيراً وقد روى ابو داود والنسائي لهذا الحديث طرقا وعندهما طرف صالح منه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هشام حدثنا عبدة بن نوح عن عمر بن الحجاج عن عبيد الله بن أبي صالح قال : دخل علي طاوس يعودني فقلت له ادع الله لي يا أبا عبدالرحمن فقال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر إذا دعاه ، وقال وهب بن منبه قرأت في الكتاب الاول ان الله تعالى يقول : بعزتي انه من اعتصم بي فان كادته السموات بمن فيهن والارض بمن فيهن فاني أجعل له من بين ذلك مخرجا ، ومن لم يعتصم بي فاني أخسف به من تحت قدميه الارض فأجعله في الهواء فأ كله إلى نفسه ، وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي قال هذا الرجل كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لي خذ في هذه فانها أقرب فقلت لاخيرة لي فيها ، فقال بل هي أقرب فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لي أمسك رأس البغل حتى أنزل فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكينا معه وقصدني ففررت من بين يديه وتبعني فناشدته الله وقلت خذ البغل بما عليه فقال هو لي وانما أريد قتلك. فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل فاستسلمت بين يديه وقلت ان رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال عجل فقمت أصلي فارتج علي القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد فبقيت واقفا متحيراً وهو يقول هيه افرغ فاجرى الله على لساني قوله تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فاذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صريعا فتعلقت بالفارس وقلت بالله من أنت ؟ فقال أنا رسول الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء . قال فأخذت البغل والحمل ورجعت سالما. وذكر في ترجمة فاطمة بنت الحسن أم احمد العجلية قالت :هزم الكفار يوما المسلمين في غزاة فوقف جواد جيد بصاحبه وكان من ذوي اليسار ومن الصلحاء. فقال للجواد مالك ويلك انما كنت أعدك لمثل هذا اليوم فقال له الجواد ومالي لا أقصر وأنت تكل العلوفة الى السواس فيظلموني ولا يطعموني الا القليل؟ فقال لك علي عهد الله أني لاأعلفك بعد هذا اليوم الافي حجري فجرى الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا في حجره ، واشتهر أمره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك ، وبلغ ملك الروم أمره فقال : ماتضام بلدة يكون هذا الرجل فيها ، واحتال ليحصله في بلده فبعث اليه رجلا من المرتدين عنده فلما انتهى اليه أظهر له أنه

خلفاء الارض ﴾ سكانها يهلك قرنا وينشيء آخر ، وقيل يجعل أولادكم خلفاءكم ، وقيل جعلكم خلفاء

قد حسنت نيته في الاسلام وقدمه حتى استوثق ثم خرجا يوما يمشيان على جنب الساحل وقد واعد شخصا آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا على أسره فلما اكتنفاه ليأخذاه رفع طرفه الى السماء وقال: اللهم انه انما خدعني بك فاكفنيهما بما شئت. قال فخرج سبعان فأخذاهما ورجع الرجل سالما. وقوله تعالى (ويجعلكم خلفاء الارض) أي يخلف قرنا لقرن قبلهم وخلفا لسلف كما قال تعالى (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) وقال تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) وقال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة) اى قوما يخلف بعضهم بعضا كما قدمنا تقريره وهكذا هذه الآية (ويجعلكم خلفاء الارض) أى أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل وقوما بعد قوم ولوشاء لاوجدهم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لوشاء لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحداً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد لكانت تضيق عنهم الارض وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة ويذرأهم في الارض ويجعلهم قرونا بعد قرون وأمما بعد أمم حتى ينقضي الاجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدهم عداً ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله) أي يقدر على ذلك او أإله مع الله بعد هذا ؟ وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لاشريك له (قليلا ما تذكرون) أى ماأقل تذكرهم فيما يرشدهم الى الحق ويهديهم الى الصراط المستقيم

أمَّن يَهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الريح بُشرا بين يدى رحمته أءله مع الله ؟ تعلى الله عما يشركون (٦٣)

يقول تعالى (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أى بما خلق من الدلائل السماوية والارضية كما قال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) وقال تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) الآية (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي بين يدي السحاب الذى فيه مطر يغيث الله به عباده المجدبين الازلين القنطين (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون)

الجن في الارض ﴿ أإله مع الله ؟ قليلا ماتذكرون ﴾ قرأ أبو عمرو بالياء والآخرون بالتاء.

قوله ﴿ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ﴾ اذا سافرتم ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي

أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صدقين (٦٤)

أى هو الذى بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى في الآية الاخرى (إن بطش ربك لشديد * انه هو يبدىء ويعيد) وقال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الارض كما قال تعالى (والسماء ذات الرجع * والارض ذات الصدع) وقال تعالى (يعلم مايلج في الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء وما يعرج فيها) فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركا فيسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والازاهير وغير ذلك من الوان شتى (كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى) ولهذا قال تعالى (أإله مع الله) أى فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا [قل هاتوا برهانكم] على صحة ماتدعونه من عبادة آلهة أخرى [إن كنتم صادقين] في ذلك * وقدعلم أنه لاحجة لهم ولا برهان كما قال تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لايفلح الكافرون)

قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون (٦٥)

بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون (٦٦)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول معلما لجميع الخلق انه لايعلم أحد من أهل السموات والارض الغيب إلا الله . وقوله تعالى (إلا الله) استثناء منقطع أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل فانه المتفرد بذلك وحده لاشريك له كما قال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) الآية وقال تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) إلى آخر السورة . والآيات في هذا كثيرة

وقوله تعالى (وما يشعرون أيان يبعثون) أي وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والارض بوقت الساعة كما قال تعالى (ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم إلا بغتة) أي ثقل علمها على أهل

رحمته ﴾ أي قدام المطر ﴿ أإله مع الله * تعالى الله عما يشركون * أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ بعد الموت ﴿ ومن يرزقكم من السماء والارض ﴾ أي من السماء المطر ومن الارض النبات ﴿ أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ﴾ حجتكم على قولكم ان مع الله إلها آخر ﴿ إن كنتم صادقين * قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ﴾ نزلت في المشركين حيث سألوا رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة ﴿ وما يشعرون أيان ﴾ متى ﴿ يبعثون * بل ادارك علمهم ﴾ قرأ أبوجعفر وابن كثير وأبوعمرو

السموات والارض . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو جعفر الرازي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم انه يعلم — يعني النبي ﷺ — مايكون في غد فقد أعظم على الله الفرية لان الله تعالى يقول (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) وقال قتادة انما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وان ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الاحمر والاسود والقصير والطويل والحسن والدميم، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون . رواه ابن أبي حاتم عنه بحروفه وهو كلام جليل متين صحيح

وقوله (بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها) أي انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وقرأ آخرون (بل ادارك علمهم) أي تساوى علمهم في ذلك كما في الصحيح لمسلم أن رسول الله ﷺ قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » أي تساوى في العجز عن درك ذلك علم المسئول والسائل . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [بل ادارك علمهم في الآخرة] أي غاب ، وقال قتادة [بل ادارك علمهم في الآخرة] يعني بجهلهم بربهم يقول لم ينفذ لهم علم في الآخرة . هذا قول وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس [بل ادارك علمهم في الآخرة] حين لم ينفع العلم ، وبه قال عطاء الخراساني والسدي ان علمهم انما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كما قال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) وقال سفيان عن عمرو بن عبيد عن الحسن انه كان يقرأ [بل أدرك علمهم] قال اضمحل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة

وقوله تعالى [بل هم في شك منها] عائد على الجنس والمراد الكافرون كما قال تعالى (وعرضوا

أدرك على وزن أفعل أي بلغ ولحق كما يقال أدركه علمي اذا لحقه وبلغه يريد ماجهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه في الآخرة ، وقال مجاهد يدرك علمهم ﴿ في الآخرة ﴾ ويعلمونها اذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم ، قال مقاتل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ماشكوا وعموا عنه في الدنيا وهو قوله ﴿ بل هم في شك منها ﴾ يعني هم اليوم في شك من الساعة ، وقرأ الآخرون (بل ادارك) موصولا مشدداً مع الالف بعد الدال المشدد يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق ، وقيل معناه اجتمع علمهم حين عاينوها في الآخرة انها كائنة وهم في شك منها في وقتهم فيكون بمعنى الاول . وقيل هو على طريق الاستفهام معناه هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة يعني لم يتتابع وضل وغاب

على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) أي الكافرون منكم وهكذا قال ههنا (بل هم في شك منها) أي شاكون في وجودها ووقوعها (بل هم منها عمون) أي في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها

وقال الذين كفروا أءذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون (٦٧) لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الاولين (٦٨) قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين (٦٩) ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون (٧٠)

يقول تعالى مخبراً عن منكري البعث من المشركين انهم استبعدوا اعادة الاجساد بعد صيرورتها عظاما ورفاتا وترابا ثم قال (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) أي مازلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا ولانرى له حقيقة ولا وقوعا ، وقولهم (إن هذا إلا أساطير الاولين) يعنون ماهذا الوعد باعادة الابدان [إلا أساطير الاولين] أي أخذه قوم عمن قبلهم من كتبهم يتلقاه بعضهم عن بعض وليس له حقيقة قال الله تعالى مجيباً لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد [قل] يامحمد لهؤلاء [سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين] أي المكذبين بالرسل وبما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم نقمة الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ماجاءت به الرسل وصحته ، ثم قال تعالى مسلياً لنبيه ﷺ (ولا تحزن عليهم) أي

علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه لان في الاستفهام ضربا من الجحد يدل عليه قراءة ابن عباس بلى باثبات الياء ادارك بفتح الالف على الاستفهام يعني لم يدرك وفي حرف أبي (أم تدارك علمهم) والعرب تضع بل موضع أم وأم موضع بل ، وجملة القول فيه ان الله أخبر أنهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا . وذكر علي بن عيسى أن معنى بل ههنا لو ومعناه لو أدركوا في الدنيا ماأدركوا في الآخرة لم يشكوا بل هم في شك منها بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة ﴿ بل هم منها عمون ﴾ جمع عم وهو الاعمى القلب ، قال الكلبي يقول هم جهلة بها

قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ من قبورنا أحياء . قرأ أهل المدينة اذا غير مستفهم أئنا بالاستفهام ، وقرأ ابن عامر والكسائي أئذا بهمزتين اننا بنونين ، وقرأ الآخرون باستفهامها ﴿ لقد وعدنا هذا ﴾ أي هذا البعث ﴿ نحن وآباؤنا من قبل ﴾ أي من قبل محمد وليس ذلك بشيء ﴿ ان هذا ﴾ ماهذا ﴿ الا أساطير الاولين ﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها قوله ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ، ولا تحزن عليهم ﴾ على تكذيبهم

المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات [ولا تكن في ضيق مما يمكرون] اي في كيدك ورد ما جئت به فان الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك على من خالفه وعانده في المشارق والمغارب

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صٰدقين؟ (٧١) قل عسى أن يكون ردف لكم بعضُ الذي تستعجلون (٧٢) وإن ربك لذو فضل على الناس ولكنّ أكثرهم لا يشكرون (٧٣) وإن ربك ليعلم ما تُكن صدورهم وما يُعلنون (٧٤) وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتٰب مبين (٧٥)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ؟) قال الله تعالى مجيباً لهم [قل] يا محمد [عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون] قال ابن عباس أن يكون قرب أوان يقرب لكم بعض الذي تستعجلون ، وهكذا قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ، وهذا هو المراد بقوله تعالى (ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا) وقال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) وانما دخلت اللام في قوله [ردف لكم] لانه ضمن معنى عجل لكم كما قال مجاهد في رواية عنه [عسى أن يكون ردف لكم] عجل لكم

ثم قال الله تعالى (وان ربك لذو فضل على الناس) أي في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لانفسهم وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم (إن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أي يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به — يعلم السر وأخفى — ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والارض وانه عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه فقال تعالى [وما من غائبة] قال ابن عباس

إياك واعراضهم عنك ﴿ ولا تكن في ضيق مما يمكرون ﴾ نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل عسى أن يكون ردف ﴾ أي دنا وقرب ﴿ لكم ﴾ وقيل تبعكم والمعنى ردفكم أدخل فيه اللام كما أدخل في قوله [لربهم يرهبون] قال الفراء اللام صلة زائدة كما تقول نقدته مائة ونقدت له ﴿ بعض الذي تستعجلون ﴾ من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر

قوله تعالى ﴿ إن ربك لذو فضل على الناس ﴾ قال مقاتل على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ ذلك ﴿ وان ربك ليعلم ما تكن ﴾ تخفي ﴿ صدورهم وما يعلنون * وما من غائبة ﴾ أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشيء غائب ﴿ في السماء والارض الا في

يعني وما من شيء [في السماء والارض إلا في كتاب مبين] وهذه كقوله [ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير]

ان هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون (٧٦) وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين (٧٧) إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم (٧٨) فتوكل على الله إنك على الحق المبين (٧٩) إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين (٨٠) وما أنت بهدي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٨١)

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان انه يقص على بني إسرائيل وهم حملة التوراة والانجيل (أكثر الذي هم فيه يختلفون) كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه فاليهود افتروا والنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل انه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام « عليه أفضل الصلاة والسلام » كما قال تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) وقوله (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) أي هدى لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم في العمليات ثم قال تعالى (إن ربك يقضي بينهم) أي يوم القيامة (بحكمه وهو العزيز) أي في انتقامه (العليم) بأفعال عباده وأقوالهم (فتوكل على الله) أي في جميع أمورك وبلغ رسالة ربك (إنك على الحق المبين) أي أنت على الحق المبين وإن خالفك من خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة [وحقت عليهم كلمة ربك انهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية] ولهذا قال تعالى [إنك لا تسمع الموتى] أي لا تسمعهم شيئا ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذانهم وقر الكفر ولهذا قال [ولا تسمع الصم الدعاء إذا

كتاب مبين ﴾ أي في اللوح المحفوظ ﴿ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل ﴾ أي يبين لهم ﴿ أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ من أمر الدين . قال الكلبي ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه ﴿ وانه ﴾ يعني القرآن ﴿ لهدى ورحمة للمؤمنين ، ان ربك يقضي ﴾ يفصل ﴿ بينهم ﴾ أي بين المختلفين في الدين يوم القيامة ﴿ بحكمه ﴾ الحق ﴿ وهو العزيز ﴾ المنيع فلا يرد له أمر ﴿ العليم ﴾ بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء ﴿ فتوكل على الله انك على الحق المبين ﴾ البين

قوله ﴿ انك لا تسمع الموتى ﴾ يعني الكفار ﴿ ولا تسمع الصم الدعاء ﴾ قرأ ابن كثير لا يسمع بالياء وفتحها وفتح الميم الصم رفع وكذلك في سورة الروم ، وقرأ الباقون بالتاء وضمها وكسر الميم الصم نصب ﴿ اذا ولوا مدبرين ﴾ معرضين ، فان قيل ما معنى قوله (ولوا مدبرين) واذا كانوا صما

ولوا مدبرين * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون] أي انما يستجيب لك من هو سميع بصير السمع والبصر النافع في القلب والبصيرة الخاضع لله ولما جاء عنه على ألسنة الرسل عليهم السلام

وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآيتنا لا يوقنون (٨٢)

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الارض قيل من مكة وقيل من غيرها كما سيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى فتكلم الناس على ذلك قال ابن عباس والحسن وقتادة ويروى عن علي رضي الله عنه تكلمهم كلاما أي تخاطبهم مخاطبة وقال عطاء الخراساني تكلمهم فتقول لهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويروى هذا عن علي واختاره ابن جرير وفي هذا القول نظر لا يخفى والله أعلم

وقال ابن عباس في رواية تجرحهم ، وعنه رواية قال كلا تفعل يعني هذا وهذا وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم * وقد ورد في ذكر الدابة آحاديث وآثار كثيرة فلنذكر منها ماتيسر والله المستعان

قال الامام احمد حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال * لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم عليه

لا يسمعون سواء ولوا أو لم يولوا قيل ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة ، وقيل الاصم اذا كان حاضراً فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم * قال قتادة الاصم اذا ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع مايدعى اليه من الايمان . ومعنى الآية أنهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لاسبيل الى اسماعه والاصم الذي لا يسمع ﴿ وما أنت بهادي العمي ﴾ قرأ الاعمش وحمزة تهدي بالتاء وفتحها على الفعل العمي بنصب الياء ههنا وفي الروم ، وقرأ الآخرون بهادي بالياء على الاسم العمي بكسر الياء ﴿ عن ضلالتهم ﴾ أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان ﴿ إن تسمع ﴾ ماتسمع ﴿ الا من يؤمن بآياتنا ﴾ الا من يصدق بالقرآن أنه من الله ﴿ فهم مسلمون ﴾ مخلصون

قوله تعالى ﴿ واذا وقع القول عليهم ﴾ وجب العذاب عليهم وقال قتادة اذا غضب الله عليهم ﴿ أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ﴾ واختلفوا في كلامها فقال السدي تكلمهم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام . وقال بعضهم كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر وقيل كلامها ما قال الله تعالى

السلام والدجال . وثلاثة خسوف خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا »وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة مرفوعا، وقال الترمذي حسن صحيح ، ورواه مسلم أيضاً من حديث عبدالعزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عنه موقوفا فالله أعلم

﴿ طريق أخرى ﴾قال ابو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجرير بن حازم ، فاما طلحة فقال أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ان أبا الطفيل حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي سريحة وأما جرير فقال عن عبدالله بن عبيد عن رجل من آل عبدالله بن مسعود. وحديث طلحة أتم وأحسن قال ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال « لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرجة من اقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تكمن زمنا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية - يعني مكة - قال رسول الله ﷺ - ثم بينا الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي تدنو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى ومعا، وبقيت عصابة من المؤمنين وعرفوا انهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري، وولت في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يافلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الاموال ويصطحبون في الامصار يعرف المؤمن من

﴿ أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ قال مقاتل تكلمهم بالعربية فتقول ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث. قرأ أهل الكوفة أن الناس بفتح الالف أي بأن الناس وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف أى ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها قال ابن عمر وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ، وقرأ سعيد بن جبير وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح قال أبو الجوزاء سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية تكلمهم أو تكلمهم قال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر انا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال ودابة الارض وخاصة أحدكم وأمر العامة »

أخبرنا اسمعيل بن عبد الله أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن

الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حقي » وحتى إن الكافر ليقول يامؤمن اقضني حقي » ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفا والله أعلم . ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعا ، وان ذلك في زمان عيسى بن مريم وهو يطوف بالبيت ولكن اسناده لايصح

﴿ حديث آخر ﴾ قال مسلم بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن ابي زرعة عن عبدالله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها » وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا »

﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بادروا بالاعمال ستة طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة » تفرد به وله من حديث قتادة عن الحسن عن زياد بن رباح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « بادروا بالاعمال ستا الدجال والدخان ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصية أحدكم »

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه حدثنا حرملة بن يحيي حدثنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعيد عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة والدجال وخويصية أحدكم وامر العامة » تفرد .

زرعة عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا »

وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي انا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن فنجويه أنا أبو بكر بن خرجة أنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا هشيم بن حماد أنا عمرو بن محمد العبقري عن طلحة عن عمرو بن عبد الله بن عمير الليثي عن أبي شريحة الانصاري عن النبي ﷺ قال « يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرجة بأقصى اليمن فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية — يعني مكة — ثم تمكث زمنا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية — يعني مكة — فبينما الناس يوما في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله عز وجل — يعني المسجد الحرام — لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو — كذا قال عمرو — ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن اويس بن خالد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تخرج دابة الارض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتخطم أنف الكافر بالعصا وتجلي وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر » ورواه الامام احمد عن بهز وعفان ويزيد بن هارون ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به ، وقال « فتخطم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا يا كافر » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه حدثنا ابو غسان محمد بن عمرو حدثنا ابو تميلة حدثنا خالد بن عبيد حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه قال ذهب بي رسول الله ﷺ الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله ﷺ « تخرج الدابة من هذا الموضع » فاذا فتر في شبر قال ابن بريدة فحججت بعد ذلك بسنين فأرانا عصاً له فاذا هو بعصاي هذه كذا وكذا

وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة ان ابن عباس قال : هي دابة ذات زغب لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة .وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدالله بن رجاء حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قال : قال عبدالله تخرج الدابة من صدع من الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها ، وقال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح قال : سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة فقال

يفوتها هارب حتى إن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن ويقال للكافر يا كافر »

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد أنا أبو بكر بن مالك القطيعي أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا أبي ثنا بهز ثنا حماد هو ابن أبي سلمة أنا علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « تخرج الدابه ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر » وروي عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى أنه رجل. والاكثرون على أنها دابة وروى ابن جريج عن الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكتته في مسجده بعصا موسى نكتة بيضا، يضيء بها وجهه ولا يبقى كافر إلا نكتت وجهه بخاتم سليمان فيسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون في الاسواق بكم

الدابة تخرج من تحت صخرة بجياد والله لو كنت معهم أو لو شئت بعصاي الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها. قيل فتصنع ماذا ياعبدالله بن عمرو فقال تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان قيل ثم ماذا قال ثم لا أعلم. وعن عبدالله بن عمر أنه قال: تخرج الدابة ليلة جمع. رواه ابن أبي حاتم وفي إسناده ابن البيلماني. وعن وهب بن منبه انه حكى من كلام عزير عليه السلام أنه قال: وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها، وتضع الحبالى قبل التمام، ويعود الماء العذب أجاجا ويتعادى الاخلاء، وتحرق الحكمة ويرفع العلم وتكلم الارض التي تليها، وفي ذلك الزمان يرجو الناس مالا يبلغون، ويتعبون فيما لا ينالون، ويعملون فيما لا يأكلون. رواه ابن أبي حاتم عنه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن أبي مريم أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: ان الدابة فيها من كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب، وقال ابن عباس هي مثل الحربة الضخمة، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال: أنها دابة لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب ولها لحية. وانها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثها رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جريج عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة

يامؤمن بكم ياكافر؟ ثم تقول لهم الدابة يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار» فذلك قوله عز وجل (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض) الآية

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني عقيل بن محمد الجرجاني الفقيه أنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي أنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أنا أبو كريب أنا الاشجعي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها. وبه عن محمد بن جرير الطبري قال حدثني عصام بن داود بن الجراح ثنا أبي ثنا سفيان بن سعيد أنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج؟ قال «تخرج من أعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الارض تحتهم وتنشق الصفا مما يلي المشعر وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسمي الناس مؤمناً وكافراً أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر» وروي عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن عبد الله بن عمرو قال: تخرج

هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير » بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه » ولا يبقى كافر الا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون في الاسواق بكم ذا يامؤمن بكم ذا يا كافر ؟ وحتى ان أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابة يافلان أبشر أنت من أهل الجنة ؟ ويافلان أنت من أهل النار . فذلك قول الله تعالى (وإذا وقع القول عليهم أخرجنالهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)

ويوم نحشر من كل أمة فوْجا ممن يكذّب بآيتنا فهم يوزعون (٨٣) حتى إذا جاءوا قال أكذّبتم بآيتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ؟ (٨٤) ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون (٨٥) ألم يروا أنا جعلنا الّيل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا؟ إن في ذلك لآيت لقوم يؤمنون (٨٦)

يقول تعالى مخبراً عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بآيات الله ورسله الى بين يدي الله عز وجل ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا تقريعاً وتوبيخا وتصغيراً وتحقيراً فقال تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي من كل قوم وقرن فوجا أي جماعة (ممن يكذب بآياتنا) كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال تعالى [وإذا النفوس زوّجت] وقوله تعالى (فهم يوزعون) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يدفعون . وقال قتادة : وزعة تردأولهم على آخرهم . وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : يساقون [حتى إذا جاءوا] ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المساءلة (قال أكذبتم بآياتي

الدابة من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض ما خرجتا فتمر بالانسان يصلي فتقول: ما الصلاة من حاجتك فتخطمه وعن ابن عمر قال : تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى . وعن سهيل بن صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « بئس الشعب شعب جياد » مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله » قال « تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين » وقال « هب وجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير فتخبر من رآها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون

قوله تعالى ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾ أي من كل قرن جماعة ﴿ ممن يكذب بآياتنا ﴾ وليس من ههنا للتبعيض لان جميع المكذبين يحشرون ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار ﴿ حتى إذا جاءوا ﴾ يوم القيامة ﴿ قال ﴾ الله لهم ﴿ أكذبتم بآياتي

ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ؟) أي فيسئلون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم [فلا صدق ولا صلى ٭ ولكن كذب وتولى] فحينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ٭ ولا يؤذن لهم فيعتذرون) الآية وهكذا قال ههنا [ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون] أي بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية

ثم قال تعالى منبها على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته والانقياد لأوامره وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا محيد عنه فقال تعالى (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) أي في ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهدأ أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب في نهارهم [والنهار مبصراً] أي منيراً مشرقا فبسبب ذلك يتصرفون في المعايش والمكاسب والاسفار والتجارات وغير ذلك من شؤنهم التي يحتاجون اليها [ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون]

ويوم يُنفَخ في الصور ففزع من في السموٰت ومن في الارض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين (٨٧) وترى الجبال تحسَبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون (٨٨) من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون (٨٩) ومن جاء بالسيئة فكُبَّت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ؟ (٩٠)

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصور وهو كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه . وفي حديث الصور ان إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويطولها

ولم تحيطوا بها علما ﴾ ولم تعرفوها حق معرفتها ﴿ أم ما ذا كنتم تعملون حين لم تفكروا فيها ومعنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين ﴿ ووقع القول ﴾ وجب العذاب ﴿ عليهم بما ظلموا ﴾ بما أشركوا ﴿ فهم لا ينطقون ﴾ قال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وقيل لا ينطقون لان أفواههم مختومة

قوله عز وجل ﴿ ألم يروا أنا جعلنا ﴾ خلقنا ﴿ الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ مضيئا يبصر فيه ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يصدقون فيعتبرون

قوله تعالى ﴿ ويوم ينفخ في الصور ﴾ والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن الصور هي الصور وأوّل بعضهم كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيا بالاجساد

وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الاحياء فيفزع من في السموات ومن في الارض [إلا من شاء الله] وهم الشهداء فانهم أحياء عند ربهم يرزقون

قال الامام مسلم بن الحجاج حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان ابن سالم سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي سمعت عبدالله بن عمرو رضي الله عنه وجاءه رجل فقال: ماهذا الحديث الذي تحدث أن الساعة تقوم إلى كذا وكذا ؟ فقال سبحان الله أو لا إله الا الله أو كلمة نحوها لقد هممت أن لاأحدث أحداً شيئا أبداً انما قلت انكم سترون بعد قليل أمراً عظيما يخرب البيت ويكون ويكون -ثم قال- قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين -لاأدري أربعين يوما أو أربعين شهراً أو أربعين عاما - فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة ابن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاباردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان الاقبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه » قال سمعتها من رسول الله ﷺ قال « فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لايعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون ؟ فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا - قال - وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل -أو قال الظل شعبة

قوله (ففزع من في السموات ومن في الارض) أي فصعق كما قال في آية أخرى (فصعق من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا. والمعنى أنه يلقي عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين

قوله (الا من شاء الله) اختلفوا في هذا الاستثناء. روي عن أبي هريرة ان النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله (الا من شاء الله) قال هم الشهداء المتقلدون أسيافهم حول العرش. وروى سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم. وفي بعض الآثار الشهداء ثنيا الله أي الذين استثناهم الله تعالى. وقال الكلبي ومقاتل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الاربعة ثم يقبض الله روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتا جبريل، ويروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل ثم يقول من بقي يا ملك الموت؟ فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفسه فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي؟ فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت ياملك الموت فيموت فيقول ياجبريل من بقي؟ فيقول تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك

الثالث - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون « ثم يقال يا أيها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسؤولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم ؟ فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق » وقوله ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا . الليت هو صفحة العنق أي أمال عنقه ليستمعه من السماء جيداً فهذه نفخة الفزع، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور لجميع الخلائق ولهذا قال تعالى (وكل أتوه داخرين) قرىء بالمد وبغيره على الفعل وكل بمعنى واحد وداخرين أي صاغرين مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره كما قال تعالى [يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده] وقال تعالى [ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون]

وفي حديث الصور انه في النفخة الثالثة يأمر الله الارواح فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ اسرافيل فيه بعد ما تنبت الاجساد في قبورها وأماكنها فاذا نفخ في الصور طارت الارواح تتوهج أرواح المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لترجعن كل روح الى جسدها فتجيء الارواح الى أجسادها فتدب فيها كما يدب السم في اللديغ ثم يقومون ينفضون التراب من قبورهم قال الله تعالى [يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون]

وقوله تعالى [وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب] أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب اى تزول عن اماكنها كما قال تعالى [يوم تمور السماء مورا * وتسير

الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني قال فيقول ياجبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى أن فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على الظرب من الظراب . ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل وميكائيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني أنا عبدالله بن علي الجوهري أنا احمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو ثنا علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله « ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي ، ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب « وقال الضحاك هم رضوان والحور ومالك والزبانية « وقيل عقارب النار وحياتها . قوله عز وجل ﴿ وكل ﴾ أى كل الذين أحيوا بعد الموت ﴿ أتوه ﴾ قرأ الاعمش وحمزة وحفص (أتوه) مقصوراً بفتح التاء على الفعل أى جاءوه ، وقرأ الآخرون بالمد وضم التاء كقوله تعالى (وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) ﴿ داخرين ﴾ صاغرين

قال الله تعالى ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ قائمة واقفة ﴿ وهي تمر مر السحاب ﴾ أى تسير

الجبال سيرا] وقال تعالى [ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا] وقال تعالى [ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة]

وقوله تعالى [صنع الله الذي أتقن كل شيء] أي يفعل ذلك بقدرته العظيمة [الذي أتقن كل شيء] أي أتقن كل ماخلق وأودع فيه من الحكمة ماأودع (انه خبير بمايفعلون) أي هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء . ثم بين تعالى حال السعداء والاشقياء يومئذ فقال (من جاء بالحسنة فله خير منها) قال قتادة بالاخلاص وقال زين العابدين هي لاإله الا الله وقد بين تعالى في الموضع الآخر ان له عشر أمثالها (وهم من فزع يومئذ آمنون) كما قال في الاية الاخرى (لايحزنهم الفزع الاكبر) وقال تعالى (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ؟) وقال تعالى (وهم في الغرفات آمنون)

وقوله تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار) أي من لقي الله مسيئا لا حسنة له أو قد رجحت سيئاته على حسناته كل بحسبه ولهذا قال تعالى (هل تجزون إلا ماكنتم تعملون) وقال ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم وأنس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة

سير السحاب حتى تقع على الارض فتسوى بها وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد مابين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها كما أن سير السحاب لايرى لعظمه وهو سائر ﴿ صنع الله ﴾ نصب على المصدر ﴿ الذى أتقن كل شيء ﴾ يعني أحكم ﴿ انه خبير بما تفعلون ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة بالياء والباقون بالتاء

قوله ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ بكلمة الاخلاص وهي شهادة أن لاإله الا الله . قال أبو معشر كان ابراهيم يحلف ولا يستثني أن الحسنة لاإله الا الله ، وقال قتادة بالاخلاص ، وقيل هي كل طاعة ﴿ فله خير منها ﴾ قال ابن عباس فمنها يصل الخير اليه يعني له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب ، أما أن يكون له شيء خير من الايمان فلا لانه ليس شيء خيراً من قول لاإله الا الله ، وقيل (فله خير منها) يعني رضوان الله ، قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) وقال محمد بن كعب وعبد الرحمن ابن زيد (فله خير منها) يعنى الاضعاف أعطاه الله تعالى بالواحدة عشراً فصاعداً وهذا حسن لان للاضعاف خصائص منها أن العبد يسئل عن عمله ولا يسئل عن الاضعاف ، ومنها أن للشيطان سبيلا إلى عمله وليس له سبيل إلى الاضعاف ولا مطمع للخصوم في الاضعاف ، ولان الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى ﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ قرأ أهل الكوفة من فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم ، وقرأ الآخرون بالاضافة لانه أعم فانه يقتضي الامن من جميع فزع ذلك اليوم وبالتنوين كأنه فزع دون فزع ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ ﴿ ومن جاء بالسيئة ﴾ يعني الشرك ﴿ فكبت وجوههم في النار ﴾ يعني ألقوا على وجوههم يقال كببت الرجل اذا ألقيته على وجهه

ومجاهد وابراهيم النخعي وأبو وائل وأبو صالح ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم والزهري والسدي والضحاك والحسن وقتادة وابن زيد في قوله [ومن جاء بالسيئة] يعني بالشرك

إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين (٩١) وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين (٩٢) وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون (٩٣)

يقول تعالى مخبراً رسوله وآمرا له أن يقول [انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء] كما قال تعالى [قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تدعون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم] وإضافة الربوبية الى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما قال تعالى [فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف]

وقوله تعالى [الذي حرمها] اى الذي انما صارت حراما شرعا وقدرا بتحريمه لها كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاها » الحديث بتمامه. وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع كما هو مبين في موضعه من كتاب الاحكام ولله الحمد والمنة

وقوله تعالى [وله كل شيء] من باب عطف العام على الخاص أي هو رب هذه البلدة ورب كل شيء ومليكه لا إله الا هو [وأمرت أن أكون من المسلمين] أي الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له .وقوله [وأن أتلو القرآن] أي على الناس أبلغهم إياه كقوله تعالى [ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم] وكقوله تعالى [نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق] الآية أي أنا مبلغ ومنذر [فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين] أي لي أسوة بالرسل الذين انذروا قومهم وقاموا بما عليهم من اداء الرسالة اليهم وخلصوا من عهدتهم وحساب أممهم على الله

فانكب وأكب وتقول لهم خزنة جهنم ﴿ هل تجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ في الدنيا من الشرك

قوله تعالى ﴿ انما أمرت ﴾ يقول الله لرسوله ﷺ قل انما أمرت ﴿ أن أعبد رب هذه البلدة ﴾ يعني مكة ﴿ الذي حرمها ﴾ يعني جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ﴿ وله كل شيء ﴾ خلقا وملكا ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ لله ﴿ وأن أتلو القرآن ﴾ يعني وأمرت أن أتلو القرآن ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ﴾ أي نفع اهتدائه يرجع اليه ﴿ ومن ضل ﴾ عن الايمان وأخطأ عن طريق الهدى ﴿ فقل انما أنا من المنذرين ﴾ من المخوفين

تعالى كقوله تعالى [فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب] وقال [انما انت نذير والله على كل شيء وكيل] [وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها] أي لله الحمد الذي لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه ، والانذار اليه ، ولهذا قال تعالى [سيريكم آياته فتعرفونها] كما قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)

وقوله تعالى [وما ربك بغافل عما تعملون] اي بل هو شهيد على كل شيء . قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر حدثنا أبو أمية بن يعلى الثقفي حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس لا يغترن أحدكم بالله فان الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة والخردلة والذرة » وقال ايضا حدثنا محمد بن يحيي حدثنا نصر بن علي قال ابي أخبرني عن خالد بن قيس عن مطر عن عمر بن عبد العزيز قال : فلو كان الله مغفلا شيئا لأغفل ماتعفي الرياح من أثر قدمي ابن آدم ، وقد ذكر عن الامام أحمد رحمه الله تعالى انه كان ينشد هذين البيتين إما له وإما لغيره

إذا ماخلوت الدهر يوما فلاتقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

(آخر تفسير سورة النمل ولله الحمد والمنة)

تفسير سورة القصص وهي مكية

قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم حدثنا وكيع عن أبيه عن أبي إسحاق عن معد يكرب قال أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا طسم المائتين فقال ماهي معي ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الارت قال فأتينا خباب بن الارت فقرأها علينا رضي الله عنه

فليس علي الا البلاغ نسختها آية القتال ﴿ وقل الحمد لله ﴾ على نعمه ﴿ سيريكم آياته ﴾ يعني يوم بدر من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم نظيره قوله عز وجل (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) وقال مجاهد : سيريكم آياته في السماء والارض وفي أنفسكم كما قال (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) ﴿ فتعرفونها ﴾ يعني تعرفون الآيات والدلالات ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم .

﴿ سورة القصص مكية ﴾

الا قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب — إلى قوله — لا نبتغي الجاهلين) وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله عز وجل (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (٣) إن فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين (٤) ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (٥) ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٦)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة ، وقوله (تلك) أي هذه (آيات الكتاب المبين) أي الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الامور وعلم ماقد كان وما هو كائن . وقوله (نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) الآية كما قال تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي نذكر لك الامر على ماكان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر ثم قال تعالى (ان فرعون علا في الارض) أي تكبر وتجبر وطغى [وجعل أهلها شيعا] أي أصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته

وقوله تعالى (يستضعف طائفة منهم) يعني بني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الاعمال، ويكدهم ليلا ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم إهانة لهم واحتقاراً وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه . وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول ابراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها ماجرى حين أخذ سارة ليتخذها جارية فصانها الله منه ومنعها منه بقدرته وسلطانه فبشر ابراهيم عليه السلام ولده انه سيولد من صلبه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسم * تلك آيات الكتاب المبين * نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ﴾ بالصدق ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ يصدقون بالقرآن ﴿ ان فرعون علا ﴾ استكبر وتجبر وتعظم ﴿ في الارض ﴾ أرض مصر ﴿ وجعل أهلها شيعا ﴾ فرقا وأصنافا في الخدمة والتسخير ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ أراد بالطائفة بني اسرائيل ثم فسر الاستضعاف فقال ﴿ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ﴾ سمى هذا استضعافا لأنهم

وذريته من يكون هلاك مصر على يديه فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحترز فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل ولن ينفع حذر من قدر لان أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب ولهذا قال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض — الى قوله — يحذرون) وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى [وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون — إلى قوله — يعرشون] وقال تعالى [كذلك وأورثناها بني اسرائيل]

أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى فما نفعه ذلك مع قدر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري ولا يغلب بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده وقتلت بسببه ألوفا من الولدان انما منشؤه ومرباه على فراشك وفي دارك وغذاؤه من طعامك وأنت تربيه وتدلله وتتفداه وحتفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه لتعلم أن رب السموات العلا هو القاهر الغالب العظيم القوي العزيز الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين (٧) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين (٨) وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون (٩)

عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم ﴿ انه كان من المفسدين ۝ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ ونجعلهم أئمة ﴾ قادة في الخير يقتدى بهم ۝ وقال قتادة ولاة وملوكا دليله قوله عز وجل (وجعلكم ملوكا) وقال مجاهد دعاة الى الخير ﴿ ونجعلهم الوارثين ﴾ يعني أملاك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم ﴿ ونمكن لهم في الارض ﴾ نوطن لهم في أرض مصر والشام ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه ﴿ ونري ﴾ قرأ الاعمش وحمزة والكسائي يرى بالياء وفتحها ﴿فرعون وهامان وجنودهما ﴾ مرفوعات على أن الفعل لهم ، وقرأ الآخرون بالنون وضمها وكسر الراء ونصب الياء ونصب مابعده بوقوع الفعل عليه ﴿ منهم ماكانوا يحذرون ﴾ والحذر هو التوقي من الضرر وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل فكانوا على وجل منه فأراهم الله ماكانوا يحذرون

قوله تعالى ﴿ وأوحينا الى أم موسى ﴾ وهو وحي إلهامي لا وحي نبوة . قال قتادة قذفنا في قلبها

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل خافت القبط أن يفنى بني اسرائيل فيلون هم ما كانوا يلونه من الاعمال الشاقة فقالوا لفرعون انه يوشك ان استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم يقتلون، ونساؤهم لا يمكن أن يقمن بما تقوم به رجالهم من الاعمال فيخاص الينا ذلك فأمر بقتل الولدان عاما وتركهم عاما ، فولد هارون عليه السلام في السنة التي يتركون فيها الولدان ، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان ، وكان لفرعون ناس موكلون بذلك وقوابل يدورون على النساء فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها ، فاذا كان وقت ولادتها لا يقبلها الا نساء القبط فان ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن ، وان ولدت غلاما دخل اولئك الذباحون بايديهم الشفار المرهفة فقتلوه ومضوا قبحهم الله تعالى . فلما حملت أم موسى به عليه السلام لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ولم تفطن لها الدايات ، ولكن لما وضعته ذكراً ضاقت به ذرعا وخافت عليه خوفا شديداً وأحبته حبا زائداً وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه فالسعيد من أحبه طبعا وشرعا

وأم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب ﴿ أن أرضعيه ﴾ واختلفوا في مدة الرضاع قبل ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر ، وقيل ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك ﴿ فاذا خفت عليه ﴾ يعني من الذبح ﴿ فألقيه في اليم ﴾ واليم البحر وأراد هينا النيل ﴿ ولا تخافي ﴾ قيل لا تخافي عليه من الغرق ، وقيل من الضيعة ﴿ ولا تحزني ﴾ على فراقه ﴿ انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر واستطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى أن أنجاهم الله على يدي نبيه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها فقالت قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي اليوم ، قالت فعالجت قبالتها فلما أن وقع موسى بالارض هالها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها ياهذه ماجئت اليك حين دعوتيني الا ومرادي قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ماوجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فاني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته ياأماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى في خرقة فوضعته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ماأدخل عليك القابلة ، قالت هي مصافية لي فدخلت عليّ زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى فأين الصبي قالت لا أدري ، فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه برداً وسلاما فاحتملته . قال ثم إن أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها

قال الله تعالى (وألقيت عليك محبة مني) فلما ضاقت به ذرعا الهمت في سرها وألقي في خلدها ونفث في روعها كما قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليـك وجاعلوه من المرسلين) وذلك انه كانت دارها على حافة النيل فاتخذت تابوتا ومهدت فيه مهداً وجعلت ترضع ولدها فاذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته في ذلك التابوت وسيرته في البحر وربطته بحبل عندها فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت أن تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجواري فاحتملنه فذهبن به الى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه وخشين أن يفتتن عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه اذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت اليه وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلها ولهذا قال(فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا) الآية

فقذف الله في قلبها أن تتخذ له تابوتا فتجعله فيه ثم تقذف التابوت في اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيراً فقال لها النجار ماتصنعين بهذا التابوت؟ قالت ابن لي أخبئه في التابوت وكرهت الكذب . قال ولم ؟ قالت أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الامناء مايقول . فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه ، فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضاً يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه فوقع في واد يهوي فيه حيران . فجعل لله عليه ان رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيثما كان . فعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجداً فقال : يارب دلني على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فخرج من الوادي فآمن به وصدقه وعلم أن ذلك من الله عز وجل

وقال وهب بن منبه : لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي يولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن يفتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم ينتأ بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولدته فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم فأوحى الله اليها (أن أرضعيه فاذا خفت عليه) الآية فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك . فلما خافت عليه عملت تابوتا له مطبقا ثم ألقته في البحر ليلا . قال ابن عباس وغيره وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن

قال محمد بن إسحاق وغيره اللام هنا لام العاقبة لا لام التعليل لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه ولكن اذا نظر الى معنى السياق فانه تبقى اللام للتعليل لان معناه ان الله تعالى قيضهم لالتقاطه ليجعله عدواً لهم وحزنا فيكون أبلغ في ابطال حذرهم منه ولهذا قال تعالى (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن العزيز رضي الله عنه انه كتب كتابا الى قوم من القدرية في تكذيبهم بكتاب الله وبأقداره النافذة في علمه السابق وموسى في علم الله السابق لفرعون عدو وحزن قال الله تعالى (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وقلتم انتم لو شاء فرعون أن

ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها الى فرعون وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لاتبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس « فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت ابنة فرعون في جواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج ، فقال فرعون ان هذا لشيء في البحر قد تعلق بالشجرة ائتوني به، فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمصها لبناء فألقى الله لموسى المحبة في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت فرعون الى ماكان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمي به في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله، فقالت آسية قرة عين لي ولك لاتقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكانت لاتلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها ، وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه . قال رسول الله ﷺ « لو قال فرعون يومئذ هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها » فقيل لآسية سميه فقالت قد سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر فمو هو الماء وسى هو الشجر فذلك قوله عز وجل ﴿ فالتقطه آل فرعون ﴾ والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب ﴿ ليكون لهم عدواً وحزنا ﴾ وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزنا، ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك . قرأ حمزة والكسائي حزنا بضم الحاء وسكون الزاي « وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي وهما لغتان ﴿ ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ عاصين آثمين

يكون لموسى وليا وناصراً والله تعالى يقول (ليكون لهم عدواً وحزنا) وقوله تعالى (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك) الآية يعني ان فرعون لما رآه هم بقتله خوفا من أن يكون من بني إسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذب دونه وتحببه إلى فرعون فقالت (قرة عين لي ولك) فقال فرعون أمالك فنعم واما لي فلا فكان كذلك وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه وقد تقدم في حديث الفتون في سورة طه هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعا عند النسائي وغيره . وقوله (عسى أن ينفعنا) وقد حصل لها ذلك وهداها الله به وأسكنها الجنة بسببه .

وقوله (او نتخذه ولداً) اي أرادت أن تتخذه ولداً وتتبناه وذلك انه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى (وهم لايشعرون) اي لايدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة

وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠) وقالت لأخته قُصّيه فبصُرت به عن جنُبٍ وهم لايشعرون (١١) وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفُلونه لكم وهم له ناصحون؟ (١٢) فرددناه الى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكنّ أكثرهم لايعلمون (١٣)

قوله تعالى ﴿ وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ﴾ قال وهب لما وضع التابوت بين يدي فرعون فتحوه فوجدوا فيه موسى ، فلما نظر اليه قال عبراني من الاعداء ، فغاظه ذلك وقال : كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ، ومن بنات الانبياء ، وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وانما أمرت أن تذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك ﴿ لاتقتلوه ﴾ وروي أنها قالت له انه أتانا من أرض أخرى ليس من بني اسرائيل ﴿ عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لايشعرون ﴾ أن اهلاكهم على يديه فاستحياه فرعون وألقى الله عليه محبته وقال لامرأته عسى أن ينفعك فأما أنا فلا أريد نفعه . قال وهب قال ابن عباس رضي الله عنهما لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه

وقوله تعالى ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ﴾ أي خاليا من كل شيء الا من ذكر موسى وهمه

يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر انه أصبح فارغا أي من كل شيء من امور الدنيا إلا من موسى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وابو عبيدة والضحاك والحسن البصري وقتادة وغيرهم (إن كادت لتبدي به) اي ان كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر انه ذهب لها ولد وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها قال الله تعالى (لو لا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين * وقالت لاخته قصيه) أي أمرت ابنتها وكانت كبيرة تعي مايقال لها فقالت لها (قصيه) أي اتبعي أثره وخذي خبره وتطلبي شأنه من نواحي البلد فخرجت لذلك فبصرت به عن جنب . قال ابن عباس عن جانب . وقال مجاهد بصرت به عن جنب عن بعيد

وقال قتادة جعلت تنظر اليه وكأنها لاتريده وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون وأحبته امرأة الملك واستطلقته منه عرضوا عليه المراضع التي في دارهم فلم يقبل منها ثديا وأبى أن يقبل شيئاً من ذلك فخرجوا به الى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته فلما رأته بأيديهم عرفته ولم

هذا قول أكثر المفسرين ، وقال الحسن فارغا أي ناسيا للوحي الذي أوحى الله اليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد أن يرده اليها ويجعله من المرسلين . فجاءها الشيطان فقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقيته في البحر وأغرقته فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت انه وقع في يد عدوه الذي فررت منه فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها . وقال أبو عبيدة (فارغا) أي فارغا من الحزن لعلمها بصدق وعد الله تعالى . وأنكر القتيبي هذا وقال كيف يكون هذا والله تعالى يقول (إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) والاول أصح

قوله عز وجل ﴿ إن كادت لتبدي به ﴾ قيل الهاء في به راجعة الى موسى أي كادت لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها ، وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول وا ابناه ، وقال مقاتل لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها ، وقال الكلبي كادت تظهر أنه ابنها وذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعد ماشب موسى بن فرعون فشق عليها وكادت تقول بل هو ابني ، وقال بعضهم الها عائدة الى الوحي أي كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله اليها أن يرده اليها ﴿ لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ بالعصمة والصبر والتثبيت ﴿ لتكون من المؤمنين ﴾ المصدقين لوعد الله حين قال لها انا رادوه اليك ﴿ وقالت لأخته ﴾ أي لمريم أخت موسى ﴿ قصيه ﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿ فبصرت به عن جنب ﴾ أي عن بعد . وفي القصة أنها كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا تري أنها لاتنظره ﴿ وهم لايشعرون ﴾ أنها أخته وأنها ترقبه . قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد له مرضعة وكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها فذلك قوله عز وجل

تظهر ذلك ولم يشعروا بها . قال الله تعالى (وحرمنا عليه المراضع من قبل) أي تحريما قدريا وذلك لكرامته عندالله وصيانته له أن يرتضع غير ثدي أمه ولان الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سببا الى رجوعه الى أمه لترضعه وهي آمنة بعد ما كانت خائفة فلما رآهم حائرين فيمن يرضعه (قالت هل أدلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون)

قال ابن عباس فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها وقالوا لها ومايدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت لهم نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعته فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها الى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه ففرحوا بذلك فرحا شديداً وذهب البشير الى امرأة الملك فاستدعت ام موسى وأحسنت اليها وأعطتها عطاء جزيلا وهي لا تعرف انها امه في الحقيقة ولكن لكونه وافق ثديها ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت : إن لي بعلا وأولاداً ولا أقدر على المقام عندك ، ولكن ان أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوي والاحسان الجزيل فرجعت ام موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمنا في عز وجاه ورزق دار، ولهذا جاء في الحديث «مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير كمثل ام موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها» ولم يكن بين الشدة والفرج الا القليل يوم وليلة اونحوه والله أعلم فسبحان من بيده الامر، ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجا وبعد كل ضيق مخرجاً ، ولهذا قال تعالى (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) اي به (ولا تحزن) اي عليه (ولتعلم أن وعد الله حق) اي فيما وعدها من

﴿ وحرمنا عليه المراضع ﴾ والمراد من التحريم المنع والمراضع جمع المرضع ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل مجيء أم موسى فلما رأت أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك قالت لهم هل أدلكم . وفي القصة أن موسى مكث ثمان ليال لايقبل ثديا ويصيح وهم في طلب مرضعة له ﴿ فقالت ﴾ يعني أخت موسى ﴿ هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه ﴾ أي يضمنونه ﴿ لكم ﴾ وهي امرأة قدقتل ولدها فأحب شيء اليها أن تجد صغيراً ترضعه ﴿ وهم له ناصحون ﴾ والنصح ضدالغش وهو تصفيةالعمل من شوائب الفساد قالوا نعم فائتينا بها . قال ابن جريج والسدي لما قالت أخت موسى وهم له ناصحون أخذوها وقالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ماأعرفه وقلت هم للملك ناصحون ، وقيل انها قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا به ، وقيل إنها لما قالت هل أدلكم على أهل بيت قالوا لها من ؟ قالت أمي ، قالوا ولأمك ابن ؟ قالت نعم هارون وكان هارون ولد في سنة لايقتل فيها الولدان قالوا صدقت فائتينا بها . فانطلقت الى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا . قال السدي كانوا يعطونها كل يوم ديناراً فذلك قوله تعالى

﴿ فرددناه الى أمه كي تقر عينها ﴾ برد موسى اليها ﴿ ولا تحزن ﴾ أي لئلا تحزن ﴿ ولتعلم أن

رده اليها وجعله من المرسلين فحينئذ تحققت برده اليها انه كائن منه رسول من المرسلين فعاملته في تربيته ماينبغي له طبعاً وشرعا

وقوله تعالى (ولكن أكثرهم لايعلمون) أي حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة فربما يقع الامر كريهاً الى النفوس ، وعاقبته محمودة في نفس الامر كما قال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم)وقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا)

ولما بلغ أشده واستوى آتينه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين (١٤) ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطن إنه عدو مضل مبين (١٥) قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (١٦) قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين (١٧)

لما ذكر تعالى مبدأ أمر موسى عليه السلام ذكر انه لما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما قال مجاهد يعني النبوة [وكذلك نجزي المحسنين] ثم ذكر تعالى سبب وصوله الى ما كان تعالى قدره له من النبوة والتكليم في قضية قتله ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية الى بلاد مدين فقال تعالى [ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها] قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن

وعد الله حق ﴾ برده اليها ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ أن الله وعدها رده اليها ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ قال الكلبي الاشد مابين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة ، وقال مجاهد وغيره ثلاث وثلاثون سنة ﴿ واستوى ﴾ أي بلغ اربعين سنة ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس . وقيل استوى انتهى شبابه ﴿ آتيناه حكما وعلما ﴾ أي الفقه والعقل والعلم في الدين فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبيا ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾

قوله تعالى ﴿ ودخل المدينة ﴾ يعني دخل موسى المدينة ، قال السدي هي مدينة منف من أرض مصر ، وقال مقاتل كانت قرية يقال لها حانين على رأس فرسخين من مصر ، وقيل مدينة عين شمس ﴿ على حين غفلة من أهلها ﴾ وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة ، وقال محمد بن كعب القرظي دخلها فيما بين المغرب والعشاء . واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت قال السدي وذلك أن موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه

عباس وذلك بين المغرب والعشاء . وقال ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة، فوجد فيها رجلين يقتتلان) أي يتضاربان ويتنازعان (هذا من شيعته) أي اسرائيلي (وهذا من عدوه) أي قبطي ، قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق ، فاستغاث الاسرائيلي بموسى عليه السلام فوجد موسى فرصة وهي غفلة الناس فعمد الى القبطي (فوكزه موسى فقضى عليه) قال مجاهد فوكزه أي طعنه بجميع كفه وقال قتادة وكزه بعصا كانت معه فقضى عليه أي كان فيها حتفه فمات (فقال) موسى (هذا من عمل الشيطان

فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرقها أحد فذلك قوله عز وجل (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) قال محمد بن اسحاق كان لموسى شيعة من بني اسرائيل يستمعون منه ويقتدون به ، فلما عرف ماهو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينهم حتى ذكر ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لايدخل قرية الا خائفا أو مستخفيا فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها . وقال ابن زيد : لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر باخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم الا بعد أن كبر وبلغ أشده فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى أي من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعد عهدهم به . وروي عن علي في قوله (على حين غفلة) كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان ﴾ يختصمان ويتنازعان ﴿ هذا من شيعته ﴾ من بني اسرائيل ﴿ وهذا من عدوه ﴾ من القبط ، قيل الذي كان من شيعته السامري والذي من عدوه من القبط طباخ فرعون اسمه فليثون ، وقيل هذا من شيعته وهذا من عدوه أي هذا مؤمن وهذا كافر . وكان القبطي يسخر الاسرائيلي ليحمل الحطب الى المطبخ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا أنه من قبل الرضاعة من أم موسى فقال للفرعوني خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الحطب الى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش ﴿ فوكزه موسى ﴾ وقرأ ابن مسعود فلكزه موسى ومعناهما واحد وهو الضرب بجميع الكف ، وقيل الوكز الضرب في الصدر واللكز في الظهر ، وقال الفراء معناهما واحد وهو الدفع قال أبو عبيدة الوكز الدفع بأطراف الاصابع

انه عدو مضل مبين * قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت علي) أي بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة (فلن أكون ظهيراً) أي معيناً [للمجرمين] أي الكافرين بك ، المخالفين لأمرك

فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لَغويٌ مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ؟ ان تريد إلا أن تكون جباراً في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين (١٩)

يقول تعالى مخبرا عن موسى لما قتل ذلك القبطي انه أصبح (في المدينة خائفا) أي من معرة ما فعل [يترقب] أي يتقلب يتوقع ما يكون من هذا الامر فمر في بعض الطرق فاذا ذلك الذي استنصره بالامس على ذلك القبطي يقاتل آخر فلما مر موسى استصرخه على الآخر فقال له موسى [إنك لغوي مبين] أي ظاهر الغواية كثير الشر ثم عزم على البطش بذلك القبطي فاعتقد الاسرائيلي

وفي بعض التفاسير عقد موسى ثلاثا وثمانين وضربه في صدره ﴿ فقضى عليه ﴾ أي فقتله وفرغ من أمره وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل ﴿ قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ﴾ أي بين الضلالة ﴿ قال رب اني ظلمت نفسي ﴾ بقتل القبطي من غير أمر ﴿ فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت عليّ ﴾ بالمغفرة ﴿ فلن أكون ظهيراً ﴾ عونا ﴿ للمجرمين ﴾ قال ابن عباس للكافرين وهذا يدل على أن الاسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً وهو قول مقاتل . قال قتادة لن أعين بعدها على خطيئة . قال ابن عباس لم يستثن فابتلى به في اليوم الثاني

قوله ﴿ فأصبح في المدينة ﴾ أى في المدينة التي قتل فيها القبطي ﴿ خائفا ﴾ من قتله القبطي ﴿ يترقب ﴾ ينتظر سوأ والترقب انتظار المكروه . قال الكلبي ينتظر متى يؤخذ به ﴿ فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه ﴾ يستغيثه ويصيح به من بعد . قال ابن عباس أتي فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا ، فقال ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه فلا يستقيم أن يقضى بغير بينة . فبينما هم يطوفون لايجدون بينة إذ مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي ﴿ قال له موسى ﴾ للاسرائيلي ﴿ انك لغوي مبين ﴾ ظاهر الغواية قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني

لخوره وضعفه وذلته ان موسى انما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك فقال يدفع عن نفسه [ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ؟] وذلك لانه لم يعلم به الا هو وموسى عليه السلام فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه ثم ذهب بها الى باب فرعون وألقاها عنده فعلم فرعون بذلك فاشتد حنقه وعزم على قتل موسى فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك

وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من النصحين (٢٠)

قال تعالى [وجاء رجل] وصفه بالرجولية لانه خالف الطريق فسلك طريقا أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه فسبق الى موسى فقال له ياموسى [ان الملأ يأتمرون بك] أي يتشاورون فيك [ليقتلوك فاخرج] أي من البلد [اني لك من الناصحين]

فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظلمين (٢١) ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (٢٢) ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان . قال ما خطبكما ؟ قالتا لا نسقي حتى

عليه ، وقيل انما قال موسى للفرعوني انك لغوي مبين بظلمك ، والاول أصوب وعليه الاكثرون انه قال ذلك للاسرائيلي ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ﴾ وذلك أن موسى أدركته الرقة فمد يده ليبطش بالفرعوني فظن الاسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضبه وسمع قوله انك لغوي مبين ﴿ قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ، ان تريد ﴾ ما تريد ﴿ الا أن تكون جباراً في الارض ﴾ بالقتل ظلما ﴿ وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ فلما سمع القبطي ماقال الاسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون وأخبره بذلك وأمر فرعون بقتل موسى قال ابن عباس فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الاعظم

قوله ﴿ وجاء رجل ﴾ من شيعة موسى ﴿ من أقصى المدينة ﴾ أي من آخرها قال أكثر أهل التأويل اسمه حزقيل مؤمن من آل فرعون ، وقيل اسمه شمعون وقيل سمعان ﴿ يسعى ﴾ أي يسرع في مشيه فأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقا آخر ﴿ قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ﴾ يعني أشراف قوم فرعون يتشاورون فيك ﴿ ليقتلوك ﴾ قال الزجاج يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ﴿ فاخرج ﴾ من المدينة ﴿ إني لك من الناصحين ﴾ في الامر لك بالخروج ﴿ فخرج منها ﴾ موسى ﴿ خائفا يترقب ﴾ أي ينتظر الطلب ﴿ قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ الكافرين .

يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير (٢٣) فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير (٢٤)

لما أخبره ذلك الرجل بما تمالأ عليه فرعون ودولته في أمره خرج من مصر وحده ولم يألف ذلك قبله بل كان في رفاهية ونعمة ورياسة (فخرج منها خائفاً يترقب) أي يتلفت (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي من فرعون وملئه فذكروا أن الله سبحانه وتعالى بعث اليه ملكا على فرس فأرشده إلى الطريق فالله أعلم (ولما توجه تلقاء مدين) أي أخذ طريقاً سالكا مهيعاً فرح بذلك (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي الطريق الاقوم ففعل الله به ذلك وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة فجعله هاديا مهديا (ولما ورد ماء مدين) أي لما وصل إلى مدين وورد ماءها وكان لها بئر يرده رعاء الشاء (وجد عليه أمة من الناس يسقون) أي جماعة يسقون (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) أي تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا فلما رآهما موسى عليه السلام رق لهما ورحمهما (قال ماخطبكما) أي ماخبركما لاتردان مع هؤلاء (قالتا لانسقي حتى يصدر

وفي القصة أن فرعون بعث في طلبه حين أخبر بهربه فقال اركبوا بنيات الطريق فانه لا يعرف كيف الطريق

قوله ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي قصد نحوها ماضيا اليها يقال داره تلقاء دار فلان اذا كانت محاذيتها وأصله من اللقاء . قال الزجاج يعني سلك الطريق التي تلقى مدين فيها ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلدة باسمه وكان موسى قد خرج خائفا بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي قصد الطريق الى مدين قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق اليها ، قيل فلما دعا جاءه ملك وبيده عنزة فانطلق به الى مدين . قال المفسرون خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر والبقل حتى إنه يرى خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه . قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام

قوله تعالى ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم ﴿وجد عليه أمة﴾ جماعة ﴿من الناس يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ يعني سوى الجماعة وقيل بعيداً عن الجماعة ﴿امرأتين تذودان﴾ يعني تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر ، قال الحسن تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس وقال قتادة تكفان الناس عن أغنامهما ، وقيل تمنعان أغنامهما عن أن تشذ وتذهب . والقول الاول أصوبهما لما بعده وهو قوله ﴿قال﴾ يعني موسى للمرأتين ﴿ما خطبكما ؟﴾ ماشأنكما لاتسقيان مواشيكما مع الناس ﴿قالتا لانسقي﴾ أغنامنا ﴿حتى يصدر الرعاء﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر يصدر بفتح الياء

الرعاء) أي لايحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء (وأبونا شيخ كبير) أي فهذا الحال الملجيء لنا إلى ماترى قال الله تعالى (فسقى لهما) قال أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا عبيد الله أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الاودي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال فاذا هو بامرأتين تذودان قال ماخطبكما ؟ فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوبا واحداً حتى رويت الغنم . إسناد صحيح

وقوله تعالى (ثم تولى إلى الظل فقال رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير) قال ابن عباس : سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر وكان حافيا فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه اللاصق بظهره من الجوع وان خضرة البقل لترى من داخل جوفه وانه لمحتاج الى شق تمرة

وقوله (الى الظل) قال ابن عباس وابن مسعود والسدي جلس تحت شجرة ؛ وقال ابن جرير : حدثني الحسين بن عمرو العنقزي حدثنا أبي حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : حثثت على جمل ليلتين حتى صبحت مدين فسألت عن الشجرة التي أوى اليها موسى فاذا هي شجرة خضراء ترف فأهوى اليها جملي وكان جائعا فأخذها جملي فعالجها ساعة ثم

وضم الدال على اللزوم أي حتى يرجع الرعاء عن الماء ، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء . والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار ، ومعنى الآية لانسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان لانطيق أن نستسقي ولانستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا مواشينا ماأفضلت مواشيهم في الحوض ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ لايقدر أن يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم . واختلفوا في اسم أبيهما فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن هو شعيب النبي عليه السلام ، وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير هو يثرون بن أخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ماكف بصره فدفن بين المقام وزمزم ، وقيل رجل ممن آمن بشعيب ، قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لايطيق رفعها إلا جماعة من الناس ، وقال ابن اسحاق ان موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين . ويروى أن القوم لما رجعوا بأغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لايرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين ، ويقال إنه نزع ذنوبا واحداً ودعا فيه بالبركة فروي منه جميع الغنم فذلك قوله ﴿ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل ﴾ ظل سمرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع ﴿ فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير ﴾ من طعام ﴿ فقير ﴾ قال أهل اللغة اللام بمعنى إلى يقال هو فقير له وفقير اليه يقول إني لما أنزلت إلي من خير أي طعام فقير محتاج كان يطلب الطعام لجوعه ، قال ابن عباس سأل الله تعالى

لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت . وفي رواية عن ابن مسعود انه ذهب الى الشجرة التي كلم الله منها موسى كما سيأتي ان شاء الله فالله أعلم . وقال السدي كانت الشجرة من شجر السمر . وقال عطاء بن السائب لما قال موسى (رب اني لما أنزلت الي من خير فقير) أسمع المرأة

فجاءته إحداهما تمشي على استحياءٍ قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا. فلما جاءه وقصَّ عليه القصص قال لا تخف نجوتَ من القوم الظلمين (٢٥) قالت احداهما يا أبت استئجره ان خير من استئجرت القويُّ الأمين (٢٦) قال اني أريد أن أُنكحك احدي ابنتيَّ هتين على أن تأجرني ثمني حجج فان أتممتَ عشراً فمن عندك وما أريد أن أشقَّ عليك ستجدني إن شاء الله من الصلحين (٢٧) قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيتُ فلا عدوان عليَّ والله على مانقول وكيل (٢٨)

لما رجعت المرأتان سريعا بالغنم الى أبيهما أنكر حالهما بسبب مجيئهما سريعا فسألهما عن خبرهما فقصتا عليه مافعل موسى عليه السلام فبعث احداهما اليه لتدعوه الى أبيها قال الله تعالى [فجاءته احداهما تمشي على استحياء] أي مشي الحرائر كما روي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه انه قال : جاءت مستترة بكم درعها

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال : قال عمر رضي الله عنه جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء ولاجة خراجة . هذا اسناد صحيح . قال الجوهري : السلفع من الرجال الجسور ومن النساء الجرية السليطة ومن النوق الشديدة. قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه

فلقة خبز يقيم بها صلبه . قال محمد الباقر لقد قالها وانه محتاج إلى شق تمرة . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر إلى شق تمرة . قال مجاهد ماسأله الا الخبز ، قالوا فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ماأعجلكما ؟ قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا ، فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي

قال الله تعالى (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء (قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) قال أبو حازم سلمة بن دينار : لما سمع ذلك موسى أراد

طلبا مطلقا لئلا يوهم ريبة بل قالت ان ابي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا يعني ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا (فلما جاءه وقص عليه القصص) أي ذكر له ما كان من أمره وماجرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده قال (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يقول طب نفسا وقر عينا فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا ، ولهذا قال (نجوت من القوم الظالمين) وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو على أقوال أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل الى أهل مدين وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء ، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد

ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز الازدي حدثنا مالك بن أنس انه بلغه أن شعيبا هو الذي قص عليه موسى القصص قال (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) وقد روى الطبراني عن سلمة ابن سعد الغزي أنه وفد على رسول الله ﷺ فقال له « مرحبا بقوم شعيب واختان موسى هديت » وقال آخرون بل كان ابن أخي شعيب وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لانه قال لقومه (وما قوم لوط منكم ببعيد) وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن ، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد ، وما قيل ان شعيبا عاش مدة طويلة انما هو والله أعلم احتراز من هذا الاشكال ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لاوشك أن ينص على اسمه في القرآن ههنا ، وما جاء في بعض الاحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح اسناده كما سنذكره قريبا إن شاء الله ، ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل ان هذا الرجل اسمه ثيرون والله أعلم قال أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود ثيرون هو ابن أخي شعيب عليه السلام وعن أبي حمزة عن ابن عباس قال الذي استأجر موسى يثري صاحب مدين رواه ابن جرير به ثم قال الصواب ان هذا لايدرك الا بخبر ولا خبر تجب به الحجة في ذلك ، وقوله تعالى (قالت احداهما يا أبت استأجره ان

أن لايذهب ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق ان أخطأت ففعلت ذلك ، فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس ياشاب فتعش ، فقال موسى أعوذ بالله ، فقال شعيب ولم ذاك ألست بجائع ؟ قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا أهل بيت لانطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله ياشاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى وأكل

قوله تعالى ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص ﴾ يعني أمره أجمع من قتل القبطي وقصد فرعون قتله ﴿ قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ يعني فرعون وقومه وانما قال هذا لانه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين ﴿ قالت إحداهما ياأبت استأجره ﴾ اتخذه أجيرا ليرعى أغنامنا ﴿ ان خير من

خير من استأجرت القوي الامين) أي قالت احدى ابنتي هـذا الرجل قيل هي التى ذهبت وراء موسى عليه السلام قالت لابيها (ياأبت استأجره) أي لرعيه هذه الغنم قال عمر وابن عباس وشريح القاضي وأبو مالك وقتادة ومحمد بن اسحاق وغير واحد لما قالت (ان خير من استأجرت القوي الامين) قال لها أبوها وماعلمك بذلك؟ قالت له انه رفع الصخرة التى لايطيق حملها إلا عشرة رجال واني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي كوني من ورائي فاذا اختلف علي الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي اليه. وقال سفيان الثوري عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله هو ابن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة أبو بكر حين تفرس في عمر وصاحب يوسف حين قال اكرمي مثواه وصاحبة موسى حين قالت (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين) قال (اني أريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين) أي طلب اليه هذا الرجل الشيخ الكبير ان يرعى غنمه ويزوجه احدى ابنتيه هاتين قال شعيب الجبائي وهما صفورا وليا وقال محمد بن اسحاق صفورا وشرقا ويقال ليا، وقد استدل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على صحة البيع فيما اذا قال بعتك أحد هذين العبدين بمائة فقال اشتريت أنه يصح والله أعلم « وقوله (على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشراً فمن عندك) أي على أن ترعى غنمي ثماني سنين فان تبرعت بزيادة سنتين فهو اليك وإلا ففي الثمان كفاية (وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين) أي لا أشاقك ولا أؤاذيك ولا أماريك وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة لمذهب الاوزاعي فيما إذا قال بعتك هذا بعشرة نقداً أو بعشرين نسيئة أنه يصح ويختار المشتري ايهما أخذه صح . وحمل الحديث المروي في سنن أبي داود « من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا » على هذا المذهب « وفي الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث على هذا المذهب نظر ليس هذا موضع بسطه لطوله والله أعلم. ثم قد استدل أصحاب الامام أحمد ومن تبعهم في صحة استئجار الاجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية واستأنسوا في ذلك بما رواه أبو عبد الله

استأجرت القوي الامين ﴾ يعني خير من استعملت من قوي على العمل واداء الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته ؟ قالت أما قوته فانه رفع حجراً من رأس البئر لايرفعه الا عشرة ،وقيل إلا أربعون رجلا ، وأما أمانته فانه قال لي امشي خلفي حتى لاتصف الريح بدنك ﴿ فقال ﴾ شعيب عند ذلك ﴿ إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ واسمهما صفوراء وليا في قول شعيب الجبائي ، وقال ابن اسحاق صفورة وشرقا ، وقال غيرهما الكبرى صفراء والصغرى صفيراء « وقيـل زوجه الكبرى « وذهب أكثرهم إلى أنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورة وهي التي ذهبت لطلب موسى ﴿ على أن تأجرني ثماني حجج ﴾ يعني أن تكون أجيراً لي الى ثمان سنين . قال الفراء يعني اجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي ثماني حجج تقول العرب آجرك الله بأجرك أي أثابك والحجج السنون واحدتها حجة ﴿ فان أتممت عشراً فمن عندك ﴾ أي ان أتممت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع

محمد بن يزيد بن ماجه في كتابه السنن حيث قال باب استئجار الاجير على طعام بطنه حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية بن الوليد عن مسلمة بن علي عن سعيد بن أبي أيوب عن الحارث بن يزيد عن علي ابن رباح قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي يقول كنا عند رسول الله ﷺ فقرأ طسم حتى إذا بلغ قصة موسى قال «ان موسى آجر نفسه ثماني سنين أو عشرة سنين على عفة فرجه وطعام بطنه» وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف لأن مسلمة بن علي وهو الخشني الدمشقي البلاطي ضعيف الرواية عند الأئمة ولكن قد روي من وجه آخر وفيه نظر أيضا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله ﷺ يحدث ان رسول الله ﷺ قال «ان موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه» وقوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام (قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على مانقول وكيل) يقول ان موسى قال لصهره الامر على ماقلت من انك استأجرتني على ثمان سنين فان أتممت عشرا فمن عندي فأنا متى فعلت أقلهما فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط ولهذا قال (أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي) أى فلا حرج علي مع ان الكامل وان كان مباحا لكنه فاضل من جهة أخرى بدليل من خارج كما قال تعالى (فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه) وقال رسول الله ﷺ لحمزة بن عمرو الاسلمى رضي الله عنه وكان كثير الصيام وسأله عن الصوم فى السفر فقال «ان شئت فصم وان شئت فافطر» مع ان فعل الصيام راجح من دليل آخر هذا وقد دل الدليل على ان موسى عليه السلام انما فعل أكمل الاجلين وأتمهما

وقال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى

وليس بواجب عليك ﴿ وما أريد أن أشق عليك ﴾ أن ألزمك تمام العشر إلا أن تتبرع ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴾ قال عمر يعني في حسن الصحبة والوفاء بما قلت ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ذلك بيني وبينك ﴾ يعني هذا الشرط بيني وبينك فما شرطت علي فلك « وما شرطت من تزويج إحداهما فلي والامر بيننا تم الكلام ثم قال ﴿ أيما الاجلين قضيت ﴾ يعني أي الاجلين وما صلة قضيت يعني أتممت وفرغت من الثمان أو العشر ﴿ فلا عدوان علي ﴾ لاظلم علي بأن أطالب بأكثر منهما ﴿ والله على مانقول وكيل ﴾ قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك وقيل حفيظ

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن عبد الرحيم أنا سعيد بن سليمان أنا مروان بن شجاع عن سالم الافطس عن سعيد ابن جبير قال : سألني يهودي من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى ؟ قلت لا أدري حتى أقدم علي

فقلت لا أدرى حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت على ابن عباس رضي الله عنه فسألته فقال قضى أكثرهما وأطيبهما ان رسول الله اذا قال فعل . هكذا رواه حكيم بن جبير وغيره عن سعيد بن جبير ، ووقع في حديث الفتون من رواية القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير أن الذي سأله رجل من أهل النصرانية والاول أشبه والله أعلم ، وقد روي من حديث ابن عباس مرفوعا قال ابن جرير حدثنا أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال « سألت جبريل أي الاجلين قضى موسى قال أتمهما وأكملهما » ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الحميدي عن سفيان وهو ابن عيينة حدثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب وكان من أسناني أو أصغر مني فذكره . وفي اسناده قلب وابراهيم هذا ليس بمعروف . ورواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن أعين عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى ﷺ فذكره ثم قال لا نعرفه مرفوعا عن ابن عباس الا من هذا الوجه . ثم قال ابن أبي حاتم قرئ على يونس بن عبد الاعلى أنبأنا ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن يوسف بن تيرح ان رسول الله ﷺ سئل أي الاجلين قضى موسى؟ قال « لا علم لي » فسأل رسول الله ﷺ جبريل فقال جبريل لا علم لي فسأل جبريل ملكا فوقه فقال لا علم لي فسأل ذلك الملك ربه عز وجل عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه محمد ﷺ فقال الرب عز وجل قضى أبرهما وأبقاهما أو قال أزكاهما . وهذا مرسل وقد جاء مرسلا من وجه آخر وقال سنيد حدثنا حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان النبي ﷺ سأل جبريل أي الاجلين قضى موسى فقال سوف أسأل اسرافيل فسأله فقال سوف أسأل الرب عز وجل فسأله فقال أبرهما وأوفاهما

(طريق أخرى مرسلة أيضا) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال سئل رسول الله ﷺ اي الاجلين قضى موسى قال « أوفاهما وأتمهما » فهذه طرق متعاضدة

حبر العرب فأسأله فقدمت على ابن عباس فسألته فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله ﷺ اذا قال فعل . وروي عن أبي ذر مرفوعا « اذا سئلت أي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما واذا سئلت بأي المرأتين تزوج موسى فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج صغراهما وقضى أوفاهما » وقال وهب أنكحه الكبرى . وروي عن شداد بن أوس مرفوعا « بكى شعيب النبي ﷺ حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره فقال الله له ماهذا البكاء ؟ أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار ؟ فقال لا يارب ولكن شوقا إلى لقائك فأوحى الله اليه إن يكن ذلك فهنيئا لك لقائي ياشعيب لذلك أخدمتك موسى كليمي » ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه واختلفوا في تلك العصا قال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه

ثم قد روي هذا مرفوعا من رواية أبي ذر رضي الله عنه قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أبو عبيد الله يحيى بن محمد بن السكن حدثنا اسحاق بن ادريس حدثنا عويذ بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه ان النبي ﷺ سئل أي الاجلين قضي موسى ؟ قال «أوفاهما وأبرهما قال وان سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما ». ثم قال البزار لا نعلم يروى عن أبي ذر الا بهذا الاسناد. وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث عويذ بن أبي عمران وهو ضعيف

ثم قد روي أيضا نحوه من حديث عتبة بن المنذر بزيادة غريبة جدا فقال أبو بكر البزار حدثنا عمر ابن الخطاب السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر يقول ان رسول الله ﷺ سئل اي الاجلين قضى موسى قال «أبرهما وأوفاهما» ثم قال النبي ﷺ « ان موسى عليه السلام لما أراد فراق شعيب عليه السلام أمر امرأته ان تسأل أباها ان يعطيها من غنمه مايعيشون به فأعطاها ماولدت غنمه فى ذلك العام من قالب لون قال فما مرت شاة الا ضرب موسى جنبها بعصاه فولدت قوالب ألوان كلها وولدت ثنتين وثلاثا كل شاة ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا كميشة تفوت الكف ولا ثعول» وقال رسول الله ﷺ « اذا فتحتم الشام فانكم ستجدون بقايا منها وهي السامرية» هكذا أورده البزار. وقد رواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة ح وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبانا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله ﷺ يحدث أن رسول الله ﷺ قال «إن موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه فلما وفى الأجل - قيل يارسول الله أي الاجلين؟ قال - أبرهما وأوفاهما فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته ان تسأل أباها أن يعطيها من غنمه مايعيشون به فاعطاها ماولدت غنمه من قبالة لون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسى

حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها اليه » وقال آخرون كانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبي الا أكلته فصارت من آدم الى نوح ثم إلى ابراهيم حتى وصلت إلى شعيب وكانت عصي الانبياء عنده فأعطاها موسى » وقال السدي كانت تلك العصا استودعها إياه ملك في صورة رجل فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فدخلت فأخذت العصا فأتته بها » فلما رآها شعيب قال لها ردي هذه العصا وائتيه بغيرها فألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فلا تقع في يدها إلا هي حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فأعطتها موسى فأخرجها موسى معه ، ثم إن الشيخ ندم وقال كانت وديعة فذهب في أثره وطلب أن يرد العصا فأبى موسى أن يعطيه وقال هي عصاي فرضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فلقيهما ملك في صورة آدمي فحكم أن تطرح العصا فمن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ ليأخذها فلم يطقها فأخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ ، ثم إن موسى لما أتم الاجل وسلم

عليه السلام الى عصاء فسماها من طرفها ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أوردها فسقاها ووقف موسى بازاء الحوض فلم تصدر منها شاة الا وضرب جنبها شاة شاة قال فأتأمت وألبنت ووضعت كلها قوالب ألوان الا شاة أوشاتين ليس فيها فشوش قال يحيى ولا ضبوب وقال صفوان ولاصبوب قال أبو زرعة الصواب طنوب ولا عزوز ولا ثعول ولا كميشة تفوت الكف قال النبي ﷺ لوافتتحتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية »وحدثنا أبو زرعة أنبأنا صفوان قال سمعت الوليد قال سألت ابن لهيعة ما الفشوش قال التي تفش بلبنها واسعة الشخب قلت فما الضبوب قال الطويلة الضرع تجره قلت فما العزوز قال ضيقة الشخب قلت فما الثعول قال التي ليس لها ضرع الا كهيئة حلمتين قلت فما الكميشة قال التي تفوت الكف كميشة الضرع صغير لايدركه الكف مدرار. هذا الحديث على عبد الله بن لهيعة المصري وفي حفظه سوء وأخشى ان يكون رفعه خطأ والله أعلم. وينبغي ان يروى ليس فيها فشوش ولا عزوز ولا ضبوب ولا ثعول ولا كمشة لتذكر كل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة وقدروى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفا عليه مايقارب بعضه باسناد جيد فقال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما دعا نبي الله موسى عليه السلام صاحبه الى الاجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على لونها فلك ولدها فعمد موسى فرفع حبالا على الماء فلما رأت الحبال فزعت فجالت جولة فولدن كلهن بلقا الا شاة واحدة فذهب بأولادهن كلهن ذلك العام

فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون (٢٩) فلما أتاها نودي من شطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يموسى إني أنا الله رب العلمين (٣٠) وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يموسى أقبل ولا تخف

شعيب ابنته اليه قال موسى للمرأة اطلبي من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها فقال شعيب لكما كل ماولدت هذا العام على غير شيتها، وقيل أراد شعيب أن يجازي موسى على حسن رعيته إكراما له وصلة لابنته فقال له إني قد وهبت لك من الجدايا التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستسقى الاغنام فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الاغنام منه فما أخطأت واحدة منها إلا وضعت حملها مابين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل إلى موسى وامرأته فوفى له شرطه وسلم الاغنام اليه

قوله عز وجل ﴿ فلما قضى موسى الاجل ﴾ يعني أتمه وفرغ منه ﴿ وسار بأهله ﴾ قال مجاهد :

إنك من الآمنين (٣١) اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك

جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين (٣٢)

قد تقدم في تفسير الآية قبلها أن موسى عليه السلام قضى أتم الاجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملها وأنقاهما وقد يستفاد هذا ايضا من الآية الكريمة حيث قال (فلما قضى موسى الاجل) أي الاكمل منهما والله أعلم ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قضى عشر سنين وبعدها عشراً أخر ، وهذا القول لم أره لغيره ، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير فالله أعلم ، وقوله (وسار بأهله) قالوا كان موسى قد اشتاق الى بلاده وأهله فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره فسلك بهم في ليلة مطيرة باردة فنزل منزلا فجعل كلما أورى زنده لا يضيء شيئا فتعجب من ذلك فبينما هو كذلك (آنس من جانب الطور ناراً) أي رأى ناراً تضيء على بعد (قال لاهله امكثوا اني آنست ناراً) أي حتى أذهب اليها (لعلي آتيكم منها بخبر) وذلك لانه قد أضل الطريق (أو جذوة من النار) أى قطعة منها (لعلكم تصطلون) أي تستدفئون بها من البرد قال الله تعالى (فلما آتاها نودي من شاطيء الواد الايمن) أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الامر) فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار الى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه ، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي فوقف باهتا في أمرها فناداه ربه (من شاطيء الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام سمرة خضراء ترف. إسناده

لما قضى موسى الاجل مكث بعد ذلك عند صهره عشراً أخر فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العودة إلى مصر فأذن له فخرج بأهله إلى جهة مصر ﴿ آنس ﴾ أي أبصر ﴿ من جانب الطور ناراً ﴾ وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق ﴿ قال لاهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر ﴾ أي عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق ﴿ أو جذوة من النار ﴾ يعني قطعة وشعلة من النار وفيها ثلاث لغات قرأ عاصم جذوة بفتح الجيم وقرأ حمزة بضمها وقرأ الآخرون بكسرها ، قال قتادة ومقاتل هي العود الذي قد احترق بعضه وجمعها جذى ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ تستدفئون ﴿ فلما أتاها نودي من شاطيء الوادي الايمن ﴾ يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى ﴿ في البقعة المباركة ﴾ لموسى جعلها الله مباركة لان الله كلم موسى هناك وبعثه نبياً . وقال عطاء يريد المقدسة ﴿ من الشجرة ﴾ من ناحية الشجرة قال ابن مسعود : كانت سمرة خضراء تبرق . وقال قتادة

مقارب . وقال محمد بن إسحاق عن بعض من لا يتهم عن وهب بن منبه قال : شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول انها من العوسج وقال قتادة هي من العوسج وعصاه من العوسج

وقوله تعالى (أن ياموسى اني أنا الله رب العالمين) أي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء لا إله غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه . وقوله (وأن ألق عصاك) أي التي في يدك كما قرره على ذلك في قوله تعالى (وما تلك بيمينك ياموسى؟ قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) والمعنى أما هذه عصاك التي تعرفها (ألقها فألقاها فاذا هي حية تسعى) فعرف وتحقق أن الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشيء كن فيكون كما تقدم بيان ذلك في سورة طه

وقال ههنا (فلما رآها تهتز) أي تضطرب (كأنها جان ولى مدبراً) أي في حركتها السريعة مع عظم خلقتها وقوائمها واتساع فمها واصطكاك أنيابها وأضراسها بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعتها تنحدر في فيها تتقعقع كأنها حادرة في واد فعند ذلك (ولى مدبراً ولم يعقب) اي ولم يكن يلتفت لان طبع البشرية ينفر من ذلك فلما قال الله له (ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) رجع فوقف في مقامه الاول ثم قال الله تعالى (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أي اذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فانها تخرج تتلألأ كأنها قطعة قمر في لمعان البرق . ولهذا قال (من غير سوء) اي من غير برص

وقوله تعالى (واضمم اليك جناحك من الرهب) قال مجاهد من الفزع . وقال قتادة من الرعب وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير مما حصل لك من خوفك من الحية ، والظاهر ان المراد

ومقاتل والكلبي كانت عوسجة . قال وهب من العليق وقال ابن عباس رضي الله عنهما انها العناب ﴿ أن ياموسى اني أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز ﴾ تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿ ولى مدبراً ﴾ هاربا منها ﴿ ولم يعقب ﴾ لم يرجع فنودي ﴿ ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين * اسلك ﴾ أدخل ﴿ يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ برص فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ﴿ واضمم اليك جناحك من الرهب ﴾ قرأ أهل الكوفة والشام بضم الراء وسكون الهاء ويفتح حفص الراء ، وقرأ الآخرون بفتحها وكلها لغات بمعنى الخوف

ومعنى الآية : إذا هالك أمر يدك وما ترى من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الاولى والجناح اليد كلها وقيل هو العضد . وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم : أمره الله أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية . وقال : مامن خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه . وقال مجاهد كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع . وقيل المراد من ضم الجناح السكون يعني سكن روعك واخفض عليك جأشك لان من شأن الخائف أن

أعم من هذا وهو انه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم اليه جناحه من الرهب وهو يده فاذا فعل ذلك ذهب عنه مايجده من الخوف وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فانه يزول عنه مايجده أو يخف إن شاء الله تعالى وبه الثقة

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الربيع بن ثعلب الشيخ صالح أخبرنا ابو اسماعيل المؤدب عن عبدالله بن مسلم عن مجاهد قال: كان موسى عليه السلام قد ملىء قلبه رعباً من فرعون فكان إذا رآه قال: اللهم اني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره فنزع الله ما كان في قلب موسى عليه السلام وجعله في قلب فرعون فكان اذا رآه بال كما يبول الحمار

وقوله تعالى (فذانك برهانان من ربك) يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى، وادخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من جرى هذا الخارق على يديه ولهذا قال تعالى (الى فرعون وملئه) أي وقومه من الرؤساء والكبراء والاتباع [انهم كانوا قوما فاسقين] اي خارجين عن طاعة الله مخالفين لامره ودينه

قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون (٣٣) وأخي هٰرون هو أفصح مني

لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون (٣٤) قال سنشد عضدك بأخيك

ونجعل لكما سلطٰنا فلا يصلون إليكما بآيٰتنا أنتما ومن اتبعكما الغٰلبون (٣٥)

لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون الذي انما خرج من ديار مصر فراراً منه وخوفا من سطوته [قال رب إني قتلت منهم نفساً] يعني ذلك القبطي [فأخاف أن يقتلون] اي إذا رأوني [وأخي هارون هو أفصح مني لسانا] وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لثغة بسبب ما كان تناول تلك الجمرة حين خير بينها وبين التمرة او الدرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه فحصل فيه شدة في

يضطرب قلبه ويرتعد بدنه ومثله قوله (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) يريد الرفق. وقوله (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أي ارفق بهم وألن جانبك لهم. وقال الفراء: أراد بالجناح العصا معناه: اضمم اليك عصاك

وقيل الرهب الكم بلغة حمير. قال الأصمعي: سمعت بعض الاعراب يقول: اعطني مافي رهبك أي في كمك. معناه اضمم يدك وأخرجها من الكم لانه تناول العصا ويده في كمه ﴿فذانك﴾ يعني العصا واليد البيضاء ﴿برهانان﴾ آيتان ﴿من ربك إلى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين * قال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون * وأخي هارون هو أفصح مني لسانا﴾ وانما قال ذلك للعقدة التي

التعبير ولهذا قال (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ٭ واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري) اي يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم وهو القيام باعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ولهذا قال (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردأ) اي وزيراً ومعينا ومقويا لامري يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل لان خبر الاثنين أنجع في النفوس من خبر الواحد ولهذا قال (اني أخاف أن يكذبون) وقال محمد بن إسحاق (ردأ يصدقني) أي يبين لهم عني ما أكلمهم به فانه يفهم عني مالا يفهمون فلما سأل ذلك موسى قال الله تعالى (سنشد عضدك بأخيك) اي سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك الذي سألت له أن يكون نبيا معك كما قال في الآية الاخرى (قد أوتيت سؤلك ياموسى) وقال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) ولهذا قال بعض السلف ليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام فانه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه الى فرعون وملئه ولهذا قال تعالى في حق موسى (وكان عند الله وجيها) وقوله تعالى (ونجعل لكما سلطانا) اي حجة قاهرة (فلا يصلون اليكما بآياتنا) اي لاسبيل لهم الى الوصول الى أذاكما بسبب ابلاغكما آيات الله كما قال تعالى (ياايها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك — الى قوله — والله يعصمك من الناس) وقال تعالى (الذين يبلغون رسالات الله — الى قوله — وكفى بالله حسيبا) اي وكفى بالله ناصراً ومعينا ومؤيداً ولهذا أخبرهما ان العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة فقال تعالى (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله لقوي عزيز)

وقال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) الى آخر الآية ووجه ابن جرير على أن المعنى ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما ثم يبتدىء فيقول (بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) تقديره أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا ٭ ولا شك ان هذا المعنى صحيح وهو حاصل من التوجيه الاول فلا حاجة الى هذا والله أعلم

كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه ﴿ فأرسله معي ردءاً ﴾ عونا . يقال ردأته أي أعنته . قرأ نافع ردا بفتح الدال من غير همز طلبا للخفة ، وقرأ الباقون بسكون الدال مهموزاً ﴿ يصدقني ﴾ قرأ ابن عمرو وعاصم وحمزة برفع القاف على الحال أي ردءاً مصدقا . وقرأ الاخرون بالجزم على جواب الدعاء والتصديق لهارون في قول الجميع . قال مقاتل لكي يصدقني فرعون ﴿ اني أخاف أن يكذبون ﴾ يعني فرعون وقومه ﴿ قال سنشد عضدك بأخيك ﴾ أي نقويك بأخيك وكان هارون يومئذ بمصر ﴿ ونجعل لكما سلطانا ﴾ حجة وبرهانا ﴿ فلا يصلون اليكما بآياتنا ﴾ أي لا يصلون اليكما بقتل ولاسوء لمكان آياتنا . وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره : ونجعل لكما سلطانا بآياتنا بما نعطيكما من المعجزات فلا

فلما جاءهم موسى بآيتنا بينت قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين (٣٦) وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون (٣٧)

يخبر تعالى عن مجيء موسى وأخيه هارون الى فرعون وملئه وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة والدلالة القاهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله عز وجل من توحيده واتباع اوامره فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه وأيقنوا انه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيهم الى العناد والمباهتة وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا (ماهذا إلا سحر مفترى) اي مفتعل مصنوع وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه فما صعد معهم ذلك وقوله (وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) يعنون عبادة الله وحده لاشريك له يقولون ما رأينا أحداً من آبائنا على هذا الدين ، ولم نر الناس الا يشركون مع الله آلهة أخرى . فقال موسى عليه السلام مجيبا لهم (ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يعني مني ومنكم ، وسيفصل بيني وبينكم ، ولهذا قال [ومن تكون له عاقبة الدار] أى من النصرة والظفر والتأييد [انه لايفلح الظالمون] أى المشركون بالله عز وجل

وقال فرعون يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يهمن على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى إله موسى وإني لأظنه من الكذبين (٣٨) واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون (٣٩) فأخذنه وجنوده فنبذنهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظلمين (٤٠) وجعلنهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينصرون (٤١) وأتبعنهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين (٤٢)

يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافترائه في دعواه الالهية لنفسه القبيحة لعنه الله كما قال

يصلون اليكما ﴿ أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ أي لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات ﴾ واضحات ﴿ قالوا ماهذا الا سحر مفترى ﴾ مختلق ﴿ وما سمعنا بهذا ﴾ بالذي تدعونا اليه ﴿ في آبائنا الاولين * وقال موسى ﴾ قرأ أهل مكة بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم ﴿ ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ بالمحق من المبطل ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ يعني العقبى المحمودة في الدار الاخرة ﴿ انه لا يفلح الظالمون ﴾ يعني الكافرون ﴿ وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري فأوقد

الله تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) الآية وذلك لانه دعاهم إلى الاعتراف له بالالهية فأجابوه الى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم ولهذا قال (يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) وقال تعالى اخباراً عنه (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والاولى * ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) يعني انه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحا لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة وحتى انه واجه موسى الكليم بذلك فقال (لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين)

وقوله (فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى) يعني أمر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين يعني يتخذ له آجراً لبناء الصرح وهو القصر المنيف الرفيع العالي كما قال في الآية الاخرى (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب) وذلك لان فرعون بنى هذا الصرح الذي لم ير في الدنيا بناء اعلى منه انما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى اله غير فرعون ولهذا قال (واني لأظنه من الكاذبين) أي في قوله ان ثم ربا غيري لا أنه كذبه في أن الله تعالى أرسله لانه لم يكن يعترف بوجود الصانع جل وعلا فانه قال (وما رب العالمين؟) وقال (لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين) وقال (يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) وهذا قول ابن جرير

وقوله تعالى (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) أي طغوا وتجبروا وأكثروا في الارض الفساد واعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد فصب عليهم ربك سوط

لي ياهامان على الطين ﴾ يعني فاطبخ لي الآجر وقيل انه أول من اتخذ الآجر وبنى به ﴿ فاجعل لي صرحا ﴾ قصراً عاليا وقيل منارة ، قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء ومن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب ويضرب المسامير فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق أراد الله عز وجل أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد قتلت إله موسى ، وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله جبريل جنح غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف رجل ، ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد ممن عمل فيه بشيء الاهلك فذلك قوله تعالى (فاوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا ، ﴿ لعلي أطلع إلى إله موسى ﴾ انظر اليه واقف على حاله ﴿ واني لأظنه ﴾ يعني موسى ﴿ من الكاذبين ﴾ في زعمه ان للارض وللخلق الها غيري وانه رسوله ﴿ واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون ﴾ قرأ نافع وحمزة

عذاب ان ربك لبالمرصاد ولهذا قال تعالى ههنا [فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم] أي أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحد [فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ■ وجعلناهم أئمة يدعون الى النار] أي لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع (ويوم القيامة لاينصرون) أي فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولا بذل الآخرة كما قال تعالى (أهلكناهم فلا ناصر لهم)

وقوله تعالى (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسله كما انهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الانبياء وأتباعهم كذلك (ويوم القيامة هم من المقبوحين) قال قتادة : وهذه الآية كقوله تعالى (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود)

ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (٤٣)

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم ، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ، من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملاه . وقوله تعالى (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) يعني أنه بعد انزال التوراة لم يعذب أمة بعامة بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين كما قال تعالى (وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة ■ فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية)

وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن عبد الوهاب قالا حدثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الارض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الارض غير أهل القرية الذين مسخوا قردة بعد موسى ثم قرأ (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) الآية ورواه ابن أبي حاتم من حديث عوف بن أبي جميلة الاعرابي بنحوه

والكسائي ويعقوب يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم والباقون بضم الياء وفتح الجيم ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم ﴾ ألقيناهم ﴿ في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة ﴾ قادة ورؤساء ﴿ يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون ﴾ لايمنعون من العذاب ﴿ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ﴾ خزيا وعذابا ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ من المبعدين الملعونين ■ وقال ابو عبيدة من المهلكين وعن ابن عباس رضي الله عنهما من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا ■ ويقال قبحه قبحا وقبوحا إذا أبعده من كل خير

قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى ﴾ يعني قوم نوح وعاد وثمود ■ وغيرهم كانوا قبل موسى ﴿ بصائر للناس ﴾ يعني ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به ﴿ وهدى ﴾

وهكذا رواه أبو بكر البزار في مسنده عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان عن عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد موقوفا ثم رواه عن نصر بن علي عن عبد الأعلى عن عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد رفعه الى النبي ﷺ قال « ما اهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الارض الا قبل موسى » ثم قرأ (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) الاية

وقوله (بصائر للناس وهدى ورحمة) أي من العمى والغي وهدى إلى الحق ورحمة أي إرشاداً الى العمل الصالح (لعلهم يتذكرون) أي لعل الناس يتذكرون به ويهتدون بسببه

وما كنتَ بجانب الغربيِّ إذ قضينا الى موسى الأَمر وما كنتَ من الشّٰهدين (٤٤) ولـٰكنَّـا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمرُ وما كنتَ ثاويا في أهل مدْين تتلو عليهم آيٰتنا ولـٰكنَّا كنا مرسلين (٤٥) وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمةً من ربك لتنذر قوما ما أتـٰهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون (٤٦) ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدَّمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتَّبع ءايٰتك ونكونَ من المؤمنين(٤٧)

يقول تعالى منبها على برهان نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بالغيوب الماضية خبراً كأن سامعه شاهد وراء لما تقدم وهو رجل أمي لا يقرأ شيئا من الكتب نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك كما انه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها قال تعالى (وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) الاية أي وما كنت حاضراً لذلك ولكن الله أوحاه اليك ، وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه وما كان من انجاء الله له وإغراق قومه ثم قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) الاية وقال في آخر السورة (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك) وقال بعد ذكر قصة يوسف (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) الاية وقال في سورة طه (كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق) الاية وقال ههنا بعد ما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها وكيف كان ابتداء ايحاء الله اليه وتكليمه له (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى

من الضلال لمن عمل به ﴿ ورحمة ﴾ لمن آمن به ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ بما فيه من المواعظ والبصائر ﴿ وما كنت ﴾ يامحمد ﴿ بجانب الغربي ﴾ يعني بجانب الجبل الغربي قاله قتادة والسدي وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي . قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد حيث ناجى موسى ربه ﴿ إذ قضينا إلى موسى

الامر) يعني ماكنت يامحمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسي من الشجرة التي هي شرقية على شاطيء الوادي (وما كنت من الشاهدين) لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى اليك ذلك ليكون حجة وبرهانا على قرون قد تطاول عهدها ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الانبياء المتقدمين

وقوله تعالى (وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا) أى وما كنت مقيما في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيها شعيب وما قال لقومه وما ردوا عليه (ولكنا كنا مرسلين) أي ولكن نحن أوحينا اليك ذلك وأرسلناك الى الناس رسولا (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه أخبرنا علي بن حجر أخبرنا عيسى بن يونس عن حمزة الزيات عن الاعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) قال نودوا أن: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم قبل أن تدعوني . وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث جماعة عن حمزة وهو ابن حبيب الزيات عن الاعمش ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيى بن عيسى عن الاعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة وهو ابن عمرو بن جرير انه قال ذلك من كلامه والله أعلم

وقال مقاتل بن حيان (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) أمتك في اصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك اذا بعثت . وقال قتادة (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى وهذا والله أعلم اشبه بقوله

الامر ﴾ يعني عهدنا اليه وأحكمنا الامر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ الحاضرين ذلك المقام فتذكره من ذات نفسك ﴿ ولكنا أنشأنا قرونا ﴾ خلقنا أمما من بعد موسى عليه السلام ﴿ فتطاول عليهم العمر ﴾ أي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وميثاقه وتركوا أمره ، وذلك ان الله تعالى قد عهد الى موسى وقومه عهوداً في محمد ﷺ والايمان به ، فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها ﴿ وما كنت ثاويا ﴾ مقيما ﴿ في أهل مدين ﴾ كمقام موسى وشعيب فيهم ﴿ تتلو عليهم آياتنا ﴾ تذكرهم بالوعد والوعيد . قال مقاتل يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿ ولكنا كنا مرسلين ﴾ أي أرسلناك رسولا وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم ، ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها ﴿ وما كنت بجانب الطور ﴾ بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿ اذ نادينا ﴾ قيل اذ نادينا موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب أرني محمداً قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت ناديت أمته وأسمعتك أصواتهم قال بلى يارب قال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم

وقال ابو زرعة ابن عمرو بن جرير نادى : يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ورفعه بعضهم قال الله يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الامهات : لبيك اللهم لبيك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . قال الله تعالى

تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الامر) ثم أخبر ههنا بصيغة أخرى أخص من ذلك وهو النداء كما قال تعالى (وإذ نادى ربك موسى) وقال تعالى (إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) وقال تعالى (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا)

وقوله تعالى (ولكن رحمة من ربك) أي ما كنت مشاهداً لشيء من ذلك ولكن الله تعالى أوحاه اليك وأخبرك به رحمة منه بك وبالعباد بارسالك اليهم (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) أي لعلهم يهتدون بما جئتهم به من الله عز وجل (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) الآية أي وأرسلناك اليهم لتقيم عليهم الحجة ولينقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير كما قال تعالى بعد ذكره إنزال كتابه المبارك وهو القرآن [ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين *أو تقولوا لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة] وقال تعالى [رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] وقال تعالى [يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير] الآية والايات في هذا كثيرة

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل؟ قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كفرون (٤٨) قل فاءتوا بكتب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صدقين (٤٩) فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون

يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم من قبل أن تستغفروني من جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر

قوله تعالى ﴿ ولكن رحمة من ربك﴾ أي ولكن رحمناك رحمة بارسالك وبالوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك ﴿ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾ يعني أهل مكة ﴿ لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ عقوبة ونقمة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الكفر والمعصية ﴿ فيقولوا ربنا لولا ﴾ هلا ﴿أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ وجواب لولا محذوف أي لعاجلناهم بالعقوبة يعني لولا أنهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكن بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿قالوا﴾

أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هونه بغير هدى من الله ان الله لايهدي القوم الظالمين (٥٠)

ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون (٥١)

يقول تعالى مخبراً عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول انهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد ﷺ قالوا على وجه التعنت والعناد والكفر والجهل والالحاد [لولا أوتي مثل ما أوتي موسى] الاية يعنون والله أعلم من الآيات الكثيرة مثل العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتنقيص الزروع والثمار مما يضيق على أعداء الله وكفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى الى غير ذلك من الايات الباهرة ، والحجج القاهرة ، التي أجراها الله تعالى على يدي موسى عليه السلام حجة وبرهانا له على فرعون وملئه وبني اسرائيل ، ومع هذا كله لم ينجع في فرعون وملئه بل كفروا بموسى وأخيه هارون كما قالوا لهما [أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين] وقال تعالى [فكذبوهما فكانوا من المهلكين] ولهذا قال ههنا [أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ؟] أي أو لم يكفر البشر بما أوتي موسى من تلك الآيات العظيمة [قالوا ساحران تظاهرا] أي تعاونا (وقالوا انا بكل كافرون) أي بكل منهما كافرون ، ولشدة التلازم والتصاحب والمقاربة بين موسى وهارون دل ذكر أحدهما على الاخر كما قال الشاعر :

فما أدري اذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يليني

أي فما أدرى يليني الخير أو الشر . قال مجاهد : أمرت اليهود قريشا أن يقولوا لمحمد ﷺ ذلك فقال الله (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا) قال يعني موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم (تظاهرا) أى تعاونا وتناصرا وصدق كل منهما الآخر ، وبهذا قال سعيد بن جبير وأبو رزين في قوله (ساحران) يعنون موسى وهارون وهذا قول جيد قوى والله أعلم

وقال مسلم بن يسار عن ابن عباس (قالوا ساحران تظاهرا) قال يعنون موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم وهذا رواية الحسن البصري . وقال الحسن وقتادة : يعني عيسى ومحمداً صلى الله عليهما

يعني كفار مكة ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ أوتي ﴾ محمد ﴿ مثل ما أوتي موسى ﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا وقيل مثل ما أوتي موسى كتابا جملة واحدة

قال الله تعالى ﴿ أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ﴾ أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ﴿ قالوا سحران تظاهرا ﴾ قرأ أهل الكوفة سحران أي التوراة والقرآن تظاهرا يعني كل سحر يقوي الآخر نسب التظاهر الى السحرين على الاتساع . قال الكلبي كانت مقالتهم تلك حين بعثوا في أمر رسول الله ﷺ الى احبار اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد فأخبروهم ان نعته

وسلم وهذا فيه بعد لان عيسي لم يجر لهذكر ههنا والله أعلم . وأما من قرأ (سحران تظاهرا) فقال علي ابن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس يعنون التوراة والقرآن وكذا قال عاصم الجندي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال السدي : يعني صدق كل واحد منهما الاخر

وقال عكرمة : يعنون التوراة والانجيل وهو رواية عن أبي رزين واختاره ابن جرير . وقال الضحاك وقتادة : الانجيل والقرآن والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب والظاهر على قراءة (سحران) انهم يعنون التوراة والقرآن لانه قال بعده (قل فائتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه) وكثيراً مايقرن الله بين التوراة والقرآن كما في قوله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ـ الى أن قال ـ وهذا كتاب أنزلناه مبارك) وقال في آخر السورة (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن) وقال (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وقالت الجن (انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه)

وقال ورقة بن نوفل : هذا الناموس الذي أنزل على موسى . وقد علم بالضرورة لذوي الالباب ان الله تعالى لم ينزل كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران عليه السلام وهو الكتاب الذي قال الله فيه (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) والانجيل انما أنزل متمما للتوراة ومحلا لبعض ماحرم على بني اسرائيل ولهذا قال تعالى (قل فائتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين) أي فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل قال الله تعالى (فان لم يستجيبوا لك) أي فان لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق [فاعلم انما يتبعون أهواءهم] أي بلا دليل ولا حجة [ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله] اي بغير حجة مأخوذة من كتاب الله [ان الله لا يهدي القوم الظالمين]

وقوله تعالى (ولقد وصلنا لهم القول) قال مجاهد فصلنا لهم القول . وقال السدي بينا لهم القول

في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا سحران تظاهرا ، وقرأ الآخرون ساحران يعنون محمداً وموسى عليهما السلام لان معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب ﴿ وقالوا انا بكل كافرون قل ﴾ لهم يامحمد ﴿ فائتوا بكتاب من عندالله هو أهدى منهما ﴾ يعني من التوراة والقرآن ﴿ أتبعه ان كنتم صادقين * فان لم يستجيبوا لك ﴾ أي ان لم يأتوا بما طلبت ﴿ فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين * ولقد وصلنا لهم القول ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما بينا قال الفراء أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا قال قتادة وصل لهم القول في هذا القرآن يعني كيف صنع بمن مضى . قال مقاتل بينا لكفار مكة بما في القرآن

وقال قتادة : يقول تعالى أخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع (لعلهم يتذكرون) قال مجاهد وغيره [وصلنا لهم] يعني قريشاً وهذا هو الظاهر لكن قال حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة —[1] رفاعة هذا هو ابن قرظة القرظي ، وجعله ابن مندة : رفاعة بن شموال خال صفية بنت حيي وهو الذي طلق تميمة بنت وهب التي تزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير بن باطا ، كذا ذكره ابن الاثير — قال نزلت [ولقد وصلنا لهم القول] في عشرة أنا أحدهم . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديثه

١) ما بين الخطين زيادة في النسخة الاميرية

الذين آتينٰهم الكتٰب من قبله هم به يؤمنون (٥٢) واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين(٥٣) أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقنٰهم ينفقون (٥٤) واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعملكم سلٰم عليكم لا نبتغي الجاهلين (٥٥)

يخبر تعالى عن العلماء الاولياء من أهل الكتاب انهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) وقال تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله) وقال تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) وقال تعالى (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى — الى قوله — فا كتبنا مع الشاهدين)

من أخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم ، وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا ﴿ لعلهم يتذكرون ، الذين آتيناهم الكتاب من قبله ﴾ من قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل من قبل القرآن ﴿ هم به يؤمنون ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه ، وقال مقاتل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي ﷺ وقال سعيد بن جبير هم اربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يانبي الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا وجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم (الذين آتيناهم الكتاب — الى قوله تعالى — ومما رزقناهم ينفقون) وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : نزلت في ثمانين من أهل الكتاب . أربعون من نجران ، واثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية من الشام ثم وصفهم الله فقال

قال سعيد بن جبير نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم (يس والقرآن الحكيم) حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الاخرى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ٭ واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) يعني من قبل هذا القرآن كنا مسلمين أي موحدين مخلصين لله مستجيبين له . قال الله تعالى (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) أي هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الاول ثم بالثاني ولهذا قال (بما صبروا) أي على اتباع الحق فان تجشم مثل هذا شديد على النفوس . وقد ورد في الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها »

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي امامة قال : اني لتحت راحلة رسول الله ﷺ يوم الفتح فقال قولا حسنا جميلا وقال فيما قال « من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله مالنا وعليه ما علينا » وقوله تعالى (ويدرءون بالحسنة السيئة) أي لا يقابلون السيء بمثله ولكن يعفون ويصفحون (ومما رزقناهم ينفقون) أي ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون على خلق الله في النفقات الواجبة لاهليهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات

﴿ واذا يتلى عليهم ﴾ يعني القرآن ﴿ قالوا آمنا به انه الحق من ربنا ﴾ وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ﴿ انا كنا من قبله مسلمين ﴾ أي من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ لأيمانهم بالكتاب الاول وبالكتاب الآخر ﴿ بما صبروا ﴾ على دينهم . قال مجاهد نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذوا

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا ابو علي زاهر بن احمد انا ابو عبد الله محمد بن جعفر الجويني انا أحمد بن سعيد الدارمي انا عثمان انا شعبة عن صالح عن الشعبي عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري قال: قال رسول ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل كانت له جارية فادبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها ، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لسيده »

قوله عز وجل ﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بشهادة أن لا إله الا الله الشرك ، قال مقاتل يدفعون ما سمعوا من الاذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو

وقوله تعالى (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا) أي لايخالطون أهله ولا يعاشرونهم بل كما قال تعالى (واذا مروا باللغو مروا كراما)(وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين) أي اذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لايليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب . ولهذا قال عنهم انهم قالوا (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين) اي لانريد طريق الجاهلين ولا نحبها . قال محمد بن إسحاق في السيرة ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم ابو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال مانعلم ركبًا أحمق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لانجاهلكم لنا مانحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيراً . قال ويقال ان النفر النصارى من أهل نجران فالله أعلم أي ذلك كان. قال ويقال والله أعلم ان فيهم نزلت هذه الآيات (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون - إلى قوله - لا نبتغي الجاهلين) قال وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت قال مازلت أسمع من علمائنا انهن نزلن في النجاشي وأصحابه رضي الله عنهم والآيات اللاتي في سورة المائدة (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا - إلى قوله - فا كتبنا مع الشاهدين)

انك لاتهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين (٥٦)

وقالوا ان نتّبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكّن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدُنّا ولكنّ أكثرهم لا يعلمون (٥٧)

والمغفرة ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ في الطاعة ﴿ واذا سمعوا اللغو ﴾ القبيح من القول ﴿أعرضوا عنه﴾ وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم ﴿ وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ لنا ديننا ولكم دينكم ﴿ سلام عليكم ﴾ ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة معناه سلمتم منا لانعارضكم بالشتم والقبح من القول ﴿ لانبتغي الجاهلين ﴾ أي دين الجاهلين يعني لانحب دينكم الذي أنتم عليه ، وقيل لانريد أن نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال

قوله تعالى ﴿ انك لا تهدي من أحببت ﴾ أي أحببت هدايته . وقيل أحببته لقرابته ﴿ ولكن

يقول تعالى لرسوله ﷺ انك يا محمد (لا تهدي من أحببت) أي ليس اليك ذلك انما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) . وقال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وهذه الآية أخص من هذا كله فانه قال (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية

وقد ثبت في الصحيحين انها نزلت في أبي طالب عم رسول الله ﷺ وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حبا شديداً طبعيا لا شرعياً فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله ﷺ الى الايمان والدخول في الاسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة التامة . قال الزهري حدثني سعيد بن المسيب عن أبيه وهو المسيب بن حزن المخزومي رضي الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ « ياعم قل لا إله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » فقال ابو جهل وعبدالله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ماقال هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله الا الله فقال رسول الله ﷺ « والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) وأنزل في أبي طالب (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) أخرجاه من حديث الزهري وهكذا رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن ابي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال « ياعماه قل لا إله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال لولا أن تعيرني بها قريش يقولون ماحمله عليه الا جزع الموت لأقررت بها عينك لا اقولها الا لأقر بها عينك فأنزل الله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يزيد بن كيسان » ورواه الامام احمد عن يحيى بن سعيد القطان عن يزيد بن كيسان حدثني ابو حازم عن أبي هريرة فذكره بنحوه وهكذا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة انها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله الا الله فأبى عليه ذلك وقال اي ابن أخي ملة الاشياخ وكان آخر ماقاله هو على ملة عبدالمطلب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو سلمة حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد قال كان رسول قيصر جاء إلي قال كتب معي قيصر إلى رسول الله

الله يهدي من يشا وهو أعلم بالمهتدين ﴾ قال مجاهد ومقاتل بمن قدر له الهدى نزلت في أبي طالب قال « النبي ﷺ » قل لا إله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة » قال لولا أن تعيرني بها قريش يقولون

ﷺ كتابا فاتيته فدفعت الكتاب فوضعه في حجره ثم قال « ممن الرجل ؟ » قلت من تنوخ قال « هل لك في دين أبيك ابراهيم الحنيفية ؟ » قلت اني رسول قوم وعلى دينهم حتى أرجع اليهم فضحك رسول الله ﷺ ونظر إلى أصحابه وقال « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء »

وقوله تعالى (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) يقول تعالى مخبراً عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله ﷺ [ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا] اي نخشى ان اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالاذى والمحاربة ويتخطفونا أينما كنا قال الله تعالى مجيبا لهم (او لم نمكن لهم حرما آمنا) يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل لان الله تعالى جعلهم في بلد أمين وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم في حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمنا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحق ؟

وقوله تعالى (يجبى اليه ثمرات كل شيء) أي من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره وكذلك المتاجر والأمتعة (رزقا من لدنا) اي من عندنا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولهذا قالوا ما قالوا وقد قال النسائي أنبأنا الحسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة قال : قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس ولم يسمعه منه ان الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال (ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا)

وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مسكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا

و كنا نحن الوارثين (٥٨) وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو

عليهم آيتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظلمون (٥٩)

انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ أرض مكة نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي ﷺ انا لنعلم أن الذي تقول حق ولكنا إن اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة وهو معنى قوله (نتخطف من أرضنا) والاختطاف الانتزاع بسرعة قال الله تعالى ﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا ﴾ وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة ﴿ يجبى ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب تجبى بالتاء لاجل الثمرات ، والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل أي يجلب ويجمع ﴿ اليه ﴾ يقال جبيت الماء في الحوض أي جمعته قال مقاتل يحمل إلى الحرم ﴿ ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ان ما تقوله حق

قوله عز وجل ﴿ وكم أهلكنا من قرية ﴾ أي من أهل قرية ﴿ بطرت معيشتها ﴾ أي في معيشتها

يقول تعالى معرضاً باهل مكة في قوله تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أي طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم من الارزاق كما قال في الآية الاخرى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان - إلى قوله - فأخذهم العذاب وهم ظالمون) ولهذا قال تعالى (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) أي دثرت ديارهم فلاترى الا مساكنهم وقوله تعالى (وكنا نحن الوارثين) أي رجعت خرابا ليس فيها أحد

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا عن ابن مسعود أنه سمع كعبا يقول لعمر: ان سليمان عليه السلام قال للهامة - يعني البومة - مالك لاتأكلين الزرع ؟ قالت : لانه أخرج آدم من الجنة بسببه . قال فمالك لاتشربين الماء ؟ قالت لان الله تعالى اغرق قوم نوح به، قال فمالك لاتأوين الا الى الخراب ؟ قالت لانه ميراث الله تعالى ثم تلا (وكنا نحن الوارثين) ثم قال تعالى مخبراً عن عدله وانه لايهلك أحداً ظالما له وانما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم ولهذا قال (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها) وهي مكة (رسولا يتلو عليهم آياتنا) فيه دلالة على ان النبي الامي وهو محمد ﷺ المبعوث من أم القرى رسول الى جميع القرى من عرب وأعجام كما قال تعالى (لتنذر أم القرى ومن حولها) وقال تعالى [قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً] وقال [لأنذركم به ومن بلغ] وقال [ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده] وتمام الدليل قوله تعالى [وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديداً] فأخبر تعالى انه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة وقد قال تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] فجعل تعالى بعثة النبي الامي شاملة لجميع القرى لانه مبعوث الى أمها وأصلها التي ترجع اليها

وثبت في الصحيحين عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال « بعثت الى الاحمر والاسود » ولهذا ختم به النبوة والرسالة فلا نبي بعده ولا رسول بل شرعه باق بقاء الليل والنهار الى يوم القيامة وقيل المراد بقوله [حتى يبعث في أمها رسولا] أي أصلها وعظيمتها كأمهات الرساتيق والاقاليم، حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما وليس ببعيد

أي أشرت وطغت ، قال عطاء عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام ﴿ فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها إلا المسافرون ومارو الطريق يوما أو ساعة معناه لم تسكن من بعدهم الا سكونا قليلا ، وقيل معناه لم يعمر منها إلا أقلها وأكثرها خراب ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ كقوله (انا نحن نرث الارض ومن عليها) ﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ أي القرى الكافر أهلها ﴿ حتى يبعث في أمها رسولا ﴾ يعني في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الاعظم ببعثة الرسول فيها لان الرسول يبعث إلى الاشراف والاشراف يسكنون المدائن والمواضع التي هي أم ما حولها ﴿ يتلو عليهم آياتنا ﴾ قال مقاتل يخبرهم الرسول ان العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا ﴿ وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ مشركون يريد أهلكهم بظلمهم

وما أوتيتم من شيء فمتـٰع الحيـوٰة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ؟

(٦٠) أفمن وعدنٰه وعداً حسناً فهو لـٰقيه كمن متعنـٰه متـٰع الحيوٰة الدنيا ثم هو يوم القيـٰمة من المحضرين؟ (٦١)

يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم كما قال تعالى (ماعندكم ينفد وما عند الله باق) وقال (وماعند الله خير للابرار) وقال (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) وقال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال رسول الله ﷺ « والله ما الحياة الدنيا في الآخرة الا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فلينظر ماذا يرجع اليه » وقوله تعالى (أفلا تعقلون؟) أي أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة

وقوله تعالى (أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) يقول تعالى أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الاعمال من الثواب الذي هو صائر اليه لامحالة كمن هو كافر مكذب بلقاء الله ووعده ووعيده فهو ممتع في الحياة الدنيا أياما قلائل [ثم هو يوم القيامة من المحضرين] قال مجاهد وقتادة من المعذبين . ثم قد قيل انها نزلت في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل. وقيل في حمزة وعلي وأبي جهل وكلاهما عن مجاهد والظاهر انها عامة وهذا كقوله تعالى اخباراً عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدرجات وذاك في الدركات فقال (ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) وقال تعالى [ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون]

ويوم يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون (٦٢) قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغوينٰهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون (٦٣) وقيل

قوله تعالى ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ﴾ تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ أفلا تعقلون ﴾ ان الباقي خير من الفاني قرأ عامة القراء تعقلون بالتاء، وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء ﴿ أفمن وعدناه وعداً حسناً ﴾ اي الجنة ﴿ فهو لاقيه ﴾ مصيبه ومدركه وصائر اليه ﴿ كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ﴾ ويزول عن قريب ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ النار . قال قتادة يعني المؤمن والكافر « قال مجاهد نزلت في النبي ﷺ وابي جهل » وقال محمد بن كعب نزلت في حمزة وعلي وابي جهل ، وقال السدي نزلت في عمار والوليد بن المغيرة

قوله تعالى ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ في الدنيا انهم شركائي

ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون (٦٤) ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين (٦٥) فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون (٦٦) فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين (٦٧)

يقول تعالى مخبراً عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول [أين شركائي الذين كنتم تزعمون؟] يعني أين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الاصنام والانداد هل ينصرونكم أو ينتصرون ، وهذا على سبيل التقريع والتهديد كما قال تعالى [ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون]

وقوله [قال الذين حق عليهم القول] يعني الشياطين والمردة والدعاة الى الكفر [ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون] فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم ثم تبرؤا من عبادتهم كما قال تعالى [واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً] وقال تعالى [ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين] وقال الخليل عليه السلام لقومه [انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا] الآية وقال الله تعالى [اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب - الى قوله - وما هم بخارجين من النار] ولهذا قال [وقيل ادعوا شركاءكم] أي ليخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا [فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب] أي وتيقنوا أنهم صائرون الى النار لا محالة

وقوله [لو أنهم كانوا يهتدون] أي فودوا حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا وهذا كقوله تعالى [ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا * ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا]

﴿ قال الذين حق عليهم القول ﴾ وجب عليهم العذاب وهم رءوس الضلالة ﴿ ربنا هؤلاء الذين أغوينا ﴾ اي دعوناهم إلى الغي وهم الاتباع ﴿ أغويناهم كما غوينا ﴾ اضللناهم كما ضللنا ﴿ تبرأنا اليك ﴾ منهم ﴿ ماكانوا إيانا يعبدون ﴾ برىء بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى [الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو] ﴿ وقيل ﴾ للكفار ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ اي الاصنام لتخلصكم من العذاب ﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ لم يجيبوهم ﴿ ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ﴾ وجواب لو محذوف على تقدير

وقوله [ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين] النداء الاول عن سؤال التوحيد وهذا فيه فيه اثبات النبوات ماذا كان جوابكم للمرسلين اليكم وكيف كان حالكم معهم وهذا كما يسئل العبد في قبره : من ربك ومن نبيك وما دينك ؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأما الكافر فيقول هاه هاه لاأدري ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت لان من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولهذا قال تعالى [فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لايتساءلون] قال مجاهد فعميت عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالانساب

وقوله [فأما من تاب وآمن وعمل صالحا] أي في الدنيا [فعسى أن يكون من المفلحين] أي يوم القيامة وعسى من الله موجبة فان هذا واقع بفضل الله ومنته لامحالة

وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحٰن الله وتعالى عما يشركون (٦٨)

وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (٦٩) وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون (٧٠)

يخبر تعالى انه المنفرد بالخلق والاختيار ، وانه ليس له في ذلك منازع ولا معقب قال تعالى [وربك يخلق مايشاء ويختار] أي مايشاء فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فالامور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها اليه . وقوله [ما كان لهم الخيرة] نفي على أصح القولين كقوله تعالى [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم] وقد اختار ابن جرير أن [ما] ههنا بمعنى الذي تقديره : ويختار الذي لهم فيه خيرة ؛ وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على

لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا مارأوا العذاب ﴿ ويوم يناديهم ﴾ اي يسأل الله الكفار ﴿ فيقول ماذا أجبتم المرسلين * فعميت ﴾ خفيت واشتبهت ﴿ عليهم الانباء ﴾ اى الاخبار والاعذار ، وقال مجاهد الحجج ﴿ يومئذ ﴾ فلا يكون لهم عذر ولا حجة ﴿ فهم لايتساءلون ﴾ لايجيبون ، وقال قتادة لايحتجون وقيل يسكتون لايسأل بعضهم بعضاً ﴿ فأما من تاب وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ من السعداء الناجين .

قوله عز وجل ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ﴾ نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا [لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم] يعني الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى انه لايبعث الرسل باختيارهم

قوله تعالى ﴿ ماكان لهم الخيرة ﴾ قيل ما للاثبات معناه ويختار الله (ماكان لهم الخيرة) اى يختار ماهو الاصلح والخير ، وقيل هو للنفي أى ليس اليهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله كما قال

وجوب مراعاة الاصلح . والصحيح انها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضاً فان المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وانه لا نظير له في ذلك ولهذا قال (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي من الاصنام والانداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً ثم قال تعالى [وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون] أي يعلم ماتكن الضمائر ، وما تنطوي عليه السرائر ، كما يعلم ماتبديه الظواهر من سائر الخلائق [سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار]

وقوله [وهو الله لا إله إلا هو] أي هو المنفرد بالالهية فلا معبود سواه ، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه [له الحمد في الاولى والاخرة] أي في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته [وله الحكم] أي الذي لا معقب له لقهره وغلبته وحكمته ورحمته [واليه ترجعون] أي جميعكم يوم القيامة فيجزي كل عامل بعمله من خير وشر ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الاعمال

قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون؟ (٧١) قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟ (٧٢) ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (٧٣)

يقول تعالى ممتنا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار اللذين لا قوام لهم بدونهما وبين انه لو جعل الليل دائماً عليهم سرمداً الى يوم القيامة لأضر ذلك بهم ولسئمته النفوس وانحصرت منه ولهذا قال تعالى [من اله غير الله يأتيكم بضياء] أى تبصرون به وتستأنسون بسببه [أفلا تسمعون؟]

تعالى [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة] والخيرة اسم من الاختيار يقام مقام المصدر وهي اسم للمختار أيضاً ، يقال محمد خيرة الله من خلقه ثم نزه نفسه فقال { سبحان الله وتعالى عما يشركون ، وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون } يظهرون { وهو الله لا إله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة } يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة { وله الحكم } فصل القضاء بين الخلق . قال ابن عباس رضي الله عنهما حكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل معصيته بالشقاء { واليه ترجعون }

قوله { قل ارأيتم } أخبروني يا أهل مكة { ان جعل الله عليكم الليل سرمداً } دائما { إلى يوم القيامة } لانهار معه { من إله غير الله يأتيكم بضياء ، } بنهار تطلبون فيه المعيشة { أفلا تسمعون ، }

ثم أخبر تعالى انه لو جعل النهار سرمداً أي دائماً مستمراً الى يوم القيامة لأضر ذلك بهم ولتعبت الابدان وكلت من كثرة الحركات والاشتغال ولهذا قال تعالى [من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه] أي تستريحون من حركاتكم وأشغالكم [أفلا تبصرون؟ *ومن رحمته] أي بكم [جعل لكم الليل والنهار] أي خلق هذا وهذا [لتسكنوا فيه] أى في الليل [ولتبتغوا من فضله] أى في النهار بالاسفار والترحال ، والحركات والاشتغال ، وهذا من باب اللف والنشر

وقوله [ولعلكم تشكرون] اى تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار ، ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار أو بالنهار استدركه بالليل كما قال تعالى [وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً] والآيات في هذا كثيرة

ويوم يناديهم فيقول أين شركاءيَ الذين كنتم تزعمون (٧٤) ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ماكانوا يفترون (٧٥)

وهذا أيضاً نداء ثان على سبيل التوبيخ والتقريع لمن عبد مع الله إلهاً آخر يناديهم الرب تعالى على رءوس الاشهاد فيقول [أين شركائي الذين كنتم تزعمون] أي في دار الدنيا [ونزعنا من كل أمة شهيداً] قال مجاهد : يعني رسولا [فقلنا هاتوا برهانكم] أي على صحة ما ادعيتموه من أن لله شركاء [فعلموا أن الحق لله] أي لا اله غيره فلم ينطقوا ولا يحيروا جواباً [وضل عنهم ما كانوا يفترون] أي ذهبوا فلم ينفعوهم

ان قارُون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لايحب الفرحين (٧٦) وابتغ فيما

سماع فهم وقبول ﴿ قل ارأيتم ﴾ أخبروني ياأهل مكة ﴿ إن جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة ﴾ لا ليل فيه ﴿ من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ ماأنتم عليه من الخطأ ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ﴾ اى في الليل ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ بالنهار ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ نعم الله عز وجل ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ﴿ ونزعنا ﴾ أخرجنا ﴿ من كل أمة شهيداً ﴾ يعني رسولهم الذي أرسل اليهم كما قال (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد) ﴿ فقلنا هاتوا برهانكم ﴾ حجتكم بأن معي شريكا ﴿ فعلموا أن الحق ﴾ التوحيد لله ﴿وضل عنهم ماكانوا يفترون﴾ في الدنيا

قوله تعالى ﴿ ان قارون كان من قوم موسى ﴾ كان ابن عمه لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن

آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين (٧٧)

قال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال [ان قارون كان من قوم موسى] قال كان ابن عمه ، هكذا قال ابراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث بن نوفل وسماك بن حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جريج وغيرهم أنه كان ابن عم موسى عليه السلام . قال ابن جريج هو قارون بن يصهب بن فاهث وموسى بن عمران بن فاهث ، وزعم محمد بن اسحاق بن يسار أن قارون كان عم موسى بن عمران عليه السلام . قال ابن جريج وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه والله أعلم وقال قتادة بن دعامة كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله . وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبراً طولا ترفعا على قومه . وقوله (وآتيناه من الكنوز) أي الاموال (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) أي ليثقل حملها الفئام من الناس لكثرتها . قال الاعمش عن خيثمة كانت مفاتيح كنوز قارون

لاوى بن يعقوب عليه السلام وموسى بن عمران بن فاهث ، وقال ابن اسحاق كان قارون عم موسى كان أخا عمران وهما ابنا يصهر ولم يكن في بني اسرائيل أقرأ للتوراة من قارون ولكنه نافق كما نافق السامري ﴿ فبغى عليهم ﴾ قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فكان يبغي عليهم ويظلمهم ، وقال قتادة بغى عليهم بكثرة المال ، وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك ، وقال ابن حوشب زاد في طول ثيابه شبراً . وروينا عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو ﴿ وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه ﴾ هي جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب . هذا قول قتادة ومجاهد وجماعة ، وقيل مفاتحه خزائنه كما قال (وعنده مفاتح الغيب) أي خزائنه ﴿ لتنوء بالعصبة أولي القوة ﴾ لتثقلهم ، أي وتميل بهم اذا حملوها لثقلها . قال أبو عبيدة هذا من المقلوب تقديره ما ان العصبة لتنوء بها . يقال ناء فلان بكذا اذا نهض به مثقلا واختلفوا في عدد العصبة قال مجاهد ما بين العشرة إلى خمسة عشر ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وقال قتادة ما بين العشرة إلى الاربعين ، وقيل أربعون رجلا ، وقيل سبعون ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان يحمل مفاتحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال . وقال جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت في الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز ، ويقال كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد ، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر

من جلود كل مفتاح مثل الاصبع كل مفتاح على خزانة على حدته فاذا ركب حملت على ستين بغلا أغر محجلا وقيل غير ذلك والله أعلم

وقوله (إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لايحب الفرحين) أي وعظه فيما هو فيه صالحو قومه فقالوا على سبيل النصح والارشاد: لاتفرح بما أنت فيه يعنون لاتبطر بما أنت فيه من المال [إن الله لا يحب الفرحين] قال ابن عباس يعني المرحين . وقال مجاهد يعني الاشرين البطرين الذين لايشكرون الله على ماأعطاهم . وقوله (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي استعمل ماوهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب اليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة [ولا تنس نصيبك من الدنيا] أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح فان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا . ولزورك عليك حقا فآت كل ذي حق حقه (وأحسن كما أحسن الله اليك) أي أحسن إلى خلقه كما أحسن هو اليك (ولا تبغ الفساد في الارض) أي لاتكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الارض وتسيء إلى خلق الله (إن الله لايحب المفسدين)

على طول الاصابع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا ﴿ إذ قال له قومه ﴾ قال لقارون قومه من بني اسرائيل ﴿ لاتفرح ﴾ لاتبطر ولا تأشر ولا تمرح ﴿ ان الله لايحب الفرحين ﴾ الاشرين البطرين الذين لايشكرون الله على ماأعطاهم

وقوله ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴾ اطلب فيما أعطاك الله من الاموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضاء الله ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ قال مجاهد وابن زيد لاتترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا أن يعمل للآخرة . وقال السدي بالصدقة وصلة الرحم . وقال علي لاتنس صحتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن شاذان أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب الشامي أنا الحسن المروزي أنا عبد الله بن المبارك أنا جعفر بن برقان عن زياد بن الجراح عن عمرو بن ميمون الازدي قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك . وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك . وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » الحديث صحيح مرسل قال الحسن أمر أن يقدم الفضل ويمسك مايغنيه . قال منصور بن زاذان في قوله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) قال قوتك وقوت أهلك ﴿ وأحسن كما أحسن الله اليك ﴾ أي أحسن بطاعة الله كما أحسن الله اليك بنعمته ، وقيل أحسن إلى الناس كما أحسن الله اليك ﴿ ولا تبغ ﴾ لاتطلب ﴿ الفساد في الارض ﴾ وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض ﴿ إن الله لايحب المفسدين ﴾

قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا؟ ولا يُسئل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨)

يقول تعالى مخبراً عن جواب قارون لقومه حين نصحوه وأرشدوه الى الخير [قال انما أوتيته على علم عندي] أي أنا لا أفتقر إلى ماتقولون فان الله تعالى انما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ولمحبته لي فتقديره انما أعطيته لعلم الله فيّ أني أهل له وهذا كقوله تعالى [واذا مسّ الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم] أي على علم من الله بي ، وكقوله تعالى [ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي] أي هـذا أستحقه . وقد روي عن بعضهم أنه أراد [انما أوتيته على علم عندي] أي أنه كان يعاني علم الكيمياء وهـذا القول ضعيف لان علم الكيمياء في نفسه علم باطل لان قلب الاعيان لايقدر أحد عليها إلا الله عز وجل

قال الله تعالى [ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له] وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة » وهذا ورد في المصورين الذين يشبهون بخلق الله في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعي أنه يحيل ماهية هذه الذات إلى ماهية ذات أخرى هذا زور ومحال ، وجهل وضلال ، وانما يقدرون على الصبغ في الصورة الظاهرة وهي كذب وزغل وتمويه وترويج أنه صحيح في نفس الامر وليس كذلك قطعا لامحالة ولم يثبت بطريق شرعي أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي يتعاطاها هؤلاء الجهلة الفسقة الافاكون « فأما مايجريه الله سبحانه من خرق العوائد على يدي بعض الاولياء من قلب بعض الاعيان ذهبا أو فضة أو نحو ذلك فهذا أمر لاينكره مسلم ولا يرده مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وانما هذا عن مشيئة رب الارض والسموات واختياره وفعله كما روي عن حيوة بن شريح المصري رحمه الله أنه سأله سائل فلم يكن عنده مايعطيه ورأى ضرورته فأخذ حصاة من الارض فأجالها في كفه ثم ألقاها إلى ذلك السائل فاذا هي ذهب أحمر . والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول ذكرها . وقال بعضهم ان قارون كان يعرف الاسم الاعظم فدعا الله به فتمول بسببه . والصحيح المعنى الاول ولهذا قال الله تعالى راداً عليه

قال ﴾ يعني قارون ﴿ انما أوتيته على علم عندي ﴾ أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره ، فقيل هو علم الكيمياء . قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم ، وعلم كالب بن يوفنا ثلثه ، وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وكان ذلك سبب أمواله ، وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب

فيما ادعاه من اعتناء الله به فيما أعطاه من المال [أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا] أي قد كان من هو أكثر منه مالا وما كان ذلك من محبة مناله وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ولهذا قال (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) أي لكثرة ذنوبهم . قال قتادة [على علم عندي] على خير عندي ، وقال السدي على علم أني أهل لذلك . وقد أجاد في تفسير هذه الآية الامام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فانه قال في قوله [قال انما أوتيته على علم عندي] قال لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ماأعطاني هذا المال وقرأ [أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا] الآية وهكذا يقول من قل علمه اذا رأى من وسع الله عليه لولا أن يستحق ذلك لما أعطي

فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوٰة الدنيا يٰليت لنا مثل ماأوتي قٰرون انه لذو حظ عظيم (٧٩) وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صٰلحا ولا يلقىٰها الا الصٰبرون (٨٠)

يقول تعالى مخبرا عن قارون أنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي [قالوا ياليت لنا مثل ماأوتي قارون إنه لذو حظ عظيم] أي ذو حظ وافر من الدنيا ، فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم [ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل

قوله تعالى ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون ﴾ الكافرة ﴿ من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ﴾ للاموال ﴿ ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال وقال مجاهد يعني لاتسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم . قال الحسن لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ ﴿ فخرج على قومه في زينته ﴾ قال ابراهيم النخعي خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفر . قال ابن زيد في سبعين ألفا عليهم المعصفرات ، قال مجاهد على براذين بيض عليها سرج الارجوان ، قال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب ﴿ قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتي قارون انه لذو حظ عظيم ﴾ من المال ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الاحبار من بني اسرائيل ، وقال مقاتل أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا مثل ماأوتي قارون في الدنيا ﴿ ويلكم ثواب الله خير ﴾ يعني ماعند الله من الثواب والجزاء خير ﴿ لمن آمن ﴾ وصدق بتوحيد الله

صالحا] أي جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون . كما في الحديث الصحيح « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرءوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)» وقوله (ولا يلقاها إلا الصابرون) قال السدي ولا يلقى الجنة الا الصابرون كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم « قال ابن جرير ولا يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون في الدار الآخرة وكأنه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك وجعله من كلام الله عز وجل واخباره بذلك

فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (٨١) وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون (٨٢)

لما ذكر تعالى اختيال قارون في زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الارض كما ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال « بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الارض إلى يوم القيامة » ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه

وقال الامام أحمد حدثنا النضر بن اسماعيل أبو المغيرة القاص حدثنا الاعمش عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله الارض فأخذته فانه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة » تفرد به أحمد واسناده حسن

﴿ وعمل صالحا ﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿ ولا يلقاها الا الصابرون ﴾ قال مقاتل لا يؤتاها يعني الاعمال الصالحة ، وقال الكلبي لا يعطاها في الآخرة ، وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله (ويلكم ثواب الله خير إلا الصابرون) على طاعة الله وعن زينة الدنيا

قوله عز وجل ﴿ فخسفنا به وبداره الارض ﴾ قال أهل العلم بالاخبار كان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونني به اذا نظروا إلى السماء ويعلمون أني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحقر هذه الخيوط فقال له ربه ياموسى ان الصغير من أمري ليس بصغير فاذا هم لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى عليه السلام وقال ان الله يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطا خضرا كلون

وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا ابو خيثمة حدثنا يعلى بن منصور أخبرني محمد بن مسلم سمعت زياد النميري يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين فاختال فيهما فأمر الله الارض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر في كتاب العجائب الغريبة بسنده عن نوفل بن مساحق قال رأيت شابا في مسجد نجران فجعلت أنظر اليه وأتعجب من طوله وتمامه وجماله فقال مالك تنظر إلي « فقلت أعجب من جمالك وكمالك . فقال إن الله ليعجب مني قال فما زال ينقص وينقص حتى صار بطول الشبر فأخذه بعض قرابته في كمه وذهب به

وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله عليه السلام واختلف في سببه فعن ابن عباس والسدي أن قارون أعطى امرأة بغياً مالا على أن تبهت موسى بحضرة الملأ من بني إسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله تعالى فتقول ياموسى انك فعلت بي كذا وكذا فلما قالت ذلك في الملأ لموسى عليه السلام أرعد من الفرق وأقبل عليها بعد ماصلى ركعتين ثم قال : أنشدك بالله الذي فرق البحر وأنجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرتني بالذي حملك على ما قلت فقالت اما اذا

السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ماأمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه ، فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون وهي رياسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بهديهم الى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نارمن السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك من نفسه وأتى موسى فقال ياموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لاصبر لي على هذا » فقال له موسى ماأنا جعلتها في هارون بل الله جعلها له ، فقال قارون والله لاأصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى رءوس بني اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبته التي كان يعبد الله فيها فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون ترى هذا « فقال قارون والله ماهذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى وأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً ومعاداة لموسى حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه . قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار « وعن كل ألف درهم على درهم » وعن كل ألف شاة على شاة ، وعن كل ألف شيء على شيء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني اسرائيل فقال لهم يابني اسرائيل ان موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم ، فقالوا أنت كبيرنا فرنا

نشدتني فان قارون أعطاني كذا وكذا على أن اقول ذلك لك وأنا استغفر الله وأتوب اليه، فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجداً وسأل الله في قارون فاوحى الله اليه ان قد أمرت الارض أن تطيعك فيه فأمر موسى الارض أن تبتلعه وداره فكان ذلك . وقيل ان قارون لما خرج على قومه في زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه ثياب الارجوان المصبغة فمر في محفله ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بأيام الله فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوههم نحوه ينظرون الى ماهو فيه فدعاه موسى عليه السلام وقال : ما حملك على ماصنعت ؟ فقال ياموسى أما لئن كنت فضلت علي بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا ولئن شئت لتخرجن فلتدعون علي وادعو عليك، فخرج موسى وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام تدعو او أدعو أنا ؟ فدعا قارون فلم يجب له ثم قال موسى ادع ؟ قال نعم فقال موسى اللهم مر الارض أن تطيعني اليوم فأوحى الله اليه اني قد فعلت فقال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أقدامهم . ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم الى مناكبهم ثم قال اقبلي بكنوزهم وأموالهم قال فأقبلت بها حتى نظروا اليها ثم أشار موسى بيده ثم قال اذهبوا بني لاوى فاستوت بهم الارض ، وعن ابن عباس قال : خسف بهم إلى الارض السابعة

بما شئت، فقال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فتجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها ،فاذا فعلت ذلك خرج بنو اسرائيل عليه ورفضوه فدعاها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها اني أموّلك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فقال: يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت. فقال له قارون وإن كنت أنت ؟ قال وإن كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ وعظم عليها القسم وسألها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله تعالى بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذي رسول الله ﷺ فقالت لا، كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجداً يبكي ويقول : اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي . فأوحى الله تعالى اليه: إني أمرت الارض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يابني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال ياموسى أرض خذيهم فأخذت الارض باقدامهم وفي رواية كان على سريره وفرشه فاخذته حتى غيبت سريره ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه

وقال قتادة ذكر لنا انه يخسف بهم كل يوم قامة فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة ، وقد ذكر ههنا اسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحا

وقوله تعالى (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) أي ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ، ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو في نفسه منتصراً لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره

وقوله تعالى (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) أي الذين لما رأوه في زينته (قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم) فلما خسف به أصبحوا يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أي ليس المال بدال على رضى الله عن صاحبه فان الله يعطي ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود «ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم ، وان الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الايمان الا من يحب» (لولا ان من الله علينا لخسف بنا) اي لولا لطف الله بنا واحسانه الينا لخسف بنا كما خسف به لأنا وددنا أن نكون مثله (ويكأنه لا يفلح الكافرون) يعنون انه كان كافراً ولا يفلح الكافرون عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة

وقد اختلف النحاة في معنى قوله ههنا ويكأن فقال بعضهم معناه ويلك اعلم أن ولكن خففت فقيل ويك ودل فتح ان على حذف اعلم ، وهذا القول ضعفه ابن جرير ، والظاهر انه قوي ولا يشكل

في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى روي أنه ناشده سبعين مرة وموسى عليه السلام في كل ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه . ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الارض فأوحى الله الى موسى : ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته . وفي بعض الآثار لا أجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة قال وأصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله عز وجل (فخسفنا به وبداره الارض) ﴿فما كان له من فئة﴾ من جماعة ﴿ ينصرونه من دون الله ﴾ يمنعونه من الله ﴿ وما كان من المنتصرين المتنعين مما نزل به من الخسف ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس ﴾ صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني والعرب تعبر عن الصيرورة بأضحى وأمسى وأصبح تقول أصبح فلان عالما وأضحى معدوما وأمسى حزينا ﴿ يقولون ويكأن الله ﴾ اختلفوا في معنى هذه اللفظة قال مجاهد ألم تعلم وقال قتادة ألم تر قال الفراء هي كلمة تقرير كقول الرجل أما ترى الى صنع الله واحسانه وذكر انه أخبره من سمع اعرابية تقول لزوجها أين ابنك ؟ فقال ويكأنه وراء البيت يعني أما ترينه

على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة ويكأن، والكتابة أمر وضعي اصطلاحي والمرجع إلى اللفظ العربي والله أعلم، وقيل معناها وبكأن اي ألم تر أن قاله قتادة، وقيل معناها وي كأن ففصلها وجعل حرف وي للتعجب او للتنبيه وكأن بمعنى أظن وأحتسب. قال ابن جرير وأقوى الاقوال في هذا قول قتادة انها بمعنى ألم تر أن واستشهد بقول الشاعر

سالتاني الطلاق اذ رأتاني قل مالي قد جئتماني بنكر
ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (٨٣) من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون (٨٤)

يخبر تعالى ان الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين (لا يريدون علواً في الارض) اي ترفعاً على خلق الله وتعاظما عليهم وتجبراً بهم ولا فساداً فيهم كما قال عكرمة العلو التجبر. وقال سعيد بن جبير العلو البغي وقال سفيان الثوري عن منصور عن مسلم البطين العلو في الارض التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق. وقال ابن جريج (لا يريدون علواً في الارض) تعظما وتجبراً (ولا فساداً) عملا بالمعاصي

وراء البيت وعن الحسن أنه كلمة ابتداء تقديره إن الله يبسط الرزق وقيل هو تنبيه بمنزلة ألا وقال قطرب ويك ويلك بمعنى حذفت اللام منه كما قال عنترة

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

أي ويلك وان منصوب باضمار اعلم ان الله وقال الخليل وي مفصولة من كأن ومعناها التعجب كما يقول وي لم فعلت ذلك. وذلك ان القوم تندموا فقالوا وي متندمين على ما سلف منهم وكأن معناه أظن ذلك وأقدره كما تقول كأن الفرج قد أتاك أي أظن ذلك وأقدره ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴾ أي يوسع ويضيق ﴿ لولا أن من الله علينا لخسف بنا ﴾ قرأ حفص ويعقوب بفتح الخاء والسين وقرأ العامة بضم الخاء وكسر السين ﴿ ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴾

قوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ﴾ قال الكلبي ومقاتل استكباراً عن الايمان وقال عطاء علواً استطالة على الناس وتهاونا بهم. وقال الحسن لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطان. وعن علي رضي الله عنه أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة ﴿ ولا فسادا ﴾ قال الكلبي هو الدعاء الى عبادة غير الله وقال عكرمة أخذ أموال الناس بغير حق

وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبي عن أشعث السمان عن أبي سلام الاعرج عن علي قال: ان الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل في قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فان ذلك مذموم كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال «انه أوحي الي ان تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولايبغي أحد على أحد واما اذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لا بأس به فقد ثبت أن رجلا قال. يارسول الله اني أحب أن يكون ردائي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذلك؟ فقال «لا، ان الله جميل يحب الجمال»

وقال تعالى (من جاء بالحسنة) أي يوم القيامة (فله خير منها) أي ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله يضاعفه أضعافا كثيرة وهذا مقام الفضل. ثم قال (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) كما قال في الآية الاخرى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار، هل تجزون الا ما كنتم تعملون) وهذا مقام الفضل والعدل

إن الذى فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلل مبين (٨٥) وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتب إلا رحمةً من ربك فلا تكونَنَّ ظهيراً للكافرين (٨٦) ولا يصدنَّك عن آيت الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونَنَّ من المشركين (٨٧) ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهَه له الحكم وإليه ترجعون (٨٨)

يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس، ومخبراً له بانه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال تعالى (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي افترض عليك أداءه الى الناس (لرادك إلى معاد) أي الى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كما قال تعالى (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين) وقال تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) وقال (وجيء بالنبيين والشهداء)

قال ابن جريج ومقاتل العمل بالمعاصي ﴿والعاقبة للمتقين﴾ أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أمره واجتناب معاصيه قال قتادة الجنة للمتقين ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون﴾

قوله تعالى ﴿ان الذي فرض عليك القرآن﴾ أي أنزل عليك القرآن على قول أكثر المفسرين وقال عطاء أوجب عليك العمل بالقرآن ﴿لرادك الى معاد﴾ الى مكة وهي رواية العوفي عن ابن عباس

وقال السدي عن ابي صالح عن ابن عباس (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) يقول لرادك الى الجنة ثم سائلك عن القرآن . قال السدي وقال ابو سعيد مثلها ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (لرادك الى معاد) قال الى يوم القيامة ورواه مالك عن الزهري وقال الثوري عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لرادك الى معاد) الى الموت ولهذا طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي بعضها لرادك الى معدنك من الجنة وقال مجاهد يحييك يوم القيامة وكذا روي عن عكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وأبي قزعة وأبي مالك وأبي صالح وقال الحسن البصري أي والله ان له لمعاداً فيبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة. وقد روي عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخاري في التفسير من صحيحه حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس (لرادك الى معاد) قال الى مكة وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطنافسي به وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس (لرادك الى معاد) أي لرادك الى مكة كما أخرجك منها وقال محمد بن اسحاق عن مجاهد في قوله (لرادك الى معاد) الى مولدك بمكة . وقال ابن أبي حاتم وقد روى عن ابن عباس ويحيى بن الجزار وسعيد بن جبير وعطية والضحاك نحو ذلك. وحدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر قال قال سفيان فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فأنزل الله عليه (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) الى مكة وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وان كان مجموع السورة مكياً والله أعلم

وقد قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله تعالى (لرادك إلى معاد) قال هذه مما كان ابن عباس يكتمها . وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري أنه قال في قوله (لرادك إلى معاد) قال إلى بيت المقدس وهذا والله أعلم يرجع إلى قول من فسر ذلك بيوم القيامة لان بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر والله الموفق للصواب

ووجه الجمع بين هذه الاقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذي

رضي الله عنهما وهو قول مجاهد قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فأتاه جبريل وقال أتشتاق الى بلدك ومولدك ؟ قال نعم قال فان الله تعالى يقول (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما لرادك الى معاد الى الموت وقال الزهري وعكرمة الى القيامة وقيل الى الجنة ﴿ قل ربي أعلم من جاء بالهدى ﴾ أي يعلم من جاء بالهدى وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي ﷺ انك لفي

هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي ﷺ كما فسر ابن عباس سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة انه أجل رسول الله ﷺ نعي اليه ، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ووافقه عمر على ذلك وقال : لاأعلم منها غير الذي تعلم . ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله (لرادك إلى معاد) بالموت وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين الانس والجن ، ولانه أكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الاطلاق

وقوله تعالى (قل ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده ومن هو في ضلال مبين) أي قل لمن خالفك وكذبك يامحمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم قل ربي أعلم بالمهتدي منكم ومني وستعلمون لمن تكون له عاقبة الدار ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة. ثم قال تعالى مذكراً لنبيه نعمته العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله اليهم (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أي ما كنت تظن قبل إنزال الوحي اليك أن الوحي ينزل عليك (ولكن رحمة من ربك) أي انما أنزل الوحي عليك من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك فاذا منحك بهذه النعمة العظيمة (فلا تكونن ظهيراً) أي معينا (للكافرين) ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم (ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك) أي لاتتأثر لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك لاتلوي على ذلك ولاتباله فان الله معل كلمتك ومؤيد دينك ومظهر ما أرسلك به على سائر الاديان ولهذا قال (وادع إلى ربك) أي إلى عبادة ربك وحده لاشريك له (ولا تكونن من المشركين)

وقوله (ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا اله الا هو) أي لاتليق العبادة إلا له ولا تنبغي الالهية الا لعظمته . وقوله (كل شيء هالك الا وجهه) إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولايموت كما قال تعالى (كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) فعبر بالوجه عن الذات وهكذا قوله ههنا [كل شيء هالك الا وجهه] أي إلا اياه

وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أصدق

ضلال فقال الله عز وجل قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى أي يعلم من جاء بالهدى يعني نفسه ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ يعني المشركين والله أعلم بالفريقين

قوله تعالى ﴿وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب﴾ أي يوحى اليك القرآن ﴿الا رحمة من ربك﴾ قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أي معينا لهم على دينهم ، وقال مقاتل وذلك حين دعي إلى دين آبائه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ماهم عليه ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿بعد إذ أنزلت اليك وادع إلى ربك﴾ إلى معرفته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس رضي الله

كلمة قالها الشاعر لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * » وقال مجاهد والثوري في قوله [كل شيء هالك الا وجهه] أي الا ما أريد به وجهه ، وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له ، قال ابن جرير : ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

وهذا القول لاينافي القول الاول فان هذا إخبار عن كل الاعمال بأنها باطلة الا ماأريد به وجه الله تعالى من الاعمال الصالحة المطابقة للشريعة ، والقول الاول مقتضاه ان كل الذوات فانية وزائلة الا ذاته تعالى وتقدس فانه الاول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء . قال أبو بكر عبدالله ابن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بكر حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا عمرو بن سليم الباهلي حدثنا أبو الوليد قال : كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك؟ ثم يرجع الى نفسه فيقول [كل شيء هالك إلا وجهه] وقوله [له الحكم] أي الملك والتصرف ولا معقب لحكمه [واليه ترجعون] أي يوم معادكم فيجزيكم بأعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر

(آخر تفسير سورة القصص ولله الحمد والمنة)

عنهما الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أي لاتظاهروا الكفار ولا توافقوهم ﴿ ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله الا هو كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ أي الا هو ، وقيل إلا ملكه ، قال أبو العالية إلا ماأريد به وجهه ﴿ له الحكم ﴾ أي فصل القضاء ﴿ واليه ترجعون ﴾ تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم



تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكذبين (٣) أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون (٤)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة . وقوله تعالى [أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون] استفهام انكار ومعناه ان الله سبحانه وتعالى لابد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان كما جاء في الحديث الصحيح « أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل ، يبتلي الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد له في البلاء » وهذه الآية كقوله [أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين] ومثلها في سورة براءة وقال في البقرة [أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسهم

﴿ سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم ، أحسب الناس ﴾ أظن الناس ﴿ أن يتركوا ﴾ بغير اختبار ولا ابتلاء ﴿ أن يقولوا ﴾ أي بأن يقولوا ﴿ آمنا وهم لا يفتنون ﴾ لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم. كلا لنختبرنهم ليبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب. واختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، قال الشعبي نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب رسول الله ﷺ انه لا يقبل فيكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين . قال ابن عباس رضي الله عنهما وأراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش ابن ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم « وقال ابن جريج نزلت في عمار بن ياسر كان يعذب في الله عز وجل ، وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبدالله مولى عمر كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي ﷺ « سيد الشهداء مهجع بن عبد الله وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الامة » فجزع أبواه وامرأته فأنزل الله فيهم هذه الآية . وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهي

البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب] ولهذا قال ههنا (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أي الذين صدقوا في دعوى الايمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه ، والله سبحانه وتعالى يعلم ماكان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون . وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل قوله (الا لنعلم) الا لنرى وذلك لان الرؤية انما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية فانه يتعلق بالمعدوم والموجود

وقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء مايحكمون) أي لايحسبن الذين لم يدخلوا في الايمان انهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان ، فان من ورائهم من العقوبة والنكال ماهو أغلظ من هذا وأطم ولهذا قال (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أي يفوتونا (ساء مايحكمون) أي بئس ما يظنون

من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم (٥) ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين (٦) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (٧)

يقول تعالى [من كان يرجو لقاء الله] أي في الدار الاخرة وعمل الصالحات ورجاما عند الله من الثواب الجزيل فان الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملا موفرا فان ذلك كائن لا محالة لانه سميع الدعاء بصير بكل الكائنات ولهذا قال تعالى [من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو

وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعضهم فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾ يعني الانبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل ، وابتلى بني اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا ﴾ في قولهم آمنا ﴿ وليعلمن الكاذبين ﴾ والله أعلم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية وليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه ، وقال مقاتل فليرين الله وقيل ليميز الله كقوله [ليميز الله الخبيث من الطيب]

قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات ﴾ يعني الشرك ﴿ أن يسبقونا ﴾ يعجزونا ويفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم ﴿ ساء مايحكمون ﴾ أي بئس ماحكموا حين ظنوا ذلك ﴿ من كان يرجو لقاء الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف ، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه من كان يطمع في ثواب الله ﴿ فان أجل الله لآت ﴾ يعني

السميع العليم] وقوله تعالى [ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه] كقوله تعالى [من عمل صالحا فلنفسه] أي من عمل صالحا فانما يعود نفع عمله على نفسه فان الله تعالى غني عن أفعال العباد ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل منهم مازاد ذلك في ملكه شيئا ولهذا قال تعالى (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين) قال الحسن البصري : ان الرجل ليجاهد وما ضرب يوماً من الدهر بسيف . ثم أخبر تعالى أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم ومع بره واحسانه بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء وهو انه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح كما قال تعالى [ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما] وقال ههنا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون)

ووصينا الانسـٰن بوالديه حُسناوإن جـٰهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلاتطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (٨) والذين آمنوا وعملوا الصـٰلحـٰت لندخلنهم في الصـٰلحين (٩)

يقول تعالى آمرا عباده بالاحسان الى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده فان الوالدين هما سبب وجود الانسان، ولهما عليه غاية الاحسان، فالوالد بالانفاق والوالدة بالاشفاق، ولهذا قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ◼ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما

ماوعد الله من الثواب والعقاب ، وقال مقاتل يعني يوم القيامة لكائن ◼ ومعنى الآية أن من يخشى الله أو يأمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم كما قال [فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا] الآية ﴿ وهو السميع العليم ◼ ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ﴾ له ثوابه والجهاد هو الصبر على الشدة ويكون ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ﴿ إن الله لغني عن العالمين ﴾ عن أعمالهم وعباداتهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ﴾ لنبطلنها حتى تصير بمنزلة مالم يعمل فالتكفير اذهاب السيئة بالحسنة ﴿ ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ﴾ أى بأحسن أعمالهم وهو الطاعة ، وقيل نعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن كما قال [من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها]

قوله عز وجل ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ أي برأ بهما وعطفا عليهما معناه ووصينا الانسان أن يفعل بوالديه مايحسن . نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والاحزاب في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو سعد بن مالك أبو اسحاق الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية ابن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان باراً بأمه قالت له أمه ماهـذا الدين الذى

كما ربياني صغيرا) ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والاحسان اليهما في مقابلة احسانهما المتقدم . قال (وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما) أي وان حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما اذا كانا مشركين فاياك واياهما فلا تطعهما في ذلك فان مرجعكم الي يوم القيامة فأجزيك باحسانك اليهما وصبرك على دينك واحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك وان كنت أقرب الناس اليهما في الدنيا فان المرء انما يحشر يوم القيامة مع من أحب أي حبا دينيا ولهذا قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين)

وقال الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد قال نزلت في أربع آيات فذكر قصته وقال : قالت أم سعد أليس الله قد أمرك بالبر والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت او تكفر قال فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها فنزلت (ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما) الآية وهذا الحديث رواه الامام احمد ومسلم وابو داود والنسائي أيضاً وقال الترمذي حسن صحيح

ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العلمين (١٠) وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنفقين (١١)

أحدثت والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ماكنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر يقال ياقاتل أمه . ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت قد جهدت ، ثم مكثت يوما آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب ، فجاء سعد اليها وقال ياأماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت ديني فكلي وإن شئت فلا تأكلي ، فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره بالبر بوالديه والاحسان اليهما وأن لا يطعهما في الشرك فذلك قوله عز وجل ﴿ وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ جاء في الحديث « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » ثم أوعد بالمصير اليه فقال ﴿ إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ في زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء ، وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة

قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله ﴾ أصابه بلاء من الناس افتتن

يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الايمان بالسنتهم ولم يثبت الايمان في قلوبهم بأنهم اذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم فارتدوا عن الاسلام ، ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) قال ابن عباس يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله وكذا قال غيره من علماء السلف ، وهذه الآية كقوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه — الى قوله — ذلك هو الضلال البعيد) ثم قال عز وجل (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) أي ولئن جاء نصر قريب من ربك يا محمد وفتح ومغانم ليقولن هؤلاء لكم انا كنا معكم أي إخوانكم في الدين كما قال تعالى (الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ، وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين) وقال تعالى (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) وقال تعالى مخبراً عنهم ههنا (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم) ثم قال الله تعالى (أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) اي أوليس الله بأعلم بما في قلوبهم وما تكنه ضمائرهم وان أظهروا لكم الموافقة

وقوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) أي وليختبرن الله الناس بالضراء والسراء ليتميز هؤلاء من هؤلاء من يطيع الله في الضراء والسراء ، ومن إنما يطيعه في حظ نفسه كما قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وقال تعالى بعد وقعة أحد التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) الآية

﴿ جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ أى جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة أى جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه . هذا قول السدي وابن زيد قالا هو المنافق اذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر ﴿ ولئن جاء نصر من ربك ﴾ أي فتح ودولة للمؤمنين ﴿ ليقولن ﴾ يعني هؤلاء المنافقين للمؤمنين ﴿ انا كنا معكم ﴾ على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ماقلنا فكذبهم الله وقال ﴿ أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ؟ ﴾ من الايمان والنفاق ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا ﴾ صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلاء ﴿ وليعلمن المنافقين ﴾ بترك الاسلام عند نزول البلاء واختلفوا في نزول هذه الآية قال مجاهد نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا ، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم في بدر وهم الذين نزلت فيهم [إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم] وقال قتادة نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة . قال الشعبي هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ههنا مدنية وباقي السورة مكية

وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايٰكم وما هم بحاملين من خطايٰهم من شيء إنهم لكٰذبون (١٢) وليحملُنَّ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليُسئلُنَّ يوم القيمة عما كانوا يفترون (١٣)

يقول تعالى مخبراً عن كفار قريش انهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى ارجعوا عن دينكم الى ديننا واتبعوا سبيلنا (ولنحمل خطايا كم) أي وآثامكم إن كانت لكم آثام في ذلك علينا وفي رقابنا كما يقول القائل افعل هذا وخطيئتك في رقبتي قال الله تعالى تكذيبا لهم (وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) أي فيما قالوه انهم يحتملون عن أولئك خطاياهم فانه لايحمل أحد وزرأحد قال الله تعالى (وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) وقال تعالى (ولا يسئل حميم حميما يبصرونهم)

وقوله تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) إخبار عن الدعاة الى الكفر والضلالة أنهم يحملون يوم القيامة أوزار أنفسهم وأوزاراً أخر بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئا كما قال تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) الآية وفي الصحيح « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا الى ضلال كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه الى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئا »

وفي الصحيح « ماقتلت نفس ظلماً الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل » وقوله تعالى (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أي يكذبون ويختلقون من البهتان ، وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا فقال : حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان ابن حفص بن أبي العالية حدثني سليمان بن حبيب المحاربي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله

قوله ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ﴾ قال مجاهد هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم ، وقال الكلبي ومقاتل قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش اتبعوا سبيلنا ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ﴿ ولنحمل خطاياكم ﴾ أوزاركم قال الفراء لفظه أمر ومعناه خبر مجازه ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كقوله (فليلقه اليم بالساحل) وقيل هو جزم على الامر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك فأكذبهم الله عز وجل فقال ﴿ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون ﴾ أي فيما قالوا من حمل خطاياهم ﴿ وليحملن أثقالهم ﴾ أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم ﴿ وأثقالا مع أثقالهم ﴾ أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم نظيره قوله

ﷺ بلغ ماأرسل به ثم قال « إياكم والظلم فان الله يعزم يوم القيامة فيقول : وعزتي وجلالي لايجوزني اليوم ظلم ثم ينادي مناد فيقول أين فلان بن فلان » فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس اليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الرحمن عز وجل ثم يأمر المنادي فينادي من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان فهلم فيقبلون حتى يجتمعوا قياما بين يدي الرحمن فيقول الرحمن اقضوا عن عبدي فيقولون كيف نقضي عنه ؟ فيقول خذوا لهم من حسناته فلايزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة وقد بقي من أصحاب الظلامات . فيقول اقضوا عن عبدي فيقولون لم يبق « حسنة فيقول خذوا من سيئاتهم فاحملوها عليه ثم نزع النبي ﷺ بهذه الآية الكريمة (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) وهذ الحديث له شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه « ان الرجل ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا وأخذ من عرض هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فاذا لم تبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن أبي الحواري حدثنا ابو بشر الحذاء عن أبي حمزة الثمالي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ « يامعاذ ان المؤمن يسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه فلا ألفينك تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك »

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان

وهم ظالمون (١٤) فأنجينه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين (١٥)

هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ يخبره عن نوح عليه السلام انه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم الى الله تعالى ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً ومع هذا مازادهم ذلك الا فرارا عن الحق واعراضا عنه وتكذيبا له وما آمن معه منهم إلا قليل ولهذا قال تعالى [فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون] أي بعد هذه المدة الطويلة مانجع فيهم البلاغ والانذار فأنت يامحمد لاتأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فان الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وبيده الامر واليه ترجع الامور [ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية] الآية واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك ويذل عدوك ويكبتهم ويجعلهم أسفل السافلين

عز وجل (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) ﴿ وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ سؤال توبيخ وتقريع

قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان ﴾

قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن وائل عن ابن عباس قال: بعث نوح وهو لاربعين سنة ولبث قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا ه وقال قتادة يقال ان عمره كله الف سنة إلا خمسين عاما لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلثمائة سنة ودعاهم ثلثمائة سنة، ولبث بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين عاما وهذا قول غريب، وظاهر السياق من الآية انه مكث في قومه يدعوهم الى الله الف سنة إلا خمسين عاما

وقال عون بن أبي شداد ان الله تعالى أرسل نوحا الى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فدعاهم الف سنة إلا خمسين عاما ه ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وهذا أيضا غريب رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقول ابن عباس أقرب والله أعلم

وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مجاهد قال: قال لي ابن عمر كم لبث نوح في قومه؟ قال قلت الف سنة إلا خمسين عاما قال فان الناس لم يزالوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم الى يومك هذا ه وقوله تعالى (فأنجيناه وأصحاب السفينة) أي الذين آمنوا بنوح عليه السلام وقد تقدم ذكر ذلك مفصلا في سورة هود، وتقدم تفسيره بما أغنى عن اعادته

وقوله تعالى (وجعلناها آية للعالمين) أي وجعلنا تلك السفينة باقية اما عينها ؛ قال قتادة انها بقيت الى أول الاسلام على جبل الجودي أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق كيف أنجاهم من الطوفان كما قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون — الى قوله — ومتاعا الى حين) وقال تعالى (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) وقال هنا (فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) وهذا من باب التدريج من الشخص الى الجنس كقوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) أي وجعلنا نوعها رجوما فان التي يرمى بها ليست هي زينة للسماء، وقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) ولهذا نظائر كثيرة وقال ابن جرير لو قيل ان الضمير في قوله (وجعلناها) عائد الى العقوبة لكان وجها والله أعلم

وابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١٦)

فغرقوا ﴿وهم ظالمون﴾ قال ابن عباس مشركون ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ يعني من الغرق ﴿وجعلناها﴾ يعني السفينة ﴿آية﴾ أي عبرة ﴿للعالمين﴾ فانها كانت باقية على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة . وقال ابن عباس رضي الله عنهما بعث نوح لأربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما ه وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وكان عمره ألفا وخمسين سنة

قوله تعالى ﴿وابراهيم﴾ أي وأرسلنا ابراهيم ﴿إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ أطيعوه وخافوه

إنما تعبدون من دون الله أوثٰنا وتخلُقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه تُرجعون (١٧) وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلٰغ المبين (١٨)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله ابراهيم امام الحنفاء انه دعا قومه الى عبادة الله وحده لاشريك له والاخلاص له في التقوى وطلب الرزق منه وحده لاشريك له ، وتوحيده في الشكر فانه المشكور على النعم لا يسدي لها غيره فقال لقومه (اعبدوا الله واتقوه) أي اخلصوا له العبادة والخوف (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أي اذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة ، ثم أخبر تعالى ان الاصنام التي يعبدونها لاتضر ولا تنفع وانما اختلقتم أنتم لها أسماء فسميتموها آلهة وانما هي مخلوقة مثلكم هكذا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد والسدي ، وروى الوالبي عن ابن عباس وتصنعون افكا أي تنحتونها أصناما وبه قال مجاهد في رواية وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله وهي لا تملك لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق) وهذا أبلغ في الحصر كقوله (إياك نعبد وإياك نستعين - رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) ولهذا قال (فابتغوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) أي لاعند غيره فان غيره لايملك شيئا (واعبدوه واشكروا له) أي كلوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا له على ما أنعم به عليكم (اليه ترجعون) أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله

وقوله تعالى (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي فبلغكم ماحل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) يعني انما على الرسول أن يبلغكم ماأمره الله تعالى به من الرسالة والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فاحرصوا لأنفسكم ان تكونوا من السعداء، وقال قتادة في قوله (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) قال يعزي نبيه ﷺ وهذا من قتادة يقتضي انه قد انقطع الكلام الاول واعترض بهذا إلى قوله (فما كان جواب قومه) وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضا ، والظاهر من السياق ان كل هذا من كلام ابراهيم الخليل عليه السلام يحتج عليهم لاثبات المعاد لقوله بعد هذا كله (فما كان جواب قومه) والله أعلم

﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * انما تعبدون من دون الله أوثانا ﴾ أصناما ﴿ وتخلقون افكا ﴾ تقولون كذبا ، قال مقاتل تصنعون أصناما بأيديكم فتسمونها آلهة ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا ﴾ لايقدرون أن يرزقوكم ﴿ فابتغوا ﴾ فاطلبوا ﴿ عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون * وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم ﴾ مثل عاد وثمود وغيرهم فأهلكوا ﴿ وما

أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ؟ ان ذلك على الله يسير (١٩) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير (٢٠) يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون (٢١) وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (٢٢) والذين كفروا بآيت الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب اليم (٢٣)

يقول تعالى مخبراً عن الخليل عليه السلام انه أرشدهم الى اثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله اياهم بعد ان لم يكونوا شيئاً مذكورا ثم وجدوا وصاروا أناساً سامعين مبصرين فالذي بدأ هذا قادر على اعادته فانه سهل عليه يسير لديه . ثم أرشدهم الى الاعتبار بما في الآفاق من من الآيات المشاهدة من خلق الله الاشياء السموات، وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت والسيارات، والارضين وما فيهما من مهاد وجبال، وأودية وبراري وقفار، وأشجار وأنهار، وثمار وبحار، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها وعلى وجود صانعها الفاعل المختار ، الذي يقول للشيء كن فيكون ولهذا قال (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير) كقوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ثم قال تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي يوم القيامة (إن الله على كل شيء قدير) وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وكقوله تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ * أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون)

وقوله تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه . ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فله الخلق والامر مهما فعل فعدل لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن « ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم

على الرسول الا البلاغ المبين * أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ﴾ كيف يخلقهم ابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿ ثم يعيده ﴾ أي الخلق في الآخرة عند البعث ﴿ إن ذلك على الله يسير * قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ فانظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم ﴿ ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ﴾ أي ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت فكما لم يتعذر عليه احداثها مبتدئا لا يتعذر عليه انشاؤها معيداً . قرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاة بفتح الشين ممدودة حيث وقعت ، وقرأ الآخرون بسكون الشين مقصورة نظيرها الرأفة والرافة ﴿ إن الله على كل شيء قدير * يعذب من يشاء

وهو غير ظالم لهم » ولهذا قال تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون) أي ترجعون يوم القيامة وقوله تعالى (وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) أي لا يعجزه أحد من أهل سمواته وأرضه بل هو القاهر فوق عباده فكل شيء خائف منه فقير اليه وهو الغني عما سواه (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير * والذين كفروا بآيات الله ولقائه) أي جحدوها وكفروا بالمعاد [أولئك يئسوا من رحمتي] أي لا نصيب لهم فيها [وأولئك لهم عذاب اليم] أي موجع في الدنيا والآخرة

فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيـٰت لقوم يؤمنون (٢٤) وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثـٰنا مودة بينكم في الحيـٰوة الدنيا ثم يومَ القيـٰمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأوٰكم النار وما لكم من نـٰصرين (٢٥)

يقول تعالى مخبراً عن قوم ابراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل انهم ما كان لهم جواب بعد مقالة ابراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان [إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه] وذلك لأنهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم [فقالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين] وذلك انهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة وحوطوا حولها ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها لهب الى عنان السماء ، ولم توقد نار قط أعظم منها ثم عمدوا الى ابراهيم فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق ثم قذفوه فيها فجعلها الله عليه برداً

ويرحم من يشاء واليه تقلبون ﴾ تردون ﴿ وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء ﴾ فان قيل ما وجه قوله ولا في السماء والخطاب مع الآدميين وهم ليسوا في السماء ؟ قال الفراء معناه ولا من في السماء بمعجز كقول حسان بن ثابت :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

اراد من يمدحه ومن ينصره فأضمر من ، يريد لا يعجزه أهل الارض في الارض ولا أهل السماء في السماء ، وقال قطرب معناه وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء لو كنتم فيها كقول القائل مايفوتني فلان ههنا ولا بالبصرة أي ولا بالبصرة لو كان بها ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ أي من ولي يمنعكم مني ولا نصير ينصركم من عذابي

قوله ﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه ﴾ بالقرآن وبالبعث ﴿ أولئك يئسوا من رحمتي ﴾ جنتي ﴿ وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم وهي معترضة في قصة ابراهيم ثم عاد الى قصة ابراهيم فقال جل ذكره ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من

وسلاما ، وخرج منها سالما بعد ما مكث فيها أياما ، ولهذا وأمثاله جعله الله للناس اماما ، فانه بذل نفسه للرحمن ، وجسده للنيران ، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيفان ، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الاديان . وقوله تعالى (فأنجاه الله من النار) أي سلمه منها بأن جعلها عليه برداً وسلاما (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) يقول لقومه مقرعا لهم وموبخا على سوء صنيعهم في عبادتهم للاوثان انما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقة وألفة منكم بعضكم لبعض في الحياة الدنيا وهذا على قراءة من نصب مودة بينكم على أنه مفعول له ، وأما على قراءة الرفع فمعناه انما اتخاذكم هذا لتحصل لكم المودة في الدنيا فقط ثم يوم القيامة ينعكس هذا الحال فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضا وشنآنا (ثم يكفر بعضكم ببعض) أي تتجاحدون ما كان بينكم (ويلعن بعضكم بعضا) أي يلعن الاتباع المتبوعين والمتبوعون الاتباع (كلما دخلت أمة لعنت أختها) وقال تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وقال ههنا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار) الآية أي ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة الى النار ومالكم من ناصر ينصركم ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله وهذا حال الكافرين ، وأما المؤمنون فبخلاف ذلك

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا ابو عاصم الثقفي ثنا الربيع بن اسماعيل ابن عمرو بن سعيد بن جعدة بن هبيرة المخزومي عن أبيه عن جده عن أم هانيء أخت علي بن أبي طالب قالت قال لي النبي ﷺ « أخبرك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد فمن يدري أين الطرفين ؟ - قالت الله ورسوله أعلم - ثم ينادي مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد فيشرئبون - قال ابو عاصم يرفعون رءوسهم - ثم ينادي يا أهل التوحيد ، ثم ينادي الثالثة يا أهل

النار ﴾ وجعلها عليه برداً وسلاما ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يصدقون ﴿ وقال ﴾ يعني ابراهيم لقومه ﴿ انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم ﴾ قرأ ابن كثير والكسائي وأبو عمرو ويعقوب مودة رفعا بلا تنوين بينكم خفضا بالاضافة على معنى ان الذين اتخذتم من دون الله أوثانا هي مودة بينكم ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ ثم هي تنقطع ولا تنفع في الآخرة ، وقرأ حمزة وحفص مودة نصبا بغير تنوين على الاضافة بوقوع الاتخاذ عليها ، وقرأ الآخرون مودة منصوبة منونة بينكم بالنصب معناه انكم انما اتخذتم هذه الاوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ﴾ تتبرأ الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من أتباعها وتلعن الاتباع القادة ﴿ ومأواكم ﴾ جميعا العابدون والمعبودون ﴿ النار وما لكم من

التوحيد ان الله قد عفا عنكم - قال - فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلمات الدنيا - يعني المظالم - ثم ينادي يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب »

فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم (٢٦) ووهبنا له إسحٰق

ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتٰب، وآتينه أجره في الدنيا وانه في الآخرة

لمن الصٰلحين (٢٧)

يقول تعالى مخبراً عن ابراهيم انه آمن له لوط يقال انه ابن أخي ابراهيم، يقولون هو لوط بن هاران ابن آزر، يعني ولم يؤمن به من قومه سواه وسارة امرأة ابراهيم الخليل. لكن يقال كيف الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الوارد في الصحيح ان ابراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل ابراهيم عن سارة ما هي منه فقال أختي، ثم جاء اليها فقال لها اني قد قلت له إنك أختي فلا تكذبيني فانه ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك فأنت أختي في الدين، وكأن المراد من هذا والله أعلم انه ليس على وجه الارض زوجان على الاسلام غيري وغيرك فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه إلى بلاد الشام ثم أرسل في حياة الخليل إلى أهل سدوم وإقليمها وكان من أمرهم ما تقدم وما سيأتي

وقوله تعالى (وقال إني مهاجر الى ربي) يحتمل عود الضمير في قوله (قال) على لوط لأنه هو أقرب المذكورين ويحتمل عوده إلى ابراهيم. قاله ابن عباس والضحاك وهو المكني عنه بقوله (فآمن له لوط) أي من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ابتغاء اظهار الدين والتمكن من ذلك ولهذا قال (انه هو العزيز الحكيم) أي له العزة ولرسوله وللمؤمنين به الحكيم في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية. وقال قتادة هاجرا جميعا من كوثى وهي من سواد الكوفة الى الشام. قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « انها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الارض إلى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها حتى تلفظهم أرضهم وتقذرهم روح الله عز وجل وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم اذا باتوا، وتقيل معهم اذا قالوا وتأكل ما سقط منهم »

وقد أسند الامام أحمد هذا الحديث فرواه مطولا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال: لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي فجئته إذ جاء رجل فانتبذ الناس وعليه خميصة فاذا هو

ناصرين * فآمن له لوط ﴾ يعني صدقه وهو أول من صدق ابراهيم وكان ابن أخيه ﴿ وقال ﴾ يعني ابراهيم ﴿ إني مهاجر إلى ربي ﴾ فهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة إلى حران ثم الى الشام ومعه

عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول « انها ستكون هجرة بعد هجرة فينحاز الناس إلى مهاجر ابراهيم لايبقى في الارض إلا شرار أهلها فتلفظهم أرضهم تقذرهم نفس الرحمن » تحشرهم النار مع القردة والخنازير فتبيت معهم اذا باتوا ، وتقيل معهم اذا قالوا ، وتأكل من تخلف منهم » قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول « سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع-حتي عدها زيادة على عشرين-مرة كلما خرج قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم » ورواه الامام أحمد عن أبي داود وعبد الصمد كلاهما عن هشام الدستوائى عن قتادة به

وقد رواه أبو داود في سننه فقال في كتاب الجهاد (باب ماجاء في سكنى الشام) حدثنا عبيد الله ابن عمر حدثنا معاذ بن هشام حدثني عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت النبي ﷺ يقول « ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها يلفظهم أهلوهم ، وتقذرهم نفس الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير »

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا أبو حباب يحيي بن أبي حبة عن شهر بن حوشب قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق به من أخيه المسلم ، ثم لقد رأيتنا بآخرة الآن والدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « لئن أنتم اتبعتم أذناب البقر وتبايعتم بالعينة وتركتم الجهاد في سبيل الله ليلزمنكم الله مذلة في أعناقكم لاتنزع منكم حتى ترجعوا إلى ماكنتم عليه وتتوبوا إلى الله تعالى » وسمعت رسول الله ﷺ يقول « لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبيكم ابراهيم حتى لايبقى في الارض إلا شرار أهلها وتلفظهم أرضوهم وتقذرهم روح الرحمن وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يبيتون وما سقط منهم فلها » ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتي يسيئون الاعمال يقرءون القرآن لايجاوز حناجرهم — قال يزيد لاأعلمه الا قال — يحقر أحدكم علمه مع علمهم يقتلون أهل الاسلام فاذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم اذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه » كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فردد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا أبو الحسن بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب ابن سفيان حدثنا أبو النضر اسحاق بن ابراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الدمشقيان قالا حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا الاوزاعي عن نافع ، وقال أبو النضر عمن حدثه عن نافع عن عبد الله بن عمر أن

لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر . قال مقاتل هاجر ابراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة ﴿ انه هو العزيز الحكيم » ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ يقال

رسول الله ﷺ قال « سيهاجر أهل الارض هجرة بعد هجرة إلى مهاجر ابراهيم حتى لايبقى إلا شرار أهلها تلفظهم الارضون وتقذرهم روح الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيـل معهم حيث قالوا لها ماسقط منهم » غريب من حديث نافع والظاهر أن الاوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء والله أعلم . وروايته من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أقرب الى الحفظ

وقوله تعالى (ووهبنا له اسحاق ويعقوب) كقوله (فلما اعتزلهم وما يعبـدون من دون الله ، وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) أي انه لما فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد له ولد صالح نبي في حياة جده وكذلك قال تعالى (ووهبنا له اسحاق ويعقوب) نافلة أي زيادة كما قال تعالى (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) أي يولد لهذا الولد ولد في حياتكما تقر به أعينكما وكون يعقوب ولد لاسحاق نص عليه القرآن وثبتت به السنة النبوية قال الله تعالى (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحداً) الآية وفي الصحيحين « ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام » فأما مارواه العوفي عن ابن عباس في قوله (ووهبنا له اسحاق ويعقوب) قال هما ولدا ابراهيم فمعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد فان هذا الامر لا يكاد يخفى على من هو دون ابن عباس .

وقوله تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) هذه خلعة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلا وجعله للناس إماما أن جعل في ذريته النبوة والكتاب فلم يوجد نبي بعد ابراهيم عليه السلام الا وهو من سلالته فجميع أنبياء بني اسرائيل من سلالة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم حتى كان آخرهم عيسى بن مريم فقام في ملئهم مبشراً بالنبي العربي القرشي الهاشمي خاتم الرسل على الاطلاق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العرباء من سلالة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ولم يوجد نبي من سلالة اسماعيل سواه عليه أفضل الصلاة والسلام

وقوله (وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهني والمنزل الرحب ، والمورد العذب ، والزوجة الحسنة الصالحة ، والثناء الجميل ، والذكر الحسن وكل أحد يحبه ويتولاه كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه كما قال تعالى (وابراهيم الذي وفى) أي قام بجميع ما أمر وكمل طاعة ربه ولهذا قال تعالى (وآتيناه أجره في الدنيـا وانه في الآخرة لمن

ان الله لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله ﴿ وآتيناه أجره في الدنيا ﴾ وهو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه ، وقال السدي هو الولد الصالح ، وقيل هو أنه أري مكانه في الجنة ﴿ وانه في الآخرة

الصالحين) وكما قال تعالى (إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين — إلى قوله — وانه في الآخرة لمن الصالحين)

ولوطاً اذ قال لقومه انكم لتأتون الفـٰحشة ماسبقكم بها من أحد من العـٰلمين (٢٨) أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصـّدقين (٢٩) قال رب انصرني على القوم المفسدين (٣٠)

يقول تعالى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الاعمال في اتيانهم الذكران من العالمين ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم وكانوا مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسوله ويخالفون ويقطعون السبيل أي يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم (وتأتون في ناديكم المنكر) أي يفعلون مالا يليق من الاقوال والافعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها لاينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك فمن قائل كانوا يأتون بعضهم بعضا في الملأ قاله مجاهد ، ومن قائل كانوا يتضارطون ويتضاحكون قالته عائشة رضي الله عنها والقاسم ، ومن قائل كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك وكل ذلك كان يصدر عنهم وكانوا شراً من ذلك

لمن الصالحين ﴾ أي في زمرة الصالحين ، قال ابن عباس مثل آدم ونوح

قوله تعـالى ﴿ ولوطا إذ قال لقومه انكم ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر أئنكم بالاستفهام ، وقرأ الباقون بلا استفهام واتفقوا على استفهام الثانيـة ﴿ لتأتون الفاحشة ﴾ وهي اتيان الرجال ﴿ ماسبقكم بها من أحد من العالمين * أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل ﴾ وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم ، وقيل تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ النادي والندي والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو العباس بن سهل بن محمد المروزي أنا جدي لأمي أبو الحسن المحمودي أنا محمد بن اسحاق بن خزيمة أن بشر بن معاذ حدثهم أنا يزيد بن زريع أنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب عن أم هانئ قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله (وتأتون في ناديكم المنكر) قلت ما المنكر الذي كانوا يأتونه ؟ قال ، كانوا يخذفون أهل الطرق ويسخرون بهم ، وروي أنهـم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل خذفوه فأيهم أصابه كان أولى به ، وقيل انه كان يأخذ مامعه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك . وقال القاسم بن محمد كانوا يتضارطون في مجالسهم ، وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا في مجالسهم . وعن عبد الله بن سلام

وقال الامام أحمد حدثنا حماد بن أسامة أخبرني حاتم بن أبي صغيرة حدثنا سماك بن حرب عن أبي صالح مولى أم هاني، عن أم هاني، قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (وتأتون في ناديكم المنكر) قال «يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه» ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة عن أبي يونس القشيري عن حاتم بن أبي صغيرة به . ثم قال الترمذي هذا حديث حسن لا نعرفه الا من حديث حاتم ابن أبي صغيرة عن سماك .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير عن عمرو بن قيس عن الحكم عن مجاهد (وتأتون في ناديكم المنكر) قال الصفير ولعب الحمام والجلاهق والسؤال في المجلس وحل أزرار القباء . وقوله تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال (رب انصرني على القوم المفسدين)

ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظلمين (٣١) قال ان فيها لوطاء قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغبرين (٣٢) ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعاء وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغبرين (٣٣) انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٣٤) ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون (٣٥)

لما استنصر لوط عليه السلام بالله عز وجل عليهم بعث الله لنصرته ملائكة فمروا على ابراهيم عليه السلام في

قال : كان يبزق بعضهم على بعض ، وعن مكحول قال : كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء ، وحل الازار والصفير والخذف واللوطية ﴿ فما كان جواب قومه ﴾ لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح ﴿ الا أن قالوا ﴾ له استهزاء ﴿ ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ ان العذاب نازل بنا فعند ذلك ﴿ قال ﴾ لوط ﴿ رب انصرني على القوم المفسدين ﴾ بتحقيق قولي في العذاب

قوله ﴿ ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ﴾ من الله باسحاق ويعقوب ﴿ قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية ﴾ يعني قوم لوط والقرية سدوم ﴿ ان أهلها كانوا ظالمين قال ﴾ ابراهيم الرسل

هيئة أضياف فجاءهم بما ينبغي للضيف فلما رأى ابراهيم أنه لاهمة لهم الى الطعام نكرهم وأوجس منهم خيفة فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة فتعجبت من ذلك كما تقدم بيانه في سورة هود والحجر فلما جاءت ابراهيم بالبشرى وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط أخذ يدافع لعلهم ينظرون لعل الله أن يهديهم ۞ ولما قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية (قال ان فيها لوطا ۞ قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) أي من الهالكين لانها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شبان حسان فلما رآهم كذلك (سيء بهم وضاق بهم ذرعا) أي اغتم بأمرهم إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه وإن لم يضفهم خشي عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة (قالوا لاتخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين ۞ انا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) وذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الارض ثم رفعها الى عنان السماء ثم قلبها عليهم ۞ وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ۞ وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة وجعلهم عبرة الى يوم التناد ، وهم من أشد الناس عذابا يوم المعاد ، ولهذا قال تعالى (ولقد تركنا منها آية بينة) أى واضحة (لقوم يعقلون) كما قال تعالى (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون)

والى مَدْيَنَ أخاهم شعيبا ، فقال يقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوْا في الأرض مفسدين (٣٦) فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جثمين (٣٧)

﴿ ان فيها لوطا قالوا ﴾ قالت الملائكة ﴿ نحن أعلم بمن فيها لننجينه ﴾ قرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد ﴿ وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ﴾ أي الباقين في العذاب ﴿ ولما أن جاءت رسلنا لوطا ﴾ ظن أنهم من الانس ﴿ سيء بهم ﴾ حزن بهم ﴿ وضاق بهم ﴾ بمجيئهم ﴿ ذرعا وقالوا لا تخف ﴾ من قومك علينا ﴿ ولا تحزن ﴾ باهلاكنا إياهم ﴿ إنا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب منجوك بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد ﴿ إنا منزلون ﴾ قرأ ابن عامر بالتشديد وقرأ الآخرون بالتخفيف ﴿ على أهل هذه القرية رجزا ﴾ عذابا ﴿ من السماء ﴾ قال مقاتل الخسف والحصب ﴿ بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها ﴾ من قريات لوط ﴿ آية بينة ﴾ عبرة ظاهرة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البينة هي آثار منازلهم الخربة وقال قتادة هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الامة وقال مجاهد هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض ﴿ والى مدين أخاهم شعيبا ﴾ أى وأرسلنا الى مدين أخاهم شعيبا ﴿ فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام أنه أنذر قومه أهل مدين فأمرهم بعبادة الله وحده لاشريك له وأن يخافوا بأس الله ونقمته وسطوته يوم القيامة فقال(ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) قال ابن جرير قال بعضهم معناه واخشوا اليوم الآخر وهذا كقوله تعالى(لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وقوله (ولا تعثوا في الارض مفسدين) نهاهم عن العيث في الارض بالفساد وهو السعي فيها والبغي على أهلها وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ويقطعون الطريق على الناس هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم ، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها ، وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الارواح من مستقرها انه كان عذاب يوم عظيم ، وقد تقدمت قصتهم مبسوطة في سورة لاعراف وهود والشعراء . وقوله (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال قتادة ميتين ، وقال غيره قد ألقي بعضهم على بعض

وعادا وثمود وقد تبين لكم من مسكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨) وقرون وفرعون وهمن ولقد جاءهم موسى بالبينت فاستكبروا في الأرض وما كانوا سبقين (٣٩) فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٤٠)

يخبر تعالى عن هؤلاء الامم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم وأخذهم بالانتقام منهم فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الاحقاف وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن ، وثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريبا من وادي القرى. وكانت العرب تعرف مساكنهما جيداً وتمر عليها كثيراً ، وقارون صاحب الاموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة ، وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره

أي واخشوا اليوم الآخر ﴿ ولا تعثوا في الارض مفسدين * فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين * وعاداً وثمود ﴾ أي وأهلكنا عادا وثمود ﴿ وقد تبين لكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ من مساكنهم ﴾ منازلهم بالحجر واليمن ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ﴾ عن سبيل الحق ﴿ وكانوا مستبصرين ﴾ قال مقاتل والكلبي وقتادة كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على الباطل ، والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين قال الفراء كانوا عقلاء ذوي بصائر ﴿ وقارون وفرعون وهامان ﴾ أي وأهلكنا هؤلاء ﴿ ولقد جاءهم موسى بالبينات ﴾ بالدلالات ﴿ فاستكبروا في

هامان القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله ﷺ (فكلا أخذنا بذنبه) أي كانت عقوبته بما يناسبه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم عاد وذلك أنهم قالوا من أشد منا قوة فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد عاتية شديدة الهبوب جداً تحمل عليهم حصباء الارض فتلقيها عليهم وتقتلعهم من الارض فترفع الرجل منهم من الارض إلى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنا بلا رأس كأنهم أعجاز نخل منقعر (ومنهم من أخذته الصيحة) وهم ثمود قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ماسألوا سواء بسواء ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم وتهددوا نبي الله صالحا ومن آمن معه وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم فجاءتهم صيحة أخمدت الاصوات منهم والحركات (ومنهم من خسفنا به الارض) وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا وعصى الرب الاعلى ومشى في الارض مرحا وفرح ومرح وتاه بنفسه واعتقد أنه أفضل من غيره واختال في مشيته فخسف الله به وبداره الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة (ومنهم من أغرقنا) وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صبيحة واحدة فلم ينج منهم مخبر (وما كان الله ليظلمهم) أي فيما فعل بهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي انما فعل ذلك بهم جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية وهو من باب اللف والنشر وهو أنه ذكر الامم المكذبة ثم قال فكلا أخذنا بذنبه أي من هؤلاء المذكورين وانما نبهت على هذا لانه قد روى ابن جريج قال : قال ابن عباس في قوله (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) قال قوم لوط (ومنهم من أغرقنا) قال قوم نوح وهذا منقطع عن ابن عباس فان ابن جريج لم يدركه ثم قد ذكر الله في هذه السورة اهلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم لوط بانزال الرجز من السماء وأطال السياق والفصل بين ذلك وبين هذا السياق ، وقال قتادة (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) قال قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) قوم شعيب وهذا بعيد أيضا لما تقدم والله أعلم

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (٤٣)

الارض وما كانوا سابقين ﴾ اي فائتين من عذابنا ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ وهم قوم لوط والحاصب الريح التي تحمل الحصا وهي الحصا الصغار ﴿ ومنهم من أخذته الصيحة ﴾ يعني ثمود ﴿ ومنهم من خسفنا به الارض ﴾ يعني قارون واصحابه ﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه ﴿ وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ مثل الذين اتخذوا من دون

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم الا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فانه لايجدي عنه شيئا فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فانه متمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها لقوتها وثباتها ، ثم قال تعالى متوعداً لمن عبد غيره وأشرك به إنه تعالى يعلم ماهم عليه من الاعمال ويعلم مايشركون به من الانداد وسيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم ، ثم قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه

قال الامام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : عقلت عن رسول الله ﷺ ألف مثل . وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه حيث يقول الله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا ابن سنان عن عمرو بن مرة قال : مامررت بآية من كتاب الله لاأعرفها الا أحزنني لأني سمعت الله تعالى يقول (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

خلق الله السمٰوات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) اتل ماأوحي

الله أولياء ﴾ أي الاصنام يرجون نصرها ونفعها ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ لنفسها تأوي اليه وان بيتها في غاية الضعف والوهن لايدفع عنها حراً ولا برداً فكذلك الاوثان لاتملك لعابديها نفعا ولا ضرا ﴿وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم يدعون بالياء لذكر الامم قبلها وقرأ الآخرون بالتاء ﴿ وتلك الامثال ﴾ الاشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالاول . يريد أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الامة بأحوال كفار الامم المتقدمة ﴿ نضربها ﴾ نبينها ﴿ للناس ﴾ قال عطاء ومقاتل لكفار مكة ﴿ وما يعقلها الا العالمون ﴾ أي ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو أسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن بردة أنا الحارث ابن أبي أسامة أنا داود بن المحبر انا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء وأبي الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه

قوله عز وجل ﴿ خلق الله السموات والارض بالحق ﴾ أي للحق واظهار الحق ﴿ ان في ذلك ﴾

اليك من الكتٰب وأقم الصلوٰة ان الصلوٰة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة انه خلق السموات والارض بالحق يعني لا على وجه العبث واللعب (لتجزى كل نفس بما تسعى- ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) وقوله تعالى (ان في ذلك لآية للمؤمنين) أي لدلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والالهية . ثم قال تعالى آمراً رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءته وابلاغه للناس (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) يعني ان الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات اي مواظبتها تحمل على ترك ذلك » وقد جاء في الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعا « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعداً »

﴿ ذكر الآثار الواردة في ذلك ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون المخرمي الفلاس حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد حدثنا عمر بن أبي عثمان حدثنا الحسن عن عمران بن حصين قال سئل النبي ﷺ عن قول الله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) قال « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » وحدثنا

في خلقها ﴿لآية﴾ لدلالة ﴿للمؤمنين﴾ على قدرته وتوحيده ﴿اتل ما أوحي اليك من الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿وأقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ الفحشاء ما قبح من الاعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعداً. وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه. وروي عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله ﷺ حاله فقال « ان صلاته تنهاه يوماً » فلم نلبث ان تاب وحسن حاله فقال رسول الله ﷺ « ألم أقل لكم ان صلاته تنهاه يوما؟ » وقال ابن عون معنى الآية أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر مادام فيها وقيل اراد بالصلاة القرآن كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك وقيل اراد انه يقرأ القرآن في الصلاة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر. اخبرنا عبدالواحد المليحي انا عبد الرحمن بن ابي شريح انا ابو القاسم البغوي انا علي بن الجعد انا قيس بن الربيع عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر قال قال رجل للنبي ﷺ ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح سرق قال « ستنهاه قراءته » وفي رواية قيل يا رسول الله ان فلانا يقرأ بالنهار ويسرق بالليل فقال « ان صلاته لتردعه »

علي بن الحسين حدثنا يحيى بن أبي طلحة اليربوعي حدثنا أبو معاوية عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعداً» رواه الطبراني من حديث أبي معاوية

وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا خالد بن عبدالله عن العلاء بن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس في قوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) قال فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعداً . فهذا موقوف . قال ابن جرير وحدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن جويبر عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبي ﷺ انه قال « لا صلاة لمن لم يطع الصلاة » وطاعة الصلاة أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر . قال قال سفيان (قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك) قال فقال سفيان إي والله تأمره وتنهاه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك عن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ وقال أبو خالد مرة عن عبد الله «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر » والموقوف أصح كما رواه الاعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قيل لعبد الله ان فلاناً يطيل الصلاة قال ان الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها

وقال ابن جرير حدثنا علي حدثنا اسماعيل بن مسلم عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ « من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً » والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والاعمش وغيرهم والله أعلم

وقال الحافظ أبوبكر البزار حدثنا يوسف بن موسى أنبأنا جرير — يعني ابن عبد الحميد — عن الاعمش عن أبي صالح قال أراه عن جابر شك الاعمش قال قال رجل للنبي ﷺ ان فلانا يصلي

قوله عز وجل (ولذكر الله أكبر) أى ذكر الله أفضل الطاعات . أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيرى أنا أبو الحسن علي بن محمد بن بشران ببغداد أنا أبو علي الحسين بن صفوان البردعي أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا أنا هارون بن معروف أنا أبو علي الضرير أنا أنس ابن عياض ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس عن أبي بحرية عن أبي الدرداء رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ « لا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى قال ـ ذكر الله »

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أبو منصور محمد بن سمعان انا ابو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني انا حميد بن زنجويه انا أبو الاسود انا ابن لهيعة عن دراج عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ سئل أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال

بالليل فاذا أصبح سرق . قال « سينهاه ماتقول » وحدثنا محمد بن موسى الجرشي أخبرنا زياد بن عبدالله عن الاعمش عن أبي صالح عن جابر عن النبي ﷺ بنحوه ولم يشك ثم قال : وهذا الحديث قد رواه عن الاعمش غير واحد واختلفوا في اسناده فرواه غير واحد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو غيره وقال قيس عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال ابن جرير وزياد عن عبد الله عن الاعمش عن أبي صالح عن جابر

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع أخبرنا الاعمش قال أرى أبا صالح عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق فقال « انه سينهاه ماتقول »

وتشتمل الصلاة أيضاً على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الاكبر ولهذا قال تعالى (ولذكر الله أكبر) أي أعظم من الاول (والله يعلم ماتصنعون) أي يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم . وقال أبو العالية في قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال ان الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة الاخلاص والخشية وذكر الله ، فالاخلاص يأمر بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر وذكر الله القرآن يأمره وينهاه ، وقال ابن عون الانصاري اذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر

وقال حماد بن أبي سليمان (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) يعني مادمت فيها ، وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) يقول ولذكر الله لعباده أكبر اذا ذكروه من ذكرهم إياه وكذا روى غير واحد عن ابن عباس . قال مجاهد وغيره

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن داود بن أبي هند عن رجل عن ابن عباس (ولذكر الله أكبر) قال ذكر الله عند طعامك وعند منامك ، قلت فان صاحبا لي في

« الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » قيل يا رسول الله والغازي في سبيل الله ؟ قال « لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما فان الذاكر لله افضل منه درجة » وروينا ان اعرابياً قال يا رسول الله اي الاعمال افضل ؟ قال « ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله »

اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجاني انا عبد الغافر بن محمد الفارسي انا محمد بن عيسى الجلودى انا ابراهيم بن محمد بن سفيان نا مسلم بن الحجاج القشيري انا امية بن بسطام العبسي انا يزيد بن زريع انا روح بن القاسم عن العلاء عن ابيه عن ابي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال « سيروا هذا جمدان سبق المفردون » قالوا وما المفردون يا رسول الله ؟ قال « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات »

اخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي انا ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى بن الصلت انا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي انا خلاد بن أسلم ثنا النضر انا شعبة عن

المنزل يقول غير الذي تقول ، قال وأي شيء يقول ؟ قلت قال يقول الله تعالى (فاذكروني أذكركم) فلذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا اياه » قال صدق. قال وحدثنا أبي حدثنا النفيلي حدثنا اسماعيل عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) قال لها وجهان قال ذكر الله عند ما حرمه قال وذكر الله اياكم أعظم من ذكركم اياه

وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم أخبرنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال لي ابن عباس هل تدري ماقوله تعالى (ولذكر الله أكبر)؟قال قلت نعم قال فما هو ؟ قلت التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك ، قال لقد قلت قولا عجيبا وما هو كذلك ولكنه انما يقول ذكر الله اياكم عند ما أمر به أو نهى عنه اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه ، وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وروي أيضا عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان الفارسي وغيرهم واختاره ابن جرير

ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦)

قال قتادة وغير واحد : هذه الآية منسوخة بآية السيف ولم يبق معهم مجادلة وانما هو الاسلام أو الجزية أو السيف . وقال آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه كما قال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) الآية وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وهذا القول اختاره ابن جرير وحكاه عن ابن زيد

وقوله تعالى (إلا الذين ظلموا منهم) أي حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح الحجة وعاندوا

ابي اسحاق قال : سمعت الاغر قال : اشهد على ابي هريرة وابي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال « لا يقعد قوم يذكرون الله الاحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده »وقال قوم معنى قوله (ولذكر الله اكبر) اي ذكر الله إياكم افضل من ذكركم إياه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ويروى ذلك مرفوعاً عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ وقال ابن عطاء في قوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر) قال ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) قال عطاء يريد لا يخفى عليه شيء

قوله تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب) لا تخاصموهم (الا بالتي هي احسن) اي بالقرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه واراد من قبل الجزية منهم (إلا الذين ظلموا منهم)

وكابروا فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلاد ويقاتلون بما يمنعهم ويردعهم قال الله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد - الى قوله - ان الله قوي عزيز) قال جابر : أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف قال مجاهد (الا الذين ظلموا منهم) يعني أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية

وقوله تعالى (وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم) يعني اذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه فهذا لانقدم على تكذيبه لانه قد يكون حقا ولا تصديقه فلعله أن يكون باطلا ولكن نؤمن به ايمانا مجملا معلقا على شرط وهو أن يكون منزلا لامبدلا ولا مؤولا . قال البخاري رحمه الله حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » وهذا الحديث تفرد به البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا عثمان بن عمرو أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني ابن أبي نملة الانصاري أخبره انه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله ﷺ « الله أعلم » قال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله ﷺ « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم » (قلت) وأبو نملة هذا هو عمارة وقيل عمار وقيل عمرو بن معاذ بن زرارة الانصاري رضي الله عنه . ثم ليعلم ان أكثر مايتحدثون به غالبه كذب وبهتان لانه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحا

أى أبوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية . ومجاز الآية إلا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر . وقال سعيد بن جبير هم أهل الحرب ومن لا عهد له قال قتادة ومقاتل صارت منسوخة بقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) ﴿ وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم ﴾ يريد اذا أخبركم واحد منهم ممن قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم (وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم) ﴿ وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمد بن بسار انا عثمان بن عمر انا علي بن المبارك عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله ﷺ « لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل اليكم »

قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عاصم أخبرنا سفيان عن سليمان بن عامر عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبدالله — هو ابن مسعود — قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، اما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل فانه ليس أحد من أهل الكتاب الا وفي قلبه تالية تدعوه الى دينه كتالية المال

وقال البخاري حدثنا موسى بن سليمان حدثنا ابراهيم بن سعد اخبرنا ابن شهاب عن عبدالله بن عبدالله عن ابن عباس قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل اليكم على رسول الله ﷺ أحدث تقرءونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا؟ ألا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله مارأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم

وقال البخاري وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن انه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب (قلت) معناه انه يقع منه الكذب لغة من غير قصد لانه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الامة العظيمة ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الامة لا يعلمها الا الله عز وجل ومن منحه الله تعالى علما بذلك كل بحسبه ولله الحمد والمنة

وكذلك أنزلنا إليك الكتٰب فالذين آتينٰهم الكتٰب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآيٰتنا إلا الكٰفرون (٤٧) وما كنت تتلو من قبله من كتٰب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيٰت بينٰت في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآيٰتنا إلا الظٰلمون (٤٩)

اخبرنا ابو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى انا عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار انا محمد بن زكريا العذافري انا اسحاق بن ابراهيم الدبري انا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري انا ابن ابي نملة الانصاري ان اباه ابا نملة اخبره انه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاء رجل من اليهود ومر بجنازة فقال يا محمد. هل تتكلم هذه الجنازة ؟ فقال رسول الله ﷺ « الله اعلم ؟ » فقال اليهودي إنها تتكلم فقال رسول الله ﷺ « ماحدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوه وان كان حقا لم تكذبوه »

قوله تعالى ﴿ وكذلك ﴾ يعني كما أنزلنا اليهم الكتاب ﴿ أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم

قال ابن جرير يقول الله تعالى كما أنزلنا الكتاب على من قبلك يا محمد من الرسل كذلك أنزلنا اليك هذا الكتاب . وهذا الذي قاله حسن ومناسبته وارتباطه جيد . وقوله تعالى (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) أي الذين أخذوه فتلوه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الاذكياء كعبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباههما

وقوله تعالى (ومن هؤلاء من يؤمن به) يعني العرب من قريش وغيرهم (وما يجحد بآياتنا الا الكافرون) أي مايكذب بها ويجحد حقها الا من يستر الحق بالباطل ، ويغطي ضوء الشمس بالوصائل وهيهات . ثم قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف انك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب . وهكذا صفته في الكتب المتقدمة كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) الآية وهكذا كان رسول الله ﷺ دائما الى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطراً ولا حرفا بيده بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل الى الأقاليم . ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه انه عليه السلام كتب يوم الحديبية : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . فانما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري : ثم أخذ فكتب . وهذه محمولة على الرواية الاخرى: ثم أمر فكتب. ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي وتبرءوا منه وأنشدوا في ذلك أقوالا وخطبوا به في محافلهم ، وانما أراد الرجل — أعني الباجي — فيما يظهر عنه انه كتب ذلك على وجه المعجزة لا انه كان يحسن الكتابة كما قال ﷺ اخبارا عن الدجال «مكتوب بين عينيه كافر » وفي رواية « ك ف ر يقرؤها كل مؤمن » وما أورده بعضهم من الحديث انه لم يمت ﷺ حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له . قال الله تعالى (وما كنت تتلو) أي تقرأ (من قبله من كتاب) لتأكيد النفي (ولا تخطه بيمينك) تأكيد أيضاً وخرج مخرج الغالب كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه)

وقوله تعالى (إذاً لارتاب المبطلون) أي لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول

الكتاب يؤمنون به ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني أهل مكة ﴿ من يؤمن به ﴾ وهم مؤمنوا أهل مكة ﴿ وما يجحد بآياتنا الا الكافرون ﴾ وذلك ان اليهود وأهل مكة عرفوا ان محمداً نبي والقرآن حق فجحدوا . وقال قتادة الجحود إنما يكون بعد المعرفة ﴿ وما كنت تتلو ﴾ يا محمد ﴿من قبله من كتاب ﴾ يعني من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب ﴿ولا تخطه بيمينك ﴾ يعني ولا تكتبه يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي ﴿ اذا لارتاب المبطلون ﴾ يعني لو

انما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الانبياء مع انهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة [وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا] قال الله تعالى [قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض] الآية وقال ههنا [بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم] أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمراً ونهيا وخبراً يحفظه العلماء يسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيراً كما قال تعالى (ولقد يسرنا القرآن الذكر فهل من مدكر) وقال رسول الله ﷺ « مامن نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر. وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » وفي حديث عياض بن حماد في صحيح مسلم يقول الله تعالى « اني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا » أي لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل لانه قد جاء في الحديث الآخر « لو كان القرآن في اهاب ما أحرقته النار » ولانه محفوظ في الصدور ميسر على الألسنة مهيمن على القلوب معجز لفظا ومعنى ولهذا جاء في صفة هذه الامة أناجيلهم في صدورهم . واختار ابن جرير ان المعنى في قوله تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تخطه بيمينك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . ونقله عن قتادة وابن جريج وحكي الاول عن الحسن البصري فقط ، قلت وهو الذي رواه العوفي عن ابن عباس وقاله الضحاك وهو الاظهر والله أعلم

وقوله تعالى (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) أي ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها الا الظالمون أي المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه كما قال تعالى [ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم)

وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيـٰت عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠)

أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتـٰب يتلى عليهم؛ إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١)

كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين وينسخه منها قاله قتادة وقال مقاتل المبطلون هم اليهود . ومعناه اذا لشكوا فيك واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت ﴿ بل هو آيات بينات ﴾ قال الحسن يعني القرآن آيات بينات ﴿ في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة بل هو يعني محمداً ﷺ ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم ﴿ وما يجحد بآياتنا الا الظالمون * وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ﴾ كما أنزل على الانبياء من قبل قرأ ابن كثير وحمزة

قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم مافي السموٰت والأرض ، والذين آمنوا بالبٰطل وكفروا بالله أولئك هم الخٰسرون (٥٢)

يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات يعنون ترشدهم الى أن محمدا رسول الله كما أتى صالح بناقته قال الله تعالى قل يا محمد (انما الآيات عند الله) أي انما أمر ذلك إلى الله فانه لو علم انكم تهتدون لاجابكم الى سؤالكم لان هذا سهل عليه يسير لديه ، ولكنه يعلم منكم انكم انما قصدتم التعنت والامتحان فلا يجيبكم الى ذلك كما قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون * وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) وقوله (وانما أنا نذير مبين) أي انما بعثت نذيراً لكم بين النذارة فعلي أن أبلغكم رسالة الله تعالى (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً) وقال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء)

ثم قال تعالى مبينا كثرة جهلهم وسخافة عقلهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد ﷺ فيما جاءهم ، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو أعظم من كل معجزة اذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة عشر سور من مثله بل عن معارضة سورة منه . فقال تعالى (أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أو لم يكفهم آية انا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذى فيه خبر ماقبلهم ونبأ مابعدهم وحكم مابينهم وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ولم تخالط أحداً من أهل الكتاب فجئتهم بأخبار ما في الصحف الاولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلي كما قال تعالى (أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني إسرائيل) وقال تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أو لم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى)

وقال الامام احمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من الانبياء من نبي الا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » أخرجاه من حديث الليث . وقد قال الله تعالى (ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي ان

والكسائي وابو بكر آية على التوحيد وقرأ الآخرون آيات من ربه

قوله عز وجل ﴿قل انما الآيات عند الله﴾ وهو القادر على ارسالها اذا شاء ارسلها ﴿ وانما انا نذير مبين ﴾ أنذر أهل المعصية بالنار وليس إنزال الآيات بيدي ﴿أو لم يكفهم﴾ هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم ﴿أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ يعني أولم يكفهم من الآيات القرآن يتلى عليهم ﴿ان في ذلك ﴾ في انزال القرآن ﴿ لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾

في هذا القرآن لرحمة أي بيانا الحق وازاحة للباطل وذكرى بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين لقوم يؤمنون

ثم قال تعالى (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) أي هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب ويعلم ما أقول لكم من اخباري عنه بانه أرسلني فلو كنت كاذبا عليه لانتقم مني كما قال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) وانما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات والدلائل القاطعات (يعلم مافي السموات والارض) أي لاتخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) أي يوم القيامة سيجزيهم على مافعلوا ويقابلهم على ماصنعوا في تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل كذبوا برسل الله مع قيام الادلة على صدقهم وآمنوا بالطواغيت والاوثان بلا دليل فسيجزيهم على ذلك انه حكيم عليم

ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمًّى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (٥٣) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكفرين (٥٤) يوم يغشٰهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (٥٥)

يقول تعالى مخبراً عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم وبأس الله أن يحل عليهم كما قال تعالى (واذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) وقال ههنا (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب) أي لولا ماحتم الله من تأخير العذاب الى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبا سريعاً كما استعجلوه ثم قال (وليأتينهم بغتة) أي فجأة (وهم لايشعرون * يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين)

أي تذكيراً وعظة لمن آمن وعمل به ﴿ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا ﴾ اني رسوله وهذا القرآن كتابه ﴿ يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل ﴾ قال ابن عباس بغير الله وقال قتادة بعبادة الشيطان ﴿ وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون * ويستعجلونك بالعذاب ﴾ نزلت في النضر بن الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولولا أجل مسمى ﴾ قال ابن عباس ما وعدتك اني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم يعني لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر ﴿ لجاءهم العذاب وليأتينهم ﴾ يعني العذاب وقيل الاجل ﴿ بغتة وهم لا يشعرون ﴾ باتيانه ﴿ يستعجلونك بالعذاب ﴾ اعاده تأكيدا ﴿ وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ جامعة

أي يستعجلون العذاب وهو واقع بهم لامحالة قال شعبة عن سماك عن عكرمة قال في قوله (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) قال البحر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عمر بن اسماعيل بن مجالد حدثنا أبي عن مجالد عن الشعبي أنه سمع ابن عباس يقول (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) وجهنم هو هذا البحر الاخضر تنتثر الكواكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم

وقال الامام احمد حدثنا ابو عاصم أخبرنا عبدالله بن أمية حدثني محمد بن حيي أخبرني صفوان ابن يعلى عن أبيه ان النبي ﷺ قال « البحر هو جهنم » قالوا ليعلى فقال : ألا ترون أن الله تعالى يقول (ناراً أحاط بهم سرادقها) قال لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله تعالى. هذا تفسير غريب وحديث غريب جداً والله أعلم ثم قال عز وجل (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله تعالى (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) وقال تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) وقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) الآية فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ في العذاب الحسي

وقوله تعالى (ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) تهديد وتقريع وتوبيخ وهذا عذاب معنوي على النفوس كقوله تعالى (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر) وقال تعالى (يوم يدعون الى نار جهنم دعاً هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

يٰعبادي الذين آمنوا إن أرضي وٰسعة فإيّٰي فاعبدون (٥٦) كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون (٥٧) والذين آمنوا وعملوا الصٰلحٰت لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهٰر خٰلدين فيها نعم أجر العٰملين (٥٨) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٥٩) وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم (٦٠)

لم لا يبقى احد منهم الا دخلها ﴿ يوم يغشاهم ﴾ يصيبهم ﴿ العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ﴾ يعني اذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم كما قال (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) ﴿ ويقول ذوقوا ﴾ قرأ نافع وأهل الكوفة ويقول بالياء أي ويقول لهم الموكل بعذابهم ذوقوا وقرأ الآخرون بالنون لانه لما كان بأمره نسب اليه ﴿ ما كنتم تعملون ﴾ أي جزاء ما كنتم تعملون ﴿ يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون ﴾ قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفاء مسلمي مكة

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على اقامة الدين الى أرض الله الواسعة حيث يمكن اقامة الدين بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ولهذا قال تعالى [ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون]

قال الامام احمد حدثنا يزيد بن عبدربه حدثنا بقية بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثني ابو سعد الانصاري عن أبي يحيى مولى الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله ﷺ « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيراً فأقم » ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين الى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين هناك أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى فآواهم وأيدهم بنصره وجعلهم سيوما ببلاده ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ والصحابة الباقون الى المدينة النبوية يثرب المطهرة ثم قال تعالى [كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون] أى أينما كنتم يدرككم الموت فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله فهو خير الكم فان الموت لابد منه ولا محيد عنه ثم الى الله المرجع والمآب فمن كان مطيعاله جازاه أفضل الجزاء ووافاه أتم الثواب ولهذا قال تعالى [والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار] أي لنسكننهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الانهار على اختلاف أصنافها من ماء وخمر وعسل ولبن يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا [خالدين فيها] أي ماكثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا [نعم أجر العاملين] نعمت هذه الغرف أجرا على أعمال المؤمنين [الذين صبروا] أي على دينهم وهاجروا الى الله ونابذوا الاعداء وفارقوا الاهل والاقرباء ابتغاء وجه الله ورجاء ماعنده وتصديق موعوده

يقول ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى ارض المدينة ان ارضي يعني المدينة واسعة آمنة. قال مجاهد ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها . وقال سعيد بن جبير اذا عمل في الارض بالمعاصي فاخرجوا منها فان أرضي واسعة وقال عطاء اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة . وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث تهيأ له العبادة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج . وقال مطرف بن عبد الله أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة أي كل واحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت ﴿ ثم الينا ترجعون ﴾ فنجزيكم باعمالكم وقرأ أبو بكر يرجعون بالياء ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالثاء ساكنة من غير همز يقال ثوى الرجل اذا أقام وأثويته اذا أنزلته منزلا يقيم فيه وقرأ الآخرون بالباء وفتحها وتشديد الواو وهمزة بعدها أي لننزلنهم ﴿ من الجنة غرفا ﴾ علالي ﴿ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين * الذين صبروا ﴾ على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة

قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي أخبرنا صفوان المؤذن أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية ابن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام الاسود حدثني ابو معاوية الاشعري أن أبا مالك الاشعري حدثه أن رسول الله ﷺ حدثه أن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام ، وتابع الصلاة والصيام ، وقام بالليل والناس نيام (وعلى ربهم يتوكلون) في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم . ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فانهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الاقطار والامصار ولهذا قال تعالى [وكأين من دابة لا تحمل رزقها] أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغد الله [يرزقها وإياكم] أي الله يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها فيبعث الى كل مخلوق من الرزق مايصلحه حتى الذر في قرار الارض ، والطير في الهواء والحيتان في الماء . قال تعالى [ومامن دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا يزيد يعني ابن هارون حدثنا الجراح بن منهال الجزري -هو ابو العطوف- عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي يا ابن عمر « مالك لا تأكل ؟ » قال قلت لا أشتهيه يارسول الله قال « لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر ، فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت

لحفتهم { وعلى ربهم يتوكلون } يعتمدون { وكأين من دابة لا تحمل رزقها } وذلك ان النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله (وكأين من دابة لاتحمل رزقها) وكأين وكم من دابة ذات حاجة الى غداء لا تحمل رزقها اي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير { الله يرزقها واياكم } حيث كنتم { وهو السميع العليم } السميع لاقوالكم لا نجد ما ننفق بالمدينة العليم بما في قلوبكم وقال سفيان عن علي بن الارقم (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) قال لا تدخر شيئا لغد قال سفيان ليس شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والنملة

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي انا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي اخبرني ابو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي انا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق انا محمد بن عبد العزيز انا اسمعيل بن زرارة الرقي انا ابو العطوف الجراح بن المنهال عن الزهري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ حائطا من حوائط الانصار فجعل رسول الله ﷺ يلقط الرطب بيده ويأكل فقال « كل يا ابن عمر » قلت لا أشتهيه يارسول الله قال « لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أطعم طعاما ولم أجده »

في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين ؟ » قال فوالله ما برحنا ولا أرمنا حتى نزلت [وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم] فقال رسول الله ﷺ «ان الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فان الحياة بيد الله ، ألا واني لا أكنز ديناراً ولادرهما ولا أخبأ رزقا لغد » هذاحديث غريب وابوالعطوف الجزري ضعيف وقد ذكروا ان الغراب إذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض فاذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهم أياما حتى يسود الريش فيظل الفرخ فاتحاً فاه يتفقدأبويه فيقبض الله تعالى طيراً صغاراً كالبرغش فيغشاه فيتقوت به تلك الايام حتى يسود ريشه والابوان يتفقدانه كل وقت فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه فاذا رأوه قد اسود ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق ولهذا قال الشاعر

يارازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض

وقد قال الشافعي في جملة كلام له في الاوامر كقول النبي ﷺ « سافروا تصحوا وترزقوا »

قال البيهقي أخبرنا املاء ابو الحسن علي بن احمد بن عبدان أخبرنا احمد بن عبيد أخبرنا محمد بن غالب حدثني محمد بن سنان أخبرنا محمد بن عبدالرحمن بن رداد شيخ من أهل المدينة حدثنا عبدالله ابن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « سافروا تصحوا وتغنموا » قال ورويناه عن ابن عباس ، وقال الامام احمد حدثنا قتيبة أخبرنا ابن لهيعة عن دراج عن عبدالرحمن بن حجيرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « سافروا تربحوا وصوموا تصحوا ، واغزوا تغنموا » وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا وعن معاذ بن جبل موقوفا ، وفي لفظ « سافروا مع

فقلت انا لله الله المستعان قال « يا ابن عمر لوسألت ربي لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر اضعافامضاعفة ولكني اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبؤن رزق سنة ويضعف اليقين » فنزلت هذه الآية (وكأين من دابة لاتحمل رزقها) اخبرنا عبدالواحد المليحي انا ابو محمد الحسين بن احمد المخلدي انا ابو العباس السراج انا قتيبة بن سعيد انا جعفر بن سليمان عن عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ كان لا يدخر شيا لغد. وروينا ان النبي ﷺ قال « لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» اخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري انا ابو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه انا ابو نصر بن حمدونة المطوعي انا ابو الموجه محمد بن عمرو أنا عبدان عن أبي حمزة عن اسمعيل هو ابن ابي خالد عن رجلين احدهما زبيد اليامي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ انه قال « ايها الناس ليس من شيء يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم به، وليس شيء يقربكم الى النار ويباعدكم عن الجنة الا وقد نهيتكم عنه، وان الروح الامين قد نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله فانه لا يدرك ماعند الله الا بطاعته» وقال

ذوي الجد والميسرة . قال ورويناه عن ابن عباس وقوله (وهو السميع العليم) أي السميع لاقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم

ولئن سألتهم من خلق السموٰت والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنّى يؤفكون (٦١) الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم (٦٢) ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون (٦٣)

يقول تعالى مقرراً أنه لا إله إلا هو لان المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بانه المستقل بخلق السموات والارض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار ، وانه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم، واختلافها واختلاف أرزاقهم، فتفاوت بينهم فمنهم الغني والفقير وهو العليم بما يصلح كلا منهم ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر انه المستقل بخلق الاشياء المتفرد بتدبيرها، فاذا كان الامر كذلك فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟ فكما انه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته ، وكثيراً مايقرر تعالى مقام الالهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية ، وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لاشريك لك . إلا شريكاهو لك . تملكه وما ملك

وما هـذه الحيوٰة الدنيا الا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون (٦٤) فاذا ركبوا في الفلك دعوُا الله مخلصين له الدين فلما نجّٰـهم الى البر اذا هم يشركون (٦٥) ليكفروا بما آتينٰهم وليتمتعوا فسوف يعلمون (٦٦)

هشيم عن اسمعيل عن زبيدة عمن أخبره عن ابن مسعود قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم ﴾ يعني كفار مكة ﴿ من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون * الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم * ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله ﴾ على أن الفاعل لهذه الاشياء هو الله ﴿ بل أكثرهم لا يعقلون ﴾ وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بل أكثرهم لا يعقلون ينكرون التوحيد مع اقرارهم ان الخالق لهذه الاشياء هو الله ﴿ وما هذه الحياة الدنيا الالهو ولعب ﴾ اللهو هو الاستمتاع

يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها ، وانها لا دوام لها وغايتها ما فيها لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان أي الحياة الدائمة الحق الذي لازوال له ولا انقضاء بل هي مستمرة أبد الآباد . وقوله تعالى (لو كانوا يعلمون) أي لآثروا ما يبقى على ما يفنى ثم أخبر تعالى عن المشركين انهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له فهلا يكون هذا منهم دائما (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كقوله تعالى (واذ مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم) الآية وقال ههنا فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون)وقد ذكر محمد ابن اسحاق عن عكرمة بن أبي جهل انه لما فتح رسول الله ﷺ مكة ذهب فارا منها فلما ركب في البحر ليذهب الى الحبشة اضطربت بهم السفينة فقال أهلها ياقوم اخلصوا لربكم الدعاء فانه لا ينجي ههنا الا هو فقال عكرمة والله لئن كان لا ينجي في البحر غيره فانه لا ينجي في البر أيضا غيره اللهم لك علي عهد لئن خرجت لاذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فلأجدنه رءوفا رحيما فكان كذلك

وقوله تعالى (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا) هذه اللام يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الاصول لام العاقبة لانهم لا يقصدون ذلك ولا شك انها كذلك بالنسبة إليهم وأما بالنسبة الى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه اياهم لذلك فهي لام التعليل ، وقد قدمنا تقرير ذلك في قوله (ليكون لهم عدوا وحزنا)

أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ؟(٦٧) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في

بلذات الدنيا واللعب العبث سميت بهما لانها فانية ﴿ وان الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ أى الحياة الدائمة الباقية والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ فناء الدنيا وبقاء الآخرة قوله تعالى ﴿ فاذا ركبوا في الفلك ﴾ وخافوا الغرق ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ وتركوا الاصنام ﴿ فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون﴾ هذا اخبار عن عنادهم وانهم عند الشدائد يقرون ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده فاذا زالت عادوا الى كفرهم قال عكرمة كان أهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت بهم الريح ألقوها في البحر وقالوا يارب يارب ﴿ ليكفروا بما آتيناهم﴾ هذه لام الامر ومعناه التهديد والوعيد كقوله (اعملوا ما شئتم)أي ليجحدوا نعمة الله في انجائه اياهم ﴿ وليتمتعوا ﴾ قرأ حمزة والكسائي ساكنة اللام وقرأ الباقون بكسرها نسقا على قوله ليكفروا ﴿ فسوف يعلمون ﴾ وقيل من كسر اللام جعلها لام كي وكذلك في ليكفروا .والمعنى لافائدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا

جهنم مثوى للكافرين؟ (٦٨) والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين (٦٩)

يقول تعالى ممتنا على قريش فيما أحلهم من حرمه الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ومن دخله كان آمنا فهم في أمن عظيم والاعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا كما قال تعالى (لايلاف قريش) الى آخر السورة. وقوله تعالى [أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون] أي أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به وعبدوا معه غيره من الاصنام والانداد [وبدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار] فكفروا بنبي الله وعبده ورسوله فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله وأن لا يشركوا به وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره، فكذبوه فقاتلوه فأخرجوه من بين أظهرهم ولهذا اسلبهم الله تعالى ماكان أنعم به عليهم وقتل من قتل منهم ببدر ثم صارت الدولة لله ولرسوله والمؤمنين ففتح الله على رسوله مكة وأرغم آنافهم وأذل رقابهم، ثم قال تعالى [ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه] أي لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال ان الله أوحي اليه ولم يوح اليه شيء، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه فالاول مفتر والثاني مكذب ولهذا قال تعالى [أليس في جهنم مثوى للكافرين] ثم قال تعالى [والذين جاهدوا فينا] يعني الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين [لنهدينهم سبلنا] أي لنبصرنهم سبلنا أي طرقنا في الدنيا والآخرة

قال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري أخبرنا عباس الهمداني ابو احمد من أهل عكا في قول الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) قال الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون. قال أحمد بن أبي الحواري فحدثت به أبا سليمان يعني الداراني فأعجبه

ويتخطف الناس من حولهم ﴾ يعني العرب يسبي بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون ﴿أفبالباطل﴾ بالاصنام والشيطان ﴿ يؤمنون وبنعمة الله ﴾ بمحمد والاسلام ﴿ يكفرون * ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فزعم ان لله شريكا وانه أمر بالفواحش ﴿ أو كذب بالحق ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿ لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ استفهام بمعنى التقرير معناه أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم ﴿والذين جاهدوا فينا ﴾ الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا ﴿ لنهدينهم سبلنا ﴾ لنثبتهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى كما قال (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) وقيل لنوفقنهم لا صابة الطريق المستقيمة وهي التي يتوصل بها الى رضا الله عز وجل. قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور. والثغور موضع المخافة في بروج البلدان فان الله قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقيل المجاهدة هي الصبر على الطاعات قال الحسن أفضل الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به. وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة

وقال ليس ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الاثر ، فاذا سمعه في الاثر عمل به وحمد الله حتى وافق مافي قلبه

وقوله (وإن الله لمع المحسنين) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن جعفر قاضي الري حدثنا أبو جعفر الرازي عن المغيرة عن الشعبي قال : قال عيسى بن مريم انما الاحسان أن تحسن إلى من أساء اليك ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك . والله أعلم

﴿ آخر تفسير سورة العنكبوت ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الروم وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) غُلبت الروم (٢) في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦) يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (٧)

نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل كما سيأتي

السنة لنهدينهم سبل الجنة وروي عن ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ﴿وان الله لمع المحسنين﴾ بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم

﴿ سورة الروم مكية وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم * غلبت الروم في ادنى الارض ﴾ سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان اهل فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم

وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (الم * غلبت الروم في أدنى الارض) قال غلبت وغلبت ، قال كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لانهم أهل الكتاب، فذكر ذلك لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « أما انهم سيغلبون » فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال « ألا جعلتها الى دون أراه قال العشر » قال سعيد بن جبير البضع مادون العشر ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله [الم * غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون — الى قوله — وهو العزيز الرحيم] هكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن الحسين بن حريث عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق الفزاري عن سفيان الثوري به . وقال الترمذي حديث حسن غريب انما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب . ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن معاوية بن عمرو به . ورواه ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن سعيد أو سعيد الثعلبي الذي يقال له أبو سعد من أهل طرسوس حدثنا أبو اسحاق الفزاري فذكره ، وعندهم قال سفيان فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر

﴿ حديث آخر ﴾ قال سليمان بن مهران الاعمش عن مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم . أخرجاه . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن عامر — هو الشعبي — عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب وهم أقرب الي دينهم فلما نزلت (الم * غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) قالوا يا أبا بكر ان صاحبك يقول ان الروم تظهر على فارس في بضع سنين ، قال صدق قالوا هل لك أن نقامرك فبايعوه على أربع قلائص الى سبع سنين فمضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك فشق على المسلمين فذكر

واستعمل عليه رجلا يقال له شهر براز ، وبعث قيصر جيشا عليهم رجلا يدعى يحنس فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام الى ارض العرب والعجم ، فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الآية. فخرج أبو بكر الصديق الى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس على ما اخبرنا بذلك نبينا. فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال

ذلك للنبي ﷺ فقال « ما بضع سنين عندكم ؟ » قالوا دون العشر قال « اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الاجل » قال فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله تعالى [الم * غلبت الروم - الى قوله تعالى - وعد الله لا يخلف الله وعده]

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا مؤمل عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء قال : لما نزلت (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) قال المشركون لابي بكر ألا ترى الى مايقول صاحبك يزعم ان الروم تغلب فارس قال صدق صاحبي قالوا هل لك أن نخاطرك فجعل بينه وبينهم أجلا فحل الاجل قبل أن تغلب الروم فارس فبلغ ذلك النبي ﷺ وساءه ذلك وكرهه وقال لابي بكر « ما دعاك الى هذا ؟ » قال تصديقا لله ولرسوله قال « تعرض لهم وأعظم لهم الخطر واجعله الى بضع سنين » فأتاهم أبا بكر فقال هل لكم في العود فان العود أحمد ؟ قالوا نعم « فلم تمض تلك السنين حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية ، فجاء أبو بكر الى النبي ﷺ فقال هذا السحت قال « تصدق به »

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا اسماعيل بن أبي أويس أخبرني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الاسلمي قال : لما نزلت (الم غلبت الروم في أدنى لارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم أهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى (يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) وكانت قريش تحب ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا بأهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) فقال ناس من قريش لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان ، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم نجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا ننتهي اليه قالوا فسموا بينهم ست سنين قال فمضت ست السنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر

أنت أكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه - والمناحبة المراهنة - على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر رضي الله عنه الى النبي ﷺ فاخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال النبي ﷺ « ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل » فخرج أبو بكر ولقي أبيا فقال لعلك ندمت قال لا فتعال أزايدك في الخطر وامادك في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين

فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس قال فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين قال لان الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثير . هكذا ساقه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وقد روي نحو هذا مرسلا عن جماعة من التابعين مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وقتادة والسدي والزهري وغيرهم

ومن أغرب هذه السياقات مارواه الامام سنيد بن داود في تفسيره حيث قال حدثني حجاج عن أبي بكر بن عبدالله عن عكرمة قال : كان في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الابطال فدعاها كسرى فقال اني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليه رجلا من بنيك فأشيري علي أيهم أستعمل؟ فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثعلب وأحذر من صقر ، وهذا فرخان وهو أنفذ من سنان ، وهذا شهربراز وهو أحلم من كذا تعني أولادها الثلاثة فاستعمل أيهم شئت ، قال فاني استعملت الحليم فاستعمل شهربراز فسار إلى الروم بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم ، قال أبو بكر ابن عبدالله فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال أما رأيت بلاد الشام؟ قلت لا ، قال أما انك لو رأيتها لرأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته

قال عطاء الخراساني حدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلا يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى شهربراز فالتقيا بين أذرعات وبصرى وهي أدنى الشام اليكم فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرحت بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون ، قال عكرمة : ولقي المشركون أصحاب النبي ﷺ وقالوا انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب وانكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى (الم * غلبت الروم في أدنى الارض — الى قوله — ينصر من يشاء) فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الله الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ فقام اليه أبي بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل ، فقال له أبو بكر أنت أكذب ياعدو الله فقال أنا حبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين ، ثم جاء أبو بكر الى النبي ﷺ فأخبره فقال « ماهكذا ذكرت انما

قال قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر. فلما اراد أبي بن خلف ان يخرج الى احد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه فقال لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله ﷺ حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر. قال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناحبة بين أهل مكة وفيها صاحب قمارهم أبي بن خلف وبين المسلمين وفيها صاحب

البضع مابين الثلاث إلى التسع » فزايده في الخطر وماده في الاجل » فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال لملك ندمت » فقال لا » تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين قال قد فعلت فظهرت الروم على فارس قبل ذلك نغلبهم المسلمون .

قال عكرمة لما أن ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب وهو أخو شهربراز فقال لأصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى فكتب كسرى إلى شهربراز اذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان فكتب اليه شهربراز أيها الملك انك لن تجد مثل فرخان له نكاية وصوت في العدو فلا تفعل . فكتب اليه إن في رجال فارس خلفا منه فعجل إلي برأسه . فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريداً إلى أهل فارس إني قد نزعت عنكم شهربراز واستعملت عليكم فرخان ثم رفع إلى البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فاعطه هذه، فلما قرأ شهربراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس عليه فرخان ورفع اليه الصحيفة اللطيفة فلما قرأها قال ائتوني بشهربراز وقدمه ليضرب عنقه فقال شهربراز لاتعجل حتى أكتب وصيتي ، قال نعم فدعا بالسفط فأعطاه الصحائف فقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد فرد الملك إلى أخيه شهربراز وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم إن لي اليك حاجة لاتحملها البرد ولا تحملها الصحف فالقني ولا تلقني إلا في خمسين روميا فاني لاألقاك إلا في خمسين فارسياً . فأقبل قيصر في خمسمائة رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه بأنه ليس معه الا خمسون رجلا ، ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين فدعيا ترجمانا بينهما فقال شهربراز ان الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد ان أقتل أخي فأبيت ثم أمر أخي أن يقتلني فقد خلعنا جميعا فنحن نقاتله معك . قال قد أصبتما ثم أشار أحدهما الى صاحبه أن السر بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا قال أجل فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح والمسلمون معه . فهذا سياق غريب وبناء عجيب . ولنتكلم على كلمات هذه الآيات الكريمات فقوله تعالى (الم * غلبت الروم) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السورة في

قامرهم أبو بكر وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فقمر ابو بكر أبيا وأخذ مال الخطر من ورثته فجاء به يحمله الى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ « تصدق به »

وكان سبب غلبة الروم فارسا على ماقال عكرمة وغيره ان شهربراز بعد ماغلبت الروم لم يزل يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج ، فبينا اخوه فرخان جالس ذات يوم بشرب فقال لاصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الي شهربراز اذا أتاك كتابي فابعث الي برأس فرخان فكتب اليه أيها الملك انك لن تجد مثل فرخان ان له نكاية وصوتا في العدو فلا تفعل البتة . فكتب اليه ان في رجال

أول سورة البقرة ، وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن ابراهيم وهم أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم بنو الاصفر وكانوا على دين اليونان ، واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة ويقال لها المتحيرة ، ويصلون الى القطب الشمالي وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها وفيه محاريب الى جهة الشمال فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح بنحو من ثلثمائة سنة وكان من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له قيصر فكان أول من دخل في دين النصارى من ملوك الروم قسطنطين بن قسطس وأمه مريم الهيلانية الغندقانية من أرض حران كانت قد تنصرت قبله فدعته الى دينها وكان قبل ذلك فيلسوفا فتابعها يقال تقية واجتمعت به النصارى وتناظروا في زمانه مع عبدالله بن أريوس واختلفوا اختلافا كثيراً منتشراً متشتتا لا ينضبط الا أنه اتفق من جماعتهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فوضعوا لقسطنطين العقيدة وهي التي يسمونها الامانة الكبيرة وانما هي الخيانة الحقيرة ، ووضعوا له القوانين يعنون كتب الاحكام من تحريم وتحليل وغير ذلك مما يحتاجون اليه ، وغيروا دين المسيح عليه السلام وزادوا فيه ونقصوا منه فصلوا الى المشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير، واتخذوا أعياداً أحدثوها كعيد الصليب والاقداس والغطاس وغير ذلك من البواعيث والشعانين، وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ثم البتاركة ثم المطارنة ثم الاساقفة والقساقسة ثم الشمامسة ، وابتدعوا الرهبانية، وبنى لهم الملك الكنائس والمعابد وأسس المدينة المنسوبة اليه وهي القسطنطينية يقال انه بنى في أيامه اثني عشر الف كنيسة ، وبنى بيت لحم بثلاث محاريب وبنت أمه القمامة، وهؤلاء هم الملكية يعنون الذين هم على دين الملك، ثم حدثت بعدهم اليعقوبية اتباع يعقوب الاسكاف ، ثم النسطورية أصحاب نسطورا وهم فرق وطوائف كثيرة ، قال رسول الله ﷺ ، أنهم افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة ، والغرض أنهم استمروا على النصرانية كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل ، وكان من عقلاء الرجال ومن أحزم الملوك وأدهاهم وأبعدهم غوراً وأقصاهم رأيا فتملك عليهم في رياسة عظيمة وابهة كثيرة فناوأه كسرى ملك الفرس وملك البلاد كالعراق وخراسان والري وجميع بلاد العجم وهو سابور ذو الاكتاف ، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر وله رياسة العجم وحماقة الفرس وكانوا مجوسا يعبدون النار، فتقدم عن عكرمة أنه قال

فارس خلفا منه فعجل علي برأسه فراجعه، فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس ، إني قد نزعت عنكم شهريراز واستعملت عليكم فرخان . الملك ثم رفع الى البريد صحيفة صغيرة أمر فيها بقتل شهريراز وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له اخوه فاعطه . فلما قرأ شهريراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل من سريره وجلس فرخان ورفع اليه الصحيفة فقال ائتوني بشهريراز فقدمه ليضرب عنقه فقال لا تعجل علي حتى اكتب وصيتي قال نعم ، فدعا بالسفط فاعطاه ثلاث صحائف وقال كل هذا راجعت

بعث اليه نوابه وجيشه فقاتلوه ، والمشهور ان كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية، فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصارى تعظمه تعظيما زائداً ، ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك لحصانتها لان نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر فكانت تأتيهم الميرة والمدد من هنالك . فلما طال الامر دبر قيصر مكيدة ورأى في نفسه خديعة فطلب من كسرى أن يقلع من بلاده على مال يصالحه عليه ويشترط عليه ماشاء. فأجابه الى ذلك وطلب منه أموالا عظيمة لايقدر عليها أحد من ملوك الدنيا من ذهب وجواهر وأقمشة وجوار وخدام وأصناف كثيرة ، فطاوعه قيصر وأوهمه أن عنده جميع ماطلب واستقل عقله لما طلب منه ماطلب ولو اجتمع هو وإياه لعجزت قدرتهما عن جمع عشره ، وسأل كسرى أن يمكنه من الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم مملكته ليسعى في تحصيل ذلك من ذخائره وحواصله ودفائنه فاطلق سراحه، فلما عزم قيصر على الخروج من مدينة قسطنطينية جمع أهل ملته وقال : اني خارج في أمر قد أبرمته في جند قد عينته من جيشي فان رجعت اليكم قبل الحول فأنا ملككم وان لم أرجع اليكم قبلها فأنتم بالخيار إن شئتم استمررتم على بيعتي وإن شئتم وليتم عليكم غيري .فأجابوه بأنك ملكنا مادمت حيا ولو غبت عشرة أعوام ، فلما خرج من القسطنطينية خرج جريدة في جيش متوسط هذا وكسرى مخيم على القسطنطينية ينتظره ليرجع فركب قيصر من فوره وسار مسرعا حتى انتهى إلى بلاد فارس فعاث في بلادهم قتلا لرجالها ومن بها من المقاتلة أولا فأولا ولم يزل يقتل حتى انتهى إلى المدائن وهي كرسي مملكة كسرى فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله وأسر نساءه وحريمه وحلق رأس ولده وركبه على حمار وبعث معه من الاساورة من قومه في غاية الهوان والذلة وكتب الى كسرى يقول هذا ماطلبت فخذه فلما بلغ ذلك كسرى أخذه من الغم مالا يحصيه الا الله تعالى واشتد حنقه على البلد فجدّ في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على ذلك ، فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيحون التي لاسبيل لقيصر إلى القسطنطينية إلا منها ، فلما علم قيصر بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق اليها وهو أنه أرصد جنده وحواصله التي معه عند فم المخاضة وركب في بعض الجيش وأمر بأحمال من التبن والبعر والروث فحملت معه وسار الى قريب من يوم في الماء مصعداً ثم أمر بالقاء تلك الاحمال في

فيك كسرى وأنت تريد ان تقتلني بكتاب واحد. فرد الملك الى أخيه وكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم ان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني ولا تلقني الا في خمسين روميا فاني ألقاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه انه ليس معه الا خمسون رجلا ثم بسط لهما فالتقيا في قبة ديباج ضربت لهما ومع كل واحد منهما سكين فدعوا بترجمان بينهما فقال شهربراز إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد ان أقتل أخي فابيت ثم أمر أخي ان يقتلني فقد خلعناه

النهر فلما مرت بكسرى وجنده ظن أنهم قد خاضوا من هنالك فركبوا في طلبهم فشغرت المخاضة عن الفرس وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض والخوض فخاضوا وأسرعوا السير ففاتوا كسرى وجنوده ودخلوا القسطنطينية فكان ذلك يوما مشهوداً عند النصارى وبقي كسرى وجيوشه حائرين لايدرون ماذا يصنعون لم يحصلوا على بلاد قيصر ، بلادهم قد خربتها الروم وأخذوا حواصلهم وسبوا ذراريهم ونساءهم فكان هذا من غلب الروم لفارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب فارس الروم ، وكانت الوقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات وبصرى على ماذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز ، وقال مجاهد كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب بلاد الروم من فارس فالله أعلم . ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع فان البضع في كلام العرب مابين الثلاث الى التسع

وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مناحبة [الم ، غلبت الروم] الآية « ألا احتطت ياأبا بكر فان البضع مابين ثلاث إلى تسع؟ » ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وروى ابن جرير عن عبدالله بن عمرو أنه قال ذلك والله أعلم

وقوله تعالى [لله الامر من قبل ومن بعد] أي من قبل ذلك ومن بعده فبني على الضم لما قطع المضاف وهو قوله قبل عن الاضافة ونويت [ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله] أي للروم أصحاب قيصر ملك الشام على فارس أصحاب كسرى وهم المجوس ، وكانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كثيرة من العلماء كابن عباس والثوري والسدي وغيرهم

وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبزار من حديث الاعمش عن عطية عن أبي سعيد قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين ففرحوا به وأنزل الله [ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم] وقال الآخرون بل كان نصر الروم على فارس عام الحديبية . قاله عكرمة والزهري وقتادة وغير واحد ، ووجه بعضهم

جميعا فنحن نقاتله معك . قال قد اصبتما ثم اشار احدهما الى صاحبه « أن السر بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا فقتلا الترجمان معا بسكينهما فاديلت الروم على فارس عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح هو ومن معه فذلك قوله عزجل (الم غلبت الروم في أدنى الارض) أي اقرب ارض الشام الى ارض فارس قال عكرمة هي اذرعات وكسكر وقال مجاهد ارض الجزيرة وقال مقاتل الاردن وفلسطين ﴿ وهم من بعد غلبهم ﴾ أي الروم من بعد غلبة فارس اياهم والغلب والغلبة لغتان ﴿ سيغلبون ﴾ فارس ﴿ في بضع سنين ﴾ والبضع ما بين الثلاث الى التسع وقيل

هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرى ليمشين من حمص إلى إيليا وهو بيت المقدس شكراً لله تعالى ففعل، فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منه حتى وافاه كتاب رسول الله ﷺ الذي بعثه مع دحية بن خليفة فأعطاه دحية لعظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى قيصر، فلما وصل اليه سأل من بالشام من عرب الحجاز، فأحضر له أبو سفيان صخر بن حرب الاموي في جماعة من كبار قريش وكانوا بغزة فجيء بهم اليه فجلسوا بين يديه، فقال أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان أنا فقال لاصحابه وأجلسهم خلفه اني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذب فكذبوه، فقال أبو سفيان فوالله لولا أن يأثروا علي الكذب لكذبت فسأله هرقل عن نسبه وصفته فكان فيما سأله أن قال: فهل يغدر؟ قال قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ماهو صانع فيها يعني بذلك الهدنة التي كانت قد وقعت بين رسول الله ﷺ وكفار قريش عام الحديبية على وضع الحرب بينهم عشر سنين فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية لان قيصر انما وفى بنذره بعد الحديبية والله أعلم. ولاصحاب القول الاول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعبت فما تمكن من وفاء نذره حتى أصلح ماينبغي له اصلاحه وتفقد بلاده ثم بعد أربع سنين من نصرته وفى بنذره والله أعلم. والامر في هذا سهل قريب إلا أنه لما انتصر فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك لان الروم أهل كتاب في الجملة فهم أقرب الى المؤمنين من المجوس كما قال تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى — الى قوله — ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وقال تعالى ههنا [ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثني أسيد الكلابي قال سمعت العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه قال رأيت غلبة فارس الروم ثم رأيت غلبة الروم فارس. ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم كل ذلك في خمسة عشر سنة

ما دون العشرة، وقرأ عبد الله بن عمر وابو سعيد الخدري والحسن وعيسى بن عمر غلبت بفتح الغين واللام سيغلبون بضم الياء وبفتح اللام، وقالوا نزلت حين اخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارس. ومعنى الآية الم غلبت الروم فارس في ادنى الارض اليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم والاول اصح وهو قول اكثر المفسرين ﴿لله الامر من قبل ومن بعد﴾ من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فأي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بامر الله وقضائه وقدره ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ الروم على فارس قال السدي فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور اهل الكتاب على اهل الشرك ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ الغالب ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين ﴿وعد الله﴾ نصب على المصدر أي وعد الله وعدا

وقوله تعالى (وهو العزيز) أي في انتصاره وانتقامه من أعدائه (الرحيم) بعباده المؤمنين وقوله تعالى (وعد الله لا يخلف الله وعده) أي هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أنا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق وخبر صدق لا يخلف ولا بد من كونه ووقوعه لان الله قد جرت سنته ان ينصر أقرب الطائفتين المقتتلتين إلى الحق ويجعل لها العاقبة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل

وقوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها ومافيها فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة . قال الحسن البصري والله ليبلغ من أحدهم بدنياه انه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي. وقال ابن عباس في قوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعني الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال

أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السمٰوٰت والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى ؟ وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكٰفرون (٨) أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عٰقبة الذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينٰت فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٩) ثم كان عٰقبة الذين أسٰئوا السوأى أن كذبوا بآيٰت الله وكانوا بها يستهزءون (١٠)

يقول تعالى منبهاً على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وانه لا اله غيره ولا رب سواه فقال (أولم يتفكروا في أنفسهم) يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الاشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والاجناس المختلفة فيعلموا أنها ماخلقت سدى ولا

بظهور الروم على فارس ﴿ لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ﴾ يعني امر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره ليذكر وزنه ولا يخطيء وهو لا يحسن ان يصلي ﴿ وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ ساهون عنها جاهلون بها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها ﴿ أو لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴾ أي للحق وقيل لاقامة الحق ﴿ واجل

باطلا بل بالحق وانها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة ولهذا قال تعالى (وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون) ثم نبههم على صدق رسله فيما جاءوا به عنه بما أيدهم به من المعجزات والدلائل الواضحات من اهلاك من كفر بهم ونجاة من صدقهم فقال تعالى (أولم يسيروا في الارض) أي بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين ولهذا قال [فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة] أي كانت الامم الماضية والقرون السالفة أشد منكم قوة أيها المبعوث اليهم محمد ﷺ وأكثر أموالا وأولاداً، وما أوتيتم معشار ما أوتوا ومكنوا في الدنيا تمكينا لم تبلغوا اليه وعمروا فيها أعماراً طوالا فعمروها أكثر منكم، واستغلوها أكثر من استغلالكم، ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق، ولا حالت أموالهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال [ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] أي وانما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله واستهزءوا بها وما ذاك الا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم ولهذا قال تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) كما قال تعالى [ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون] وقال تعالى [فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم] وقال تعالى [فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم] وعلى هذا تكون السوأى منصوبة مفعولا لأساءوا ، وقيل بل المعنى في ذلك [ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى] أي كانت السوأى عاقبتهم لانهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون . فعلى هذا تكون السوأى منصوبة خبر كان هذا توجيه ابن جرير ونقله عن ابن عباس وقتادة ، ورواه ابن أبي حاتم عنهما وعن الضحاك بن مزاحم وهو الظاهر والله أعلم لقوله [وكانوا بها يستهزئون]

مسمى﴾ أي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو القيامة ﴿ وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون * أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ اولم يسافروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا ﴿ كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض ﴾ حرثوها وقلبوها للزراعة ﴿ وعمروها أكثر مما عمروها ﴾ أي اكثر مما عمرها أهل مكة قيل قال ذلك لانه لم يكن لاهل مكة حرث ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ فلم يؤمنوا فاهلكهم الله ﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾ بنقص حقوقهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ ببخس حقوقهم ﴿ ثم كان عاقبة الذين اساءوا ﴾ أي اساءوا العمل ﴿ السوأى ﴾ يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوأى اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة ﴿ أن كذبوا ﴾ اي لان كذبوا وقيل تفسير السوأي ما بعده وهو قوله أن كذبوا يعنى ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على ان كذبوا ﴿ بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾ قرأ أهل الحجاز والبصرة عاقبة بالرفع أي ثم كان آخر امرهم السوأى وقرأ الآخرون بالنصب على خبر كان

اللّه يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه تُرجعون (١١) ويوم تقوم الساعة يُبلس المجرمون (١٢)

ولم يكن لهم من شركائهم شفعـٰـؤا وكانوا بشركائهم كـٰـفرين (١٣) ويوم تقومُ الساعة يومئذ

يتفرقون (١٤) فأما الذين آمنوا وعملوا الصـٰـلحات فهم في روضة يُحبرون (١٥) وأما الذين كفروا

وكذبوا بآيـٰـتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون (١٦)

يقول تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي كما هو قادر على بداءته فهو قادر على إعادته (ثم اليه ترجعون) أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله. ثم قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قال ابن عباس : ييأس المجرمون ، وقال مجاهد يفتضح المجرمون وفي رواية يكتئب المجرمون (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) أي ماشفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا اليهم . ثم قال تعالى [ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون] قال قتادة هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها ، يعني انه إذا رفع هذا الى عليين وخفض هذا إلى أسفل سافلين فذلك آخر العهد بينهما ولهذا قال تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) قال مجاهد وقتادة : ينعمون وقال يحيى بن أبي كثير يعني سماع الغناء . والحبرة أعم من هذا كله قال العجاج

فالحمد لله الذي أعطى الحبر موالي الحق ان المولى شكر

وتقديره ثم كان السوأى عاقبة الذين اساؤا . قوله تعالى ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء ولم يقل يعيدهم رده الى الخلق ﴿ ثم اليه يرجعون ﴾ فيجزيهم باعمالهم قرأ أبو عمرو وابو بكر يرجعون بالياء والآخرون بالتاء ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ قال قتادة والكلبي ييأس المشركون من كل خير وقال الفراء ينقطع كلامهم وحجتهم وقال مجاهد يفتضحون ﴿ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ﴾ جاحدين متبرئين يتبرءون منها وتتبرأ منهم ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴾ أي يتميز أهل الجنة من أهل النار ، وقال مقاتل يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً

قوله تعالى ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ﴾ وهي البستان الذي في غاية النضارة ﴿ يحبرون ﴾ قال ابن عباس يكرمون ، وقال مجاهد وقتادة ينعمون ، وقال أبو عبيدة يسرون والحبرة السرور ، وقيل الحبرة في اللغة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين ، وقال الاوزاعي عن يحيى ابن أبي كثير يحبرون هو السماع في الجنة ، وقال الاوزاعي اذا أخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت. وقال ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ أي البعث يوم القيامة ﴿ فاولئك في العذاب محضرون ﴾

فسبحـٰن الله حين تمسون وحين تُصبحون (١٧) وله الحمد في السمـٰوٰت والأرض وعشيًّا وحين تظهرون (١٨) يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون (١٩)

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده في هذه الاوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند المساء وهو إقبال الليل بظلامه وعند الصباح وهو إسفار النهار بضيائه . ثم اعرض بحمده مناسبة للتسبيح وهو التحميد فقال تعالى (وله الحمد في السموات والارض) أي هو المحمود على ماخلق في السموات والارض ثم قال تعالى [وعشيًا وحين تظهرون] فالعشاء هو شدة الظلام والاظهار قوة الضياء « فسبحان خالق هذا وهذا فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا كما قال تعالى (والنهار إذا جلاها « والليل إذا يغشاها) وقال تعالى (والليل إذا يغشى « والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (والضحى والليل إذا سجى) والآيات في هذا كثيرة

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زياد بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس

قوله تعالى ﴿ فسبحان الله ﴾ أي سبحوا الله ومعناه صلوا لله ﴿ حين تمسون ﴾ أي تدخلون في المساء وهو صلاة المغرب والعشاء ﴿ وحين تصبحون ﴾ أي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح ﴿ وله الحمد في السموات والارض ﴾ قال ابن عباس بحمده أهل السموات والارض ويصلون له ﴿ وعشيا ﴾ أي صلوا لله عشيا يعني صلاة العصر ﴿ وحين تظهرون ﴾ تدخلون في الظهيرة وهو الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد صلاة الخمس في القرآن ؟ قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الآية الصلاة الخمس ومواقيتها

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال سبحان الله وبحمده في أول النهار وآخره مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ثنا السري بن خزيمة السوردي ثنا المعلى بن أسعد أنا عبد العزيز ابن المختار عن سهيل عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ماقال أو زاد »

الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال « ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذي وفى ؟ لانه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشياً وحين تظهرون »

وقال الطبراني حدثنا مطلب بن شعيب الازدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن عبدالله بن عباس عن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون الآية بكمالها أدرك مافاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك مافاته في ليلته » اسناد جيد [1] ورواه أبو داود في سننه

وقوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) هو مانحن فيه من قدرته على خلق الاشياء المتقابلة ، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط فانه يذكر فيها خلقه الاشياء وأضدادها ليدل خلقه على كمال قدرته فمن ذلك إخراج النبات من الحب والحب من النبات ، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض ، والانسان من النطفة والنطفة من الانسان ، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن . وقوله تعالى (ويحيي الارض بعد موتها) كقوله تعالى (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون - الى قوله - وفجرنا فيها من العيون) وقال تعالى [وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج - الى قوله - وان الله

(١) في النسخة المكية ضعيف

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا قتيبة بن سعيد أنا محمد بن فضيل أنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا علي بن المديني أنا ابن عيينة عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة قال سمعت كريبا أبا رشدين يحدث عن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار أن النبي ﷺ خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله ﷺ وسماها جويرية وكره أن يقال خرج من عند برة فخرج وهي في مسجدها ورجع بعدما تعالى النهار فقال « مازلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد ؟ - قالت نعم - فقال - لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بماقلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته »

قوله تعالى ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾

يبعث من في القبور) وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا ـ الى قوله ـ لعلكم تذكرون)ولهذا قال ههنا (وكذلك تخرجون)

ومن آيته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (٢٠) ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٢١)

يقول تعالى [ومن آياته] الدالة على عظمته وكمال قدرته انه خلق أباكم آدم من تراب (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون] فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ثم صار عظاما شكله على شكل الانسان ، ثم كسا الله تلك العظام لحما ، ثم نفخ فيه الروح فاذا هو سميع بصير ، ثم خرج من بطن أمه صغيرا ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال الى أن صار يبني المدائن والحصون ويسافر في أقطار الاقاليم ويركب متن البحور ويدور أقطار الارض ويكتسب ويجمع الاموال وله فكرة وغور ، ودهاء ومكر ، ورأي وعلم واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه ، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر ، والحسن والقبح ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاوة ، ولهذا قال تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون)

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد وغندر قالا حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك » ورواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الاعرابي به وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

وقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي خلق لكم من جنسكم اناثا تكون لكم أزواجا (لتسكنوا اليها) كما قال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الاقصر الايسر ، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل اناثهم من جنس آخر من غيرهم اما من جان أو حيوان لما حصل هذا

قرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء ، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الراء ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ﴾ أي خلق أصلكم يعني آدم من تراب ﴿ ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ تنبسطون في الارض ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ قيل من جنسكم من بني آدم ، وقيل خلق حواء من ضلع آدم ﴿ لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما

الائتلاف بينهم وبين الازواج بل كانت تحصل نفرة لو كانت الازواج من غير الجنس ، ثم من تمام رحمته بني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهن مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة فان الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة اليه في الانفاق أو للالفة بينهما وغير ذلك [ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون]

ومن آيته خلق السموٰت والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيٰت للعلمين (٢٢) ومن آيته منامكم بالّيل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيٰت لقوم يسمعون (٢٣)

يقول تعالى [ومن آياته] الدالة على قدرته العظيمة [خلق السموات والارض] أي خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات ، وخلق الارض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار

وقوله تعالى (واختلاف ألسنتكم) يعني اللغات فهؤلاء بلغة العرب وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى وهؤلاء كرج وهؤلاء روم وهؤلاء إفرنج وهؤلاء بربر وهؤلاء تكرور وهؤلاء حبشة وهؤلاء هنود وهؤلاء عجم وهؤلاء صقالبة وهؤلاء خزر وهؤلاء أرمن وهؤلاء أكراد الى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم وهي حلاهم فجميع أهل الارض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم الى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر بل لابد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام ظاهراً كان أو خفيا يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه أخرى ، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر (ان في ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أي ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل والنهار فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب وجعل لكم الانتشار والسعي في الاسباب والاسفار في النهار وهذا ضد النوم (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أي يعون

قال الطبراني حدثنا حجاج بن عمران السدوسي حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي حدثنا محمد بن عبدالله بن علاثة حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان سمعت عبد الملك بن مروان يحدث عن أبيه عن زيد

يتوادان ويتراحمان وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ في عظمة الله وقدرته

قوله ﴿ ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم ﴾ يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما ﴿ وألوانكم ﴾ أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ قرأ حفص للعالمين بكسر اللام ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من

ابن ثابت رضي الله عنه قال : أصابني أرق من الليل فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال « قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حي قيوم ياحي ياقيوم أنم عيني واهدىء ليلي » فقلتها فذهب عني

ومن آيٰته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآيٰت لقوم يعقلون (٢٤) ومن آيٰته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون (٢٥)

يقول تعالى (ومن آياته) الدالة على عظمته أنه (يريكم البرق خوفا وطمعا) أي تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج اليه ، ولهذا قال تعالى (وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها) أي بعد ما كانت هامدة لانبات فيها ولا شيء ، فلما جاءها الماء اهتزت وربت (وأنبتت من كل زوج بهيج)وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة ولهذا قال (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

ثم قال تعالى (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) كقوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه) وقوله (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال : والذي تقوم السماء والارض بأمره أي هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الارض غير الارض والسموات وخرجت الاموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم ولهذا قال تعالى (ثم إذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) أي من الارض كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم إلا قليلا) وقال تعالى (فانما هي زجرة واحدة ، فاذا هم بالساهرة) وقال تعالى (إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون)

فضله ﴾ أي منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار أي تصرفكم في طلب المعيشة ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر واعتبار

قوله ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفا ﴾ للمسافر من الصواعق ﴿ وطمعا ﴾ للمقيم في المطر ﴿ وينزل من السماء ماء فيحيي به ﴾ يعني بالمطر ﴿ الارض بعد موتها ﴾ أي بعد يبسها وجدوبتها ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ﴾ قال ابن مسعود قامتا على غير عمد بأمره ، وقيل يدوم قيامهما بأمره ﴿ ثم اذا دعاكم دعوة من الارض ﴾ قال ابن عباس من القبور ﴿ اذا أنتم تخرجون ﴾ منها وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة اذا أنتم تخرجون من

وله من في السموات والارض كل له قنتون (٢٦) وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٧)

يقول تعالى (وله من في السموات والارض) أي ملكه وعبيده (كل له قانتون) أي خاضعون خاشعون طوعا وكرها . وفي حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا «كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة»

وقوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أيسر عليه ، وقال مجاهد الاعادة أهون عليه من البداءة والبداءة عليه هينة ، وكذا قال عكرمة وغيره وروى البخاري حدثنا ابو اليمان أخبرنا شعيب أخبرنا ابو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته ، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً ، وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» انفرد باخراجه البخاري كما انفرد بروايته أيضاً من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به وقد رواه الامام احمد منفرداً به عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا ابو يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه أو مثله

وقال آخرون كلاهما بالنسبة الى القدرة على السواء ، وقال العوفي عن ابن عباس كل عليه هين وكذا قاله الربيع بن خثيم ومال اليه ابن جرير وذكر عليه شواهد كثيرة . قال ويحتمل أن يعود الضمير في قوله (وهو أهون عليه) الى الخلق أي وهو أهون على الخلق . وقوله (وله المثل الاعلى

الارض ﴿وله من في السموات والارض كل له قانتون﴾ مطيعون . قال الكلبي هذا خاص لمن كان منهم مطيعا عن ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث ﴿وهو أهون عليه﴾ قال الربيع بن خثيم وقتادة والكلبي أي هو هين عليه وما شيء عليه بعزيز وهو رواية العوفي عن ابن عباس وقد يجيء أفعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

أي عزيزة طويلة ، وقال مجاهد وعكرمة وهو أهون عليه أي أيسر ووجهه أنه على طريق ضرب المثل أي هو أهون عليه على مايقع في عقولكم فان الذي يقع في عقول الناس أن الاعادة تكون أهون من الانشاء أي الابتداء ، وقيل هو أهون عليه عندكم ، وقيل وهو أهون عليه أي على الخلق يقومون

في السموات والارض) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كقوله تعالى (ليس كمثله شيء) وقال قتادة مثله انه لا إله الا هو ولا رب غيره ، وقال مثل هذا ابن جرير ؛ وقد أنشد بعض المفسرين عند ذكر هذه الآية لبعض أهل المعارف

اذا سكن الغدير على صفاء وجنب أن يحركه النسيم
يرى فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم

وهو العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد غلب كل شيء وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه الحكيم في أقواله وأفعاله شرعا وقدرا ، وعن مالك في تفسيره المروي عنه عن محمد بن المنكدر في قوله تعالى (وله المثل الاعلى) قال لا إله الا الله

ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمنكم من شركاء في ما رزقنكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ؟ كذلك نفصل الآيت لقوم يعقلون (٢٨) بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من نصرين (٢٩)

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الاصنام والانداد عبيد له ملك له كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. فقال تعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أي تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء) أي يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكا له في ماله فهو وهو فيه على السواء (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون أن يقاسموكم

بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا إلى أن يصيروا رجالا ونساء وهذا معنى رواية ابن حيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﴿ وله المثل الاعلى ﴾ أي الصفة العليا ﴿في السموات والارض ﴾ قال ابن عباس هي أنه ليس كمثله شيء ، وقال قتادة هي أنه لا إله الا هو ﴿وهو العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه

قوله تعالى ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم ﴾ أي بين لكم شبها بحالكم وذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال ﴿ هل لكم مما ملكت أيمانكم ﴾ أي عبيدكم وامائكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ من المال ﴿ فأنتم ﴾ وهم ﴿ فيه سواء ﴾ أي شرع أي هل يشاركم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم ﴿ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾ أي تخافون أن يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شريكه

الاموال . قال ابو مجلز ان مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذاك، كذلك الله لا شريك له ، والمعنى ان أحدكم يأنف من ذلك فكيف تجعلون لله الانداد من خلقه وهذا كقوله تعالى (ويجعلون لله مايكرهون) أي من البنات حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوها بنات الله وقد كان أحدهم إذا بشر بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، فهم يأنفون من البنات وجعلوا الملائكة بنات الله فنسبوا اليه مالا يرتضونه لانفسهم فهذا أغلظ الكفر ، وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركا من عبيده وخلقه، وأحدهم يأبى غاية الاباء ويأنف غاية الانفة من ذلك أن يكون عبده شريكه في ماله يساويه فيه ولو شاء لقاسمه عليه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

قال الطبراني حدثنا محمود بن الفرج الاصبهاني حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا حماد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان يلبي أهل الشرك لبيك اللهم لبيك لاشريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك. فأنزل الله تعالى (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) ولما كان التنبيه بمثل هذا المثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الاولى والاحرى . قال تعالى (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) ثم قال تعالى مبينا أن المشركين انما عبدوا غيره سفها من أنفسهم وجهلا (بل اتبع الذين ظلموا) أي المشركون (أهواءهم) أي في عبادتهم الانداد بغير علم (فمن يهدي من أضل الله) أي فلا أحد يهديهم اذا كتب الله ضلالهم (ومالهم من ناصرين) أي ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ولا محيد لهم عنه لانه ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرتَ الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون (٣٠) منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلوٰة

الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمر دونه ، وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب أن ينفرد به ، قال ابن عباس تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي ومعنى قوله (أنفسكم) أي أمثالكم من الاحرار كقوله (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) أي بأمثالهم ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم ﴿ بل اتبع الذين ظلموا ﴾ أشركوا بالله ﴿ أهواءهم ﴾ في الشرك ﴿ بغير علم ﴾ جهلا بما يجب عليهم ﴿ فمن يهدي من أضل الله ﴾ أي أضله الله ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ مانعين يمنعونهم من عذاب الله عزوجل

قوله تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين ﴾ أي اخلص دينك لله . قاله سعيد بن جبير ، واقامة الوجه

ولا تكونوا من المشركين (٣١) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون (٣٢)

يقول تعالى : فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة ابراهيم الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره كما تقدم عند قوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى) وفي الحديث «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم» وسنذكر في الاحاديث ان الله تعالى فطر خلقه على الاسلام ثم طرأ على بعضهم الاديان الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية

وقوله تعالى [لا تبديل لخلق الله] قال بعضهم معناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها فيكون خبرا بمعنى الطلب كقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) وهو معنى حسن صحيح ، وقال آخرون هو خبر على بابه ومعناه انه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة لا يولد أحد إلا على ذلك ولا تفاوت بين الناس في ذلك ، ولهذا قال ابن عباس وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد في قوله (لا تبديل لخلق الله) أي لدين الله ، وقال البخاري قوله (لا تبديل لخلق الله) لدين الله (خلق الاولين) دين الاولين ، الدين والفطرة الاسلام . حدثنا عبدان أخبرنا عبدالله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « مامن مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ورواه مسلم من حديث عبدالله بن وهب عن يونس بن يزيد الايلي عن الزهري به ، وأخرجاه أيضاً من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفي معنى هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة

فمنهم الاسود بن سريع التميمي . قال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا يونس عن الحسن عن

اقامة الدين ، وقال غيره سدد عملك والوجه مايتوجه اليه الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه لتسديده ﴿ حنيفا ﴾ مائلا اليه مستقيما عليه ﴿ فطرة الله ﴾ دين الله وهو نصب على الاغراء أي الزم فطرة الله ﴿ التي فطر الناس عليها ﴾ أي خلق الناس عليها وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة الدين وهو الاسلام ، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الاسلام

أخبرنا ابو علي حسان بن سعيد المنيعي انا ابو طاهر محمد بن محمش الزيادي انا ابو بكر بن محمد ابن الحسين القطان انا احمد بن يوسف السلمي انا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه قال ثنا ابو

الاسود بن سريع قال: أتيت رسول الله ﷺ وغزوت معه فأصبت ظفرا فقاتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « مابال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية » فقال رجل يارسول الله أماهم أبناء المشركين فقال « ألا انما خياركم أبناء المشركين - ثم قال - لاتقتلوا ذرية لاتقتلوا ذرية - وقال - كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها » ورواه النسائي في كتاب السير عن زياد بن أيوب عن هشيم عن يونس وهو ابن عبيد عن الحسن البصري به

ومنهم جابر بن عبدالله الانصاري قال الامام أحمد حدثنا هاشم ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاذا عبر عنه لسانه اما شاكراً وإما كفوراً

ومنهم عبدالله بن عباس الهاشمي قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا ابو عوانة حدثنا ابو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم » أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن اياس اليشكري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا بذلك ، وقد قال الامام احمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا حماد يعني ابن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: أتى علي زمان وأنا أقول أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين حتى حدثني فلان عن فلان أن رسول الله ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » قال فلقيت الرجل فأخبرني فأمسكت عن قولي

ومنهم عياض بن حمار المجاشعي قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام عن قتادة عن مطرف عن

هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « من يولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟ » قالوا يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ورواه الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة من غير ذكر من يموت وهو صغير وزاد ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قوله « من يولد يولد على الفطرة » يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله (ألست بربكم؟ قالوا بلى) وكل مولود على الفطرة من هذا القبيل وكل مولود في العالم على ذلك الاقرار وهو الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وإن عبد غيره كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وقالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ولكن لاعبرة بالايمان الفطري في أحكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي المأمور به المكتسب بالارادة والفعل ألا ترى أنه يقول « فأبواه يهودانه » فهو مع وجود الايمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قوله ﷺ « يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء

عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته « ان ربي عزوجل أمرني أن أعلمكم ماجهلتم مما علمني في يومي هذا: كل مانحلته عبادي حلال ، واني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا . ثم ان الله عز وجل نظر إلى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال انما بعثتك لابتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان ثم ان الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب اذا تثلغ رأسي فتدعه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك ، وانفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك - قال - وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة . الضعيف الذي لازبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا ، والخائن الذي لايخفى له طمع وإن دق الاخانة ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخيل والكذاب والشنظير الفحاش » انفرد باخراجه مسلم فرواه من طرق عن قتادة به

وقوله تعالى (ذلك الدين القيم) أي التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم (ولكن أكثر الناس لايعلمون) أي فلهذا لايعرفه أكثر الناس فهم عنه ناكبون كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل

فاجتالتهم الشياطين عن دينهم ويحكى هذا عن الاوزاعي وحماد بن سلمة، وحكي عن عبدالله بن المبارك أنه قال معنى الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أي على خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة إلى مافطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها ، فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاد دينهما ، وقيل معناه أن كل مولود يولد في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيء لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول ، وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لآفة من آفات النشوء والتقليد ، فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ، ثم يتمثل بأولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة. ذكر أبوسليمان الخطابي هذه المعاني في كتابه

قوله (لاتبديل لخلق الله) فمن حمل الفطرة على الدين قال معناه لاتبديل لدين الله وهو خبر بمعنى النهي أي لاتبدلوا دين الله ، قال مجاهد وابراهيم معنى الآية الزموا فطرة الله أي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك (ذلك الدين القيم) المستقيم (ولكن أكثر الناس لايعلمون) وقيل (لاتبديل لخلق الله) أي ماجبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة لا يبدل فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيداً ، وقال عكرمة ومجاهد معناه تحريم إخصاء البهائم

الله) الآية . وقوله تعالى (منيبين اليه) قال ابن زيد وابن جريج أي راجعين اليه (واتقوه) أي خافوه وراقبوه وأقيموا الصلاة وهي الطاعة العظيمة (ولا تكونوا من المشركين) أي بل كونوا من الموحدين المخلصين له العبادة لا يريدون بها سواه

قال ابن جرير حدثني يحيى بن واضح حدثنا يونس بن إسحاق عن يزيد بن أبي مريم قال مر عمر رضي الله عنه بمعاذ بن جبل فقال عمر ما قوام هذه الأمة ؟ قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص وهي الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والصلاة وهي الملة ، والطاعة وهي العصمة فقال عمر صدقت . حدثني يعقوب أنبأنا ابن علية أنبأنا أيوب عن أبي قلابة أن عمر رضي الله عنه قال لمعاذ ما قوام هذا الامر « فذكر نحوه وقوله تعالى (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) أي لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وقرأ بعضهم فارقوا دينهم أي تركوه وراء ظهورهم وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وسائر أهل الاديان الباطلة مما عدا أهل الاسلام كما قال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله) الآية فأهل الاديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملل باطلة « وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء وهذه الامة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما كان عليه الصدر الاول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم فقال « من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي »

وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمةً اذا فريق منهم بربهم يشركون (٣٣) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٣٤) أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون (٣٥) واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان

قوله تعالى ﴿ منيبين اليه ﴾ أي فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين اليه لان المخاطبة للنبي ﷺ ويدخل معه فيها الامة كما قال (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) منيبين اليه أي راجعين اليه بالتوبة مقبلين اليه بالطاعة ﴿ واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ﴾ أي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى « وقيل هم أهل البدع من هذه الامة ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أي راضون بما عندهم

قوله تعالى ﴿ واذا مس الناس ضر ﴾ قحط وشدة ﴿ دعوا ربهم منيبين اليه ﴾ مقبلين اليه بالدعاء

تصيبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون (٣٦) أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن

يشاء ويقدر إن في ذلك لآيٰت لقوم يؤمنون (٣٧)

يقول تعالى مخبراً عن الناس انهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لاشريك له وانه إذا أسبغ عليهم النعم اذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره . وقوله تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) هي لام العاقبة عند بعضهم ولام التعليل عند آخرين ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك ثم توعدهم بقوله (فسوف تعلمون) قال بعضهم والله لو توعدني حارس درب لخفت منه فكيف والمتوعد ههنا هو الذي يقول للشيء كن فيكون

ثم قال تعالى منكرا على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان أم أنزلنا عليهم سلطانا أي حجة فهو يتكلم أي ينطق بما كانوا به يشركون وهذا استفهام انكار أي لم يكن لهم شيء من ذلك . ثم قال تعالى (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها « وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون) هذا انكار على الانسان من حيث هو إلا من عصمه الله ووفقه فان الانسان إذا أصابته نعمة بطر . وقال (ذهب السيئات عني انه لفرح فخور) أي يفرح في نفسه ويفخر على غيره واذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية . قال الله تعالى (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) أي صبروا في الضراء وعملوا الصالحات في الرخاء كما ثبت في الصحيح « عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »

وقوله تعالى (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله فيوسع على قوم ويضيق على آخرين (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

﴿ ثم اذا أذاقهم منه رحمة ﴾ خصبا ونعمة ﴿ اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم ﴾ ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد فقال ﴿ فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ حالكم في الآخرة ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطانا ﴾ قال ابن عباس حجة وعذراً « وقال قتادة كتابا ﴿ فهو يتكلم ﴾ ينطق ﴿ بما كانوا به يشركون ﴾ أي ينطق بشركهم ويأمرهم به ﴿ واذا أذقنا الناس رحمة ﴾ أي الخصب وكثرة المطر ﴿ فرحوا بها ﴾ يعني فرح البطر ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أي الجدب وقلة المطر ويقال الخوف والبلاء ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ من السيئات ﴿ اذا هم يقنطون ﴾ ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة ﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾

فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٣٨) وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (٣٩) الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ؟ سبحنه وتعلى عما يشركون (٤٠)

يقول تعالى آمراً باعطاء ذى القربى حقه أي من البر والصلة [والمسكين]وهو الذي لاشيء له ينفق عليه أو له شيء لايقوم بكفايته [وابن السبيل] وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج اليه في سفره [ذلك خير للذين يريدون وجه الله] أي النظر اليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى [وأولئك هم المفلحون] أي في الدنيا والآخرة . ثم قال تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله) أي من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله بهذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبي . وهذا الصنيع مباح وان كان لاثواب فيه الا أنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ خاصة ، قاله الضحاك واستدل بقوله تعالى [ولا تمنن تستكثر] أي لاتعط العطاء تريد أكثر منه . وقال ابن عباس : الربا رباءان فربا لايصح،

قوله تعالى ﴿ فآت ذا القربى حقه ﴾ من البر والصلة ﴿ والمسكين ﴾ وحقه أن يتصدق عليه ﴿ وابن السبيل ﴾ يعني المسافر وقيل هو الضيف ﴿ ذلك خير للذين يريدون وجه الله ﴾ يطلبون ثواب الله بما يعملون ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾

قوله عز وجل ﴿ وما آتيتم من ربا ﴾ قرأ ابن كثير أتيتم مقصوراً . وقرأ الآخرون بالمد أي أعطيتم ومن قصر فمعناه ماجئتم من ربا ومجيئهم ذلك على وجه الاعطاء كما يقول أتيت خطأ وأتيت صوابا فهو يؤول في المعنى إلى قول من مد ﴿ ليربو في أموال الناس ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب لتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب أى لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس وقرأ الآخرون بالياء وفتحها ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله ﴿ فلا يربو عند الله ﴾ في أموال الناس أي في اختطاف أموال الناس واجتذابها. واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك وأكثر المفسرين هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهذا جائز حلال ولكن لاثواب عليها في القيامة وهو معنى قوله عز وجل (فلا يربو عند الله) وكان هذا حراما على النبي ﷺ خاصة لقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) أي لاتعط وتطلب أكثر مما أعطيت ، وقال

يعني ربا البيع ، وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها ثم تلا هذه الاية (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عندالله) وانما الثواب عند الله في الزكاة ولهذا قال تعالى (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أي الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء كما جاء في الصحيح « وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تصير التمرة أعظم من أحد »

وقوله عز وجل (الله الذي خلقكم ثم رزقكم) أي هو الخالق الرازق يخرج الانسان من بطن أمه عريانا لاعلم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والاملاك والمكاسب، كما قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن سلام بن شرحبيل عن حبة وسواء ابني خالد قالا دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئا فأعناه فقال « لاتيأسا من الرزق ماتهززت رءوسكما فان الانسان تلده امه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل »

وقوله تعالى (ثم يميتكم) أي بعد هذه الحياة (ثم يحييكم) أي يوم القيامة ، وقوله تعالى (هل من شركائكم) أي الذين تعبدونهم من دون الله (من يفعل من ذلكم من شيء) أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والاماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله (سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (٤١) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين (٤٢)

النخعي هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله . وقال الشعبي هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله التماس عونه لا يريد به وجه الله فلا يربو عند الله لانه لم يرد به وجه الله تعالى ﴿ وما آتيتم من زكاة ﴾ أعطيتم من صدقة ﴿ تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ﴾ فيضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات تقول العرب القوم مهزولون ومسمونون اذا هزلت أو سمنت ابلهم

قوله تعالى ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

قوله عز وجل ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر ﴾ يعني قحط المطر وقلة النبات ، وأراد بالبر البوادي

قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدي وغيرهم : المراد بالبر ههنا الفيافي وبالبحر الامصار والقرى ، وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة ، البحر الامصار والقرى ما كان منها على جانب نهر ، وقال آخرون بل المراد بالبر هو البر المعروف وبالبحر هو البحر المعروف . وقال زيد بن رفيع (ظهر الفساد) يعني انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط وعن البحر يعني دوابه . رواه ابن أبي حاتم وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن المقري عن سفيان عن حميد بن قيس الاعرج عن مجاهد (ظهر الفساد في البر والبحر) قال فساد البر قتل ابن آدم وفساد البحر أخذ السفينة غصبا . وقال عطاء الخراساني المراد بالبر ما فيه من المدائن والقرى وبالبحر جزائره . والقول الاول أظهر وعليه الاكثرون ، ويؤيده ما قاله محمد بن اسحاق في السيرة أن رسول الله ﷺ صالح ملك ايلة وكتب اليه ببحره يعني ببلده . ومعنى قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) أي بان النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي . وقال أبو العالية : من عصى الله في الارض فقد أفسد في الارض ، لان صلاح الارض والسماء بالطاعة ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود ، لحدٌّ يقام في الارض أحب الى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا ، والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات واذا تركت المعاصي كان سببا في حصول البركات من السماء والارض . ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية وهو تركها فلا يقبل الا الاسلام أو السيف، فاذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج قيل للارض أخرجي بركتك فيأكل من الرمانة الفئام من الناس ويستظلون بقحفها ، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس وما ذاك الا ببركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير . ولهذا ثبت في الصحيحين أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب

والمفاوز ، وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية ، قال عكرمة العرب تسمي المصر بحراً يقال أجدب البر وانقطعت مادة البحر ﴿ بما كسبت أيدي الناس ﴾ أي بشؤم ذنوبهم ، وقال عطية وغيره البر ظهر الارض الامصار وغيرها ، والبحر هو البحر المعروف ، وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلو أجواف الاصداف لان الصدف اذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع في فيه من المطر صار لؤلؤاً ، وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه ، وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة ، قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم ، فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعافا وقصد الحيوان بعضها بعضا ، قال قتادة هذا قبل مبعث النبي ﷺ امتلأت الارض ظلما وضلالة ، فلما بعث الله محمدا

وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا محمد والحسين قالا حدثنا عوف عن أبي مخذم قال وجد رجل في زمان زياد أو ابن زياد صرة فيها حب يعني من بر أمثال النوى مكتوب فيها هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل ، وروى مالك عن زيد بن أسلم أن المراد بالفساد ههنا الشرك وفيه نظر

وقوله تعالى (ليذيقهم بعض الذي عملوا) الآية أي يبتليهم بنقص الاموال والأنفس والثمرات اختباراً منه لهم ومجازاة على صنيعهم (لعلهم يرجعون) أي عن المعاصي كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) ثم قال تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي من قبلكم (كان أكثرهم مشركين) أي فانظروا ماحل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم

فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون

---

(٤٣) من كفر فعليه كفره ومن عمل صلحا فلأنفسهم يمهدون (٤٤) ليجزي الذين آمنوا

وعملوا الصلحت من فضله إنه لا يحب الكفرين (٤٥)

يقول تعالى آمراً عباده بالمبادرة الى الاستقامه في طاعته والمبادرة الى الخيرات (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي يوم القيامة اذا أراد كونه فلا راد له [يومئذ يصدعون] أي يتفرقون ففريق في الجنة وفريق في السعير ولهذا قال تعالى (من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ، ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) أي يجازيهم مجازاة الفضل ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله (انه لا يحب الكافرين) ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يجور

ﷺ رجع راجعون من الناس بما كسبت أيدي الناس من المعاصي يعني كفار مكة ﴿ ليذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ أي عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ عن الكفر وأعمالهم الخبيثة ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ فأهلكوا بكفرهم

قوله تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين القيم ﴾ المستقيم وهو دين الاسلام ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الله ﴿ يومئذ يصدعون ﴾ أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿ من كفر فعليه كفره ﴾ أي وبال كفره ﴿ ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ﴾ يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور ﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ﴾ قال ابن عباس ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم ﴿ انه لا يحب الكافرين ﴾

ومن آيته أن يرسل الرياح مبشرت وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره

ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (٤٦) ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم

بالبينت فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين (٤٧)

يذكر تعالى نعمه على خلقه في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها ولهذا قال تعالى (وليذيقكم من رحمته) أي المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد (ولتجري الفلك بأمره) أي في البحر وانما سيرها بالريح (ولتبتغوا من فضله) أي في التجارات والمعايش والسير من اقليم إلى إقليم وقطر الى قطر (ولعلكم تشكرون) أي تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى . ثم قال تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا) هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس فقد كذبت الرسل المتقدمون مع ماجاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات ، ولكن انتقم الله ممن كذبهم وخالفهم وأنجى المؤمنين بهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي هو حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرما وتفضلا كقوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة)

وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا موسى بن أعين عن ليث عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من

قوله عز وجل ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ تبشر بالمطر ﴿ وليذيقكم من رحمته ﴾ نعمة بالمطر وهي الخصب ﴿ ولتجري الفلك ﴾ في البحر بهذه الرياح ﴿ بأمره ولتبتغوا من فضله ﴾ لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ رب هذه النعم

قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات ﴾ بالدلالات الواضحات على صدقهم ﴿ فانتقمنا من الذين أجرموا ﴾ عذبنا الذين كذبوهم ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ انجاؤهم من العذاب ففي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء ، قال الحسن أنجاهم مع الرسول من عذاب الامم

أخبرنا أحمد بن عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا أحمد بن زنجويه أنا أبو شيخ الحراني أنا أبو موسى بن أعين عن ليث ابن أبي سليم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ

امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » ثم تلا هذه الآية [وكان حقا علينا نصر المؤمنين]

الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى

الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون (٤٨) وإن كانوا

من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين (٤٩) فانظر إلى آثر رحمة الله كيف يحيي الارض

بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (٥٠) ولئن أرسلنا ريحا فرأوه

مصفرا لظلوا من بعده يكفرون (٥١)

يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء فقال تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) إما من البحر كما ذكره غير واحد أو مما يشاء الله عز وجل (فيبسطه في السماء كيف يشاء) أي يمده فيكثره وينميه ويجعل من القليل كثيرا ينشيء سحابة ترى في رأي العين مثل الترس ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الافق ، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالا مملوءة ماء كما قال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت - إلى قوله - كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) وكذلك قال ههنا (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا) قال مجاهد وأبو عمرو بن العلاء ومطر الوراق وقتادة يعني قطعا . وقال غيره متراكما كما قاله الضحاك وقال غيره أسود من كثرة الماء تراه مدلهما ثقيلا قريبا من الارض

وقوله تعالى (فترى الودق يخرج من خلاله) أي فترى المطر وهو القطر يخرج من بين ذلك السحاب (فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) أي لحاجتهم اليه يفرحون بنزوله عليهم ووصوله اليهم . وقوله تعالى (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) معنى الكلام أن

يقول « مامن مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » ثم تلا هذه الآية (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

قوله تعالى ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا ﴾ أي ينشره ﴿ فيبسطه في السماء كيف يشاء ﴾ مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على مايشاء ﴿ ويجعله كسفا ﴾ قطعا متفرقة ﴿ فترى الودق ﴾ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ وسطه ﴿ فاذا أصاب به ﴾ أي بالودق ﴿ من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون ﴾ يفرحون بالمطر ﴿ وإن كانوا ﴾ وقد كانوا ﴿ من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ أي آيسين ، وقيل وإن

هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قانطين أزايير من نزول المطر اليهم قبل ذلك فلما جاءهم جاءهم على فاقة فوقع منهم موقعاً عظيماً ، وقد اختلف النحاة في قوله (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) فقال ابن جرير هو تأكيد ، وحكاه عن بعض أهل العربية

وقال آخرون من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله أي الانزال لمبلسين ، ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس ويكون معنى الكلام انهم كانوا محتاجين اليه قبل نزوله ، ومن قبله أيضاً قد فات عندهم نزوله وقتا بعد وقت فترقبوه في ابانه فتأخر ثم مضت مدة فترقبوه فتأخر ثم جاءهم بغتة بعد الاياس منه والقنوط فبعد ما كانت أرضهم مقشعرة هامدة أصبحت وقد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى (فانظر الى آثار رحمة الله) يعني المطر (كيف يحيي الارض بعد موتها) ثم نبه بذلك على إحياء الاجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها فقال تعالى (إن ذلك لمحيي الموتى) أي ان الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الاموات انه على كل شيء قدير . ثم قال تعالى (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون) يقول تعالى ولئن أرسلنا ريحا يابسة على الزرع الذي زرعوه ونبت وشب واستوى على سوقه فرأوه مصفراً أي قد اصفر وشرع في الفساد لظلوا من بعده أي بعد هذا الحال يكفرون أي يجحدون ماتقدم اليهم من النعم كقوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون - إلى قوله - بل نحن محرومون)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبيدالله بن عمرو قال: الرياح ثمانية أربعة منها رحمة وأربعة منها عذاب ، فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات ، وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في البر والعاصف والقاصف وهما في البحر ، فاذا شاء سبحانه وتعالى حركه بحركة الرحمة فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين يدي رحمته ولاقحا للسحاب تلقحه بحمله الماء كما يلقح الذكر الانثى بالحمل ، وإن شاء حركه بحركة العذاب فجعله عقيما وأودعه عذابا أليما وجعله نقمة على من يشاء من عباده فيجعله صرصراً وعاتيا ومفسداً لما يمر عليه والرياح مختلفة في مهابها صبا ودبور وجنوب وشمال ، وفي منفعتها وتأثيرها أعظم اختلاف فريح

كانوا أي وما كانوا الا مبلسين وأعاد قوله من قبله تأكيداً ، وقيل الاولى ترجع إلى انزال المطر ، والثانية إلى انشاء السحاب ، وفي حرف عبد الله بن مسعود (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين) غير مكرر ﴿ فانظر إلى أثر رحمت الله ﴾ هكذا قرأ أهل الحجاز والبصرة وأبو بكر ، وقرأ الآخرون (إلى آثار رحمة الله) على الجمع أراد برحمة الله المطر أي انظر إلى حسن تأثيره في الارض قال مقاتل أثر رحمة الله أي أثر نعمته وهو النبت ﴿ كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى ﴾ يعني أن ذلك الذي يحيي الارض لمحيي الموتى ﴿ وهو على كل شيء قدير ، ولئن أرسلنا ريحا ﴾ باردة مضرة فأفسدت الزرع ﴿ فرأوه مصفراً ﴾ أى رأوا النبت والزرع مصفراً بعد الخضرة ﴿ لظلوا ﴾ لصاروا

لينة رطبة تغذي النبات وأبدان الحيوان وأخرى تجففه ، وأخرى تهلكه وتعطبه ، وأخرى تسيره وتصلبه ، وأخرى توهنه وتضعفه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن عبيدالله بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا عبد الله بن عياش حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « الريح مسخرة في الثانية - يعني الارض الثانية - فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عاداً فقال يارب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور ، قال له الجبار تبارك وتعالى : لا اذا تكفأ الارض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه (ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم » هذا حديث غريب ورفعه منكر والاظهر انه من كلام عبدالله بن عمرو رضي الله عنه

فانك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصمَّ الدعاء إذا ولَّوا مدبرين (٥٢) وما أنت بهدي العُمْي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآيتنا فهم مسلمون (٥٣)

يقول تعالى كما انك ليس في قدرتك أن تسمع الاموات في أجداثها ولا تبلغ كلامك الصم الذين لايسمعون وهم مع ذلك مدبرون عنك كذلك لاتقدر على هداية العميان عن الحق وردهم عن ضلالتهم بل ذلك الى الله فانه تعالى بقدرته يسمع الاموات أصوات الاحياء اذا شاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وليس ذلك لاحد سواه ، ولهذا قال تعالى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أي خاضعون مستجيبون مطيعون فأولئك هم الذين يسمعون الحق ويتبعونه وهذا حال المؤمنين ، والاول مثل الكافرين كما قال تعالى (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) وقد استدلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية (انك لا تسمع الموتى) على توهيم عبدالله ابن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتلى الذين ألقوا في قليب بدر بعد ثلاثة أيام ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم ، حتى قال له عمر يارسول الله ماتخاطب من قوم قد جيفوا ؟ فقال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لايجيبون » وتأولته عائشة على أنه قال « انهم الآن ليعلمون ان ما كنت أقول لهم حق » وقال قتادة أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تقريعا وتوبيخا ونقمة ، والصحيح عند العلماء رواية عبدالله بن عمر لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة من أشهر ذلك مارواه ابن عبدالبر مصححا له عن ابن عباس مرفوعا « مامن أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام »

﴿ من بعده ﴾ أي من بعد اصفرار الزرع ﴿ يكفرون ﴾ يجحدون ماسلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم جحدوا سالف نعمتي

قوله ﴿ فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين * وما أنت بهادي العمي

(١) من هنا الى الآية التالية زيادة من النسخة المكية وهو غير موجود في النسخة الاميرية

(١) وثبت عنه ﷺ لأمته اذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد ، والسلف مجمعون على هذا . وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر فروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : اذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام

وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن رجل من آل عاصم الجحدري قال رأيت عاصم الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت ؟ قال بلى ، قلت فأين أنت ؟ قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبدالله المزني فنتلقى أخباركم ، قال قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال هيهات قد بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح ، قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم ؟ قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قال قلت فكيف ذلك دون الايام كلها ؟ قال لفضل يوم الجمعة وعظمته .

قال وحدثنا محمد بن الحسين ثنا بكر بن محمد ثنا حسن القصاب قال كنت أغدو مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتى نأتي أهل الجبان فنقف على القبور فنسلم عليهم وندعوا لهم ثم ننصرف فقلت ذات يوم لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين ؟ قال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما بعدها . قال ثنا محمد ثنا عبد العزيز بن أبان قال ثنا سفيان الثوري قال بلغني عن الضحاك أنه قال : من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته ، فقيل له وكيف ذاك ؟ قال لمكان يوم الجمعة . حدثنا خالد بن خداش ثنا جعفر بن سليمان عن أبي التياح يقول كان مطرف يغدو فاذا كان يوم الجمعة أدلج . قال وسمعت أبا التياح يقول بلغنا أنه كان ينزل بغوطه فأقبل ليلة حتى اذا كان عند المقابر يقوم وهو على فرسه فرأى أهل القبور كل صاحب قبر جالساً على قبره فقالوا هذا مطرف يأتي الجمعة ويصلون عندكم يوم الجمعة ؟ قالوا نعم ونعلم مايقول فيه الطير ، قلت وما يقولون ؟ قال يقولون سلام عليكم

حدثني محمد بن الحسن ثنا يحيى بن أبي بكر ثنا الفضل بن الموفق بن خال سفيان بن عيينة قال لما مات أبي جزعت عليه جزعا شديداً فكنت آتي قبره في كل يوم ثم قصرت عن ذلك ماشاء الله ثم إني أتيته يوما فبينا أنا جالس عند القبر غلبتني عيناي فنمت فرأيت كأن قبر أبي قد انفرج وكأنه قاعد في قبره متوشح أكفانه عليه سحنة الموتى قال فكأني بكيت لما رأيته قال يابني ماأبطأ بك عني قلت وانك لتعلم بمجيئي ؟ قال ماجئت مرة الا علمتها وقد كنت تأتيني فأسر بك ويسر من حولي بدعائك قال فكنت آتيه بعد ذلك كثيراً

عن ضلالتهم إن تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾

حدثني محمد حدثنا يحيى بن بسطام ثنا عثمان بن سويد الطفاوي قال وكانت أمه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال : لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت ياذخري وذخيرتي ومن عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي لاتخذلني عند الموت ولا توحشني . قال فماتت فكنت آتيها في كل جمعة فادعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور فرأيتها ذات يوم في منامي فقلت لها ياأمي كيف أنت ؟ قالت أي بني إن للموت لكربة شديدة وإني بحمد الله لفي برزخ محمود يفرش فيه الريحان ونتوسد السندس والاستبرق إلى يوم النشور فقلت لها ألك حاجة ؟ قالت نعم ، قلت وما هي ؟ قالت لاتدع ماكنت تصنع من زياراتنا والدعاء لنا فاني لابشر بمجيئك يوم الجمعة اذا أقبلت من أهلك يقال لي ياراهبة هذا ابنك قد أقبل فأسر ويسر بذلك من حولي من الاموات

حدثني محمد ثنا محمد بن عبد العزيز بن سليمان ثنا بشر بن منصور قال لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أمسى وقف على المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم ، وتجاوز عن مسيئكم ، وقبل حسناتكم لايزيد على هؤلاء الكلمات قال فامسيت ذات ليلة وانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو ، قال فبينا أنا نائم اذا بخلق قد جاءوني فقلت ماأنتم وما حاجتكم ؟ قالوا نحن أهل المقابر ، قلت ماحاجتكم ؟ قالوا انك عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك ، قلت وما هي ؟ قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها ، قال قلت فاني أعود لذلك قال فما تركتها بعد . وأبلغ من ذلك أن الميت يعلم بعمل الحي من أقاربه واخوانه . قال عبدالله ابن المبارك حدثني ثور بن يزيد عن ابراهيم عن أيوب قال تعرض أعمال الاحياء على الموتى فاذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا ، وإن رأوا سوءا قالوا اللهم راجع به

وذكر ابن أبي الدنيا عن أحمد بن أبي الحواري قال ثنا محمد أخي قال دخل عباد بن عباد على ابراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظني ، قال بم أعظك أصلحك الله ؟ بلغني أن أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر مايعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكى ابراهيم حتى أخضل لحيته . قال ابن أبي الدنيا وحدثني محمد بن الحسين ثني خالد بن عمرو الاموي ثنا صدقة بن سليمان الجعفري قال : كانت لي شرة سمجة فمات أبي فتبت وندمت على مافرطت ثم زلت أيما زلة فرأيت أبي في المنام فقال أي بني ماكان أشد فرحي بك وأعمالك تعرض علينا فنشبهها بأعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحييت لذلك حياء شديداً فلا تخزني فيمن حولي من الاموات قال فكنت أسمعه بعد ذلك يقول في دعائه في السحر وكان جاراً لي بالكوفة أسألك إيابة لارجعة فيها ولاحور يامصلح الصالحين وياهادي المضلين ويا أرحم الراحمين

وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة ، وكان بعض الانصار من أقارب عبدالله بن رواحة يقول . اللهم إني أعوذ بك من عمل أخزى به عند عبدالله بن رواحة كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبد الله . وقد شرع السلام على الموتى والسلام على من لم يشعر ولا يعلم بالمسلم محال

وقد علم النبي ﷺ أمته اذا رأوا القبور أن يقولوا سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية. فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد والله أعلم

الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (٥٤)

ينبه تعالى على تنقل الانسان في أطوار الخلق حالا بعد حال فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم يصير عظاما ثم تكسى العظام لحما وينفخ فيه الروح ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واهن القوى ثم يشب قليلا قليلا حتى يكون صغيراً ثم حدثا ثم مراهقا ثم شابا وهو القوة بعد الضعف ثم يشرع في النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة فتضعف الهمة والحركة والبطش وتشيب اللمة وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ، ولهذا قال تعالى (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء) ويتصرف في عبيده بما يريد (وهو العليم القدير)

قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن فضيل ويزيد حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي قال : قرأت على ابن عمر (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا) فقال (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا) ثم قال قرأت على رسول الله ﷺ كما قرأت علي فأخذ علي كما أخذت عليك . ورواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث فضيل به ورواه أبو داود من حديث عبدالله بن جابر عن عطية عن أبي سعيد بنحوه

ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون (٥٥) وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون (٥٦) فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون (٥٧)

قوله تعالى ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ قرئ . بضم الضاد وفتحها فالضم لغة قريش والفتح لغة تميم ومعنى من ضعف أي من نطفة يريد من ذي ضعف أي من ماء ذي ضعف كما قال تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين) ﴿ ثم جعل من بعد ضعف قوة ﴾ أي من بعد ضعف الطفولية شبابا وهو وقت القوة ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفا ﴾ هرما ﴿ وشيبة يخلق مايشاء ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿ وهو العليم ﴾ بتدبير خلقه ﴿ القدير ﴾ على مايشاء قوله ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ﴾ يحلف المشركون ﴿ مالبثوا ﴾ في الدنيا ﴿ غير ساعة ﴾

يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ففي الدنيا فعلوا مافعلوا من عبادة الاوثان ، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضا فمنه إقسامهم بالله أنهم مالبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا حتى يعذر اليهم

قال الله تعالى (كذلك كانوا يؤفكون ، وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث)أي فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لهم حين يحلفون مالبثوا غير ساعة (لقد لبثتم في كتاب الله) أي في كتاب الاعمال الى يوم البعث أي من يوم خلقتم الى أن بعثتم ولكنكم كنتم لاتعلمون قال الله تعالى (فيومئذ)أي يوم القيامة (لاينفع الذين ظلموا معذرتهم) أي اعتذارهم عما فعلوا ولا هم يستعتبون أي ولاهم يرجعون الى الدنيا كما قال (وان يستعتبوا فماهم من المعتبين)

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولَنَّ الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون (٥٨) كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون (٥٩) فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون (٦٠)

يقول تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي قد بينا لهم الحق ووضحناه لهم وضربنا لهم فيه الامثال ليستبينوا الحق ويتبعوه (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم

إلا ساعة استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة ، وقال مقاتل والكلبي مالبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال (كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) ﴿ كذلك كانوا يؤفكون ﴾ يصرفون عن الحق في الدنيا ، قال الكلبي ومقاتل كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين لاهل الجمع أنهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وبقدره بدليل قوله (يؤفكون) أي يصرفون عن الحق ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله ﴾ أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور ، وقيل في كتاب الله أي في حكم الله ، وقال قتادة ومقاتل فيه تقديم وتأخير تقديره وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والايمان لقد لبثتم إلى يوم البعث يعني الذين يعلمون كتاب الله وقرأوا قوله تعالى (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) أي قالوا للمنكرين لقد لبثتم ﴿ الى يوم البعث فهذا يوم البعث ﴾ الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ﴿ ولكنكم كنتم لاتعلمون ﴾ وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ يعني عذرهم ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ لا يطلب منهم العتبى والرجوع إلى الدنيا ، قرأ أهل الكوفة لا ينفع بالياء ههنا وفي حم المؤمن ، وقرأ الباقون بالتاء فيهما قوله ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا

إلا مبطلون) أي لو رأوا أي آية كانت سواء كانت باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ويعتقدون أنها سحر وباطل كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) ولهذا قال ههنا (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق) أي اصبر على مخالفتهم وعنادهم فان الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) أي بل اثبت على ما بعثك الله به فانه الحق الذي لا مرية فيه ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هدى يتبع بل الحق كله منحصر فيه

قال سعيد عن قتادة نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الغداة فقال (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فأنصت له علي حتى فهم ما قال فأجابه وهو في الصلاة (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقد رواه ابن جرير من وجه آخر فقال حدثنا وكيع حدثنا يحيى ابن آدم عن شريك عن عثمان عن أبي زرعة عن علي بن ربيعة قال: نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة: (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شريك عن عمران ابن ظبيان عن أبي يحيى قال صلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)

﴿ ماروي في فضل هذه السورة الشريفة واستحباب قراءتها في الفجر ﴾

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شبيبا أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها الروم فأوهم فلما انصرف قال « انه يلبس علينا القرآن فان أقواما منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء فمن شهد منكم الصلاة معنا فليحسن الوضوء » وهذا إسناد حسن ومتن حسن ، وفيه سر عجيب ، ونبأ غريب وهو أنه ﷺ تأثر بنقصان وضوء من ائتم به فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الامام

(آخر تفسير سورة الروم ولله الحمد والمنة)

إن أنتم الا مبطلون ﴾ ما أنتم الا على باطل ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ توحيد الله ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ﴾ في نصرتك واظهارك على عدوك ﴿ ولا يستخفنك ﴾ لا يستجهلنك معناه لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي ، وقيل لا يستخفن رأيك وحلمك ﴿ الذين لا يوقنون ﴾ بالبعث والحساب

تفسير سورة لقمان وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) تلك آيت الكتب الحكيم (٢) هدًى ورحمة للمحسنين (٣) الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)

تقدم في أول سورة البقرة عامة الكلام على مايتعلق بصدر هذه السورة وهو انه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها ، ووصلوا أرحامهم وقراباتهم وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك لم يراءوا به ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكوراً ، فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى [أولئك على هدى من ربهم] أي على بصيرة وبينة ومنهج واضح جلي (وأولئك هم المفلحون) أي في الدنيا والآخرة

ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (٦) وإذا تتلى عليه آيتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم (٧)

﴿ سورة لقمان مكية وهي وثلاثون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم ، تلك آيات الكتاب الحكيم ، هدى ورحمة ﴾ قرأ حمزة ورحمة بالرفع على الابتداء أي هو هدى ورحمة ، وقرأ الآخرون بالنصب على الحال ﴿ للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة وكان يتجر

لما ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه كما قال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله)الآية . عطف بذكر حال الاشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالالحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) قال هو والله الغناء.

روى ابن جرير حدثني يونس بن عبدالاعلى قال أخبرنا ابن وهب أخبرني يزيد بن يونس عن أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري انه سمع عبدالله بن مسعود وهو يسئل عن هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) فقال عبد الله بن مسعود الغناء والله الذي لا إله الا هو ، يرددها ثلاث مرات

حدثنا عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء انه سأل ابن مسعود عن قول الله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال الغناء وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلي بن بذيمة ، وقال الحسن البصري : نزلت هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) في الغناء والمزامير . وقال قتادة قوله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل

فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم فيحدث بها قريشا ويقول ان محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية ، وقال مجاهد يعني شراء القيان والمغنيين . ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات أو ذا لهو الحديث

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحاق المزكي ثنا جدي محمد بن اسحاق بن خزيمة أنا علي بن حجر أنا مشمعل بن ملحان الطائي عن مطرح ابن يزيد عن عبدالله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي عبد الرحمن عن أبي امامة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام ، وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت »

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي انا ابو احمد بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي انا محمد بن غالب بن تمتام أنا خالد بن مرثد أنا حماد بن زيد عن

الله بغير علم) والله لعله لا ينفق فيه مالا ولكن شراؤه استحبابه « بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ماينفع ، وقيل أراد بقوله (يشتري لهو الحديث) اشتراء المغنيات من الجواري

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن خلاد الصفار عن عبيد الله ابن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال « لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن وأكل أثمانهن حرام ، وفيهن أنزل الله عز وجل علي (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) » وهكذا رواه الترمذي وابن جرير من حديث عبيد الله بن زحر بنحوه ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وضعف علي بن يزيد المذكور [قلت] علي وشيخه والراوي عنه كلهم ضعفاء والله أعلم ، وقال الضحاك في قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال يعني الشرك وبه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختار ابن جرير انه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله

وقوله (ليضل عن سبيل الله) أي انما يصنع هذا للتخالف للاسلام وأهله « وعلى قراءة فتح الياء تكون اللام لام العاقبة أو تعليلا للامر القدري أي قيضوا لذلك ليكونوا كذلك

وقوله تعالى (ويتخذها هزوا) قال مجاهد ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزيء بها ، وقال قتادة يعني ويتخذ آيات الله هزواً ، وقول مجاهد أولى « وقوله (أولئك لهم عذاب مهين) أي كما استهانوا بآيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر ، ثم قال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً) أي هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب إذا تليت

هشام هو ابن حسان عن محمد هو ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة . قال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله يقول (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية . وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ، ومعنى قوله (يشتري لهو الحديث) أي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن . قال أبو الصهباء البكري سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله لا إله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق في القلب « وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يخرقون الدفوف ، وقيل الغناء رقية الزنا ، وقال ابن جريج هو الطبل « وعن الضحاك قال هو الشرك ، وقال قتادة هو كل لهو ولعب ﴿ ليضل عن سبيل الله بغير علم ﴾ يعني يفعله عن جهل ، قال قتادة بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق

قوله تعالى ﴿ ويتخذها هزواً ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب ويتخذها بنصب الذال عطفا على قوله (ليضل) وقرأ الآخرون بالرفع نسقا على قوله (يشتري) ﴿ أولئك لهم عذاب مهين ﴾

عليه الآيات القرآنية ولى عنها وأعرض وأدبر وتصامم ومابه من صمم كأنه ماسمعها لانه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها (فبشره بعذاب أليم) أى يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته

إن الذين آمنوا وعملوا الصّٰلحت لهم جنّٰت النعيم (٨) خٰلدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم (٩)

هذا ذكر مآل الابرار من السعداء في الدار الآخرة الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الاعمال الصالحة التابعة لشريعة الله [لهم جنات النعيم] أي يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمراكب والنساء والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائما لا يظعنون ولا يبغون عنها حولا

وقوله تعالى (وعد الله حقا) أي هذا كائن لامحالة لانه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لانه الكريم المنان الفعال لما يشاء القادر على كل شيء [وهو العزيز] الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء [الحكيم] في أقواله وأفعاله الذى جعل القرآن هدى للمؤمنين (قل هو الذين آمنوا هدى وشفاء، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) الآية. وقوله (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)

خلق السموٰت بغير عَمَد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابّة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم (١٠) هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظٰلمون في ضلٰل مبين (١١)

يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والارض وما فيها وما بينهما فقال تعالى (خلق السموات بغير عمد) قال الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية. وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد لها عمد لا ترونها. وقد تقدم تقرير هذه المسئلة في أول سورة الرعد بما أغنى عن إعادته (وألقى في الارض رواسي) يعني الجبال أرست الارض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء ولهذا قال [أن تميد بكم] أي لئلا تميد بكم

وقوله تعالى [وبث فيها من كل دابة] أي وذرأ فيهما من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها

واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم * خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم * خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من

وألوانها الا الذي خلقها . ولما قرر سبحانه أنه الخالق نبه على انه الرازق بقوله (وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل زوج من النبات كريم أي حسن المنظر، وقال الشعبي والناس أيضاً من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم

وقوله تعالى (هذا خلق الله) أي هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات والارض وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره وحده لا شريك له في ذلك ولهذا قال تعالى (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أي مما يعبدون ويدعون من الاصنام والانداد [بل الظالمون] يعني المشركين بالله العابدين معه غيره (في ضلال) أي جهل وعمى (مبين) أي واضح ظاهر لا خفاء به

ولقد آتينا لقمن الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد (١٢)

اختلف السلف في لقمان هل كان نبياً أو عبداً صالحا من غير نبوة ؟ على قولين الاكثرون على الثاني ، وقال سفيان الثوري عن الاشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبداً حبشيا نجارا وقال قتادة عن عبدالله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى اليكم من شأن لقمان ؟ قال كان قصيرا أفطس الانف من النوبة ، وقال يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة

وقال الاوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لاتحزن من أجل انك أسود فانه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب و لقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي الاشهب عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال اخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ماشاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال اخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج

السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ حسن ﴿ هذا ﴾ يعني الذي ذكرت مما تعاينون ﴿ خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ من آلهتكم التي تعبدونها ﴿ بل الظالمون في ضلال مبين ﴾

قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور ، وقال محمد بن اسحاق هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر ، وقال وهب انه كان ابن أخت أيوب ، وقال مقاتل ذكر أنه كان ابن خالة أيوب ، قال الواقدي كان قاضياً في بني اسرائيل ، واتفق العلماء على أنه كان حكيما ولم يكن نبياء الا عكرمة فانه قال كان لقمان نبيا وتفرد بهذا القول ، وقال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة ، وروي أنه كان نائما نصف النهار فنودي يالقمان هل لك أن

اللسان والقلب ، فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال لقمان انه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا

وقال الاعمش قال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين ، وقال حكام بن أسلم عن سعيد الزبيدي عن مجاهد كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بني اسرائيل ، وذكر غيره انه كان قاضيا على بني اسرائيل في زمان داود عليه السلام

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأتاه رجل وهو في مجلس ناس يحدثهم فقال له ألست الذى كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى ؟ قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر قال : ان الله رفع لقمان الحكيم بحكمته فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعى بالامس؟ قال بلى ،قال فما بلغ بك ما أرى؟ قال قدر الله وأداء الامانة وصدق الحديث وتركي ما لا يعنيني .فهذه الآثار منها ماهو مصرح فيه بنفي كونه نبيا ومنها ماهو مشعر بذلك لان كونه عبدا قد مسه الرق ينافي كونه نبيا لان الرسل كانت تبعث في احساب قومها ولهذا كان جمهور السلف على انه لم يكن نبيا وانما ينقل كونه نبيا عن عكرمة ان صح السند اليه فانه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا ،وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف والله أعلم

وقال عبد الله بن وهب أخبرني عبدالله بن عياش القتباني عن عمر مولى غفرة قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبد بني الحسحاس ؟ قال نعم، قال أنت راعي الغنم ؟قال نعم قال أنت الاسود ؟ قال أما سوادي فظاهر فما الذى يعجبك من أمري؟ قال وطء الناس بساطك ، وغشيهم بابك، ورضاهم بقولك ، قال يا ابن أخي ان صغيت الى ما أقول لك كنت كذلك ، قال لقمان

يجعلك الله خليفة في الارض لتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال : إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء ، وإن عزم علي فسمعا وطاعة فاني أعلم إن فعل ذلك بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لايراهم لم يالقمان ؟ قال لان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان إن يعن كافيا فالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ، ومن تخير الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة. فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها، ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترطه لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يؤازره بحكمته ، وعن خالد

غضي بصري وكفي لساني وعفة طعمتي وحفظي فرجي وقولي بصدقي ووفائي بعهدي وتكرمتي ضيفي وحفظي جاري وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذى صيرني الى ماترى

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة بن رباح عن ربيعة عن أبي الدرداء انه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال ماأوتي ماأوتي عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا صمصامة سكيتا طويل التفكر عميق النظر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد قط يبزق ولا يتنخع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقا نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه احد ، وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم ، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتي ماأوتي

وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبي حاتم فقال حدثنا أبي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيي بن عبيد الخزاعي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال : خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة ، قال فأصبح ينطق بها ، قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك ؟ فقال انه لو أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنت أرجو أن أقوم بها ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب الي . فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه فالله أعلم ، والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أي الفقه في الاسلام ولم يكن نبيا ولم يوح اليه

وقوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أي الفهم والعلم والتعبير (أن اشكر لله) أي أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه ، ثم قال تعالى (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) أي انما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) وقوله (ومن كفر فان الله غني حميد) أى غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الارض كلهم جميعا فانه الغني عما سواه ، فلا اله الا الله ولا نعبد الا اياه

وإذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يبني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (١٣)

الربعي قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، وقال سعيد بن المسيب كان خياطا ، وقيل كان راعي غنم فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعي فبم بلغت ما بلغت ؟ قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك مالا يعنيني ، وقال مجاهد كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين

قوله عز وجل ﴿ أن اشكر لله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غني حميد * وإذ قال لقمان لابنه ﴾ واسمه أنعم ويقال أشكم ﴿ وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم

ووصينا الانسن بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير (١٤) وإن جهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥)

يقول تعالى مخبرا عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عنقاء بن سدون واسم ابنه ثاران في قول حكاه السهيلي . وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر وانه آتاه الحكمة وهو يوصي ولده الذى هو أشفق الناس عليه وأحبهم اليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ثم قال محذراً له (إن الشرك لظلم عظيم) أي هو أعظم الظلم

قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال : لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ « انه ليس بذلك ألا تسمع إلى قول لقمان (يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) » ورواه مسلم من حديث الاعمش به ثم قرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وكثيراً مايقرن تعالى بين ذلك في القرآن ، وقال ههنا [ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن] قال مجاهد مشقة وهن الولد ، وقال قتادة جهداً على جهد ، وقال عطاء الخراساني ضعفا على ضعف ، وقوله [وفصاله في عامين] أي تربيته وارضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى [والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة] الآية ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه قال في الآية الاخرى [وحمله وفصاله ثلاثون شهراً] وانما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهاراً ليذكر الولد باحسانها المتقدم اليه كما قال تعالى [وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً] ولهذا قال [أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير] أي فاني سأجزيك على ذلك أوفر جزاء

عظيم ﴾ قرأ ابن كثير (يابني لا تشرك بالله) باسكان الياء وفتحها حفص ، والباقون بالكسر (يابني انها) بفتح الياء حفص ، والباقون بالكسر (يابني أقم الصلاة) بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص وباسكانها القواس والباقون بكسرها

قوله تعالى ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ﴾ قال ابن عباس شدة بعد شدة وقال الضحاك ضعفا على ضعف ، قال مجاهد مشقة على مشقة ، وقال الزجاج المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة ، ويقال الحمل ضعف ، والطلق ضعف ، والوضع ضعف ﴿ وفصاله ﴾ أي فطامه ﴿ في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴾ المرجع ، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبدالله بن أبي شيبة ومحمود بن غيلاز قالا حدثنا عبيدالله أخبرنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي ﷺ فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اني رسول رسول الله ﷺ اليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تطيعوني لا آلوكم خيراً ، وان المصير إلى الله إلى الجنة أو الى النار اقامة فلا ظعن وخلود فلا موت . وقوله [وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما] أي ان حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا أي محسنا اليهما [واتبع سبيل من أناب إلي] يعني المؤمنين [ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) قال الطبراني في كتاب العشرة حدثنا ابو عبدالرحمن عبدالله بن احمد بن حنبل حدثنا احمد ابن ايوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك قال أنزلت في هذه الآية [وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما] الآية قال : كنت رجلا براً بأمي فلما أسلمت قالت ياسعد ماهذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال ياقاتل أمه فقلت لا تفعلي يا أمه فاني لا أدع ديني هذا لشيء. فمكثت يوما وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء. فان شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي . فأكلت

يٰبني إنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموٰات أو في الأرض

الصلوات الخمس فقد شكر الله ، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة ﴿ واتبع سبيل من أناب إلي ﴾ أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه . قال عطاء عن ابن عباس يريد أبا بكر وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقية الاسلام أسلموا بارشاد أبي بكر قال الله تعالى (واتبع سبيل من أناب إلي) يعني ابا بكر ﴿ ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ وقيل نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه وقد مضت القصة . وقيل الآية عامة في حق كافة الناس

قوله تعالى ﴿ يابني انها إن تك مثقال حبة من خردل ﴾ الكناية في قوله انها راجعة إلى الخطيئة

يأت بها الله ان الله لطيف خبير (١٦) يٰبنيّ أقم الصلوٰة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر
واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور (١٧) ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش
في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور (١٨) واقصد في مشيك واغضُضْ من
صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير (١٩)

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم ليمتثلها الناس ويقتدوا بها فقال [يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل] أي ان المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله انها ضمير الشأن والقصة وجوز على هذا رفع مثقال والاول أولى . وقوله عز وجل [يأت بها الله] أي أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها إن خيراً فخير وان شرا فشر كما قال تعالى [ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا] الآية . وقال تعالى [فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره] ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات والارض فان الله يأتي بها لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض . ولهذا قال تعالى [ان الله لطيف خبير] أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الاشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت خبير بدبيب النمل في الليل البهيم ، وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله [فتكن في صخرة] أنها صخرة تحت الارضين السبع * وذكره السدي باسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة ان صح ذلك ، ويروى هذا عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري والمنهال بن عمرو وغيرهم وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب

والظاهر والله أعلم أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فان الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه . كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس

ذلك أن ابن لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله * فقال يابني انها إن تك مثقال حبة من خردل ﴿ فتكن في صخرة ﴾ قال قتادة تكن في جبل ، وقال ابن عباس في صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها ، قال السدي خلق الله الارض على حوت وهو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن (ن * والقلم) والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهي الصخرة التي ذكرها لقمان

لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ماكان » ثم قال (يابني أقم الصلاة) أي بحدودها وفروضها وأوقاتها (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) أي بحسب طاقتك وجهدك (واصبر على ما أصابك) علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر

وقوله [ان ذلك من عزم الامور] أي ان الصبر على أذى الناس لمن عزم الامور . وقوله (ولا تصعر خدك للناس] يقول لاتعرض بوجهك عن الناس اذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم « ولكن ألن جانبك وابسط وجهك اليهم كما جاء في الحديث « ولو أن تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط ، واياك واسبال الازار فانها من المخيلة والمخيلة لايحبها الله »

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله « ولا تصعر خدك للناس) يقول لاتتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك ، وكذا روى العوفي وعكرمة عنه ، وقال مالك عن زيد ابن أسلم [ولا تصعر خدك للناس] لاتتكلم وأنت معرض وكذا روي عن مجاهد وعكرمة ويزيد بن الاصم وأبي الجوزاء وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وغيرهم « وقال ابراهيم النخعي يعني بذلك التشديق في الكلام . والصواب القول الاول قال ابن جرير وأصل الصعر داء يأخذ الابل في أعناقها أو رؤسها حتى تلفت أعناقها عن رؤسها فشبه به الرجل المتكبر ومنه قول عمرو بن حي التغلبي

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوما

وقال أبو طالب في شعره

وكنا قديما لانقر ظلامة اذا ماثنوا صعر الرؤس نقيمها

وقوله [ولاتمش في الارض مرحا] أي خيلاء متكبرا جبارا عنيدا لاتفعل ذلك يبغضك الله ولهذا قال [ان الله لايحب كل مختال فخور] أي مختال معجب في نفسه فخور أي على غيره « وقال تعالى [ولاتمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا] وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال : ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فشدد فيه فقال « إن الله لايحب كل مختال فخور » فقال رجل من القوم والله يارسول الله اني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي «

ليست في السماء ولا في الارض والصخرة على الريح ﴿ أو في السموات اوفي الارض يأت بها الله إن الله لطيف ﴾ باستخراجها ﴿ خبير ﴾ عالم بمكانها . قال الحسن معنى الآية هي الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها ، وفي بعض الكتب : إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات رحمه الله

فقال « ليس ذلك الكبر انما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس » ورواه من طريق أخرى بمثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعد موته

وقوله (واقصد في مشيك) أي امش مشيا مقتصداً ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا بين بين . وقوله (واغضض من صوتك) أي لاتبالغ في الكلام ولاترفع صوتك فيما لافائدة فيه ولهذا قال (إن أنكر الاصوات لصوت الحمير) وقال مجاهد وغير واحد ان أقبح الاصوات لصوت الحمير أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض الى الله تعالى، وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم لان رسول الله ﷺ قال « ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه » وقال النسائي عند تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « اذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، واذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا » وقد أخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن جعفر بن ربيعة به ، وفي بعض الالفاظ بالليل فالله أعلم . فهذه وصايا نافعة جداً وهي من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فلنذكر منها أنموذجا ودستوراً الى ذلك

قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أخبرنا ابن المبارك أخبرنا سفيان أخبرني نهشل بن مجمع الضبي عن قزعة عن ابن عمر قال : أخبرنا رسول الله ﷺ قال « إن لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئا حفظه » وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله ﷺ قال « قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يابني اياك والتقنع فانه مخوفة بالليل مذمة بالنهار » وقال حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا السري بن يحيي قال : قال لقمان لابنه يابني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك . وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبدالله قال : قال لقمان لابنه يابني اذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الاسلام يعني السلام ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فان أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم ،وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم. وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير ابن دينار حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال : وضع لقمان جرابا من خردل الى جانبه وجعل يعظ ابنه

قوله ﴿ يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ﴾ يعني من الاذى ﴿ إن ذلك من عزم الامور ﴾ يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى فيهما من الامور الواجبة التي أمر الله بها أو من الامور التي يعزم عليها لوجوبها ﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ولا تصعر بتشديد العين من غير ألف ، وقرأ

وعظة ويخرج خردلة حتى نفد الخردل فقال يابني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطر قال فتفطر ابنه

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي حدثنا احمد بن عبد الرحمن الخزاعي ثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي حدثنا أنس بن سفيان المقدسي عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن » قال الطبراني أراد الحبش

﴿ فصل في الخمول والتواضع ﴾ وذلك متعلق بوصية لقمان عليه السلام لابنه وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتابا مفرداً ونحن نذكر منه مقاصده قال : حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدني عن أسامة بن زيد عن حفص بن عبد الله بن أنس عن جده أنس بن مالك سمعت رسول الله ﷺ يقول « رب أشعث ذي طمرين يصفح عن أبواب الناس اذا أقسم على الله لأبره » ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت وعلي بن زيد عن أنس عن النبي ﷺ فذكره وزاد « منهم البراء بن مالك » وروي أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « طوبى للانقياء الاثرياء الذين اذا حضروا لم يعرفوا واذا غابوا لم يفتقدوا أولئك مصابيح مجردون من كل فتنة غبراء مشتتة » وقال أبو بكر بن سهل التميمي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد عن عياش ابن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه أنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال « مايبكيك يامعاذ ؟ قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول « إن اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الانقياء الاخفياء الاثرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة »

حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا غنام بن علي عن حميد بن عطاء الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « رب ذي طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الله الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً » وقال أيضا حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قال رسول الله ﷺ « إن من أمتي من لو أتى باب أحدكم يسأله ديناراً أو درهما أو فلساً لم يعطه ، ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ، ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها ولم يمنعها إياه لهوانه عليه ، ذو طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره » وهذا مرسل من هذا الوجه

الآخرون تصاعر بالالف يقال صعر وجهه وصاعر اذا مال وأعرض تكبراً ، ورجل أصعر أي مائل العنق . قال ابن عباس يقول لاتتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك ، وقال مجاهد هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه ، وقال عكرمة هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبراً ، وقال الربيع بن أنس وقتادة ولا تحقرن الفقراء ليكن الفقير والغني عندك سواء

وقال أيضا حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال . قال أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان من ملوك الجنة من هو أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه » الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم ، واذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، واذا قالوا لم ينصف لهم حوائج أحدهم تتجلجل في صدره ، لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم » قال وأنشدني عمر بن شبة عن ابن عائشة قال قال عبد الله بن المبارك :

الا رب ذي طمرين في منزل غداً   زرابيه مبثوثة ونمارقه
قد اطردت أنواره حول قصره   وأشرق والتفت عليه حدائقه

وروي أيضا من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة مرفوعا « قال الله : من أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه وأعطاه في السر ، وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ان صبر على ذلك » قال ثم أنفذ رسول الله ﷺ بيده وقال « عجلت منيته ، وقل تراثه ، وقلت بواكيه » وعن عبد الله بن عمرو قال : أحب عباد الله الى الله الغرباء » قيل ومن الغرباء ؟ قال الفرارون بدينهم يجمعون يوم القيامة الى عيسى بن مريم . وقال الفضيل ابن عياض بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أنعم عليك ألم أعطك ألم أسترك ؟ ألم ألم ألم أجمل ذكرك . ثم قال الفضيل إن استطعت أن لا تعرف فافعل وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محبوبا عند الله . وكان ابن محيريز يقول اللهم اني أسألك ذكراً خاملا » وكان الخليل ابن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع خلقك » وعند الناس من أوسط خلقك .

ثم قال (باب ماجاء في الشهرة) حدثنا احمد بن عيسى المصري حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال « حسب امرىء من الشر الا من عصم الله أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ، وان الله لا ينظر الى صوركم ولكن الى قلوبكم وأعمالكم » وروي مثله عن اسحاق بن البهلول عن ابن أبي فديك عن محمد بن عبد الواحد الاخنسي عن عبد الواحد بن أبي كثير عن جابر بن عبد الله مرفوعا مثله ، وروي عن الحسن مرسلا نحوه فقيل للحسن فانه يشار اليك بالاصابع ، فقال انما المراد من يشار اليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق . وعن علي رضي الله عنه قال : لا تبدي لان تشتهر » ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، تسر الابرار وتغيظ الفجار . وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ماصدق

﴿ ولا تمش في الارض مرحا ﴾ خيلاء تكبراً ﴿ إن الله لا يحب كل مختال ﴾ في مشيه ﴿ فخور ﴾ على الناس ﴿ واقصد في مشيك ﴾ أي ليكن مشيك قصداً لا تخيلا ولا اسراعا » وقال عطاء امش بالوقار والسكينة كقوله (يمشون على الارض هوناً) ﴿ واغضض من صوتك ﴾ انقص من صوتك وقال مقاتل اخفض من

الله من أحب الشهرة ¤ وقال أيوب ماصدق الله عبد الا سره أن لايشعر بمكانه ¤ وقال محمد بن العلاء من أحب الله أحب أن لايعرفه الناس ¤ وقال سماك بن سلمة اياك وكثرة الاخلاء ¤ وقال أبان بن عثمان ان أحببت أن يسلم اليك دينك فأقل من المعارف ¤ وكان أبو العالية اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم ، وقال حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن عوف عن ابي رجاء قال رأى طلحة قوما يمشون معه فقال ذباب طمع وفراش النار

وقال ابن ادريس عن هارون بن ابي عيسى عن سليم بن حنظلة قال بينا نحن حول أبي اذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال انها مذلة للتابع وفتنة للمتبوع . وقال ابن عون عن الحسن خرج ابن مسعود فاتبعه أناس فقال والله لو تعلمون ماأغلق عليه بابي مااتبعني منكم رجلان ¤ وقال حماد بن زيد كنا اذا مررنا على المجلس ومعنا أيوب فسلم ردوا رداً شديداً فكان ذلك نعمة ، وقال عبد الرزاق عن معمر كان أيوب يطيل قميصه فقيل له في ذلك فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طول القميص واليوم في تشميره ، واصطنع مرة نعلين على حذو نعلي النبي ﷺ فلبسهما أياما ثم خلعهما وقال لم أر الناس يلبسونهما ¤ وقال ابراهيم النخعي لاتلبس من الثياب مايشهر في الفقهاء ولا مايزدريك السفهاء ¤ وقال الثوري كانوا يكرهون من الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم ، والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستذل دينه

وحدثنا خالد بن خداش حدثنا حماد عن أبي حسنة صاحب الزيادي قال كنا عند أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق ، وقال الحسن رحمه الله ان قوما جعلوا الكبر في قلوبهم والتواضع في ثيابهم،فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرف بمطرفه مالهم تفاقدوا . وفي بعض الاخبار أن موسى عليه السلام قال لبني اسرائيل مالكم تأتوني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب البسوا ثياب الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية

﴿ فصل في حسن الخلق ﴾ قال ابو التياح عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا .وعن عطاء عن ابن عمر قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال ¤ أحسنهم خلقا ¤ وعن نوح ابن عباد عن ثابت عن أنس مرفوعا « ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وانه ليبلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد ¤ وعن سيار بن هارون عن حميد عن أنس مرفوعا ¤ ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ¤ وعن عائشة مرفوعا « ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار »

صوتك ﴿إن أنكر الاصوات﴾ أقبح الاصوات ﴿ لصوت الحمير﴾ أوله زفير وآخره شهيق وهما صوتا أهل النار .

وقال موسى بن أعين سمعت سفيان الثوري يقول في قوله (إن أنكر الاصوات لصوت الحمير) قال صياح كل شيء تسبيح لله الا الحمار . وقال جعفر الصادق في قوله (إن أنكر الاصوات لصوت

وقال ابن ابي الدنيا حدثني ابو مسلم عبدالرحمن بن يونس حدثنا عبدالله بن ادريس أخبرني أبي وعمي عن جدي عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن أكثر مايدخل الناس الجنة فقال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر مايدخل الناس النار فقال « الاجوفان الفم والفرج » وقال أسامة بن شريك كنت عند رسول الله ﷺ فجاءته الاعراب من كل مكان فقالوا يارسول الله ماخير ما أعطي الانسان ؟ قال « حسن الخلق »

وقال يعلى بن مماك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء يبلغ به قال: مامن شيء أثقل في الميزان من خلق حسن « وكذا رواه عطاء عن أم الدرداء به وعن مسروق عن عبدالله بن عمرو مرفوعا « ان من خياركم أحسنكم أخلاقا » حدثنا عبدالله بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عيسى عن محمد بن أبي سارة عن الحسن ابن علي قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه الاجر ويروح » وعن مكحول عن أبي ثعلبة مرفوعا « ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا ، وان أبغضكم الي وأبعدكم مني منزلا في الجنة مساويكم أخلاقا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » وعن ابي اويس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا « ألا أخبركم بأكملكم ايمانا أحاسنكم أخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يؤلفون ويألفون »

وقال الليث عن يزيد بن عبدالله بن اسامة عن بكر بن أبي الفرات قال : قال رسول الله ﷺ « ماحسن الله خلق رجل وخلقه فتطعمه النار » وعن عبدالله بن غالب الحداني عن أبي سعيد مرفوعا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق » وقال ميمون بن مهران عن رسول الله ﷺ « مامن ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق » وذلك أن صاحبه لايخرج من ذنب الاوقع في آخر. قال حدثنا علي بن الجعد حدثنا ابو المغيرة الاحمسي حدثنا عبدالرحمن بن إسحاق عن رجل من قريش قال : قال رسول الله ﷺ « مامن ذنب أعظم عندالله من سوء الخلق ، ان الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد « وان الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل

وقال عبدالله بن ادريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوعا « انكم لاتسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق « وقال محمد بن سيرين حسن الخلق عون على الدين

﴿ فصل في ذم الكبر ﴾ قال علقمة عن ابن مسعود رفعه « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقال ابراهيم بن أبي عبلة عن أبي

الحمير) قال هي العطسة القبيحة المنكرة ، قال وهب تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم . ومن حكمه قال خالد الربيعي كان لقمان عبداً حبشيا فدفع مولاه اليه شاة وقال اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ، ثم دفع اليه شاة أخرى وقال

سلمة عن عبدالله بن عمرو مرفوعا «من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار» حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا ابومعاوية عن عمر بن راشد عن اياس بن سلمة عن أبيه مرفوعا «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب»

وقال مالك بن دينار ركب سليمان بن داود عليهما السلام ذات يوم البساط في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسف به أبعد مما رفع. قال حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان ابو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الانسان حتى إن أحدنا ليقذر نفسه يقول: خرج من مجرى البول مرتين.

وقال الشعبي من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جباراً في الارض) وقال الحسن عجبا لابن آدم يغسل الخرء بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات. قال حدثنا خالد بن خداش حدثنا حماد بن زيد عن علي بن الحسن عن الضحاك بن سفيان فذكر حديث ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم

وقال الحسن عن يحيى عن أبي قال ان مطعم ابن آدم ضرب مثلا للدنيا وان قزحه وملحه. وقال محمد بن الحسين بن علي - من ولد علي رضي الله عنه - مادخل قلب رجل شيء من كبر الا نقص من عقله بقدر ذلك. وقال يونس بن عبيد ليس مع السجود كبر ولا مع التوحيد نفاق « ونظر طاوس الى عمر ابن عبد العزيز وهو يختال في مشيته وذلك قبل أن يستخلف فطعن طاوس في جنبه بأصبعه وقال ليس هذا شأن من في بطنه خرء فقال له كالمعتذر اليه: ياعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها قال ابو بكر بن أبي الدنيا كان بنو أمية يضربون أولادهم حتى يتعلمون هذه المشية

﴿ فصل في الاختيال ﴾ عن ابن أبي ليلى عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعا «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه» ورواه عن إسحاق بن اسماعيل عن سفيان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله. وحدثنا محمد بن بكار حدثنا عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا «لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر إزاره، وبينما رجل يتبختر في برديه أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة « وروى الزهري عن سالم عن أبيه بينما رجل الى آخره

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً

اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا

قوله تعالى ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات ومافي الارض وأسبغ عليكم ﴾ أتم وأكمل

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٢٠) واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله

قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ؟ (٢١)

يقول تعالى منبها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة بانه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد وجعله إياها لهم سقفا محفوظا وما خلق لهم في الارض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من ارسال الرسل وانزال الكتب وإزاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم بل منهم من يجادل في الله أي في توحيده وارساله الرسل ومجادلته في ذلك بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح . ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) أي مبين مضيء . (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء المجادلين في توحيد الله (اتبعوا ما أنزل الله) أي على رسوله من الشرائع المطهرة (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) أي لم يكن لهم حجة الا اتباع الآباء الاقدمين . قال الله تعالى (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) أي فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم انهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال تعالى (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير)

﴿ نعمه ﴾ قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وحفص (نعمه) بفتح العين وضم الهاء على الجمع ، وقرأها الآخرون منونة على الواحد ومعناها الجمع أيضاً كقوله (وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها) ﴿ ظاهرة وباطنة ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن ، والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة ، وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضاء ، والباطنة المعرفة ، وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة الايمان ، وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب ، وقيل الظاهرة الاقرار باللسان ، والباطنة الاعتقاد بالقلب ، وقيل الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق ، وقال عطاء الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة ، وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء ، والباطنة الامداد بالملائكة ، وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة إلقاء الرعب في قلوب الكفار ، وقال سهل بن عبدالله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم ﴿ ولا هدى ولا كتاب منير ، واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ قال الله عز وجل ﴿ أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ﴾ وجواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه يعني يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير

ومن يُسْلم وجهه الى الله وهو مُحسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور (٢٢) ومن كفر فلا يَحزُنْك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور (٢٣) نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (٢٤)

يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لامره واتبع شرعه ، ولهذا قال (وهو محسن) أي في عمله باتباع ما به أمر وترك ماعنه زجر (فقد استمسك بالعرة الوثقى) أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه (وإلى الله عاقبة الامور * ومن كفر فلا يحزنك كفره) أي لاتحزن عليهم يامحمد في كفرهم بالله وبما جئت به فان قدر الله نافذ فيهم (والى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا) أي فيجزيهم عليه (إن الله عليم بذات الصدور) فلا تخفى عليه خافية

ثم قال تعالى (نمتعهم قليلا) أي في الدنيا (ثم نضطرهم) أي نلجئهم (إلى عذاب غليظ) أي فظيع صعب مشق على النفوس كما قال تعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

ولئن سألتهم من خلق السمٰوٰت والارضَ ليقولُنَّ الله ، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٢٥) لله ما في السمٰوٰت والارض إن الله هو الغني الحميد (٢٦)

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين به انهم يعرفون أن الله خالق السموات والارض وحده لاشريك له ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له ، ولهذا قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) أي اذ قامت عليكم الحجة باعترافكم (بل أكثرهم لا يعلمون) ثم قال تعالى (لله ما في السموات والارض) أي هو خلقه وملكه (إن الله هو الغني الحميد) أي الغني عما سواه وكل شيء فقير اليه الحميد في جميع ماخلق له الحمد في السموات والارض على ماخلق وشرع وهو المحمود في الامور كلها

قوله تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه الى الله ﴾ يعني لله أي يخلص دينه لله ويفوض أمره الى الله ﴿ وهو محسن ﴾ في عمله ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لايخاف انقطاعه ﴿ وإلى الله عاقبة الامور * ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور * نمتعهم قليلا ﴾ أي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا الى انقضاء آجالهم ﴿ ثم نضطرهم ﴾ ثم نلجئهم ونردهم في الآخرة ﴿ إلى عذاب غليظ ﴾ وهو عذاب النار ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * لله ما في السموات والارض إن الله هو الغني الحميد ﴾

ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلم والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمت الله إن الله عزيز حكيم (٢٧) ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير (٢٨)

يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها واحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقال تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أي ولو أن جميع أشجار الارض جعلت أقلاما وجعل البحر مداداً وأمده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الاقلام ونفد ماء البحر ولو جاء أمثالها مددا « وانما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل كما قال تعالى في الآية الاخرى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) فليس المراد بقوله (بمثله) آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلم جرا لانه لا حصر لآيات الله وكلماته

قال الحسن البصري لو جعل شجر الارض أقلاما وجعل البحر مداداً ، وقال الله ان من أمري كذا ومن أمري كذا لنفد ماء البحر وتكسرت الاقلام « وقال قتادة قال المشركون انما هذا كلام

قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام ﴾ الآية قال المفسرون نزلت بمكة قوله سبحانه وتعالى (ويسئلونك عن الروح — الى قوله — وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فلما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا عنك أنك تقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، أفعنيتنا أم قومك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « كلا قد عنيت » قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ، فقال رسول الله ﷺ « هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم » قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فأنزل هذه الآية ، قال قتادة إن المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فنزلت (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام) أي بريت أقلاما ﴿ والبحر يمده ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب والبحر بالنصب عطفا على ما والباقون بالرفع على الاستئناف يمده أي يزيده وينصب فيه ﴿ من بعده ﴾ من خلفه ﴿ سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)

يوشك أن ينفد فقال الله تعالى (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام) أي لو كان شجر الارض أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه . وقال الربيع بن أنس ان مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها « وقد أنزل الله ذلك (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام) الآية يقول لو كان البحر مداداً لكلمات الله والاشجار كلها أقلاما لانكسرت الاقلام وفني ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لايفنيها شيء لان أحدا لايستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه ان ربنا كما يقول وفوق مانقول . وقد روي أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود

قال ابن إسحاق حدثني محمد ابن أبي محمد عن سعيد بن جبير أوعكرمة عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة يامحمد أرأيت قولك (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله ﷺ « كلا كما » فقالوا ألست تتلو فيما جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ « انها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم » وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام) الآية وهكذا روي عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لامكية والمشهور أنها مكية والله أعلم

وقوله (إن الله عزيز حكيم) أي عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شؤنه . وقوله تعالى (ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أي ماخلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة خلق نفس واحدة الجميع هين عليه (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون - وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أي لايأمر بالشيء إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لايحتاج الى تكرره وتوكيده (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة) وقوله (إن الله سميع بصير) أي كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ولهذا قال تعالى (ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) الآية

الم تر أن الله يولج الّيل في النهار ويولج النهار في الّيل وسخر الشمس والقمر كل يجري

وفي الآية اختصار تقديره ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفدت كلمات الله ﴿ ان الله عزيز حكيم ﴾ وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية وعلى قول غيره مكية « وقالوا انما أمر اليهود وفد قريش أن يسألوا رسول الله ﷺ ويقولوا له ذلك وهو بعد بمكة والله أعلم

قوله ﴿ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ أي كخلق نفس واحدة وبعثها لايتعذر عليه شيء ﴿ ان الله سميع بصير « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » وسخر الشمس

إلى أجل مُسمّى وأن الله بما تعملون خبير (٢٩) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه البـٰطل وأن الله هو العلي الكبير (٣٠)

يخبر تعالى أنه (يولج الليل في النهار) بعنى يأخذ منه في النهار فيطول ذاك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء (وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى) قيل إلى غاية محدودة وقيل إلى يوم القيامة وكلا المعنيين صحيح ويستشهد للقول الاول بحديث أبي ذر رضي الله عنه الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «يا أباذر أتدري أين تذهب هذه الشمس؟» قلت الله ورسوله أعلم. قال «فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: الشمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلكها فاذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الارض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر اسناد صحيح

وقوله (وإن الله بما تعملون خبير) كقوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض) ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الاشياء كقوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الآية

وقوله تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه الباطل) أي انما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق أي الموجود الحق الاله الحق وأن كل ما سواه باطل فانه الغني عما سواه وكل شيء فقير اليه لان كل مافي السموات والارض الجميع خلقه وعبيده لا يقدر أحدمنهم على تحريك ذرة الا باذنه ولو اجتمع كل أهل الارض على أن يخلقوا ذبابا لعجزوا عن ذلك، ولهذا قال تعالى (ذلك بان الله هو الحق وان مايدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير) أي العلي الذي لا أعلى منه الكبير الذي هو أكبر من كل شيء فكل شيء خاضع حقير بالنسبة اليه

ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آيـٰته إن في ذلك لآيـٰت لكل صبار شكور (٣١) وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجـٰهم إلى البر فنهم مقتصد وما يجحد بآيـٰتنا إلا كل ختار كفور (٣٢)

والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير * ذلك بأن الله هو الحق ﴾ أي ذلك الذي ذكرت لتعلموا أن الله هو الحق ﴿ وأن مايدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير * ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ﴾ يريد أن ذلك من نعمة الله عليكم ﴿ ليريكم من آياته ﴾ عجائبه

يخبر تعالى أنه هو الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بأمره أي بلطفه وتسخيره فانه لولا ماجعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لماجرت ، ولهذا قال (ليريكم من آياته) أي من قدرته (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي صبار في الضراء شكور في الرخاء.

ثم قال تعالى (وإذا غشيهم موج كالظلل) أي كالجبال والغمام (دعوا الله مخلصين له الدين) كما قال تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) وقال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك) الآية . ثم قال تعالى (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) قال مجاهد أي كافر كأنه فسر المقتصد ههنا بالجاحد كما قال تعالى (فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون) وقال ابن زيد هو المتوسط في العمل وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد) الآية فالمقتصد ههنا هو المتوسط في العمل ، ويحتمل أن يكون مراداً هنا أيضا ويكون من باب الانكار على من شاهد تلك الاهوال والامور العظام والآيات الباهرات في البحر ثم بعد ما أنعم الله عليه بالخلاص كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام والدؤوب في العبادة والمبادرة الى الخيرات ، فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً والحالة هذه والله أعلم . وقوله تعالى (ومايجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) فالختار هو الغدار

قاله مجاهد والحسن وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وهو الذي كلما عاهد نقض عهده والختر أتم الغدر وأبلغه . قال عمرو بن معد يكرب

وانك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر

وقوله (كفور) أي جحود للنعم لايشكرها بل يتناساها ولا يذكرها

يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده ولامولود هو جاز

﴿ ان في ذلك لآيات لكل صبار ﴾ على أمر الله ﴿ شكور ﴾ لنعمه

قوله ﴿ واذا غشيهم موج كالظلل ﴾ قال مقاتل كالجبال ، وقال الكلبي كالسحاب ، والظلل جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهي جمع لان الموج يأتي منه شيء بعد شيء ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ﴾ أي عدل موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني ثبت على ايمانه ، قيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح الى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن الى محمد ﷺ ولأضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الى مكة فأسلم وحسن اسلامه ، وقال مجاهد (فمنهم مقتصد) في القول مضمر للكفر ، وقال الكلبي مقتصد في القول أي من الكفار لان بعضهم كان أشد قولا وأغلى في الافتراء من بعض ﴿ وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور ﴾ والختر أسوأ الغدر قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزي ﴾ لايقضي ولا يغني ﴿ والد عن ولده

عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنّكم الحيوة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور (٣٣)

يقول تعالى منذراً للناس يوم المعاد وآمراً لهم بتقواهم والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث (لا يجزي والد عن ولده) أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه ، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أي لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعني الشيطان . قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة فانه يغر ابن آدم ويعده ويمنيه وليس من ذلك شيء بل كان كما قال تعالى (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) قال وهب بن منبه قال عزير عليه السلام لما رأيت بلاء قومي اشتد حزني وكثر همي وأرق نومي فتضرعت الى ربي وصليت وصمت فانا في ذلك التضرع أبكي إذ أتاني الملك فقلت له خبرني هل تشفع أرواح الصديقين للظلمة أو الآباء لأبنائهم؟ قال ان القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ليس فيه رخصة لا يتكلم فيه أحد إلا باذن الرحمن ، ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ولا ولد عن والده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتم أحد به غيره ، ولا يحزن لحزنه ولا أحد يرحمه كل مشفق على نفسه ، ولا يؤخذ انسان عن انسان كل يهمه همه ويبكي عوله ، ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره . رواه ابن أبي حاتم

إن الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت ان الله عليم خبير (٣٤)

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد الا بعد اعلامه تعالى بها فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب (لا يجليها لوقتها إلا هو) وكذلك انزال الغيث لا يعلمه إلا الله ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه وكذلك لا يعلم ما في الارحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ولكن اذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه ، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها

ولا مولود هو جاز ﴾ مغن ﴿ عن والده شيئا ﴾ قال ابن عباس كل امريء تهمه نفسه ﴿ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ يعني الشيطان ، قال سعيد بن جبير هو أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة

قوله ﴿ ان الله عنده علم الساعة ﴾ الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن

(وما تدري نفس بأي أرض تموت) في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان لاعلم لاحد بذلك وهذه شبيهة بقوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو) الآية . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب

قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبدالله بن بريدة سمعت أبي بريدة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « خمس لايعلمهن إلا الله عز وجل (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) » هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجوه

﴿ حديث ابن عمر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير) » انفرد باخراجه البخاري ورواه في كتاب الاستسقاء في صحيحه عن محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان بن سعيد الثوري به » ورواه في التفسير من وجه آخر فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه حدثه أن عبدالله بن عمر قال : قال النبي ﷺ « مفاتيح الغيب خمس » ثم قرأ (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام) انفرد به أيضاً . ورواه الامام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمرو بن محمد أنه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس ، إن الله عنده علم الساعة » وينزل الغيث » ويعلم مافي الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً » وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير »

﴿ حديث ابن مسعود ﴾ رضي الله عنه قال الامام احمد ثنا يحيي عن شعبة ثني عمرو بن مرة عن عبدالله بن سلمة قال: قال عبدالله أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير خمس (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وماتدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد في آخره « قال قلت له أنت سمعته من عبد الله ؟ قال نعم أكثر من خمسين مرة ، ورواه أيضاً عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به وهذا اسناد حسن على شرط السنن ولم يخرجوه

﴿ حديث أبي هريرة ﴾ قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحاق عن جرير عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوما بارزاً للناس اذ أتاه

حفصة من أهل البادية أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال : ان أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث ؟ وتركت امرأتي حبلى فما تلد ؟ وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت ؟ فأنزل الله هذه الآية

رجل يمشي فقال يارسول الله : ماالايمان ؟ قال « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر » قال يارسول الله ماالاسلام ؟ قال الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان » قال يارسول الله ماالاحسان » قال « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » قال يارسول الله متى الساعة ؟ قال « ماالمسؤل عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها ، اذا ولدت الامة ربتها فذاك من أشراطها ، واذا كان الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من أشراطها في خمس لايعلمهن الا الله ، ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث » ويعلم مافي الارحام » الآية ثم انصرف الرجل فقال » ردوه علي » فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال « هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم » ورواه البخاري أيضاً في كتاب الايمان ومسلم من طرق عن أبي حيان به وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخاري وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله وهو من افراد مسلم

﴿ حديث ابن عباس ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا بهز حدثنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال . جلس رسول الله ﷺ مجلساً فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله ﷺ واضعاً كفيه على ركبتي النبي ﷺ فقال يارسول الله ماالاسلام ؟ قال رسول الله ﷺ « الاسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وتشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله » قال فاذا فعلت ذلك فقد أسلمت ؟ قال « اذا فعلت ذلك فقد أسلمت » قال يا رسول الله فحدثني ماالايمان ؟ قال » الايمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت ، وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان ، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره » قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال « اذا فعلت ذلك فقد آمنت » قال يارسول الله حدثني ماالاحسان قال رسول الله ﷺ » الاحسان أن تعمل لله كأنك تراه فان كنت لاتراه فانه يراك » قال يارسول الله فحدثني متى الساعة ؟ قال رسول الله ﷺ « هي - سبحان الله - في خمس لايعلمهن الا الله (ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافي الارحام » وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وماتدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير) ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك - قال أجل يارسول الله فحدثني » قال رسول الله ﷺ - اذا رأيت الامة ولدت ربتها - أو ربها - ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون في البنيان ، ورأيت الحفاة الجياع العالة رؤس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها » قال يارسول الله ومن أصحاب البنيان الحفاة الجياع العالة » قال « العرب » حديث غريب ولم يخرجوه

(ان الله عنده علم الساعة) ﴿ وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ وقرأ أبي بن كعب (بأية أرض) والمشهور بأي أرض لان الارض ليس فيها من علامات التأنيث شيء » وقيل أراد بالارض المكان

﴿حديث رجل من بني عامر﴾ روى الامام أحمد ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن منصور عن ربعي ابن خراش . عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ فقال ألج ؟ فقال النبي ﷺ لخادمه « اخرجي اليه فانه لا يحسن الاستئذان فقولي له فليقل السلام عليكم أأدخل » قال فسمعته يقول ذلك فقلت السلام عليكم أأدخل فأذن لي فدخلت فقلت بم أتيتنا ؟ قال « لم آتكم الا بخير أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأن تدعوا اللات والعزى ، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات ، وأن تصوموا من السنة شهراً ، وأن تحجوا البيت ، وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم » قال فقال فهل بقي من العلم شيء لا تعلمه ؟ قال « قد علمني الله عز وجل خيراً وان من العلم مالا يعلمه الا الله عز وجل الخمس (ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافي الارحام) » الآية وهذا إسناد صحيح

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال إن امرأتي حبلى فأخبرني ماتلد ، وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث ، وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله عز وجل (ان الله عنده علم الساعة — الى قوله — عليم خبير) قال مجاهد وهي مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : من حدثك أنه يعلم مافي غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً)

وقوله تعالى (وماتدري نفس بأي أرض تموت) قال قتادة أشياء استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (إن الله عنده علم الساعة) فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أونهاراً (ويعلم ما في الارحام) فلا يعلم أحد مافي الارحام أذكر أم أنثى أحمر أو أسود وما هو (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) أخير أم شر ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت لعلك الميت غداً لعلك المصاب غداً (وما تدري نفس بأي أرض تموت) أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الارض أفي بحر أم بر أو سهل أو جبل

وقد جاء في الحديث « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له اليها حاجة » فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في مسند أسامة بن زيد حدثنا إسحاق بن ابراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن اسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ « ماجعل الله ميتة عبد بارض إلا جعل له فيها حاجة »

وقال عبدالله بن الامام احمد حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابو داود الحفري عن سفيان

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا ابراهيم بن سعد أنا ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول

عن أبي إسحاق عن مطر بن عكامس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قضى الله ميتة عبد بأرض جعل له اليها حاجة » وهكذا رواه الترمذي في القدر من حديث سفيان الثوري به ثم قال حسن غريب ولا يعرف لمطر عن النبي ﷺ غير هذا الحديث وقد رواه أبو داود في المراسيل فالله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا أيوب عن أبي المليح بن اسامة عن أبي عزة قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها أو قال بها حاجة » وأبو عزة هذا هو بشار بن عبيدالله ويقال ابن عبدالهذلي. وأخرجه الترمذي من حديث اسماعيل ابن ابراهيم وهو ابن علية وقال صحيح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن عصام الاصفهاني ثنا المؤمل بن اسماعيل حدثنا عبيدالله ابن أبي حميد عن أبي المليح عن أبي عزة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها » ثم قرأ رسول الله ﷺ (إن الله عنده علم الساعة — الى — عليم خبير) .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا احمد بن ثابت الجحدري ومحمد بن يحيى القطيعي قالا حدثنا عمر بن علي حدثنا اسماعيل عن قيس عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له اليها حاجة » ثم قال البزار وهذا الحديث لانعلم أحداً يرفعه الا عمر بن علي المقدمي. وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي شيخ قال أنشدني محمد بن الحكم لاعشى همدان

فما تزود مما كان يجمعه	سوى حنوط غداة البين مع خرق
وغير نفحة أعواد تشب له	وقل ذلك من زاد لمنطلق
لاتأسين على شيء فكل فتى	الى منيته سيار في عنق
وكل من ظن أن الموت يخطئه	معلل بأعاليل من الحمق
بأيما بلدة تقدر منيته	إلا يسير اليها طائعا شيق

أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله في ترجمة عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث وهو أعشى همدان وكان الشعبي زوج أخته وهو مزوج باخت الشعبي أيضاً ، وقد كان ممن طلب العلم والتفقه ثم عدل إلى صناعة الشعر فعرف به ، وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعا إذا كان أجل أحدكم بأرض أتت له اليها حاجة فاذا بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل فتقول الارض يوم القيامة يارب هذا ما أودعتني

قال الطبراني حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن اسامة أن رسول الله ﷺ قال « ماجعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له اليها حاجة »

﴿ آخر تفسير سورة لقمان والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴾

الله ﷺ قال « مفاتيح الغيب خمس (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴿ ان الله عليم خبير ﴾

تفسير سورة الم السجدة وهي مكية

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عبد الرحمن ابن هرمز الاعرج عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة (وهل أتى على الانسان) ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري به

وقال الامام احمد حدثنا أسود بن عامر أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك تفرد به أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين (٢) أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (٣)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا ، وقوله (تنزيل الكتاب لاريب فيه) أي لاشك فيه ولامرية انه منزل (من رب العالمين) ثم قال تعالى مخبراً عن المشركين (أم يقولون افتراه) بل يقولون افتراه أي اختلقه من تلقاء نفسه (بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) أي يتبعون الحق

الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم

﴿ سورة الم السجدة مكية وهي ثلاثون آية ﴾

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله (أفمن كان مؤمنا) الى آخر ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم * تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ﴾ قال مقاتل لا شك فيه أنه تنزيل من رب العالمين ﴿ أم يقولون ﴾ بل يقولون ﴿ افتراه ﴾ وقيل الميم صلة أي أيقولون افتراه استفهام توبيخ، وقيل أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه ، وقيل فيه اضمار مجازه فهل يؤمنون أم يقولون افتراه ثم قال ﴿ بل هو ﴾ يعني القرآن ﴿ الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم ﴾ يعني لم يأتهم ﴿ من نذير من قبلك ﴾ قال قتادة كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ وقال ابن عباس ومقاتل ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ ﴿ لعلهم يهتدون * الله الذي خلق السموات والارض وما

من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون (٤) يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون (٥) ذلك علم الغيب والشهدة العزيز الرحيم (٦)

يخبر تعالى أنه الخالق للاشياء فخلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد تقدم الكلام على ذلك (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي بل هو المالك لأزمة الامور الخالق لكل شيء المدبر لكل شيء القادر على كل شيء فلا ولي لخلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد اذنه (أفلا تتذكرون) يعني أيها العابدون غيره المتوكلون على من عداه تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عديل، لا اله الا هو ولا رب سواه ، وقد أورد النسائي ههنا حديثا فقال : حدثنا ابراهيم بن يعقوب حدثني محمد بن الصباح حدثنا ابو عبيدة الحداد حدثنا الاخضر بن عجلان عن أبي جريج المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أخذ بيدي فقال « ان الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع ، فخلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الاحد، والشجر يوم الاثنين، والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر ، وخلقه من أديم الارض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطيب والخبيث » هكذا أورده هذا الحديث اسنادا ومتنا، وقد أخرج مسلم والنسائي أيضا من حديث حجاج ابن محمد الاعور عن ابن جريج عن اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبدالله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحو من هذا السياق. وقد علله البخاري في كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الاحبار وهو أصح وكذا علله غير واحد من الحفاظ والله أعلم

وقوله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه) أي يتنزل أمره من أعلى السموات

بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون « يدبر الامر » أي يحكم الامر وينزل القضاء والقدر « من السماء الى الارض » وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض « ثم يعرج » يصعد « اليه » جبريل بالامر « في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » أي في يوم واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة ألف سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده لان ما بين السماء والارض خمسمائة عام يقول لو سار فيه أحد من بني آدم لم يقطعه الا في ألف سنة والملائكة يقطعونه في يوم واحد هذا في وصف عروج الملك من الارض الى السماء

وأما قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أراد مدة

الى أقصى تخوم الارض السابعة كما قال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) الآية وترفع الاعمال الى ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة

وقال مجاهد وقتادة والضحاك النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعوده في مسيرة خمسمائة عام ولكنه يقطعها في طرفة عين ولهذا قال تعالى (في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ▪ ذلك عالم الغيب والشهادة) أي المدبر لهذه الامور الذي هو شهيد على أعمال عباده يرفع اليه جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه ودانت له العباد والرقاب الرحيم بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته رحيم في عزته وهذا هو الكمال العزة مع الرحمة والرحمة مع العزة فهو رحيم بلا ذل

الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين (٧) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (٨) ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصر والافئدة قليلا ما تشكرون (٩)

المسافة من الارض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا. هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك وقوله (اليه) أي الى الله ▪ وقيل على هذا التأويل الى مكان الملك الذي أمره الله عز وجل أن يعرج اليه ، وقال بعضهم ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر معناه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا (ثم يعرج) أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الامراء وحكم الحكام في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة . وأما قوله (خمسين ألف سنة) فانه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة ▪ وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا . وقال ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر ، ويجوز أن يكون هذا اخباراً عن شدته وهوله ومشقته

وقال ابن أبي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان على ابن عباس وسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله (خمسين ألف سنة) فقال له ابن عباس أيام سماها الله لا أدري ماهي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم ذلك عالم الغيب والشهادة ﴾ يعني الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض عالم ما غاب عن عيان الخلق وما حضر ﴿ العزيز الرحيم ▪ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ قرأ نافع وأهل الكوفة خلقه بفتح اللام على الفعل ▪ وقرأ الآخرون بسكونها أي

يقول تعالى مخبرا أنه الذي أحسن خلق الاشياء وأتقنها وأحكمها ، وقال مالك عن زيد بن أسلم (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال أحسن خلق كل شيء كأنه جعله من المقدم والمؤخر ، ثم لما ذكر تعالى خلق السموات والارض شرع في ذكر خلق الانسان فقال تعالى (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني خلق أبا البشر آدم من طين (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة (ثم سواه) يعني آدم لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما (ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني العقول (قليلا ما تشكرون) أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل

وقالوا أءذا ضللنا في الارض أءنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون (١٠) قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون (١١)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا (أئذا ضللنا في الارض) أي تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الارض وذهبت (أئنا لفي خلق جديد) أي أئنا لنعود بعد تلك الحال، يستبعدون ذلك وهذا انما هو بعيد بالنسبة إلى قدرهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم الذي انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول كن فيكون ولهذا قال تعالى [بل هم بلقاء ربهم كافرون] ثم قال تعالى [قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم] الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة ابراهيم وقد

أحسن خلق كل شيء ، قال ابن عباس أتقنه وأحكمه ، قال قتادة حسنه ، وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شيء ، من قولك فلان يحسن كذا اذا كان يعلمه ، وقيل خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في خلقه حسن وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه ﴿ وبدأ خلق الانسان من طين ﴾ يعني آدم ﴿ ثم جعل نسله ﴾ يعني ذريته ﴿ من سلالة ﴾ نطفة سميت سلالة لانها تسل من الانسان ﴿ من ماء مهين ﴾ أي ضعيف وهو نطفة الرجل ﴿ ثم سواه ﴾ ثم سوى خلقه ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ ثم عاد الى ذريته فقال ﴿ وجعل لكم ﴾ بعد أن كنتم نطفا ﴿ السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ﴾ يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه ﴿ وقالوا ﴾ يعنى منكري البعث ﴿ أئذا ضللنا ﴾ هلكنا ﴿ فى الارض ﴾ وصرنا ترابا وأصله من قولهم ضل الماء في اللبن اذا ذهب ﴿ أئنا لفي خلق جديد ﴾ استفهام انكار قال الله عز وجل ﴿ بل هم بلقاء ربهم كافرون ﴾ أي بالبعث بعد الموت ﴿ قل يتوفاكم ﴾ يقبض أرواحكم ﴿ ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ أي وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل

سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور . قاله قتادة وغير واحد وله أعوان ، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الارواح من سائر الجسد حتى اذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت ، قال مجاهد حويت له الارض فجعلت مثل الطست يتناول منها متى يشاء . ورواه زهير بن محمد عن النبي ﷺ بنحوه مرسلا ، وقاله ابن عباس رضي الله عنهما

وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقري حدثنا عمر بن سمرة عن جعفر ابن محمد قال سمعت أبي يقول : نظر رسول الله ﷺ الى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال له النبي ﷺ « ياملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن » فقال ملك الموت يامحمد طب نفساً وقر عينا فاني بكل مؤمن رفيق، واعلم أن مافي الارض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى اني أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يامحمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ماقدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها . قال جعفر بلغني أنه انما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة فاذا حضرهم عند الموت فان كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا إله الا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة

وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال سمعت مجاهداً يقول « ماعلى ظهر الارض من بيت شعر أو مدر الا وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين » وقال كعب الاحبار والله مامن بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه . رواه ابن أبي حاتم ، وقوله تعالى [ثم الى ربكم ترجعون] أي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم

والتوفي استيفاء العدد المضروب للخلق في الازل معناه أنه يقبض أرواحكم حتى لايبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت، وروي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفس الخلق في مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فملائكة الرحمة للمؤمنين وملائكة العذاب للكافرين. وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت مابين المشرق والمغرب. وقال مجاهد جعلت له الارض مثل طست يتناول منها حيث يشاء وفي بعض الاخبار ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فينزع أعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت. وروى خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ مابين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قدانقضى أجله ضرب بتلك الحربة رأسه وقال الآن تنزل بك سكرات الموت قوله ﴿ثم الى ربكم ترجعون﴾ أي تصيرون اليه أحيا. فيجزيكم بأعمالكم

ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا

نعملْ صلحا إنا موقنون (١٢) ولو شئنا لآتينا كل نفس هُدٰها ولكن حقّ القولُ مني

لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين (١٣) فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسينٰكم

وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون (١٤)

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل حقيرين ذليلين ناكسي رءوسهم أي من الحياء والخجل يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا) أي نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك كما قال تعالى [أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا] وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة اذا دخلوا النار بقولهم [لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير] وهكذا هؤلاء يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا) أي الى دار الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) أي قد أيقنا وتحققنا فيها ان وعدك حق ولقاءك حق ▪ وقد علم الرب تعالى منهم انه لو أعادهم الى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله كما قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) الآية وقال ههنا (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) كما قال تعالى [ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا] (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من الصنفين فدارهم النار لاحيد لهم عنها ولا محيص لهم منها نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي يقال لاهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له (انا نسيناكم) أي سنعاملكم معاملة الناسي لانه تعالى لاينسى شيئا ولا يضل عنه شيء ▪ بل من باب المقابلة كما قال تعالى [فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا]

وقوله تعالى ﴿ولو ترى اذ المجرمون﴾ المشركون ﴿ ناكسو رؤسهم ﴾ مطأطئو رؤسهم ﴿عند ربهم﴾ حياء منه وندما ﴿ ربنا ﴾ أي يقولون ربنا ﴿أبصرنا﴾ ما كنا به مكذبين ﴿وسمعنا﴾ منك تصديق ما أتتنا به رسلك وقيل أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا ﴿فارجعنا﴾ فارددنا الى الدنيا ﴿نعمل صالحا انا موقنون﴾ وجواب لو مضمر مجازه لرأيت العجب ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ رشدها وتوفيقها للايمان ﴿ولكن حق﴾ وجب ﴿القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وهو قوله لابليس (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) ثم يقال لاهل النار وقال مقاتل اذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي تركتم الايمان به في الدنيا ﴿ انا نسيناكم ﴾ تركناكم

وقوله تعالى (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال في الآية الاخرى [لايذوقون فيها برداً ولا شرابا ٭ الا حميا وغساقا — الى قوله — فلن نزيد كم الا عذابا]

إنما يؤمن بآيتنا الذين إذا ذُكِّروا بها خرُّوا سجدًا وسبَّحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون (١٥) تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (١٦) فلا تعلم نفس ما أُخفيَ لهم من قرَّة أعين جزاء بما كانوا يعملون (١٧)

يقول تعالى (انما يؤمن بآياتنا) أي انما يصدق بها (الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً) أي استمعوا لها وأطاعوها قولا وفعلا (وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون) أي عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة قال الله تعالى [ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين] ثم قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة ٭ قال مجاهد والحسن في قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يعني بذلك قيام الليل ٭ وعن أنس وعكرمة ومحمد بن المنكدر وابي حازم وقتادة هو الصلاة بين العشاءين ٭ وعن أنس أيضاً هو انتظار صلاة العتمة . رواه ابن جرير باسناد جيد ٭ وقال الضحاك هو صلاة العشاء في جماعة وصلاة الغداة في جماعة (يدعون ربهم خوفا وطمعا) أي خوفا من وبال عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه (ومما رزقناهم ينفقون) فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... اذا انشق معروف من الصبح ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ماقال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

﴿ وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ من الكفر والتكذيب

قوله تعالى ﴿ انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها ﴾ وعظوا بها ﴿ خروا سجدا ﴾ سقطوا على وجوههم ساجدين ﴿ وسبحوا بحمد ربهم ﴾ قيل صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ عن الايمان والسجود له ﴿ تتجافى ﴾ ترتفع وتنبو ﴿ جنوبهم عن المضاجع ﴾ جمع مضجع وهو الموضع الذى يضجع عليه يعني الفراش وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة واختلفوا في المراد بهذه الآية قال انس نزلت فينا معشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ وعن أنس أيضا قال نزلت في ناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقالا هي صلاة الاوابين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال

وقال الامام احمد حدثنا روح وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « عجب ربنا من رجلين رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله تعالى فانهزموا فعلم ماعليه من الفرار وماله في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي، فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهريق دمه » وهكذا رواه ابوداود في الجهاد عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به بنحوه

وقال الامام أحمد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يانبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال « لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة ، وصلاة الرجل في جوف الليل — ثم قرأ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع — حتى بلغ — جزاء بما كانوا يعملون) ثم قال — ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه ؟ — فقلت بلى يا رسول الله فقال — رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله — ثم قال — ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » فقلت بلى يانبي الله فأخذ بلسانه ثم قال « كف عليك هذا » فقلت يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال « ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم — أوقال على مناخرهم — إلا حصائد ألسنتهم ؟ » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم من طرق عن معمر به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال : سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل أن

عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة . وعن أبي الدرداء وأبي ذر وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم هم الذين يصلون العشاء الآخرة والفجر في جماعة . وروينا ان النبي ﷺ قال « من صلى العشاء في جماعة كان كمن قام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم الناس مافي النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لا ستهموا ، ولو يعلمون مافي التهجير لاستبقوا اليه ، ولو يعلمون مافي العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا » واشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله ابن بشران أنا أبو علي اسماعيل بن محمد الصفار انا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن عاصم بن ابي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت

رسول الله ﷺ قال له « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد في جوف الليل » وتلا هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) ورواه أيضاً من حديث الثوري عن منصور بن المعتمر عن الحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ عن النبي ﷺ بنحوه » ومن حديث الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت والحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ مرفوعا بنحوه . ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر عن معاذ أيضا عن النبي ﷺ في قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال « قيام العبد من الليل » وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا قطر بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جرير عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال « ان شئت نبأتك بأبواب الخير ، الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل » ثم تلا رسول الله ﷺ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية ثم قال حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله ﷺ « إذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم اهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فيقومون وهم قليل »

وقال البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الاغر حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثني مصعب عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال بلال لما نزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ثم قال لا نعلم روى أسلم عن بلال سواه وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق

يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار فقال « لقد سألت عن أمر عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت - ثم قال - ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل - ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع - حتى بلغ - جزاء بما كانوا يعملون) ثم قال - ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه - قلت بلى يارسول الله قال - رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد - ثم قال - ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ - قلت بلى يا نبي الله قال فأخذ بلسانه فقال - اكفف عليك هذا - قال فقلت يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال - ثكلتك امك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الاحصائد ألسنتهم ؟ » حدثنا أبو الفضل زياد ابن محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الجلدي أنا محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني

وقوله تعالى [فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين] الآية أى فلا يعلم أحد عظمة ماأخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب، جزاءً وفاقاً فان الجزاء من جنس العمل ، قال الحسن البصري أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم مالم تر عين ولم يخطر على قلب بشر .رواه ابن أبي حاتم

قال البخاري قوله تعالى (فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين) الآية حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال قال الله تعالى « أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) قال وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال الله مثله. قيل لسفيان رواية قال فأي شيء ؟ ورواه مسلم والترمذي من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري حدثنا اسحاق ابن نصر حدثنا أبو أسامة عن الاعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً ماأطلعتم عليه » ثم قرأ (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة (قرات أعين) انفرد به البخاري من هذا الوجه

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ماحدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ « ان الله تعالى قال أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » أخرجاه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال ورواه الترمذي في التفسير وابن جرير من حديث عبدالرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

أنا حميد بن زنجويه أبو عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن ابي إدريس الخولاني عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة لكم إلى ربكم ومكفرة السيئات ومنهاة عن الاثم

أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا روح بن أسلم انا حماد بن سلمة أنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته فيقول الله للملائكته انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي « ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع أصحابه فعلم ماعليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع فقاتل حتى أهريق دمه فيقول الله للملائكته

وقال حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حماد أحسبه عن عن النبي ﷺ قال « من يدخل الجنة ينعم لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به ، وروى الامام احمد حدثنا هارون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول شهدت من رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة حتي انتهى ثم قال في آخر حديثه « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع — إلى قوله — يعملون)وأخرجه مسلم في صحيحه عن هارون بن معروف وهارون بن سعيد كلاهما عن ابن وهب به

وقال ابن جرير حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا على بن أسد حدثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبدالغافر عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ يروي عن ربه عز وجل قال « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » لم يخرجوه وقال مسلم أيضا في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر وغيره حدثنا سفيان ثنا مطرف بن طريف وعبدالملك ابن سعيد سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال سمعته على المنبر يرفعه الى النبي ﷺ قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله معه ولك مااشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه من كتاب الله

انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي حتى أهريق دمه »

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراح أنا ابو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا قتيبة بن سعيد أنا ابو عوانة عن أبي بشر عن حميد بن عبد الرحمن الحميري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد ابن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن يحيي بن ابي كثير عن ابن مغانق عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل

عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر وقال حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه والمرفوع أصح

قال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن المدائني حدثنا ابو بدر بن شجاع الوليد حدثنا زياد بن خيثمة عن محمد بن جحادة عن عامر بن عبدالواحد قال : بلغني أن الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت ؟ فتقول أنا من المزيد فيمكث معها سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت ؟ فتقول أنا التي قال الله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)

وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال : تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس في جناتهم وذلك قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) ويخبرون أن الله عنهم راض ، وروى ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي اليمان الهوزني أو غيره قال : الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وآنيتها فضة وترابها المسك ، والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآنيتها ذهب وترابها المسك ، والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها اللؤلؤ وآنيتها اللؤلؤ وترابها المسك ، وسبع وتسعون بعد ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا هذه الآية (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) الآية وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن ابان عن الغطريف عن جابر

انا أصبغ أخبرني عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن الهيثم بن أبي سنان أخبره أنه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول « ان أخا لكم لا يقول الرفث » يعني بذلك عبد الله بن رواحة قال :

وفينا رسول الله يتلو كتابه   اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا   به موقنات ان ماقال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه   اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قوله عز وجل ﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قيل أراد به الصدقة المفروضة ، وقيل عام في الواجب والتطوع ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم ﴾ قرأ حمزة ويعقوب أخفي لهم ساكنة الياء أي أنا أخفي لهم ومن حجته قراءة ابن مسعود نخفي بالنون وقرأ الآخرون بفتحها ﴿ من قرة أعين ﴾ مما تقر به أعينهم ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾

ابن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ عن الروح الامين قال « يؤتى بحسنات العبد وسيآته ينقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة واحدة وسع الله في الجنة قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا الحديث قال فقلت فأين ذهبت الحسنة (قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم) الآية قلت قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) قال العبد يعمل سراً أسره الى الله لم يعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة أعين

أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا؛ لا يستوون (١٨) أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون (١٩) وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون (٢٠) ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون (٢١) ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها؛ إنا من المجرمين منتقمون (٢٢)

يخبر تعالى عن عدله وكرمه انه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا بآياته متبعا لرسله بمن كان (فاسقا) أي خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسل الله اليه كما قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) الآية ولهذا قال تعالى ههنا (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) أي عند الله يوم القيامة وقد ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما أنها نزلت

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا اسحاق بن نصر أنا أبو أسامة عن الاعمش انا ابو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما اطلعتم عليه » ثم قرأ (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له » وعن بعضهم قال أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم

قوله عز وجل (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد ابن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لامه وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام في شيء. فقال الوليد بن عقبة لعلي أسكت فانك صبي وانا والله أنشط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك

في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات (فلهم جنات المأوى) أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية (نزلا) أي ضيافة وكرامة (بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن الطاعة فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كقوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) الآية قال الفضيل بن عياض والله ان الايدي لموثقة وان الارجل لمقيدة وان اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا

وقوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) قال ابن عباس يعني بالعذاب الادنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا اليه ، وروي مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وابراهيم النخعي والضحاك وعلقمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخصيف ، وقال ابن عباس في رواية عنه يعني به اقامة الحدود عليهم ، وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعني به عذاب القبر

وقال النسائي أخبرنا عمرو بن علي أخبرنا عبدالرحمن بن مهدي عن اسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص وأبي عبيدة عن عبدالله (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) قال سنون أصابتهم ، وقال عبدالله ابن الامام احمد حدثني عبدالله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب في هذه الآية (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) قال المصائب والدخان قد مضيا والبطشة واللزام ، ورواه مسلم من حديث شعبة به موقوفا نحوه ، وعند البخاري عن ابن مسعود نحوه ، وقال عبدالله بن مسعود أيضا في رواية عنه العذاب الادنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر ، وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدي وغيره لم يبق بيت بمكة الا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأصيبوا أو غرموا ومنهم من جمع له الامران

حشواً في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فأنزل الله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون) ولم يقل لايستويان لانه لم يرد مؤمنا واحداً وفاسقا واحداً ، بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى ﴾ التي يأوي اليه المؤمنون ﴿ نزلا بما كانوا يعملون ، وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون * ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر ﴾ أي سوى العذاب الاكبر ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ قال أبي بن كعب والضحاك والحسن وابراهيم العذاب الادني مصائب الدنيا وأسقامها وهو رواية الوالبي عن ابن عباس ، وقال عكرمة عنه الحدود ، وقال

وقوله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها. قال قتادة اياكم والاعراض عن ذكر الله فان من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة وأعوز أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب ، ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك (انا من المجرمين منتقمون) أي سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام

وروى ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا محمد بن المبارك حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثلاث من فعلهن فقد أجرم ، من عقد لواء في غير حق أو عق والديه أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم يقول الله تعالى (إنا من المجرمين منتقمون) ورواه ابن أبي حاتم من حديث اسماعيل بن عياش به وهذا حديث غريب جداً

ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل (٢٣) وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآيتنا يوقنون (٢٤) إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون (٢٥)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى عليه السلام انه آتاه الكتاب وهو التوراة « وقوله تعالى (فلا تكن في مرية من لقائه) قال قتادة يعني به ليلة الاسراء ثم روى عن أبي العالية الرياحي قال حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعداً كأنه من رجال شنوأة ، ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ، ورأيت مالكا خازن النار والدجال »في آيات أراهن الله إياها (فلا تكن في مرية من لقائه) انه قد رأى موسى ولقي موسى ليلة أسري به

مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب ، وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر وهو قول قتادة والسدي (دون العذاب الاكبر) يعني عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) إلى الايمان يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط

قوله عز وجل ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين ﴾ يعني المشركين ﴿ منتقمون ＊ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه ﴾ يعني فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة المعراج . قاله ابن عباس وغيره

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن

وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن علي الحلواني حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) قال جعل موسى هدى لبني إسرائيل وفي قوله (فلا تكن في مرية من لقائه) قال من لقاء موسى ربه عز وجل ، وقوله تعالى (وجعلناه) أي الكتاب الذي آتيناه (هدى لبني إسرائيل) كما قال تعالى في سورة الاسراء (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا)

وقوله تعالى [وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) أي لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجره وتصديق رسله و تباعهم فيما جاؤهم به كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا سلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالحا ولا اعتقاداً صحيحا ولهذا قال تعالى [ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب] قال قتادة وسفيان لما صبروا عن الدنيا وكذلك قال الحسن بن صالح قال سفيان هكذا كان هؤلاء ، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماما يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا ، قال وكيع قال سفيان لا بد للدين من العلم كما لا بد للجسد من الخبز

وقال ابن بنت الشافعي قرأ أبي على عمي أو عمي على أبي سئل سفيان عن قول علي رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ألم تسمع قوله [وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا] قال لما أخذوا

اسماعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر عن شعبة عن قتادة رحمهما الله قال : وقال لي خليفة أنا يزيد بن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية قل أنا ابن عم نبيكم يعني ابن عباس عن النبي ﷺ قال « رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعداً كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس » ورأيت مالكا خازن النار والدجال » في آيات أراهن الله إياها فلا تكن في مرية من لقائه)

أخبرنا ابو صالح احمد بن عبد الملك المؤذن أنا عبد الله الحاملي انا ابو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم البزاز أنا محمد بن يونس أنا عمر بن حبيب القاضي أنا سليمان التيمي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي في قبره » وروينا في المعراج أنه رآه في السماء السادسة ومراجعته في أمر الصلاة ، وقال السدي (فلا تكن في مرية من لقائه) أي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول ﴿ وجعلناه ﴾ يعني الكتاب وهو التوراة ، وقال قتادة موسى ﴿ هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ﴾ يعني من بني اسرائيل ﴿ أئمة ﴾ قادة في الخير يقتدى بهم يعني الانبياء الذين كانوا فيهم ، وقال قتادة اتباع الانبياء ﴿ يهدون ﴾ يدعون ﴿ بأمرنا لما صبروا ﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم ، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم أي حين صبروا على

برأس الامر صاروا رؤساً قال بعض العلماء بالصبر واليقين تنال الامامة في الدين ولهذا قال تعالى [ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر] الاية كما قال هنا [إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون] أي من الاعتقادات والاعمال

أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مسكنهم ؟ إن في ذلك لآيت أفلا يسمعون (٢٦) أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الارض الجرُز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعمهم وأنفسهم أفلا يُبصرون ؟ (٢٧)

يقول تعالى أو لم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم اياهم فيما جاؤهم به من قويم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) ولهذا قال (يمشون في مساكنهم) أي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين ، فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويعمرها ذهبوا منها كأن لم يغنوا فيها كما قال (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) وقال (وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الارض — الى قوله — ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) ولهذا قال ههنا (إن في ذلك لآيات) أي ان في ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لآيات وعبرا ومواعظ ودلائل متناظرة (أفلا يسمعون) أي أخبار من تقدم كيف كان أمرهم

وقوله تعالى (أو لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) يبين تعالى لطفه بخلقه واحسانه اليهم في ارساله الماء اما من السماء أو من السيح وهو ما تحمله الانهار ويتحدر من الجبال الى الاراضي المحتاجة اليه في أوقاته ، ولهذا قال تعالى (الى الارض الجرز) وهي التي لانبات فيها كما قال تعالى [وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا] أي يبسا لاتنبت شيئا ، وليس المراد من قوله [الى الارض الجرز] أرض مصر فقط بل هي بعض المقصود وان مثل بها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها ولكنها مرادة قطعا من هذه الآية فانها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء مالو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها فيسوق الله تعالى اليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة

دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر ﴿ وكانوا بآياتنا يوقنون * ان ربك هو يفصل ﴾ يقضي ﴿ بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * أولم يهد ﴾ لم يتبين ﴿ لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ، إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ آيات الله وعظاته فيتعظون بها

قوله ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الارض الجرز ﴾ أي اليابسة الغليظة التي لانبات فيها ، قال

وفيه طين أحمر فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة الى ذلك الماء ، وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم ، وطين جديد من غير أرضهم فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود أبداً

قال ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عمن حدثه قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص وكان أميراً بها حين دخل بؤونة من أشهر العجم فقالوا أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لايجري الا بها . قال وما ذاك قالوا اذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل مايكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لايكون في الاسلام ، ان الاسلام يهدم ما كان قبله فاقاموا بؤونة والنيل لايجري حتى هموا بالجلاء . فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر انك قد أصبت بالذي فعلت ، وقد بعثت اليك ببطاقة داخل كتابي هذا فالقها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها : من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى نيل أهل مصر . أما بعد فانك ان كنت انما تجري من قبلك فلا تجر ، وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك . قال فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة ، وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم . رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب السنة له ، ولهذا قال تعالى [أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون] كما قال تعالى [فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا] الاية ولهذا قال ههنا [أفلا يبصرون] وقال ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس في قوله [الى الارض الجرز] قال هي التي لاتمطر الا مطرا لايغني عنها شيئا الا ما يأتيها من السيول ، وعن ابن عباس ومجاهد هي أرض باليمن ، وقال الحسن رحمه الله هي قرى فيما بين اليمن والشام

وقال عكرمة والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد الارض الجرز التي لانبات فيها وهي مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى [وآية لهم الارض الميتة أحييناها] الايتين

ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صدقين؛ (٢٨) قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمنهم ولا هم يُنظرون (٢٩) فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون (٣٠)

يقول تعالى مخبرا عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادا وتكذيبا وعنادا [ويقولون متى هذا الفتح] أي متى تنصر علينا يامحمد ؟ كما تزعم أن لك وقتا تدال

ابن عباس هي أرض باليمن . وقال مجاهد هي أرض بابين (فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم) من العشب والتبن (وأنفسهم) من الحبوب والاقوات (أفلا يبصرون * ويقولون متى هذا الفتح إن

علينا وينتقم لك منا فمتى يكون هذا مانراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين قال الله تعالى [قل يوم الفتح] أي اذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرى [لاينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون] كما قال تعالى [فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم] الآيتين. ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش، فان يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ اسلام الطلقاء. وقد كانوا قريبا من ألفين ، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل اسلامهم لقوله تعالى [قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون] وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله (فافتح بيني وبينهم فتحا) الاية وكقوله (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق) الآية وقال تعالى [واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد] وقال تعالى [وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا] وقال تعالى [ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح]

ثم قال تعالى [فاعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون] أي أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل اليك من ربك كقوله تعالى [اتبع ما أوحي اليك من ربك لا إله إلا هو] الآية وانتظر فان الله سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك انه لايخلف الميعاد. وقوله [انهم منتظرون] أي أنت منتظر وهم منتظرون ويتربصون بكم الدوائر (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله في نصرتك وتأييدك وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

كنتم صادقين ﴾ قيل أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد ، قال قتادة قال أصحاب النبي ﷺ للكفار إن لنا يوما نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم فقالوا استهزاء متى هذا الفتح ؟ أي القضاء والحكم ، وقال الكلبي يعني فتح مكة ، وقال السدي يوم بدر لان أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح

قوله ﴿ قل يوم الفتح ﴾ يوم القيامة ﴿ لاينفع الذين كفروا إيمانهم ﴾ ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال معناه ﴿لاينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ اذا جاءهم العذاب وقتلوا ﴿ولاهم ينظرون﴾ لايمهلون ليتوبوا ويعتذروا ﴿فأعرض عنهم﴾ قال ابن عباس نسختها آية السيف ﴿وانتظر انهم منتظرون﴾ قيل انتظر موعدي لك بالنصر انهم منتظرون بك حوادث الزمان، وقيل انتظر عذابنا فيهم فانهم منتظرون ذلك

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو نعيم أنا سفيان عن سعيد بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة انه قال كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو نعيم أنا سفيان عن ليث عن ابي الزبير عن جابر قال كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك

(آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة)

تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية

قال الامام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر قال قال لي أبي بن كعب كأين تقرأ سورة الاحزاب أو كأين تعدها ؟ قال قلت ثلاثا وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وانها لتعادل سورة البقرة « ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود وهو أبو بهدلة به، وهذا اسناد حسن وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما (١) واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا (٢) وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٣)

هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فانه تعالى اذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الاولى والاحرى ، وقد قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله .

﴿سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية مدنية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الاعور عمرو ابن سفيان السلمي وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي ﷺ الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعيمة ابن أبيرق فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب : ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك. فشق على النبي ﷺ قولهم فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم فقال « اني قد أعطيت الامان » فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى (يا أيها النبي اتق الله) أي دم على التقوى كالرجل يقول لغيره وهو قائم

قوله تعالى (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أي لا تسمع منهم ولا تستشرهم (إن الله كان عليما حكيما) أي فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فانه عليم بعواقب الامور حكيم في أقواله وأفعاله ولهذا قال تعالى (واتبع مايوحى اليك من ربك) أي من قرآن وسنة (إن الله كان بما تعملون خبيراً) أي فلا تخفى عليه خافية (وتوكل على الله) أي في جميع أمورك وأحوالك (وكفى بالله وكيلا) أي وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأناب اليه

ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تُظٰهرون منهن أمهٰتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفوٰهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (٤) ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما (٥)

يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوي أمراً معروفا حسيا وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله أنت علي كظهر أمي أماله، كذلك لا يصير الدعي ولداً للرجل اذا تبناه فدعاه ابنا له فقال (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم

قم ههنا أي اثبت قائما. وقيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الامة .وقال الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذى بينك وبينهم ﴿ولا تطع الكافرين﴾ من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الاعور ﴿والمنافقين﴾ من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعيمة ﴿ان الله كان عليما﴾ بخلقه قبل أن يخلقهم ﴿حكيما﴾ فيما دبره لهم ﴿واتبع مايوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا﴾ قرأ أبو عمرو يعملون خبيرا ويعملون بصيرا بالياء فيهما وقرأ غيره بالتاء ﴿وتوكل على الله﴾ ثق بالله ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ حافظا لك وقيل كفيلا برزقك

وقوله عز وجل ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء إلا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين أعقل منهما أفضل من عقل محمد . فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله ،فقال له يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال انهزموا ، قال فما لك احدي نعليك في يدك والاخرى في رجلك ،قال أبو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده .وقال الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله عز وجل للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر

اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) كقوله عز وجل [ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) الآية

قوله تعالى (وما جعل أدعياكم أبنا كم) هذا هو المقصود بالنفي فانهـا نزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي ﷺ كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيدبن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الالحاق وهذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) كما قال تعالى في أثناء السورة [ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما] وقال ههنا [ذلكم قولكم بأفواهكم] يعني تبنيكم لهم قول لايقتضي أن يكون ابنا حقيقياً فانه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) قال سعيد بن جبير (يقول الحق) أي العدل ، وقال قتادة (وهو يهدي السبيل) أي الصراط المستقيم ، وقد ذكر غير واحد أن هـذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذوالقلبين وانه كان يزعم ان له قلبين كل منهما بعقل وافر فأنزل الله تعـالى هـذه الآية رداً عليـه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس يعني ابن أبي ظبيان قال ان أباه حدثه قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ماعنى بذلك ؟ قال قام رسول الله ﷺ يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن صاعد الحراني عن عبد بن حميد وعن احمد بن يونس كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية به ثم قال وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير به . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري في قوله (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) قال بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل . يقول ليس ابن رجل آخر ابنك

أمه حتى تكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين ﴿وما جعـل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ قرأ أهل الشام والكوفة اللائي ههنا وفي سورة الطلاق بياء بعد الهمزة ، وقرأ قالون عن نافع ويعقوب بغير ياء بعد الهمزة ، وقرأ الآخرون بتليين الهمزة وكلها لغات معروفة (تظاهرون) قرأ عاصم بالالف وضم التـاء وكسر الهاء مخففا وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مخففا وقرأ ابن عامر بفتحها وتشديد الظاء والهاء من غير الف بينهما . وصورة الظهار ان يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي . يقول تعالى ماجعل نساءكم اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة نذكرها ان شاء الله تعالى في سورة المجادلة ﴿وما جعل أدعياءكم﴾ يعني من تبنيتموه ﴿أبناءكم﴾ فيه نسخ التبني وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له يدعوه الناس اليه

وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد انها نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه،وهذا يوافق ماقدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم

وقوله عز وجل (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الاسلام من جواز ادعاء الابناء الاجانب وهم الادعياء. فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم الى آبائهم في الحقيقة وأن هذا هو العدل والقسط والبر

قال البخاري رحمه الله حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة قال حدثني سالم عن عبد الله بن عمر قال ان زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ ماكنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله) وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن موسى بن عقبة به . وقد كانوا يعاملونهم معاملة الابناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم وغير ذلك « ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة رضي الله عنهما يارسول الله انا كنا ندعو سالما ابنا ، وإن الله قدأنزل ماأنزل وانه كان يدخل علي واني أجد في نفس ابي حذيفة من ذلك شيئا ، فقال ﷺ « أرضعيه تحرمي عليه » الحديث « ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعي ، وتزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه « وقال عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً)

وقال تبارك وتعالى في آية التحريم [وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) احترازاً عن زوجة الدعي فانه ليس من الصلب فأما الابن من الرضاعة فمنزل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله ﷺ في الصحيحين « حرموا من الرضاعة من يحرم من النسب « فأما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهي عنه في هذه الآية بدليل مارواه الامام احمد وأهل السنن الا الترمذي من حديث سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن الحسن العرني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:قدمنا على رسول الله ﷺ أغيلمة بني عبد المطلب على حمرات لنا من جمع فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول« أبني لاترموا الجمرة حتى تطلع الشمس « قال أبو عبيدة وغيره أبني تصغير ابني وهذا ظاهر الدلالة فان هذا كان في حجة الوداع سنة عشر

ويرث ميراثه وكان النبي ﷺ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الآية ونسخ التبني ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ لا حقيقة له يعني قولهم : زيد ابن محمد ﷺ وادعاء نسب لا حقيقة له ﴿والله يقول الحق﴾ يعني قوله الحق ﴿ وهو يهدي السبيل ﴾ أي يرشد إلى سبيل الحق ﴿ ادعوهم لآبائهم﴾ الذين ولدوهم ﴿هو أقسط﴾ أعدل ﴿عند الله﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله

وقوله (ادعوهم لا بائهم) في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان وأيضاً ففي صحيح مسلم من حديث ابي عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري عن الجعد ابي عثمان البصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يابني » ورواه أبو داود والترمذي

قوله عز وجل (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) أمر تعالى برد أنساب الادعياء الى آبائهم إن عرفوا فان لم يعرفوا فهم اخوانهم في الدين ومواليهم أي عوضاً عما فاتهم من النسب، ولهذا قال رسول الله ﷺ يوم خرجه من مكة عام عمرة القضاء وتبعتهم ابنة حمزة رضي الله عنهما تنادي ياعم ياعم فأخذها علي رضي الله عنه وقال لفاطمة رضي الله عنها دونك ابنة عمك ،فاحتملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم في أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة ،فقال علي رضي الله عنه أنا أحق بها وهي ابنة عمي ، وقال زيد ابنة أخي ، وقال جعفر بن ابي طالب ابنة عمي وخالتها تحتي يعني أسماء بنت عميس ، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال « الخالة بمنزلة الام » وقال لعلي رضي الله عنه « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر رضي الله عنه « أشبهت خلقي وخلقي » وقال لزيد رضي الله عنه « أنت أخونا ومولانا » ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها انه ﷺ حكم بالحق وأرضى كلا من المتنازعين ، وقال لزيد رضي الله عنه « أنت أخونا ومولانا » كما قال تعالى (فاخوانكم في الدين ومواليكم)

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال أبو بكرة رضي الله عنه قال الله عز وجل (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) فأنا ممن لا يعرف أبوه فأنا من اخوانكم في الدين ، قال أبي والله إني لأظنه أنه لو علم ان أباه كان حماراً لانتمى اليه

وقد جاء في الحديث « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم إلا كفر » وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد في التبري من النسب المعلوم ولهذا قال تعالى (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) ثم قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي اذا

النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا معلى بن أسد أنا عبد العزيز بن المختار أنا موسى ابن عقبة حدثني سالم عن عبد الله بن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ قال ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) ﴿فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم﴾ يعني فهم اخوانكم ﴿في الدين ومواليكم﴾ ان كانوا محررين وليسوا بنيكم أي سموهم بأسماء إخوانكم في الدين وقيل مواليكم أي أولياؤكم في الدين ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ قبل النسب فنسبتموه الى غير أبيه ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي وقال قتادة فيما أخطأتم

نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فان الله تعالى قد وضع الحرج في الخطأ ورفع اثمه كما أرشد اليه في قوله تبارك وتعالى آمراً عباده أن يقولوا (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « قال الله عز وجل قد فعلت »

وفي صحيح البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر » وفي الحديث الآخر « ان الله تعالى رفع عن أمتي الخطأ والنسيان والامر الذي يكرهون عليه » وقال تبارك وتعالى ههنا [وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم (وكان الله غفوراً رحيما) أي وانما الاثم على من تعمد الباطل كما قال عز وجل [لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم] الآية . وفي الحديث المتقدم « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه الا كفر » وفي القرآن المنسوخ « فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم

قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ان الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، ثم قال قد كنا نقرأ (ولا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم) وان رسول الله ﷺ قال « لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فانما انا عبد الله فقولوا عبده ورسوله » وربما قال معمر « كما أطرت النصارى ابن مريم » رواه في الحديث الآخر « ثلاث في الناس كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت والاستسقاء بالنجوم »

النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهتهم وألو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتب الله من المؤمنين والمهجرين الا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتب مسطورا (٦)

به أن تدعوه لغير أبيه وهو يظن انه كذلك. ومحل ما في قوله تعالى (ما تعمدت) خفض ردا على ما التي في قوله فيما اخطأتم به مجازه ولكن فيما تعمدت قلوبكم (وكان الله غفورا رحيما) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر أنا شعبة عن عاصم قال سمعت أبا عثمان قال سمعت سعدا وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكرة وكان قد تسور حصن الطائف في اناس فجاءا إلى النبي ﷺ فقالا سمعنا النبي ﷺ يقول « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام »

قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يعني من بعضهم لبعض في نفوذ حكمه فيهم

قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم كان مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما] وفي الصحيح « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » وفي الصحيح أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال : يارسول الله والله لأنت أحب إلي من كل شيء الا من نفسي . فقال ﷺ « لا ياعمر حتى أكون أحب اليك من نفسك ، فقال يارسول الله والله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي فقال ﷺ » الآن ياعمر » ولهذا قال تعالى في هذه الآية (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)

وقال البخاري عند هذه الآية الكريمة حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا ابي عن هلال بن علي عن عبدالرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « مامن مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه » تفرد به البخاري ورواه أيضاً في الاستقراض وابن جرير وابن ابي حاتم من طرق عن فليح به مثله ، ورواه احمد من حديث ابي حصين عن أبي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) عن أبي سلمة عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ كان يقول « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأيما رجل مات وترك ديناً فالي ، ومن ترك مالا فهو لورثته » ورواه ابو داود عن احمد بن حنبل به نحوه

وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) أي في الحرمة والاحترام ، والتوقير والاكرام والاعظام .

ووجوب طاعته عليهم وقال ابن عباس وعطاء يعني اذا دعاهم النبي ﷺ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من طاعتهم أنفسهم . وقال ابن زيد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما قضى فيهم كما أنت اولى بعبدك فيما قضيت عليه . وقيل هو اولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه. وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية . اخبرنا عبدالواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد الله بن محمد انا ابو عامر انا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن ابي عمرو عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه »

قوله عز وجل ﴿وازواجه امهاتهم﴾ وفي حرف ابي (وازواجه امهاتهم وهو أب لهم)وهن أمهات

ولكن لاتجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن واخواتهن بالاجماع ، وإن سمى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في المختصر ، وهو من باب اطلاق العبارة لاثبات الحكم ، وهل يقال لمعاوية وأمثاله خال المؤمنين ؟ فيه قولان للعلماء رضي الله عنهم . ونص الشافعي رضي الله عنه على انه لايقال ذلك ، وهل يقال لهن امهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليبا ؟ فيه قولان صح عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لايقال ذلك وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه

وقد روي عن أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم انهما قرآ (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو اب لهم) وروي نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه . حكاه البغوي وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه ابو داود رحمه الله حدثنا عبدالله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع ابن حكيم عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ «انما انا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه» وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة . وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن عجلان ، والوجه الثاني انه لايقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى [ماكان محمد أبا أحد من رجالكم]

وقوله تعالى (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) أي في حكم الله من المؤمنين والمهاجرين اي القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والانصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجري يرث الانصاري دون قراباته وذوي رحمه للاخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف

المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد ، لافي النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ، قال تعالى (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) ولا يقال ابناتهم هن أخوات المؤمنين ولا لاخوانهن واخواتهن هم اخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير اسماء بنت ابي بكر وهى اخت ام المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين . واختلفوا في انهن هل كن امهات النساء المؤمنات قيل كن امهات المؤمنين والمؤمنات جميعاً وقيل كن أمهات المؤمنين دون النساء وروى الشعبي عن مسروق ان امراة قالت لعائشة رضي الله عنها يا امه قالت لست لك بام إنما انا ام رجالكم . فبان بهذا ان معنى هذه الامومة تحريم نكاحهن

قوله عز وجل (وألو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) يعني في الميراث قال قتادة وكان المسلمون يتوارثون بالهجرة . قال الكلبي آخى رسول الله ﷺ بين الناس فكان يواخي بين رجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت هذه الآية (وألو الارحام بعضهم أولى ببعض

وقد أورد فيه ابن ابي حاتم حديثا عن الزبير بن العوام فقال حدثنا ابي حدثنا أحمد بن ابي بكر المصعبي من ساكني بغداد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والانصار (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض) وذلك انا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الانصار نعم الاخوان فواخيناهم وأرثناهم فآخى ابو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد ، وآخى عمر رضي الله فلانا ، وآخى عثمان رضي الله عنه رجلا من بني زريق بن سعد الزرقي ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضي الله عنه وواخيت انا كعب بن مالك فجئته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى فوالله يابني لو مات يومئذ عن الدنيا ماورثه غيري حتى انزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والانصار خاصة فرجعنا إلى مواريثنا

وقوله تعالى (الا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) أي ذهب الميراث وبقي النصر والبر والصلة والاحسان والوصية ، وقوله تعالى (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أي هذا الحكم وهو ان أولي الارحام بعضهم أولى ببعض حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الاول الذي لايبدل ولا يغير . قاله مجاهد وغير واحد وإن كان تعالى قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم انه سينسخه الى ماهو جار في قدره الازلي وقضائه القدري الشرعي والله أعلم

وإذ أخذنا من النبيين ميثـٰقـهم ومنك ومن نوح وابرٰهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثـٰقا غليظا (٧) ليسـٔل الصـٰدقين عن صدقهم وأعد للكـٰفرين عذابا أليما (٨)

في كتاب الله في حكم الله ﴿ من المؤمنين ﴾ الذين آخى رسول الله ﷺ بينهم ﴿ والمهاجرين ﴾ يعني ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالايمان والهجرة نسخت هذه الآية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت بالقرابة. قوله ﴿ إلا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ﴾ اراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك انه لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح ان يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه قال مجاهد اراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الايمان والهجرة وقيل اراد بالآية اثبات الميراث بالايمان والهجرة . يعني وأولو الارحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض اي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا اي الا ان توصوا لذوي قراباتكم بشيء ان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة ﴿ كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ اي كان الذي ذكرت من ان ذوي الارحام بعضهم اولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً وقال القرظي في التوراة

قوله عز وجل ﴿ واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ﴾ على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا

يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة وبقية الانبياء انه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى وابلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى [وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين] فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد ارسالهم وكذلك هذا ، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص على العام وقد صرح بذكرهم أيضاً في هذه الآية وفي قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فذكر الطرفين والوسط الفاتح والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم

قال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية قال النبي ﷺ « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم » سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلا وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفا والله أعلم .

وقال أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا ابو احمد حدثنا حمزة الزيات حدثنا عدي بن ثابت عن ابي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : خيار ولد آدم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وخيرهم محمد ﷺ موقوف وحمزة فيه ضعف ، وقد قيل ان المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن ابي العالية عن أبي بن كعب قال : ورفع

ويبشر بعضهم ببعض قال مقاتل أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا الى عبادة الله ويصدق بعضهم بعضا وينصحوا لقومهم ﴿ ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾ خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وألو العزم من الرسل ، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر لما أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الحديثي انا عبد الله بن احمد بن يعقوب المقري انا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي ثنا هارون بن محمد بن بكار بن بلال انا أبي انا سعيد يعني ابن بشير عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة قال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » قال قتادة وذلك قول الله عز وجل (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) فبدأ به صلى الله عليه وسلم قبلهم

أباهم آدم فنظر اليهم يعني ذريته وان فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك فقال إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة وهو الذي يقول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وهذا قول مجاهد أيضاً ، وقال ابن عباس الميثاق الغليظ العهد وقوله تعالى (ليسأل الصادقين عن صدقهم) قال مجاهد المبلغين المؤدين عن الرسل

وقوله تعالى (وأعد للكافرين) أي من أممهم (عذابا أليما) أي موجعا فنحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الامم ونصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلي الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والقاسطين ، فما جاءت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال كما يقول أهل الجنة (لقد جاءت رسل ربنا بالحق)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (٩) اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠)

يقول تعالى مخبراً عن نعمته وفضله وإحسانه الى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه اياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق ، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور ، وقال موسى بن عقبة وغيره كان في سنة أربع وكان سبب قدوم الاحزاب أن نفراً من

﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ يقول أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة ، والحكمة في سؤالهم مع علمه أنهم صادقون لتبكيت من أرسلوا اليهم ، وقيل ليسأل الصادقين عن عملهم لله عز وجل . وقيل ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم ﴿ وأعد للكافرين عذابا أليما ﴾

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنو اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق ﴿ اذ جاءتكم جنود ﴾ يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا ﴾ وهي الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله ﷺ فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل . وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل أنا آدم أنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور »

أشراف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة الى خيبر منهم سلام ابن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا إلى مكة فاجتمعوا بأشراف قريش وألبوهم على حرب النبي ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر والاعانة فأجابوهم الى ذلك ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضا ، وخرجت قريش في أحابيشها ومن تابعها وقائدهم أبوسفيان صخر بن حرب ، وعلى غطفان عيينة بن حصن بن بدر ، والجميع قريب من عشرة آلاف فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق ، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله ﷺ التراب وحفر ، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات ، وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة

قوله تعالى ﴿ وجنودا لم تروها ﴾ وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم ، حتى كان سيد كل حي يقول يابني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب ، فانهزموا من غير قتال ﴿ وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾ قال محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن موالاتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك عن الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا دخل حديث بعضهم في بعض : ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهودة بن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منهم ، قالوا فهم الذين أنزل الله فيهم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت – الى قوله – وكفى بجهنم سعيرا) فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ماقالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس غيلان فدعوهم الى ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم ، فخرجت قريش وقائدها أبوسفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ، ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على

منهم في أعالي أرض المدينة كما قال الله تعالى (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف وقيل سبعمائة فأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجوههم الى نحو العدو ، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الخيالة والرجالة أن تصل اليهم وجعل النساء والذراري في آطام المدينة، وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب اليهم حيي بن أخطب النضري فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ومالؤوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم الخطب واشتد الامر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريبا من شهر إلا أنهم لا يصلون اليهم ولم يقع

رسول الله ﷺ بالخندق سلمان الفارسي ، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أحكموه. أخبرنا أبو سعيد الشربجي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد الاصبهاني أنا محمد بن جعفر الطبري ثنا حماد بن الحسن ثنا محمد بن خالد بن عثمة ثنا كثير بن عبدالله عن عمرو بن عوف حدثني أبي عن أبيه قال خط رسول الله ﷺ الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا، قال فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان لنا وقال الانصار سلمان منا، فقال النبي ﷺ «سلمان منا أهل البيت» قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في أربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بجنب ذي باب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان ارق الى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة فاما أن نعدل عنها فان المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيه بأمره فانا لانحب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى مايحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فانا لانحب أن نتجاوز خطك فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الى الخندق والتسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبيرا فكبر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون معه فاخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط

بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا الى ناحية المسلمين فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين اليه فيقال انه لم يبرز اليه أحد ، فأمر عليا رضي الله عنه فخرج اليه فتجاولا ساعة ثم قتله علي رضي الله عنه فكان علامة على النصر ، ثم أرسل الله عز وجل على الاحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ، ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا) قال مجاهد وهي الصبا ، ويؤيده الحديث الآخر « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور »

فالتفت رسول الله ﷺ الى القوم فقال « أرأيتم ما يقول سلمان؟ » قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذى رأيتم اضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فاخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذى رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم كأنها أنياب الكلاب ، فاخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذى رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها فابشروا » فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر . فقال المنافقون ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) وأنزل الله في هذه القصة (قل اللهم مالك الملك) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل انا عبد الله بن محمد انا معاوية بن عمرو انا أبو اسحاق عن حميد قال سمعت أنسا يقول خرج رسول الله ﷺ الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك عنهم ، فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال « اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة » فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا ٭ على الجهاد ما بقينا ابدا

وأخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا مسلم بن ابراهيم أنا شعبة عن أبي اسحاق عن البراء قال كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى غبر بطنه أو اغبر صدره وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا ٭ ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا ٭ وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الأولى قد بغوا علينا ٭ اذا أرادوا فتنة أبينا

وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود عن عكرمة قال : قالت الجنوب الشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لاتسري بالليل قال فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا. ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الاشج عن حفص بن غياث عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره

وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال أرسلني خالي عثمان بن مظعون رضي الله عنه ليلة الخندق في برد شديد وريح الى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي وقال « من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا » قال فذهبت والريح تسفي كل شيء. فجعلت لا ألقى أحدا إلا

ورفع بها صوته أبينا أبينا . رجعنا الى حديث ابن اسحاق قال فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من دومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب أحد . وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذراري فرفعوا في الآطام ، وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه حيي فأبى أن يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لي فقال ويحك ياحيي انك امرؤ مشؤم وأنا قد عاهدت محمداً فلست بناقض مابيني وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا . قال ويحك افتح لي أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله إن أغلقت دوني الا على جشيشتك أن آكل معك منها . فاحفظ الرجل ففتح له فقال : ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام « جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من دومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد ، وقد عاهدوني وعاقدوني أن لايبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . قال له كعب بن أسد جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء فدعني ومحمدا وما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء .فلم يزل حيي بن أخطب بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه من الله عهداً و ميثاقا ووفاء لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ان أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده وتبرأ مما كان عليه فيما كان بينه وبين رسول الله ﷺ فلما انتهى الى رسول الله ﷺ الخبر والى المسلمين بعث رسول الله (ص) سعد بن معاذ أحد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد ابن عبادة أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج

أمرته بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فما يلوي أحد منهم عنقه . قال وكان معي ترس لي فكانت الريح تضرب به علي وكان فيه حديد قال فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأبعدها الى الارض .

وقوله (وجنودا لم تروها) هم الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يابني فلان الي فيجتمعون اليه فيقول النجاء النجاء لما ألقى الله عز وجل في قلوبهم من الرعب . وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا أبا عبدالله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه؟ قال نعم ياابن أخي قال وكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجهد . قال الفتى والله لو أدركناه

وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال «انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا الي لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس ، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به جهرا للناس » فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث مابلغهم منهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لاعقد بيننا وبين محمد ولا عهد ، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فان مابيننا وبينهم أربى من المشاتمة ، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وقالوا عضل والقارة كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين » وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ، وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن قيظي يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فائذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة . فأقام رسول الله (ص) وأقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى بالنبل والحصى . فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله (ص) الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عمرو وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله (ص) وأصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح على ذلك حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فيه ، فقالا يارسول الله أشيء أمرك الله به لابد لنا من العمل به ؟ أم أمر تحبه فتصنعه ؟ أم شيء تصنعه لنا ؟ قال « بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا اني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت أن اكسر عنكم شوكتهم » فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة

ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على أعناقنا . قال قال حذيفة رضي الله عنه يا ابن أخي والله لو رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويا من الليل ثم التفت فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم؟» يشترط له النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع أدخله الله الجنة قال فما قام رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟ - يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة - أسأل الله تعالى ان يكون رفيقي في الجنة » فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال صلى الله عليه وسلم « ياحذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا» قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قرارا ولا نارا ولا بناء فقام أبوسفيان فقال:

الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأخذوا منا ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعا أفحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؛ ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله ﷺ « فانت وذاك » فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وأخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة فقالوا تهيؤا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً ، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال له علي يا عمرو انك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين إلا أخذت منه احداهما قال أجل ، فقال له علي بن أبي طالب فاني أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام. قال لا حاجة لي بذلك ، قال فاني أدعوك الى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب ان أقتلك قال علي ولكني والله احب أن اقتلك . فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي فخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

يامعشر قريش لينظر كل امرىء من جليسه. قال حذيفة رضي الله عنه فاخذت بيد الرجل الذي الى جنبي فقلت من أنت ؟ فقال أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ماترون والله ماتطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن لاتحدث شيأ حتى تأتيني لو شئت لقتلته بسهم، قال حذيفة رضي الله عنه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل فلما رآني أدخلني بين رجليه وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد واني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم .وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال له رجل لو أدركت

المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده فقال رسول الله ﷺ «لاحاجة لنا في جسده وثمنه فشأنكم به» فخلى بينهم وبينه. قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب، فمر سعد بن معاذ عليه درع مقلصة خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول شعرا

لبث قليلا يدرك الهيجا حمل لا بأس بالموت اذا حان الاجل

فقالت له أمه الحق يابني فقد والله أجزت قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت ان درع سعد كانت أسبغ مما هي قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه الا كحل رماه خباب بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقني لها فانه لا قوم أحب الي أن أجاهدهم من قوم هم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية .وقال محمد بن اسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه من النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة فقطعت ما بيننا وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم اذ أتانا آت قالت فقلت ياحسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله لم آمنه بان يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت، فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا رجل يأتي بخبر القوم يكون معي يوم القيامة » فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال صلى الله عليه وسلم « ياحذيفة قم فائتنا بخبر من القوم » فلم أجد بدا اذ دعاني باسمي ان أقوم فقال « ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي » قال فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتذعرهم علي ولو رميته لاصبته قال فرجعت كأنما أمشي في حمام فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائما حتى الصبح فلما ان أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قم يانومان » ورواه يونس بن بكير عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم قال : ان رجلا

رسول الله ﷺ وأصحابه فأنزل اليه فاقتله . فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا اعتجرت ثم أخذت عموداً ونزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت ياحسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل » فقال مالي بسلبه من حاجة يابنت عبد المطلب، قالوا وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم . ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر من بني غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله ﷺ « انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة » فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يابني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه، وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم فيه أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وأولادهم ونساؤهم بعيدة ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلاتقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم حتى تكون بأيديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه . قالوا لقد أشرت برأي ونصح

ثم خرج حتى أتى قريشا . فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش يامعشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً وقد بلغني أمر رأيت أن حقا علي أن أبلغكم نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد

قال لحذيفة رضي الله عنه نشكو الى الله صحبتكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم أدركتموه ولم ندركه ورأيتموه ولم نره، فقال حذيفة رضي الله عنه ونحن نشكو الى الله ايمانكم به ولم تروه والله لاتدري ياابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله علية وسلم ليلة الخندق في ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا. وروى بلال بن يحيى العبسي عن حذيفة رضي الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا. فقال حذيفة لاتمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذراريناوما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة مايرى أحدنا أصبعه. فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم فيتسللون ونحن ثلثمائة أو نحو ذلك اذا استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى أتى علي وما علي جنة من العدو ولا من البرد الا مرط لامرأتي ماىجاوز ركبتي قال فأتاني صلى الله عليه وسلم وانا جاث على ركبتي فقال « من

ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم أن نعم، فان بعثت اليكم يهود فلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يامعشر غطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم ماحذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان ذلك مما صنع الله لرسوله ﷺ أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى تناجزوا محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه. فقالوا لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لانعمل فيه شيئا وقد كان أحدث بعضنا فيه حدثا فاصابه مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد. فلما رجعت اليهم الرسل بذلك الذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمون والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لاندفع اليكم رجلا واحداً من رجالنا وإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق مايريد القوم الا أن يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك استمروا الى

هذا؟» فقلت حذيفة قال «حذيفة» فتقاصرت الارض فقلت بلى يارسول الله كراهية ان أقوم فقمت فقال «انه كائن في القوم خبر فائتني بخبر القوم» قال وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرا قال فخرجت فقال رسول الله ﷺ « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته » قال فوالله ماخلق الله تعالى فزعا ولا قرا في جوفي الا خرج من جوفي فما أجد فيه شيأ قال فلما وليت قال ﷺ « ياحذيفة لاتحدثن في القوم شيأ حتى تأتيني » قال فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد فاذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ويقول الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أباسفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله ﷺ « لا تحدثن فيهم شيأ حتى تأتيني » قال فامسكت ورددت سهمي الى كنانتي ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فاذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لامقام لكم . واذا الريح في عسكرهم ماتجاوز عسكرهم شبرا فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبي ﷺ فلما انتصفت في الطريق أو نحوا من ذلك اذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين فقالوا أخبر صاحبك ان الله تعالى كفاه القوم ، فرجعت الى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة

بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا إلى قريش وغطفان انا والله لانقاتل معكم حتى تأتونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله ﷺ مااختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر مافعل القوم ليلا . فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن أبيه قالا قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ياأبا عبد الله رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال نعم ياابن أخي قال كيف كنتم تصنعون؟ قال والله لقد كنا نجهد ، فقال الفتى والله لو أدركناه ماتركناه يمشي على الارض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا ، فقال حذيفة ياابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله ﷺ فقال « من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة ، فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله ﷺ هونا من الليل ثم التفت الينا فقال « هل من رجل يقوم فينظر مافعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة؟ » فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فقال «ياحذيفة» فلم يكن لي بد من القيام اليه حين دعاني فقلت لبيك يارسول الله وقمت حتى أتيته وان جنبي ليضطربان فمسح رأسي ووجهي ثم قال « ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع إلي ثم قال « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته »

يصلي فوالله ماعدا أن رجعت راجعني القر وجعلت اقرقف فأومأ الي رسول الله ﷺ بيده وهو يصلي فدنوت منه فاسبل علي شملة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى فاخبرته خبر القوم وأخبرته اني تركتهم يرتحلون وأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) وأخرج أبو داود في سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى من حديث عكرمة بن عمار به

وقوله تعالى (اذ جاءوكم من فوقكم) أي الاحزاب (ومن أسفل منكم) تقدم عن حذيفة رضي الله عنه أنهم بنو قريظة (واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر) أي من شدة الخوف والفزع (وتظنون بالله الظنونا) قال ابن جرير ظن بعض من كان مع رسول الله ﷺ أن الدائرة على المؤمنين وان الله سيفعل ذلك ، وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالى (واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا) ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لايقدر على أن يذهب الى الغائط ، وقال الحسن في قوله عز وجل (وتظنون بالله الظنونا) ظنون مختلفة ظن المنافقون أن محمداً ﷺ وأصحابه

فأخذت سهمي وشددت علي سلاحي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام، فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء وأبو سفيان قاعد يصطلي فأخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فأردت أن أرميه ولو رميته لأصبته فذكرت قول النبي ﷺ « لاتحدثن حدثا حتى ترجع » فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى أبوسفيان مانفعل الريح وجنود الله بهم لاتقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء قام فقال : يامعشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو قال فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت ؟ فقال سبحان الله أما تعرفني أنا فلان بن فلان فاذا هو رجل من هوازن، فقال أبو سفيان يامعشر قريش انكم والله ماأصبحتم بدار مقام ولقد هلكنا وهلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام إلى جمله فهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته الخبر فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل قال فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء ، فأدناني النبي ﷺ منه وأنامني عند رجليه وألقى علي طرف ثوبه وألزق صدري ببطن قدمه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال « قم يانومان »

قوله عز وجل ﴿اذ جاءوكم من فوقكم﴾ أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النضري وعيينه بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن

يستأصلون . وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق وانه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الانصاري حدثنا ابو عامر ح وحدثنا أبي حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا الزبير يعني ابن عبدالله مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال ﷺ « نعم ؟ قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم بالريح . وكذا رواه لامام احمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي

هنالك ابتُلِيَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديدا (١١) واذ يقول المنـفقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا (١٢) واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبيّ يقولون ان بيوتنا عورةٌ وما هيَ بعورة ان يريدون الا فرارا (١٣)

يقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال حين نزلت الاحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ورسول الله ﷺ بين أظهرهم أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديداً فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض

خويلد الاسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة ﴿ومن أسفل منكم﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه ،وأبو الاعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق ،وكان السبب الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله ﷺ بني النضير من ديارهم ﴿واذ زاغت الابصار﴾ مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا الى عدوها ﴿وبلغت القلوب الحناجر ﴾ فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع، والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف، قال الفراء معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت الرئة رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ أي اختلفت الظنون فظن المنافقون استئصال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وظن المؤمنون النصر والظفر لهم، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر الظنونا والرسولا والسبيلا باثبات الالف وصلا ووقفا لأنها مثبتة في المصاحف بالالف .وقرأ أهل البصرة وحمزة بغير الالف في الحالين على الاصل وقرأ الآخرون بالالف في الوقف دون الوصل لموافقة رءوس الآي ﴿هنالك ابتلي﴾ أي عند ذلك اختبر ﴿المؤمنون﴾ بالحصر والقتال ليتبين المخلص من المنافق ﴿وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ حركوا حركة شديدة ﴿واذ يقول المنافقون﴾ معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي

ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا) أما المنافق فنجم نفاقه ، والذي في قلبه شبهة أو حسكة ضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ماهو فيه من ضيق الحال ، وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى (واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب) يعني المدينة كما جاء في الصحيح « أريت في المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فذهب وهلي انها هجر فاذا هي يثرب» وفي لفظ المدينة

فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا ابراهيم بن مهدي حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى ، انما هي طابة هي طابة » تفرد به الامام احمد وفي اسناده ضعف والله أعلم ويقال انما كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبيد بن مهلاييل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح قاله السهيلي ، قال وروي عن بعضهم أنه قال ان لها في التوراة أحد عشر اسما . المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة . وعن كعب الاحبار قال : إنا نجد في التوراة يقول الله تعالى للمدينة ياطيبة وياطابة ويا مسكينة لاتقلي الكنوز أرفع أحجرك على أحاجر القرى

وقوله (لا مقام لكم) أي ههنا يعنون عند النبي ﷺ في مقام المرابطة (فارجعوا) أي إلى بيوتكم ومنازلكم (ويستأذن فريق منهم النبي)

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو حارثة قالوا بيوتنا نخاف عليها السراق ، وكذا قال غير واحد ، وذكر ابن اسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قيظي يعني اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أي ليس دونها مايحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم قال الله تعالى (وماهي بعورة) أي ليست كما يزعمون (ان يريدون الا فرارا) أي هربا من الزحف

وأصحابه ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ شك وضعف اعتقاد ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ وهو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لايستطيع أن يجاوز رحله هذا والله الغرور ﴿ واذ قالت طائفة منهم﴾ أي من المنافقين وهم أوس بن قيظي وأصحابه ﴿يا أهل يثرب﴾ يعني المدينة قال أبو عبيدة يثرب اسم أرض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها . وفي بعض الاخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال «هي طابة» كأنه كره هذا اللفظ ﴿ لا مقام لكم﴾ قرأ العامة بفتح الميم أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه ، وقرأ ابو عبدالرحمن السلمي وحفص بضم الميم أي لا اقامة لكم ﴿فارجعوا﴾ إلى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال الى مساكنكم ﴿ ويستأذن فريق منهم النبي﴾ وهم بنو حارثة وبنو سلمة ﴿يقولون ان بيوتنا عورة ﴾ أي خالية ضائعة وهو مما يلي العدو ونخشى عليها السراق وقرأ أبو رجاء العطاردي عورة بكسر الواو أي قصيرة الجدران يسهل دخول السراق عليها فكذبهم الله فقال ﴿ وما هي بعورة ان

ولو دُخِلت عليهم من أقطارها ثم سُئلوا الفتنة لآتَوْها وما تلبثوا بها إلا يسيراً (١٤)

ولقد كانوا عٰهدوا الله من قبل لا يُوَلّون الادبٰر وكان عهد الله مسئولا (١٥) قل لن ينفعكم الفِرار إن فررتم من الموت أو القتل واذاً لا تُمَتَّعون الا قليلا (١٦) قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ،ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧)

يخبر تعالى عن هؤلاء الذين (يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون إلا فرارا) انهم لو دخل عليهم الاعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعا وهم لا يحافظون على الايمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع هكذا فسرها قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير وهذا ذم لهم في غاية الذم

ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف لا يولون الادبار ولا يفرون

يريدون الا فرارا ﴾ أي ما يريدون الا الفرار ﴿ولو دخلت عليهم﴾ أي لو دخل عليهم المدينة هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب ﴿من أقطارها﴾ جوانبها ونواحيها جمع قطر ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ أي الشرك ﴿لآتوها﴾ لأعطوها وقرأ أهل الحجاز لأتوها مقصورا أي لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام ﴿وما تلبثوا بها ﴾ أي ما احتبسوا عن الفتنة ﴿الا يسيرا﴾ ولأسرعوا الاجابة إلى الشرك طيبة به أنفسهم هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن والفراء وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى يهلكوا ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ أي من قبل غزوة الخندق ﴿لا يولون الادبار﴾ من عدوهم اي لا ينهزمون قال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها . وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما اعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن . فساق الله اليهم ذلك ،وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي ﷺ «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا،وأشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم » قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال« لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة »قالوا قد فعلنا ذلك فذلك عهدهم . وهذا القول ليس بمرضي لان الذين بايعوا محمدا ﷺ ليلة العقبة كانوا سبعين نفرا لم يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وانما

من الزحف (وكان عهد الله مسئولا) أي وان الله تعالى سيسألهم عن ذلك العهد لا بد من ذلك ، ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سببا في تعجيل أخذهم غرة ، ولهذا قال تعالى (وإذا لا تمتعون إلا قليلا) أي بعد هربكم وفراركم (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) ثم قال تعالى (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي يمنعكم (إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجير ولا مغيث .

قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمّ الينا ولا يأتون البأس الا قليلا (١٨) أشحّة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (١٩)

يخبر تعالى عن احاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لاخوانهم أي أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم (هلم الينا) أي إلى ما نحن فيه من الاقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك (لا يأتون

الآية في قوم عاهدوا الله ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد ﴿وكان عهد الله مسئولا﴾ أي مسئولا عنه ﴿قل﴾ لهم ﴿لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ الذى كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل ﴿ واذا لا تمتعون إلا قليلا ﴾ أي لا تمتعون بعد هذا الفرار الا مدة آجالكم وهي قليل ﴿ قل من ذا الذى يعصمكم من الله ﴾ يمنعكم من عذابه ﴿ ان أراد بكم سوءا﴾ هزيمة ﴿ أو أراد بكم رحمة﴾ نصرة ﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليا﴾ أى قريبا ينفعهم ﴿ولا نصيرا﴾ أي ناصرا يمنعهم ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ أي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والقائلين لاخوانهم هلم الينا﴾ أي ارجعوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك. قال قتادة هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لاخوانهم ما محمد وأصحابه إلا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم -اي ابتلعهم- ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك. وقال مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت إلى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم إن قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم انتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا. فاقبل عبد الله بن ابي واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون

البأس إلا قليلا أشحة عليكم) اي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم ، وقال السدي (أشحة عليكم) اي في الغنائم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) أي من شدة خوفه وجزعه ، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال (فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) أي فاذا كان الامن تكلموا كلاما بليغا فصيحاً عالياً وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة وهم يكذبون في ذلك ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما (سلقوكم) اي استقبلوكم ، وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير اي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فهم كما قال في أمثالهم الشاعر :

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العوارك

أي في حال المسالمة كأنهم الحمر ، والاعيار جمع عير وهو الحمار ، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ، ولهذا قال تعالى (أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) أي سهلا هينا عنده

يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وإن يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قتلوا إلا قيلا (٢٠)

وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) بل

من محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا إلى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا

قوله عز وجل ﴿ولا يأتون البأس﴾ الحرب ﴿إلا قليلا﴾ رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا ﴿أشحة عليكم﴾ بخلاء بالنفقة في سبيل الله وقال قتادة بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله تعالى بالبخل والجبن فقال ﴿فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم﴾ في الرءوس من الخوف والجبن ﴿كالذي يغشى عليه من الموت﴾ أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت وذلك أن من قرب الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف ﴿فاذا ذهب الخوف سلقوكم﴾ آذوكم ورموكم في حال الامن ﴿بألسنة حداد﴾ ذربة جمع حديد يقال للخطيب الفصيح الذرب اللسان مسلق ومصلق وسلاق وصلاق قال ابن عباس سلقوكم أي عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة، وقال قتادة بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون أعطونا فانا قد شهدنا معكم القتال فلستم احق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند البأس أجبن قوم ﴿أشحة على الخير﴾ أي عند الغنيمة يتشاحون على المؤمنين ﴿أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم﴾ قال مقاتل أبطل الله جهادهم ﴿وكان ذلك على الله يسيرا * يحسبون﴾ يعني هؤلاء المنافقين ﴿الاحزاب﴾ يعني

هم قريب منهم وان لهم عودة اليهم (وإن يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب يسألون عن أنبائكم) أي ويودون اذا جاءت الاحزاب أنهم لايكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم (ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلا) أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم الاقليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رءا المؤمنون الاحزابَ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، وما زادهم الا إيمٰناو تسليما (٢٢)

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الاحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الاحزاب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) اي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ ولهذا قال تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله

قريشا وغطفان واليهود ﴿لم يذهبوا﴾ لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا ﴿وان يأت الاحزاب﴾ أي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب ﴿يودوا لو أنهم بادون في الاعراب﴾ أي يتمنوا لو كانوا في بادية مع الاعراب من الخوف والجبن، يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى البادية ﴿يسألون عن انبائكم﴾ أخباركم وما آل اليه أمركم وقرأ يعقوب يساءلون مشددة ممدودة أي يتساءلون ﴿ولو كانوا﴾ يعني هؤلاء المنافقين ﴿ فيكم ما قاتلوا الا قليلا ﴾ تعذيرا أي يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قدقاتلنا، قال الكلبي الا قليلا أي رميا بالحجارة وقال مقاتل الارياء وسمعة من غير احتساب

قوله عز وجل ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ قرأ عاصم أسوة حيث كانت بضم الهمزة والباقون بكسرها وهما لغتان أي قدوة صالحة وهي فعلة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر أي به اقتداء حسن أن تنصروا دين الله وتوازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على مايصيبكم كما فعل هو اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب من الاذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته ﴿لمن كان يرجو الله﴾ بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين يعني أن الاسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله ﴿واليوم الآخر﴾ أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الاعمال ﴿وذكر الله كثيرا﴾ في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين

كثيراً) ثم قال تعالى مخبراً عن عباده المؤمنين المصدقين بوعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يعنون قوله تعالى في سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) أي هذا ماوعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى (وصدق الله ورسوله)

وقوله تعالى (وما زادهم الا إيماناً وتسليما) دليل على زيادة الايمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الائمة إنه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة . ومعنى قوله جلت عظمته (وما زادهم) أي ذلك الحال والضيق والشدة (الا إيمانا وتسليما) أي انقياداً لأوامره وطاعة لرسوله ﷺ

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليجزيَ الله الصّدقين بصدقهم ويعذبَ المنفقين ان شاء أو يتوبَ عليهم ان الله كان غفورا رحيما (٢٤)

لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الادبار، وصف المؤمنين أنهم استمروا على العهد والميثاق (وصدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) قال بعضهم أجله وقال البخاري عهده وهو يرجع الى الاول (ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) أي وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه. قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني خارجة

عند لقاء الاحزاب فقال ﴿ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا﴾ تسليما لامر الله وتصديقا لوعده ﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ وعد الله إياهم ماذكر في سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم - الى قوله - ألا ان نصر الله قريب) فالآية تتضمن ان المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما رأوا الاحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ﴿وما زادهم الا ايمانا وتسليما﴾ أي تصديقا لله وتسليما لأمره

قوله عز وجل ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد. والنحب النذر والنحب الموت أيضا قال مقاتل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه، وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب نحب فلان في سيره يومه وليله أجمع اذا مد فلم ينزل ﴿ومنهم من ينتظر﴾

ابن زيد بن ثابت عن أبيه قال: لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم أجدها مع أحد الا مع خزيمة بن ثابت الانصاري رضي الله عنه الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) تفرد به البخاري ومسلم وأخرجه أحمد في مسنده والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بشار حدثنا محمد ابن عبد الله الانصاري حدثني أبي عن ثمامة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) الآية انفرد به البخاري من هذا الوجه، ولكن له شواهد من طرق أخر. قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال أنس: عمي انس بن النضر رضي الله عنه سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فشق عليه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، لئن أراني الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ماأصنع. قال فهاب ان يقول غيرها فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال له انس رضي الله عنه يا أبا عمرو اين واها لريح الجنة إني اجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه قال فوجد في جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية فقالت اخته عمتي الربيع ابنة النضر فما عرفت اخي الا ببنانه قال فنزلت هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا) قال فكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنهم. ورواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائي أيضا وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه بنحوه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حميد عن انس رضي الله عنه قال ان عمه يعنى انس بن النضر رضي الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى

الشهادة. وقال محمد بن اسحاق (فمنهم من قضى نحبه) من استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الامرين اما الشهادة أو النصرة ﴿وما بدّلوا﴾ عهدهم ﴿تبديلا﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن سعيد الخزاعي أنا عبد الاعلى عن حميد قال سألت أنسا ح وحدثني عمرو بن زرارة أنا زياد حدثني حميد الطويل عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ماأصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون قال اللهم أني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء. يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال ياسعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد فما استطعت

الله عليه وسلم المشركين لئن اشهدني الله عز وجل قتالا للمشركين ليرين الله تعالى ماأصنع .قال فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال: اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء. يعني اصحابه وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء. يعني المشركين ثم تقدم فلقيه سعد يعني ابن معاذ رضي الله عنه دون احد فقال انا معك قال سعد رضي الله عنه فلم استطع ان اصنع ماصنع فلما قتل قال فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفي أصحابه نزلت (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) واخرجه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد والنسائي فيه أيضا عن اسحاق بن ابراهيم كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي حسن. وقد رواه البخاري في المغازي عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن انس رضي الله عنه به ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن حميد عن أنس رضي الله عنه به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن الفضل العسقلاني حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عن جدي عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة رضي الله عنه قال : لما أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعزى المسلمين بما أصابهم وأخبرهم بما لهم فيه من الاجر والذخر ثم قرأ هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) الآية كلها ،فقام اليه رجل من المسلمين فقال يارسول الله من هؤلاء ؟ فأقبلت وعلي ثوبان أخضران حضرميان فقال « أيها السائل هذا منهم » وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن أيوب الطلحي به ، وأخرجه الترمذي في التفسير والمناقب أيضاً وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما رضي الله عنه به وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس

وقال أيضاً حدثنا أحمد بن عصام الانصاري حدثنا أبو عامر - يعني العقدي - حدثني إسحاق - يعني ابن طلحة بن عبيد الله - عن موسى بن طلحة قال :دخلت على معاوية رضي الله عنه فلما خرجت

يارسول الله ما صنع قال أنس فوجدناه بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانه ، قال أنس كنا نظن أو نرى ان هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الى آخر الآية أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الاعمش عن سفيان عن شقيق عن خباب بن الارت قال :هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله ،فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب ابن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه الا نمرة ،فكنا اذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه واذا وضعناها على رجليه خرج رأسه ،فقال رسول الله ﷺ «ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه

دعاني فقال ألا أضع عندك يا ابن أخي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طلحة ممن قضى نحبه »ورواه ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبدالحميد الحماني عن إسحاق بن يحيى بن طلحة الطلحي عن موسى بن طلحة قال : قام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقال إني سمعت رسول الله (ص) يقول «طلحة ممن قضى نحبه »ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى (فمنهم من قضى نحبه) يعني عهده (ومنهم من ينتظر) قال يوما فيه القتال فيصدق في اللقاء . وقال الحسن (فمنهم من قضى نحبه) يعني موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلا وكذا قال قتادة وابن زيد ،وقال بعضهم نحبه نذره

وقوله تعالى (وما بدلوا تبديلا) أي وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغدر : بل استمروا على ماعاهدوا الله عليه وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا [إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار] وقوله تعالى (ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) أي انما يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فهذا علم بالشيء قبل كونه وإن كان العلم السابق حاصلا به قبل وجوده ، وكذا قال الله تعالى (ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) ولهذا قال ههنا (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) أي بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظتهم عليه (ويعذب المنافقين) وهم الناقضون لعهد الله المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه ، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الايمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان : ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة قال (إن الله كان غفوراً رحيما)

وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويًّا عزيزاً (٢٥)

شيئا من الاذخر »قال ومنامن أينعت له ثمرته فهو يهدبها . اخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي نصر أنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي أنا محمد بن سليمان الجوهري بانطاكية انا مسلم بن ابراهيم انا صلت بن دينار عن ابي نضرة عن جابر بن عبدالله قال نظر النبي ﷺ إلى طلحة بن عبدالله فقال «من أحب ان ينظر إلى رجل يمشي على وجه الارض قد قضى نحبه فلينظر إلى هذا »اخبرنا عبدالواحد المليحي انا أحمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل انا عبد الله بن ابي شيبة انا وكيع بن اسماعيل عن قيس قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم احد

قوله عز وجل ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ اي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد ﴿ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم﴾ فيهديهم الى الايمان ﴿إن الله كان غفورا رحيما * ورد الله

يقول تعالى مخبراً عن الاحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الالهية ولولا أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم التي أرسلها على عاد ، ولكن قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) فسلط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم أخلاط من قبائل شتى أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم لم ينالوا خيراً لا في الدنيا مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم ولا في الآخرة بما تحملوا من الآثام في مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة وهمهم بقتله واستئصال جيشه، ومن هم بشيء وصدق همه بفعله فهو في الحقيقة كفاعله

وقوله تبارك وتعالى (وكفى الله المؤمنين القتال) أي لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم ، بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول « لا إله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده » أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وفي الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ على الاحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الاحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم » وفي قوله عز وجل (وكفى الله المؤمنين القتال) إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون في بلادهم . قال محمد بن اسحاق لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم » فلم تغز قريش بعد ذلك وكان رسول الله ﷺ هو يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة . وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن اسحاق حديث صحيح كما قال الامام احمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو اسحاق قال سمعت سليمان بن صرد رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ يوم الاحزاب « الآن نغزوهم ولا يغزونا » وهكذا رواه البخاري في صحيحه من حديث الثوري واسرائيل عن ابي اسحاق به

وقوله تعالى (وكان الله قويا عزيزاً) أي بحوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيراً وأعز الله الاسلام وأهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فلله الحمد والمنة

وأنزل الذين ظٰهروهم من أهل الكتٰب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرُّعب فريقا

الذين كفروا﴾ من قريش وغطفان ﴿بغيظهم﴾ لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا ﴿لم ينالوا خيرا﴾ ظفرا ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالملائكة والريح ﴿وكان الله قويا عزيزا﴾ قويا في ملكه عزيزا في انتقامه ﴿وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب﴾ اي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله

تقتلون و تأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا (٢٧)

قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الاحزاب ونزلوا على المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد وكان ذلك بسفارة حيي بن أخطب النضري لعنه الله دخل حصنهم ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد وقال له فيما قال ويحك قد جئتك بعز الدهر أتيتك بقريش وأحابيشها وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه ، فقال له كعب بل والله أتيتني بذل الدهر ، ويحك ياحيي إنك مشئوم فدعنا منك فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى أجابه واشترط له حيي ان ذهب الاحزاب ولم يكن من أمرهم شيء أن يدخل معهم في الحصن فيكون له أسوتهم ، فلما نقضت قريظة وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه وشق عليه وعلى المسلمين جدا فلما أيده الله تعالى ونصره وكبت الاعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة ورجع رسول الله ﷺ الى المدينة مؤيدا منصورا ووضع الناس السلاح ، فبينما رسول الله ﷺ يغتسل من وعثاء تلك المرابطة في بيت

صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم بنو قريظة ﴿من صياصيهم﴾ حصونهم ومعاقلهم ، احدها صيصة ومنه قيل للقرن ولشوكة الديك والحائك صيصية . وذلك ان رسول الله ﷺ لما اصبح من الليلة التي انصرف الاحزاب فيها راجعين الى بلادهم وانصرف النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال: قد وضعت السلاح يارسول الله؟ قال « نعم » فقال جبريل عفا الله عنك ماوضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم . وروي أنه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي ﷺ يمسح الغبار عن وجهه وعن وجه فرسه. فقال ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وأنا عامد الى بني قريظة فانهز اليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال و بلبال فأمر النبي ﷺ مناديا فأذن: ان من كان سامعاً مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته اليهم وابتدرها الناس فسار علي رضي الله عنه حتى اذا دنا من الحصون سمع منهـا مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال يارسول الله لا عليك أن لاتدنو من هؤلاء الاخابث قال « لم ؟ أظنك سمعت لي منهم أذى » قال نعم يارسول الله قال « لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا » فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال « ياإخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ » قالوا ياابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله ﷺ على أصحابه بالصور من قبل أن يصل الى بني قريظة

أم سلمة رضي الله عنها إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال : أوضعت السلاح يارسول الله ؟ قال ﷺ « نعم » قال لكن الملائكة لم تضع أسلحتها ، وهذا الآن رجوعي من طلب القوم » ثم قال : ان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض الى بني قريظة » وفي رواية فقال له عذيرك من مقاتل أوضعتم السلاح؟ قال « نعم » قال لكنا لم نضع أسلحتنا بعد » انهض الى هؤلاء. قال ﷺ « أين ؟ » قال بني قريظة فان الله تعالى أمرني أن أزلزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره وأمر الناس بالمسير الى بني قريظة وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » فسار الناس فأدركتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تعجيل المسير ، وقال آخرون لا نصليها إلا في بني قريظة فلم يعنف واحدا من الفريقين. وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . ثم نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة » فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه

فقال «هل مر بكم أحد؟» فقالوا نعم يارسول الله مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال عليه السلام «ذاك جبريل بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم » فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ «لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة» فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله ﷺ قال وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده . فلما ايقنوا أن رسول الله ص غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ماترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله انه لقد تبين لكم أن مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد رجالا مصلتين بالسيوف ولا نترك من وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء والابناء ، فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم. قال فان أبيتم هذه فان الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا أنفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يكن احدث فيه

لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ، واعتقدوا أنه يحسن اليهم في ذلك كما فعل عبدالله بن أبي بن سلول في مواليه بني قينقاع حين استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء أن سعدا سيفعل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك ولم يعلموا أن سعداً رضي الله عنه كان قد أصابه سهم في أكحله أيام الخندق فكواه رسول الله ﷺ في أكحله وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب ، وقال سعد رضي الله عنه فيما دعا به : اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها ، وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فاستجاب الله تعالى دعاءه وقدر عليهم ان نزلوا على حكمه باختيارهم طلبا من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول الله ﷺ من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطؤا له عليه جعل الاوس يلوذون به ويقولون ياسعد انهم مواليك فاحسن فيهم ويرققونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت لا يرد عليهم فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فعرفوا أنه غير مستبقيهم فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ « قوموا الى سيدكم » فقام اليه المسلمون فأنزلوه اعظاما واكراما واحتراما له في محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم ، فلما جلس قال له رسول

من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ مالم يخف عليك فقال مابات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما. قال ثم انهم بعثوا الى رسول الله ﷺ ان ابعث الينا أبا لبابة بن عبدالمنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله ﷺ اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا ياأبا لبابة أترى لنا أن ننزل على حكم محمد ؟ قال نعم قالوا ماذا يفعل بنا اذا نزلنا ؟ فاشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله مازالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ أرض بني قريظة ابداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال : أما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ، ثم إن الله أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله (ص) يضحك فقلت مم تضحك يارسول الله أضحك الله سنك ، قال « تيب على أبي لبابة » فقلت ألا أبشره بذلك يارسول الله ؟ قال « بلى ان شئت » قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس عليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله (ص) هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه رسول الله (ص) خارجا إلى الصبح أطلقه. قال ثم إن ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة

الله ﷺ « إن هؤلاء — وأشار اليهم — قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت » فقال رضي الله عنه وحكمي نافذ عليهم ؟ قال (ص) « نعم » قال وعلى من في هذه الخيمة قال « نعم » قال وعلى من ههنا وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله (ص) وهو معرض بوجهه عن رسول الله (ص) اجلالا واكراما واعظاما فقال له رسول الله (ص) « نعم » فقال رضي الله عنه اني أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله (ص) « لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة »

وفي رواية « لقد حكمت بحكم الله » ثم أمر رسول الله (ص) بالأخاديد فخدت في الارض وجيء بهم مكتفين فضرب أعناقهم وكانوا مابين السبعمائة إلى الثمانمائة وسبى من لم ينبت منهم مع النساء وأموالهم « وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردناه موجزاً وبسيطا ولله الحمد والمنة ، ولهذا قال تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم) أي عاونوا الاحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله (ص) (من أهل الكتب) يعني بني قريظة من اليهود من بعض أسباط

ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدي القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا ؟ قال عمرو بن سعدي « وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أغدر بمحمد أبداً فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني من عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى أين ذهب من أرض الله فذكر رسول الله ﷺ شأنه فقال « ذاك رجل قد نجاه الله بوفائه » وبعض الناس يزعم أنه كان قد أوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة لا يدرى أين ذهب فقال فيه رسول الله ﷺ تلك المقالة والله أعلم

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الاوس فقالوا يارسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ماقد علمت وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمهم فسأله اياهم عبدالله بن أبي بن سلول فوهبهم إياه فلما كلمه الاوس قال رسول الله ﷺ « ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » قالوا بلى قال « فذاك إلى سعد بن معاذ » وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوي الجرحي وتحتسب نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه

بني إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديما طمعا في اتباع النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به) فعليهم لعنة الله

وقوله تعالى (من صياصيهم) يعني حصونهم . كذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم من السلف ومنه سمي صياصي البقر وهي قرونها لانها أعلى شيء فيها (وقذف في قلوبهم الرعب) وهو الخوف لأنهم كانوا مالؤا المشركين على حرب النبي (ص) وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين وراموا قتالهم ليعزوهم في الدنيا فانعكس عليهم الحال ، وانقلب اليهم المال ، انشمر المشركون ، ففازوا بصفقة المغبون ، فكما راموا العز ذلوا ، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة ، فصارت الجملة ان هذه هي الصفقة الخاسرة ، ولهذا قال تعالى (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) فالذين قتلوا هم المقاتلة والاسراء هم الاصاغر والنساء

وقال الامام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبدالملك بن عمير عن عطية القرظي قال عرضت على النبي (ص) يوم قريظة فشكوا في فأمر بي النبي (ص) أن ينظروا هل انبت بعد فنظروني فلم يجدوني أنبت فخلى عني وألحقني بالسبي ، وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبدالملك بن

حين أصابه السهم بالخندق « اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب » فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله (ص) وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك ، لتحسن فيهم . فلما اكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة من قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فأنزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيها ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قال سعد : فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء . فقال رسول الله ﷺ لسعد « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة » ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخدق بها خندقا ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم اليه ارسالا ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رئيسا القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين ثمانمائة الى تسعمائة . وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ماترى يصنع بنا؟

عمير به ، وقال الترمذي حسن صحيح ، ورواه النسائي أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عطية بنحوه

وقوله تعالى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي جعلها لكم من قتلكم لهم (وأرضا لم تطؤها) قيل خيبر وقيل مكة رواه مالك عن زيد بن أسلم ، وقيل فارس والروم ، وقال ابن جرير يجوز أن يكون الجميع مراداً (وكان الله على كل شيء قديرا)

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرتني عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وئيد الارض ورائي فاذا أنا بسعد بن معاذ رضي الله عنه ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه قالت فجلست الى الارض فمر سعد رضي الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضي الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول

ليث قليلا يشهد الهيجا حمل   ما أحسن الموت اذا حان الاجل

قالت فقمت فاقتحمت حديقة فاذا فيها نفر من المسلمين واذا فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فقال كعب أفي كل موطن لا تعقلون ؟ أما ترون الداعي لا ينزع ومن يذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأتى حيي بن أخطب عدو الله عليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة انملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله مالمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بامر كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه .وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يقتل من نساء بني قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها عندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يقتل رجالهم بالسيوف اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله هي قالت قلت ويلك مالك؟ قالت أقتل قلت ولم؟ قالت حدث أحدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها وكانت عائشة تقول ماأنسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل، قال الواقدي وكان اسم تلك المرأة نباتة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد رمت عليه رحى فدعا رسول الله (ص) بها فضربت عنقها بخلاد بن سويد .قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله (ص) جالس هنالك وروى محمد بن اسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي وكان يكنى أبا عبدالرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال ياأبا عبدالرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال إني أردت أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم أتى

وفيهم رجل عليه نشيعة له تعني المغفر فقال عمر رضي الله عنه ماجاء بك لعمري والله انك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز قالت فمازال يلومني حتى تمنيت أن الارض انشقت بي ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل النشيعة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال : يا عمر ويحك انك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله تعالى ؟ قالت ورمى سعداً رضي الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له وقال له خذها وأنا ابن العرقة فأصاب كحله فقطعه فدعا الله تعالى سعد رضي الله عنه فقال : اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقأ كلمه وبعث الله تعالى الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم ، ورجع رسول الله ﷺ الى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد رضي الله عنه في المسجد قالت فجاءه جبريل عليه السلام وان على ثناياه لنقع الغبار فقال أو قد وضعت السلاح ؟ لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم .قالت فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على

ثابت رسول الله (ص)فقال يارسول الله قد كانت للزبير عندي يد وله علي منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله (ص) «هو لك» فأتاه فقال له ان رسول الله (ص) قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله (ص) فقال أهله وماله يارسول الله قال هو لك قال فأتاه فقال ان رسول الله (ص) قد أعطاني امرأتك وولدك فهم لك فقال أي ثابت ما فعل الله بمن كان وجهه مرآة مضيئة تتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد؟ قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحامينا اذا كررنا أغزال بن شموال؟ قال قتل قال فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال فاني أسألك بيدي عندك ياثابت الا ما ألحقتني بالقوم فوالله مافي العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر حتى ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً قالوا وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منهما الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان وللفارس سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان أول فيء وقع فيه السهمان. ثم بعث رسول الله (ص) سعد بن زيد الانصاري أخا بني عبد الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله (ص) قد اصطفى لنفسه

بني تميم وهم جيران المسجد فقال « من مر بكم ؟ » قالوا مر بنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار اليهم انه الذبح، قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » فنزلوا وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه، وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل الكتاب(١) ومن قد علمت قالت فلا يرجع اليهم شيئا ولا يلتفت اليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. قالت قال أبو سعيد فلما طلع قال رسول الله ﷺ « قوموا إلى سيدكم فأنزلوه » فقال عمر رضي الله عنه سيدنا الله قال « أنزلوه » فأنزلوه قال رسول الله ﷺ « احكم فيهم » قال سعد رضي الله عنه فاني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله ﷺ « لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله » ثم دعا سعد (رض) فقال اللهم ان كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئا فابقني لها، وان كنت قطعت الحرب

(١) في النسخة المكية وأهل النكاية

من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله [ص] حتى توفي عنها وهي في ملكه . وقد كان رسول الله ﷺ يحرص عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يارسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها. وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه بذلك من أمرها فبينا هو مع أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال « إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرني باسلام ريحانة » فجاء فقال يارسول الله قد أسلمت ريحانة فبشره بذلك فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد ابن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ماحكم فقال: اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم أحب الي ان أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فابقني لها وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك. فانفجر كلمه فرجعه رسول الله [ص] الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله [ص] وأبو بكر وعمر فوالذي نفسي بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني في حجرتي قالت وكانوا كما قال تعالى (رحماء بينهم) وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله بن محمد أنا يحيى بن آدم أنا اسرائيل سمعت أبا اسحاق يقول سمعت سليمان بن صرد يقول سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلي الاحزاب عنه « الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم »

بينه وبينهم فاقبضني اليك قال فانفجر كلمه وكان قد بريء منه الامثل الخرص ورجع الى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة (رض) فحضره رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر (رض) قالت فوالذي نفس محمد بيده اني لأعرف بكاء أبي بكر (رض) من بكاء عمر [رض] وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله تعالى (رحماء بينهم) قال علقمة فقلت أي أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع قالت كانت عينه لاتدمع على أحد ولكنه كان اذا وجد فانما هو آخذ بلحيته ﷺ وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (رض) نحواً من هذا ولكنه أخصر منه وفيه دعا سعد [رض]

يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا (٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنت منكن أجرا عظيما (٢٩)

هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن الى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ماعنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل أنا قتيبة أنا الليث عن سعيد بن أبي سعد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول « لاإله الا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شيء بعده » قال الله تعالى في قصة بني قريظة وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون ﴾ وهم الرجال يقال كانوا ستمائة ﴿ وتأسرون فريقا ﴾ وهم النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخمسين ويقال سبعمائة ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها ﴾ بعد . قال ابن زيد ومقاتل يعني خيبر » قال قتادة كنا نحدث أنها مكة ،وقال الحسن فارس والروم » وقال عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾

قوله عز وجل ﴿ ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن ﴾ متعة الطلاق ﴿ وأسرحكن سراحا جميلا » وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما ﴾ سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي ﷺ سألنه شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن فهجرهن رسول الله ﷺ وآلى أن لايقربهن

قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن أن عائشة [رض] زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال «اني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك» وقدعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال «ان الله تعالى قال (يا أيها النبي قل لازواجك) الى تمام الآيتين فقلت له ففي أي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله تعالى ورسوله والدار الآخرة . وكذا رواه معلقا عن الليث حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها فذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل مافعلت . وقد حكى البخاري أن معمرا اضطرب فيه فتارة رواه عن الزهري عن أبي سلمة وتارة رواه عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها

وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال قالت عائشة رضي الله عنها لما نزل الخيار قال لي رسول الله ﷺ « إني اريد ان اذكر لك أمرا فلا تقضي فيه شيأ حتى تستأمري ابويك » قالت قلت وما هو يارسول الله ؟ قالت فرده عليها فقالت وما هو يارسول الله؟ قالت فرده عليها فقالت وما هو يارسول الله؟ قالت فقرأ ﷺ عليها (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الى آخر الآية قالت فقلت بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة قالت ففرح بذلك النبي ﷺ وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشير عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزلت آية التخيير بدأبي رسول ﷺ فقال «ياعائشة إني عارض عليك أمرا فلا تفتاتي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان رضي الله

شهراً ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا ماشأنه ؟ وكانوا يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه فقال عمر لأعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله أطلقتهن ؟ قال « لا » قلت يارسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن ؟ قال « نعم إن شئت » قال فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه فنزلت هذه الآية [واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) قال فكنت أنا استنبطت ذاك الامر . وأنزل الله آية التخيير . وكان تحت رسول الله ﷺ يومئذ تسع نسوة : خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأم سلمة بنت امية ، وسودة بنت زمعة ، وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضوان الله عليهن . فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلي الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار

عنهما » فقلت يارسول الله وما هو ؟ قال ﷺ « قال الله عزوجل يأيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) قالت فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أؤامر في ذلك ابوي أبا بكر وأم رومان رضي الله عنهما. فضحك رسول الله ﷺ ثم استقرى الحجر فقال «ان عائشة رضي الله عنها قالت كذا وكذا» فقلن ونحن نقول مثل ماقالت عائشة. رضي الله عنهن كلهن ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الاشج عن أبي اسامة عن محمد بن عمرو به

قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الاموي حدثنا أبي ثنا محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت ان رسول الله ﷺ لما نزل الى نسائه أمر أن يخيرهن فدخل على فقال « سأذكر لك أمرا فلا تعجلي حتى تستشيري أبيك » فقلت وماهو يارسول الله؟ قال « إني امرت أن أخيركن » وتلا عليها آية التخيير الى آخر الآيتين قالت فقلت وما الذي تقول لا تعجلي حتى تستشيري أباك؟ فاني أختار الله ورسوله. فسر ﷺ بذلك وعرض على نسائه فتتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله ﷺ

وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن سنان البصري حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عقيل عن الزهري أخبرني عبدالله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت عائشة رضي الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فقال ﷺ « إني ذاكر لك أمرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري أبويك » قالت وقد علم ان أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال « ان الله تبارك وتعالى قال (يأيها النبي قل لأزواجك) الآيتين قالت

الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك، قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن على ذلك فقال (لايحل لك النساء من بعد)

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا روح بن عبادة أنا زكريا بن اسحاق أنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه ولم يؤذن لأحد منهم ، قال فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجما ساكتاً فقال لاقولن شيئا أضحك به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « هن حولي كما ترى يسألنني النفقة » فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول لاتسألي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهراً أو تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الآية (يأيها النبي قل لأزواجك - حتى بلغ - المحسنات منكن أجراً عظيما) قال فبدأ بعائشة فقال « ياعائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لاتعجلي فيه

عائشة رضي الله عنها فقالت أفي هذا استأمر أبوي؟ فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن. وأخرجه البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة عن الليث عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه فلم يعدها علينا شيأ أخرجاه من حديث الاعمش. وقال الامام أحمد حدثنا ابو عامر عبد الملك بن عمير حدثنا زكريا بن اسحاق عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال اقبل ابو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس والنبي ﷺ جالس فلم يؤذن له، ثم اقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت فقال عمر رضي الله عنه لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله لو رايت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة آنفا فوجأت عنقها فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه وقال «هن حولي يسألنني النفقة» فقام ابو بكر رضي الله عنه الى عائشة ليضربها وقام عمر رضي الله عنه الى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي (ص) ماليس عنده فنهاهما رسول الله ﷺ فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ماليس عنده. قال وانزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضي الله عنها فقال: «إني اذكر لك أمرا ما أحب ان تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك» قالت وما هو؟ قال فتلا عليها (يا أيها النبي قل لأزواجك) الآية قالت عائشة رضي الله عنها أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله واسألك ان لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت فقال

حتى تستشيري أبويك» قالت وما هو يارسول الله؟ فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله وأختار الدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال «لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلماً ميسراً»

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري أن النبي ﷺ أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهراً. قال الزهري فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: فلما مضت تسع وعشرون أعدهن دخل علي رسول الله (ص) فقلت حين بدأ بي يارسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت في تسع وعشرين أعدهن فقال «ان الشهر تسع وعشرون»

واختلف العلماء في هذا الخيار انه هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور فانه قال لعائشة «لا تعجلي حتى تستشيري أبويك» وفي تفويض الطلاق يكون

(ص) «ان الله تعالى لم يبعثني معنتا ولكن بعثني معلما ميسرا لا تسألني امرأة منهن عما اخترت الا اخبرتها» انفرد باخراجه مسلم دون البخاري فرواه هو والنسائي من حديث زكريا بن اسحاق المكي به

وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا شريح بن يونس حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيدالله بن علي بن أبي رافع عن عثمان بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ خير نساءه الدنيا والآخرة ولم يخيرهن الطلاق وهذا منقطع

وقد روي عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك وهو خلاف الظاهر من الآية فانه قال (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) أي أعطيكن حقوقكن وأطلق سراحكن، وقد اختلف العلماء في جواز تزوج غيره لهن لو طلقهن على قولين أصحهما نعم لو وقع ليحصل المقصود من السراح والله أعلم قال عكرمة وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة رضي الله عنهن، وكانت تحته ﷺ صفية بنت حيي النضيرية[1] وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الاسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين

١) في البغوي الخيبرية

يٰنساء النبيّ من يأت منكن بفٰحشة مبيّنة يضٰعف لها العذابُ ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠) ومن يقنتْ منكن لله ورسوله وتعملْ صٰلحا نؤتها أجرها مرّتين وأعتدنا لها رزقا كريما (٣١)

الجواب على الفور. وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق لو اخترن أنفسهن كان طلاقا، واختلاف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس إذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء. وإن اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي إلا ان عند أصحاب الرأي تقع طلقة بائنة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية، وقال زيد بن ثابت إذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي أيضاً أنها إذا اختارت زوجها تقع طلقة واحدة وإن اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شيء.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الاعمش أنا مسلم عن مسروق عن عائشة قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك علينا شيئا

قوله عز وجل ﴿ يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة ﴾ بمعصية ظاهرة قيل هي كقوله (لئن

يقول تعالى واعظا نساء النبي ﷺ اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء. بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة . قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو النشوز وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى (ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) وكقوله عز وجل [ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين * لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار] فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى (من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) قال مالك عن زيد بن أسلم (يضاعف لها العذاب ضعفين) قال في الدنيا والآخرة . وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله (وكان ذلك على الله يسيراً) أي سهلا هيناً ، ثم ذكر عدله وفضله في قوله (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي تطع الله ورسوله وتستجب (نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريماً) أي في الجنة فانهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش

يٰنساء النبيّ لستُنّ كأحد من النساء إن اتقيتُن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقُلنَ قولا معروفا (٣٢) وقَرْنَ في بيوتكُن ولا تبرّجن تبرُّج الجٰهلية الاولى وأقمن

أشركت ليحبطن عملك) لأن منهن من أتت بفاحشة . وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق ﴿ يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر [نضعف] بالنون وكسر العين وتشديدها (العذاب) نصب . وقرأ الآخرون بالياء وفتح العين (العذاب) رفع وبشددها أبو جعفر وأهل البصرة ، وشدد أبو عمرو هذه وحدها لقوله (ضعفين) وقرأ الآخرون يضاعف بالالف وفتح العين (العذاب) رفع وهما لغتان مثل بعد وباعد ، قال أبو عمرو وأبو عبيدة ضعفت الشيء إذا جعلته مثليه وضاعفته جعلته أمثاله ﴿ وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ قال مقاتل كان عذابها على الله هينا ، وتضعيف عقوبتهن على المعصية لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الامة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين ﴿ ومن يقنت ﴾ يطع ﴿ منكن لله ورسوله ﴾ قرأ يعقوب من تأت منكن وتقنت بالتاء فيهما ، وقرأ العامة بالياء لان من أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين ﴾ أي مثل أجر غيرها قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين حسنة وقرأ حمزة والكسائي يعمل يؤتها بالياء فيهما نسقا على قوله من يأت ويقنت وقرأ الآخرون تعمل بالتاء نؤتها بالنون ﴿ وأعتدنا لها رزقا كريما ﴾ حسنا يعني الجنة ﴿ يانساء النبي لستن

الصلوٰة وآتين الزكوٰة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهركم تطهيرا (٣٣) واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، ان الله كان

لطيفا خبيرا (٣٤)

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ونساء الامة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطبا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن اذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فانه لايشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى [فلا تخضعن بالقول] قال السدي وغيره يعني بذلك ترقيق الكلام اذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي دغل (وقلن قولا معروفا) قال ابن زيد قولا حسنا جميلا معروفا في الخير ، ومعنى هذا أنها تخاطب الاجانب بكلام ليس فيه ترخيم أي لاتخاطب المرأة الاجانب كما تخاطب زوجها

وقوله تعالى (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ « لاتمنعوا اماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات — وفي رواية — وبيوتهن خير لهن »

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء الكلبي روح بن المسيب ثقة حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال : جئن النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن يارسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قعدت - أو كلمة نحوها - منكن في بيتها فانها تدرك

كأحد من النساء ﴾ قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن اكرم علي وثوابكن أعظم لدي، ولم يقل كواحدة لان الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى (لانفرق بين أحد من رسله) وقال (فما منكم من أحد عنه حاجزين) ﴿ ان اتقيتن ﴾ الله أطعتنه ﴿ فلا تخضعن بالقول ﴾ لاتلن بالقول للرجال ولاترققن الكلام ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ اي فجور وشهوة وقيل نفاق، والمعنى لاتقلن قولا يجد منافق أو فاجر به سبيلا الى الطمع فيكن، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقابلة إذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع معهم ﴿ وقلن قولا معروفا ﴾ مايوجبه الدين والاسلام بتصريح وبيان من غير خضوع ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ قرأ أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف وقرأ الآخرون بكسرها فمن فتح القاف فمعناه اقررن أي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان أقر قرارا ويقال قررت أقر وقررت أقر وهما لغتان فحذفت الراء الاولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف ونقلت حركتها الى القاف كقولهم في ظللت ظلت

عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى » ثم قال لا نعلم . رواه عن ثابت الا روح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور

وقال البزار أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورق عن أبي الاحوص عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ان المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ماتكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها » ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه . وروى البزار باسناده المتقدم وأبو داود أيضا عن النبي ﷺ قال « صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها » هذا اسناد جيد. وقوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية . وقال قتادة (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) يقول اذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك . وقال مقاتل بن حيان (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) والتبرج انها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج . وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا داود يعني ابن أبي الفرات حدثنا علي بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) قال كانت فيما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة » وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس لعنه الله أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ ابليس شيئا من مثل الذي يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فانتابوهم يسمعون اليه واتخذوا عيداً يجتمعون اليه في السنة فيتبرج النساء للرجال قال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى [ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى] وقوله تعالى (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) نهاهن أولا عن الشر ثم أمرهن بالخير من اقامة

قال الله تعالى (فظلتم تفكهون - و - ظلت عليه عاكفا) ومن كسر القاف فقد قيل هو من قررت أقر معناه اقررن بكسر الراء فحذفت الاولى ونقلت حركتها الى القاف كما ذكرنا ، وقيل وهو الاصح انه أمر من الوقار كقولهم من الوعد عدن ومن الوصل صلن أي كن أهل وقار وسكون من قولهم وقر فلان يقر وقورا إذا سكن واطمأن ﴿ ولا تبرجن ﴾ قال مجاهد وقتادة التبرج هو التكسر والتغنج وقال ابن أبي نجيح هو التبختر وقيل هو إظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال ﴿ تبرج الجاهلية الاولى ﴾

الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الاحسان الى المخلوقين (وأطعن الله ورسوله) وهذا من باب عطف العام على الخاص . وقوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهن سبب نزول هـذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحداً إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح .وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في السوق(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة وهكذا روى ابن أبي حاتم قال حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قال نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة ،وقال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ فان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ،وان أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد وردت أحاديث تدل على ان المراد أعم من ذلك

﴿ الحديث الاول ﴾ ثنا الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد اخبرنا علي بن زيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول « الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به وقال حسن غريب

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبو نعيم حدثنا يونس عن أبي اسحاق اخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع الفجر جاء الى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال « الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » أبو داود الاعمى هو نفيع بن الحارث كذاب

﴿ حديث آخر ﴾ وقال الامام احمد أيضا حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي حدثنا شداد ابن عمار قال دخلت على واثلة بن الاسقع رضي الله عنه وعنده قوم فذكروا عليا رضي الله عنه فلما قاموا قال ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت بلى قال أتيت فاطمة رضي الله

اختلفوا في الجاهليـة الاولى قال الشعبي هي مابين عيسى ومحمد ﷺ وقال ابو العالية هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط من الجانبين فيرى خلقها فيه وقال الكلبي كان ذلك في زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال. وروي عن عكرمة عن ابن عباس انه قال الجاهلية الاولى بين نوح وإدريس وكانت الف سنة، وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل

عنها أسألها عن علي رضي الله عنه فقالت توجه الى رسول الله ﷺ فجلست انتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقال «اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق»

وقد رواه أبو جعفر ابن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الاوزاعي بسنده نحوه زاد في آخره قال واثلة رضي الله عنه فقلت وأنا يارسول الله صلى الله عليك من أهلك؟ قال ﷺ «وأنت من أهلي» قال واثلة رضي الله عنه وانها من أرجى ما ارتجي، ثم رواه أيضا عن عبد الاعلى بن واصل عن الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن شداد بن أبي عمار قال اني لجالس عند واثلة بن الاسقع رضي الله عنه اذ ذكروا عليا رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى اخبرك عن هذا الذي شتموه اني عند رسول الله ﷺ اذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم وألقى ﷺ عليهم كساء له ثم قال «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قلت يا رسول الله وأنا قال ﷺ «وأنت» قال فوالله انها أوثق عمل عندي

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح حدثني من سمع أم سلمة رضي الله عنها تذكر ان النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ﷺ لها «ادعي زوجك وابنيك» قالت فجاء علي وحسن وحسين رضي الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له وكان تحته ﷺ كساء خيبري قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت رضي الله عنها فأخذ ﷺ فضل الكساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يارسول الله فقال ﷺ «انك الى خير انك الى خير» في اسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات

﴿ طريق أخرى ﴾ [1] قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سعيد بن

(١) في النسخة المكية تقديم وتأخير لبعض الاحاديث المسرودة هنا وقد آثرنا هذا الترتيب لشدة تعلق هذا الحديث بما قبله

والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة، وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل وآجر نفسه منه فكان يخدمه، واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون اليه فاتخذوا عيدا يجتمعون اليه فيه في السنة فتبرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم فظهرت

زربي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت جاءت فاطمة الى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعتها بين يديه ﷺ فقال « أين ابن عمك وابناك ؟ » فقالت رضي الله عنها في البيت فقال ﷺ « ادعيهم » فجاءت الى علي رضي الله عنه فقالت أجب رسول الله ﷺ أنت وابناك قالت أم سلمة رضي الله عنها فلما رآهم مقبلين مد صلى الله عليه وسلم يده الى كساء كان على المنامة فمده وبسطه واجلسهم عليه ثم اخذ بأطراف الكساء الاربعة بشماله فضمه فوق رؤسهم وأومأ بيده اليمنى الى ربه فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا »

﴿طريق أخرى﴾[1] قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن القدوس عن الاعمش عن حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت فيه نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت أم سلمة جاء رسول الله ﷺ الى بيتي فقال « لا تأذني لأحد » فجاءت فاطمة رضي الله عنها فلم استطع أن احجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن رضي الله عنه فلم استطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه وجاء الحسين فلم استطع أن احجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمه رضي الله عنها ثم جاء علي رضي الله عنه فلم أستطع أن احجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال « هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وانا قالت فوالله ما انعم وقال « انك الى خير »

﴿طريق أخرى﴾ قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاوي عن أبيه قال ان أم سلمة رضي الله عنها حدثته قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوما إذ قالت الخادم ان فاطمة وعليا رضي الله عنهما بالسدة قالت فقال لي رسول الله ﷺ « قومي فتنحي عن أهل بيتي » قالت فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضي الله عنهم وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا رضي الله عنه باحدى يديه وفاطمة رضي الله عنها باليد الاخرى وقبل فاطمة وقبل عليا وأغدق عليهم خميصة سوداء وقال « اللهم اليك لا الى النار أنا وأهل بيتي » قالت فقلت « وأنا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « وأنت »

﴿طريق أخرى﴾ قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا الحسن بن عطية ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت ان هذه الآية نزلت في بيتي [انما يريد الله ليذهب عنكم

(١) في متن هذا الحديث اختلاف في جميع النسخ وليس في تفسير ابن جرير ذكر علي (رض)

الفاحشة فيهم فذلك قوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) وقال قتادة هي ماقبل الاسلام وقيل الجاهلية الاولى ما ذكرنا والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان . وقيل قد تذكر الاولى وان لم يكن لها أخرى كقوله تعالى (وأنه أهلك عادا الاولى) ولم يكن لها أخرى. قوله تعالى ﴿ وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ أراد بالرجس الاثم الذي نهى الله النساء عنه قاله مقاتل . وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وماليس

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت يارسول الله ألست من أهل البيت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم «انك الى خير، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم » قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم

﴿ طريق أخرى ﴾ رواها ابن جرير أيضا عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضي الله عنها بنحوه

﴿طريق أخرى﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثني موسى بن يعقوب حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرتني أم سلمة رضي الله عنها قالت ان رسول الله ﷺ جمع عليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم ادخلهم تحت ثوبه ثم جأر الى الله عز وجل ثم قال «هؤلاء أهل بيتي» قالت أم سلمة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله ادخلني معهم قال ﷺ « أنت من أهلي »

﴿طريق أخرى﴾ رواها ابن جرير أيضا عن احمد بن محمد الطوسي عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الاصبهاني عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة عن أمه رضي الله عنها بنحو ذلك

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة رضي الله عنها خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين فادخله معه ثم جاءت فاطمة رضي الله عنها فأدخلها معه ثم جاء علي رضي الله عنه فأدخله معه ثم قال ﷺ (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر به

﴿طريق أخرى﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سريج بن يونس أبو الحارث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب رضي الله عنه عن ابن عم له قال دخلت مع أبي على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن علي رضي الله عنه فقالت رضي الله عنها : تسألني عن رجل كان من احب الناس الى رسول الله ﷺ وكانت تحته ابنته واحب الناس اليه؟ لقد رأيت رسول الله ﷺ دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فألقى عليهم ثوبا فقال «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قالت فدنوت منهم فقلت يارسول الله وأنا من أهل بيتك فقال ﷺ «تنحي فانك على خير»

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي حدثنا

لله فيه رضا وقال قتادة يعنى السوء وقال مجاهد الرجس الشك. وأراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ لانهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله) وهو قول عكرمة ومقاتل، وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهما الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين. ثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أنا أبو محمد عبد

مندل عن الاعمش عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)قد تقدم ان فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها كما تقدم وروى ابن أبي حاتم من حديث هارون بن سعد العجلي عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه موقوفا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد رضي الله عنه قال قال سعد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «حين نزل عليه الوحي فأخذ عليا وابنيه وفاطمة رضي الله عنهم فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال« رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي

﴿ حديث آخر ﴾ وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد عن ابن علية قال زهير حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثني ابو حيان حدثني يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن سلمة الى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله (ص) وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا حدثنا يازيد ماسمعت من رسول الله (ص) قال ياابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله (ص) فما حدثتكم فاقبلوا ومالا فلا تكلفونيه ، ثم قال :قام فينا رسول الله ﷺ يوما خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور ،فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به - فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال - وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا « فقال له حصين ومن أهل بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده « قال ومن هم ؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟قال نعم . ثم رواه عن محمد بن الريان عن حسان بن ابراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه فذكر الحديث بنحو ماتقدم وفيه فقلت له من أهل بيته نساؤه ؟ قال لا،وايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ،أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا

الرحمن بن محمد الانصاري أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعدي أنا أبوهمام الوليد بن شجاع أنا يحيي بن زكريا ثني زائدة أنا أبي عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة الحجبية عن عائشة أم المؤمنين قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء حسن فأدخله فيه ثم جاء حسين فأدخله فيه ثم قال(انما

الصدقة بعده . هكذا وقع في هذه الرواية والأولى أولى والاخذ بها أحرى . وهذه الثانية تحتمل انه أراد تفسير الاهل المذكورين في الحديث الذي رواه انما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة أو انه ليس المراد بالاهل الازواج فقط « بل هم مع آله » وهذا الاحتمال أرجح جمعا بينها وبين الرواية التي قبلها وجمعا أيضاً بين القرآن والاحاديث المتقدمة إن صحت فان في بعض أسانيدها نظراً والله أعلم

ثم الذي لايشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فان سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد واذكرن هـذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس « ان الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة وأخصهن من هذه الرحمة العميمة ، فانه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها » نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه

قال بعض العلماء رحمه الله لأنه لم يتزوج بكراً سواها ولم ينم معها رجل في فراشها سواه (ص) ورضي الله عنها فناسب أن تخصص بهذه المزية « وأن تفرد بهذه المرتبة العلية ، ولكن اذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث « وأهل بيتي أحق » وهذا يشبه ماثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال « هو مسجدي هذا » فهذا من هذا القبيل فان الآية انما نزلت في مسجد قباء كما ورد في الاحاديث الآخر ، ولكن اذا كان ذاك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتسميته بذلك والله أعلم

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا ابو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن ابي جميلة قال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما استخلف حين قتل علي رضي الله عنهما قال : فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر ، وزعم حصين انه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد وحسن رضي الله عنه ساجد ، قال فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فمرض منها أشهراً ثم برأ فقعد على المنبر فقال : يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم وضيفانكم « نحن أهل البيت

يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (ويطهركم تطهيراً) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد الحميدي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب أنا الحسن بن مكرم أنا عثمان بن عمر أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن شريك بن أبي نمير عن عطاء بن يسار عن أم سلمة قالت في بيتي نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قالت فارسل رسول الله ﷺ الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال « هؤلاء أهل بيتي » قالت فقلت يارسول الله اما أنا من أهل البيت قال

الذي قال الله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد الا وهو يحن بكاء.

وقال السدي عن أبي الديلم قال : قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل من أهل الشام أما قرأت في الاحزاب (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال نعم ولأنتم هم ؟ قال نعم « وقوله تعالى (ان الله كان لطيفا خبيراً) أي بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة وبخبرته بكن وانكن أهل لذلك أعطاكن ذلك وخصكن بذلك

قال ابن جرير رحمه الله واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه (ان الله كان لطيفا خبيراً) أي ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التى تتلى فيها آيات الله . والحكمة هي السنة خبيرا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا وقال قتادة (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) قال يمتن عليهن بذلك رواه ابن جرير وقال عطية العوفي في قوله تعالى (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعني لطيفا باستخراجها خبيرا بموضعها . رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روي عن الربيع بن أنس عن قتادة

إن المسلمين والمسلمٰت والمؤمنين والمؤمنٰت والقٰنتين والقٰنتٰت والصٰدقين والصٰدقٰت والصٰبرين

والصٰبرٰت والخٰشعين والخٰشعٰت والمتصدقين والمتصدقٰت والصٰئمين والصٰئمٰت والحٰفظين

فروجهم والحٰفظٰت والذٰكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما (٣٥)

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن ابن شيبة قال سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تقول قلت للنبي ﷺ مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت فلم يرعني منه ذات يوم الا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرح شعري فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فاذا هو يقول عند

« بلى ان شاء الله » قال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم الصدقة عليه بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . قوله تعالى ﴿ واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله ﴾ أي القرآن ﴿ والحكمة ﴾ قال قتادة يعني السنة وقال مقاتل أحكام القرآن ومواعظه ﴿ ان الله كان لطيفا خبيرا ﴾ أي لطيفا بأوليائه خبيراً بجميع خلقه . قوله عز وجل ﴿ ان المسلمين والمسلمات ﴾ الآية وذلك ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ان الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل الله منا طاعة . فانزل الله هذه الآية » قال مقاتل قالت أم سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم مابال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه ؟ نخشى أن لا يكون فيهن خير . فنزلت هذه الآية ، وروي ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة

المنبر « يأيها الناس إن الله تعالى يقول إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » الى آخر الآية وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله

﴿طريق أخرى﴾ عنها قال النسائي ايضاً حدثنا محمد بن حاتم حدثنا سويد أخبرنا عبدالله بن شريك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ يانبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرون ؟ فانزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي معاوية عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله أيذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر ؟ فأنزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات) الآية

﴿ طريق أخرى ﴾ قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة رضي الله عنها يارسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فأنزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات) الآية

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال حدثنا سنان[1] بن مظاهر العمري حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فانزل الله تعالى (إن المسلمين والمسلمات) الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقلن قد ذكركن الله تعالى في القرآن ولم نذكر بشيء أما فينا مايذكر؟ فأنزل الله تعالى (إن المسلمين والمسلمات) الآية فقوله تعالى: إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات؛ دليل على أن الايمان غير الاسلام وهو أخص منه لقوله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) وفي الصحيحين « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فسلبه الايمان ولا يلزم من ذلك كفره باجماع المسلمين فدل على أنه أخص منه كما قررناه في أول شرح البخاري

وقوله تعالى(والقانتين والقانتات) القنوت هو الطاعة في سكون (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) وقال تعالى (وله من في السموات والارض كل له قانتون) (يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين- وقوموا لله قانتين) فالاسلام بعده مرتبة يرتقي

(١) الذي في تفسير ابن جرير سيار بن مظاهر العنزي وهو الموافق لما في تقريب التهذيب

مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن لا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار فقال «ومم ذلك؟» قالت لأنهن لايذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله هذه الآية ان المسلمين والمسلمات) ﴿ والمؤمنين والمؤمنات والقانتين ﴾ المطيعين ﴿ والقانتات والصادقين ﴾ في ايمانهم وفيما ساءهم وسرهم ﴿ والصادقات والصابرين ﴾ على ما امر الله به ﴿ والصابرات والخاشعين ﴾ المتواضعين ﴿ والخاشعات ﴾

اليها وهو الايمان ثم القنوت ناشيء عنهما (والصادقين والصادقات) هذا في الاقوال فان الصدق خصلة محمودة ولهذا كان بعض الصحابة رضي الله عنه لم تجرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الاسلام، وهو علامة على الايمان كما أن الكذب امارة على النفاق « ومن صدق نجا ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا « ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا . عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ، وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار . والاحاديث فيه كثيرة جداً (والصابرين والصابرات) هذه سجية الاثبات وهي الصبر على المصائب والعلم بان المقدر كائن لا محالة وتلقي ذلك بالصبر والثبات وانما الصبر عند الصدمة الاولى « أي أصعبه في أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها (والخاشعين والخاشعات) الخشوع السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما في الحديث « اعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك « (والمتصدقين والمتصدقات) الصدقة هي الاحسان الى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الاموال طاعة لله وإحسانا الى خلقه . وقد ثبت في الصحيحين « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله » - فذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وفي الحديث الآخر « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » والاحاديث في الحث عليها كثيرة جدا له موضع بذاته (والصائمين والصائمات) في الحديث الذي رواه ابن ماجه « والصوم زكاة البدن » أي يزكيه ويطهره وينقيه من الاخلاط الرديئة طبعا وشرعا كما قال سعيد بن جبير من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى (والصائمين والصائمات) ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة « قال رسول الله ﷺ يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ناسب ان يذكر بعده (والحافظين فروجهم والحافظات) أي عن المحارم والمآثم الا عن المباح كما قال عز وجل (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون)

وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عبيدالله حدثنا محمد بن جابر عن علي بن الاقمر عن الاغر أبي مسلم عن أبي سعيد الخدري [رض]

وقيل اراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع ان لا يلتفت ﴿والمتصدقين﴾ مما رزقهم الله ﴿والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم﴾ عما لا يحل ﴿والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائما وقاعداً ومضطجعا، وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « قد سبق المفردون » قالوا وما المفردون يارسول الله قال « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » قال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره الى الله عز وجل فهو داخل في قوله (ان

قال : إن رسول الله ﷺ قال « اذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » وقد رواه ابوداود والنسائي وابن ماجه من حديث الاعمش عن الاغر أبي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة [رض] عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله

وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري [رض] أنه قال قلت يارسول الله أي العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » قال قلت يارسول الله ومن الغازي في سبيل الله تعالى ؟ قال « لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه »

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا عبدالرحمن بن ابراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة [رض] قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فأتى على جمدان فقال « هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون » قالوا وما المفردون ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » ثم قال ﷺ « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال ﷺ « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال « والمقصرين » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره

وقال الامام احمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن زياد بن أبي زياد مولى عبدالله بن عباس بن أبي ربيعة قال انه بلغني عن معاذ بن جبل [رض] أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل » وقال معاذ [رض] قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى يارسول الله قال ﷺ « ذكر الله عز وجل »

وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ عن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال ان رجلا سأله فقال أي المجاهدين أعظم أجراً يارسول الله ؟ قال ﷺ « أكثرهم لله تعالى ذكراً » قال فأي الصائمين أكثر أجراً ؟ قال ﷺ « أكثرهم لله عز وجل ذكراً » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله ﷺ « أكثرهم لله ذكرا » فقال أبو بكر لعمر [رض] ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول

المسلمين والمسلمات) ومن أقر بأن الله ربه ومحمداً رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله (والمؤمنين والمؤمنات) ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله (والقانتين والقانتات) ومن صان نفسه عن الكذب فهو داخل في قوله (والصادقين والصادقات) ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله (والصابرين والصابرات) ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله (والخاشعين والخاشعات) ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل

الله ﷺ « أجل » وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الاحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الآية ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي ان الله تعالى قد أعد لهم أي هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكونَ لهم الخيرَة من أمرهم

ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦)

قال العوفي عن ابن عباس [رض] قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة [رض] فدخل على زينب بنت جحش الاسدية [رض] فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله ﷺ « بلا فانكحيه » قالت يارسول الله أؤامر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله) الآية قالت قد رضيته لي يارسول الله منكحا . قال رسول الله ﷺ « نعم » قالت اذا لا أعصى رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي

وقال ابن لهيعة عن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس [رض] قال خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة [رض] فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان انها نزلت في زينب بنت جحش [رض] حين خطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة [رض] فامتنعت ثم أجابت

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي ﷺ فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هي وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله (ص) فزوجنا عبده قال فنزل القرآن (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله

في قوله (والمتصدقين والمتصدقات) ومن صام في كل شهر أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله [والصائمين والصائمات] ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله (والحافظين فروجهم والحافظات) ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) ﴿ أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾

قوله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ الآية نزلت في زينب بنت جحش الاسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أمية بنت عبد المطلب عمة النبي (ص) خطب النبي

أمرا) الى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال فذاك خاص وهذا اجمع وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال خطب النبي (ص) على جليبيب امرأة من الانصار الى أبيها فقال حتى أستأمر امها فقال النبي (ص) « فنعم اذا » قال فانطلق الرجل الى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله اذن ماوجد رسول الله (ص) الا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية في سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله (ص) بذلك فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله (ص) أمره إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه قال فكأنها جلت عن أبويها وقالا صدقت فذهب أبوها الى رسول الله (ص) فقال إن كنت رضيته فقد رضيناه قال (ص) فاني قد رضيته قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال أنس رضي الله عنه فلقد رأيتها وانها لمن انفق بيت بالمدينة وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوي عن أبي برزة الأسلمي قال ان جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن فقلت لامرأتي لاتدخلن عليكن جليبيبا فانه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن قالت وكانت الانصار اذا كان لاحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي (ص) فيها حاجة أم لا فقال النبي (ص) لرجل من الانصار «زوجني ابنتك» قال نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين فقال (ص) « اني لست أريدها لنفسي » قال فلمن يارسول الله؟ قال (ص) « لجليبيب » فقال يارسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله (ص) يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال انه ليس يخطبها لنفسه انما يخطبها لجليبيب فقالت اجليبيب ابنه أجليبيب ابنه ؟ لا لعمر الله لانزوجه ، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خطبني اليكم ؟ فاخبرتها أمها قالت أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني اليه فانه لن يضيعني فانطلق أبوها الى رسول الله (ص) فقال شأنك بها فزوجها جليبيبا قال فخرج رسول الله (ص) في غزوة له فلما أفاء الله عليه قال لاصحابه رضي الله عنهم «هل تفقدون من أحد؟» قالوا نفقد فلانا ونفقد فلانا قال (ص) « انظروا هل تفقدون من أحد » قالوا لا قال (ص) « لكنني أفقد جليبيبا » قال (ص) « فاطلبوه في القتلى »

ﷺ لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد أبت وقالت أنا ابنة عمتك يارسول الله فلا أرضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك ، فأنزل الله عزوجل (وما كان لمؤمن) يعني عبدالله بن جحش (ولا مؤمنة) يعني أخته زينب (اذا قضى الله ورسوله أمرا) أي إذا أراد الله ورسوله أمرا وهو نكاح زينب لزيد أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قرأ أهل الكوفة ان يكون بالياء للحائل بين التأنيث والفعل وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الخيرة من أمرهم والخيرة الاختيار ، والمعنى

فطلبوه فوجدوه الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يارسول الله هاهو ذا الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتاه رسول الله (ص) فقام عليه فقال « قتل سبعة وقتلوه هذا مني وأنا منه » مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول الله (ص) على ساعديه وحفر له ماله سرير الا ساعد النبي (ص) ثم وضعه في قبره ولم يذكرانه غسله رضي الله عنه قال ثابت رضي الله عنه فما كان في الانصار أيم أنفق منها وحدث اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتا هل تعلم مادعا لها رسول الله (ص) فقال قال « اللهم صب عليها صبا ولا تجعل عيشها كدا » وكذا كان فما كان في الانصار أيم أنفق منها هكذا أورده الامام أحمد بطوله واخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ ابو عمر بن عبد البر في الاستيعاب أن الجارية لما قالت في خدرها أتردون على رسول الله (ص) أمره؟ نزلت هذه الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) وقال ابن جريج أخبرني عامر بن مصعب عن طاوس قال انه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر فنهاه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) فهذه الآية عامة في جميع الامور، وذلك انه اذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لاحد ههنا ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وفي الحديث « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) كقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشه فلما قضى زيد منها وطرا زوجنكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا (٣٧)

ان يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ أي أخطأ خطأ ظاهراً فلما سمعا ذلك رضيا بذلك وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا فدخل بها وساق رسول الله ﷺ اليها عشرة دنانير وستين درهما وخماراً ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعا من تمر

قوله تعالى ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك﴾ الآية نزلت

يقول تعالى مخبراً عن نبيه ﷺ أنه قال لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو الذي أنعم الله عليه أي بالاسلام ومتابعة الرسول ﷺ (وأنعمت عليه) أي بالعتق من الرق وكان سيداً كبير الشأن جليل القدر حبيبا الى النبي ﷺ يقال له الحب ويقال لابنه أسامة الحب بن الحب قالت عائشة رضي الله عنها مابعثه رسول الله ﷺ في سرية إلا أمره عليهم ، ولو عاش بعده لاستخلفه . رواه الامام أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داود عن عبدالله البهي عنها

وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حدثني أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقالا يا أسامة استأذن لنا على رسول الله ﷺ قال فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقلت علي والعباس يستأذنان فقال ﷺ « أتدري ماحاجتهما ؟ » قلت لا يارسول الله، قال ﷺ « لكني أدري » قال فأذن لهما قالا يارسول الله جئناك لتخبرنا أي أهلك أحب اليك ؟ قال ﷺ « أحب أهلي إلي فاطمة بنت محمد » قالا يارسول الله مانسألك عن فاطمة ، قال ﷺ « فأسامة بن زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه » وكان رسول الله ﷺ قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها وأمها أميمة بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخماراً وملحفة ودرعا وخمسين مداً من طعام

في زينب وذلك ان رسول الله ﷺ لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله ﷺ اتى زيداً ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له ففطن زيد فألقى في نفس زيد كراهيتها في الوقت فأتى رسول الله ﷺ فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي قال « مالك أرابك منها شيء؟» قال لا والله يارسول الله مارأيت منها إلا خيراً ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي (ص) « أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها » ثم طلقها زيد فذلك قوله عز وجل (واذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالاسلام (وأنعمت عليه) بالتربية والاعتاق وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعني زينب بنت جحش ﴿واتق الله﴾ فيها ولا تفارقها ﴿وتخفي في نفسك ماالله مبديه﴾ أي تسر في نفسك ماالله مظهره أي كان في قلبه لوفارقها لتزوجها وقال ابن عباس حبها وقال قتادة وده أنه طلقها ﴿ وتخشى الناس ﴾ قال ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل تخشى لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ قال ابن عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله (ص) آية هي أشد عليه من هذه الآية، وروي عن مسروق قال قالت عائشة لو كتم النبي (ص) شيئا مما أوحي اليه لكتم هذه الآية (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن

وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان . فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول له « أمسك عليك زوجك واتق الله »

قال الله تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ذكر ابن ابي حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها . وقد روى الامام احمد ههنا أيضاً حديثا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً

وقد روى البخاري أيضا بعضه مختصراً فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا يعلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ان هذه الآية (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما

وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني علي بن الحسين رضي الله عنهما مايقول الحسن في قوله تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضي الله عنه ليشكوها قال « اتق الله وأمسك عليك زوجك » فقال قد أخبرتك اني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه. وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك

جدعان قال سألني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)؟ قلت يقول لما جاء زيد الى النبي ﷺ فقال يانبي الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك فقال (أمسك عليك زوجك واتق الله) فقال علي بن الحسين ليس كذلك بل كان الله تعالى قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال إني أريد أن أطلقها قال له « أمسك عليك زوجك » فعاتبه الله وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك. وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء. وهو مطابق للتلاوة لان الله علم انه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجناكها فلو كان الذي أضمره رسول الله (ص) محبتها أو ارادة طلاقها لاظهر ذلك لانه لايجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له وانما أخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وان كان القول الآخر وهو انه أخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لايقدح في حال الانبياء لان العبد غير ملوم على مايقع في قلبه من مثل هذه الاشياء مالم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر .وقوله (أمسك عليك زوجك واتق الله) أمر بالمعروف وهو حسن لا اثم فيه. قوله تعالى (والله أحق أن تخشاه) لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه السلام قد قال « أنا أخشاكم لله وأتقاكم » ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر

وقال ابن جرير حدثني اسحاق بن شاهين حدثني خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لو كتم محمد ﷺ شيئا مما أوحي اليه من كتاب الله تعالى لكتم (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وقوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) الوطر هو الحاجة والارب أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى اليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر

قال الامام احمد حدثنا هاشم يعني ابن القاسم أخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة « اذهب فاذكرها علي » فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع أن أنظر اليها وأقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك ، قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي عز وجل فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن « ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك « فما أدري

ان الله تعالى أحق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء.

قوله عز وجل ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا ﴾ أي حاجة من نكاحها ﴿ زوجناكها ﴾ وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات. وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي ﷺ اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد واني أنكحنيك الله في السماء وان السفير لجبريل عليه السلام. أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن حاتم بن ميمون أنا بهز أنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد « اذهب فاذكرها علي » قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع أن أنظر اليها لان رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسلني رسول الله ﷺ اليك يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربي، فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله (ص) فدخل عليها بغير إذن قال ولقد رأيتنا وان رسول الله (ص) أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله (ص) فاتبعته فجعل يتتبع

أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا او أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به (لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) الآية كلها ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به

وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك [رض] قال ان زينب بنت جحش [رض] كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقد قدمنا في سورة النور عن محمد بن عبدالله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة [رض] فقالت زينب [رض] أنا التي نزل تزويجي من السماء . وقالت عائشة [رض] أنا التي نزل عـذري من السماء . فاعترفت لها زينب [رض]

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال : كانت زينب [رض] تقول للنبي ﷺ اني لادل عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهن ان جدي وجدك واحد واني أنكحنيك الله عز وجل من السماء وان السفير جبريل عليه الصلاة والسلام

وقوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) أي انما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الادعياء وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة [رض] وكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم — الى قوله تعالى — ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله) ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش [رض] لما طلقها زيد بن حارثة [رض] ولهذا قال تعالى في آية التحريم (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) ليحترز من الابن الدعي فان ذلك كان كثيرا فيهم . وقوله تعالى (وكان أمر الله

حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يارسول الله كيف وجدت أهلك؟ قال فما أدري أنا اخبرته ان القوم قد خرجوا أو أخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب. أخبرنا عبد الواحـد المليحي أنا أحمـد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا سليمان بن حرب أنا حماد عن ثابت عن أنس قال ما أولم النبي (ص) على شيء من نسائه ما أولم عن زينب أولم بشاة أخبرنا محمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الاصم أنا محمد بن هشام بن ملاس النمري أنا مروان الفزاري أنا أحمد عن أنس قال أولم رسول الله (ص) حين ابتنى بزينب بنت جحش فاشبع المسلمين خبزاً ولحما

قوله تعالى ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج ﴾ اثم ﴿ في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً ﴾ والادعياء جمع الدعي وهو المتبني يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبني وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للاب ﴿ وكان أمر

مفعولا) أي وكان هذا الامر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لامحالة . كانت زينب [رض] في علم الله ستصير من أزواج النبي ﷺ

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨)

يقول تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أي فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب [رض] التي طلقها دعيه زيد بن حارثة [رض]

وقوله تعالى (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي هذا حكم الله تعالى في الانبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أي وكان أمره الذي يقدره كائنا لامحالة وواقعا لامحيد عنه ولا معدل فماشاء كان ومالم يشأ لم يكن

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠)

يمدح تبارك وتعالى (الذين يبلغون رسالات الله) أي الى خلقه ويؤدونها بأماناتها (ويخشونه) أي يخافونه ولا يخافون أحداً سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن ابلاغ رسالات الله تعالى (وكفى بالله حسيبا) أي وكفى بالله ناصراً ومعينا . وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد ﷺ فانه

الله مفعولا ﴾ أي كان قضاء الله ماضيا وحكمه نافذاً وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله (ص)

قوله تعالى ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ﴾ أي فيما أحل الله له ﴿ سنة الله ﴾ أي كسنة الله نصب بنزع الخافض وقيل نصب على الاغراء أي الزموا سنة الله ﴿ في الذين خلوا من قبل ﴾ أي في الانبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم قال الكلبي ومقاتل أراد داود حين جمع بينه وبين المرأة التي هويها فكذلك جمع بين محمد (ص) وبين زينب . وقيل أشار بالسنة الى النكاح فانه من سنة الانبياء عليهم السلام وقيل الى كثرة الازواج مثل داود وسليمان عليهما السلام ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ قضاء مقضيا كائنا ماضيا ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ﴾ يعني سنة الله في الانبياء الذين يبلغون رسالات الله ﴿ ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ﴾ أي لا يخشون قالة الناس

قام بأداء الرسالة وابلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بني آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الاديان والشرائع فانه قد كان النبي قبله انما يبعث إلى قومه خاصة ، وأما هو ﷺ فانه بعث الى جميع الخلق عربهم وعجمهم (قل ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) ثم وردت مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله في ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلانيته ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ثم ورثه كل خلف عن سلفهم الى زماننا هذا فبنورهم يقتدي المهتدون ، وعلى منهجهم يسلك الموفقون فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم

قال الامام احمد حدثنا ابن بكير أخبرنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابي البختري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله [ص] « لايحقرن أحدكم نفسه ان يرى أمر الله فيه مقال ثم لايقوله فيقول الله مايمنعك أن تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فأنا أحق أن يخشى » ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن الثوري عن زيد عن عمرو بن مرة ، ورواه ابن ماجه عن ابي كريب عن عبدالله بن نمير وأبي معاوية كلاهما عن الاعمش به

وقوله تعالى (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم) نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد أي لم يكن أباه وإن كان قد تبناه فانه [ص] لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم فانه [ص] ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضي الله عنها فماتوا صغاراً ، وولد له [ص] ابراهيم من مارية القبطية فمات أيضاً رضيعا ، وكان له ﷺ من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين فمات في حياته [ص] ثلاث وتأخرت فاطمة رضي الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لستة أشهر

وقوله تعالى (ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) كقوله عز وجل [الله أعلم حيث يجعل رسالته] فهذه الآية نص في أنه لانبي بعده واذا كان لانبي بعده فلارسول بعده بالطريق الاولى والاحرى لان مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الاحاديث المتواترة عن رسول [ص] من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم

قال الامام احمد حدثنا ابو عامر الازدي حدثنا زهير بن محمد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن

ولا تمنهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم . ثم إن رسول الله (ص) لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله عز وجل ﴿ ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ يعني زيد بن حارثة أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها ، فان قيل أليس انه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وكذلك الحسن والحسين فان النبي (ص) قال للحسن ان ابني هذا سيد؟ قيل هؤلاء كانوا صغارا لم يكونوا رجالا والصحيح ما قلنا

الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكلها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة » ورواه الترمذي عن بندار عن أبي عامر العقدي به وقال حسن صحيح

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي » قال فشق ذلك على الناس فقال « ولكن المبشرات » قالوا يارسول الله وما المبشرات ؟ قال رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة » وهكذا رواه الترمذي عن الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من حديث المختار بن فلفل

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسي حدثنا سليم بن حبان عن سعد بن مينا عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر اليها قال ماأحسنها الا موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الانبياء عليهم الصلاة والسلام » ورواه البخاري ومسلم والترمذي من طرق عن سليم بن حبان به وقال الترمذي صحيح غريب من هذا الوجه

﴿حديث آخر﴾ قال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ابي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دراً فأتمها الا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة » انفرد به مسلم من رواية الاعمش به

﴿حديث آخر﴾ قال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسبي قال سمعت أبا الطفيل رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نبوة بعدي إلا المبشرات » قيل وما المبشرات يارسول الله ؟ قال « الرؤيا الحسنة ـ أو قال ـ الرؤيا الصالحة »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فأكملها وأحسنها وأجملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل

انه أراد أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ ختم الله به النبوة وقرأ ابن عامر وعاصم خاتم بفتح التاء على الاسم أي آخرهم وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لانه ختم به النبيين فهو خاتمهم قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وروي عن عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا ﴿ وكان الله بكل شيء عليما ﴾ أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي

الناس يطوفون ، يعجبهم البنيان ويقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكنت أنا اللبنة » أخرجاه من حديث عبد الرزاق

(حديث آخر) عن ابي هريرة رضي الله عنه أيضا قال الامام مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وعلي ابن حجر قالوا حدثنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث اسماعيل بن جعفر وقال الترمذي حسن صحيح

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأتمها الا موضع لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة » ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب كلاهما عن أبي معاوية به

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ « إني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته »

(حديث آخر) قال الزهري أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان لي أسماء أنا محمد ، وأنا احمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي » أخرجاه في الصحيحين

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن ابن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال « أنا محمد النبي الامي ثلاثا ولا نبي بعدي ، أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش ، وتجوز بي ، وعوفيت وعوفيت أمتي ، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم، فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه » تفرد به الامام احمد

بن محمد الخداشاهي أنا أبو عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوزيدي أنا يونس بن عبد الاعلى أنا ابن وهب أخبرني يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال كان أبو هريرة يقول قال رسول الله (ص) « مثلي ومثل الانبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل » أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني انا عدي بن أحمد الخزاعي أنا الهيثم بن كليب الشاشي أنا أبو عيسى

ورواه الامام احمد أيضا عن احمد بن اسحاق عن ابن لهيعة عن عبدالله بن هبيرة عن عبدالله بن شريح الخولاني عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فذكر مثله سواء. والاحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة الله تعالى بالعباد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ثم من تشريفه لهم ختم الانبياء والمرسلين به واكمال الدين الحنيف ؛

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ، ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات، فكلها محال وضلال عند أولي الالباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الاسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الاحوال الفاسدة والاقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله ، وكذلك كل مدع لذلك الى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الامور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه فانهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر الا على سبيل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد الى غيره ويكون في غاية الافك والفجور في أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) الآية وهذا بخلاف حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والادلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الارض والسموات

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملئكته ليخرجكم من الظلمت إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلم وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب

قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثني مولى ابن عباس عن ابي عزة

الترمذي أنا سعيد بن عبدالرحمن المخزومي وغير واحد قالوا أنا سفيان عن الزهري عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله (ص) يقول « ان لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي »

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى

عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من اعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » قالوا وما هو يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبدالله بن سعيد بن أبي هنيد عن زياد مولى ابن عباس عن أبي عزة واسمه عبد الله بن قيس الراعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه به ، قال الترمذي ورواه بعضهم عنه فأرسله ، قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) في مسند الامام احمد من حديث زياد بن ابي زياد مولى عبد الله بن عباس أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه فالله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا روح بن فضالة عن أبي سعيد الحمصي قال : سمعت أبا هريرة [رض] يقول دعاء سمعته من رسول الله ﷺ لا أدعه: اللهم اجعلني أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى عن وكيع عن أبي فضالة الفرج ابن فضالة عن أبي سعيد الحمصي عن أبي هريرة [رض] فذكر مثله وقال غريب وهكذا رواه الامام احمد أيضا عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن أبي سعيد المري عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره

وقال الامام احمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال : سمعت عبدالله بن بشر يقول جاء اعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما يارسول الله أي الناس خير » قال ﷺ « من طال عمره وحسن عمله » وقال الآخر يارسول الله إن شرائع الاسلام قد كثرت علينا فمرني بأمر أتشبث به قال ﷺ « لايزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى » وروى الترمذي وابن ماجه منه الفصل الثاني من حديث معاوية بن صالح به ، وقال الترمذي حديث حسن غريب

وقال الامام احمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث قال : ان دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون »

وقال الطبراني حدثنا عبدالله بن احمد حدثنا عقبة بن مكرم العمي حدثنا سعيد بن سفين الجحدري حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن عقبة بن أبي شيب الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس [رض] قال قال رسول الله ﷺ « اذكروا الله ذكراً كثيراً » يقول المنافقون يراؤن ، وقال الامام أحمد

فريضة على عباده الا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الاحوال فقال (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقال - اذكروا الله ذكرا كثيرا) أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسي سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبدالله بن عمرو [رض] قال : قال رسول الله ﷺ « مامن قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا زادهم حسرة يوم القيامة »

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [رض] في قوله تعالى (اذكروا الله ذكراً كثيراً) ان الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه فقال (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية ، وعلى كل حال . وقال عز وجل « وسبحوه بكرة وأصيلا) فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته، والاحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفي هذه الآية الكريمة الحث على الاكثار من ذلك ، وقد صنف الناس في الاذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي والعمري وغيرهما ، ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الاذكار للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله

وقوله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) أي عند الصباح والمساء كقوله عز وجل (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون « وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون)وقوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) هذا تهييج إلى الذكر أي انه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم كقوله عز وجل (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وقال النبي ﷺ « يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة حكاه البخاري عن أبي العالية ورواه أبو جعفر الرازي

والسقم وفي السر والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا ﴿ وسبحوه ﴾ أي صلوا له ﴿ بكرة ﴾ يعني صلاة الصبح ﴿ وأصيلا ﴾ يعني صلاة العصر وقال الكلبي وأصيلا صلاة الظهر والعصر والعشاءين وقال مجاهد يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته .وقيل المراد من قوله ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث

قوله ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين، قال السدي قالت بنواسرائيل لموسى أيصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى الله اليه ان قل لهم إني أصلي وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء . وقيل الصلاة من الله على

عن الربيع بن أنس عنه، وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة. وقد يقال لا منافاة بين القولين والله أعلم ، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات) الآية . وقوله تعالى (ليخرجكم من الظلمات الى النور) أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال الى نور الهدى واليقين (وكان بالمؤمنين رحيما) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فانه هداهم الى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة الى الكفر أو البدعة وأتباعهم من الطغام ، وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الاكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وماذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم يارسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار قال فخفضهم رسول الله ﷺ وقال « لا ، والله لا يلقي حبيبه في النار » اسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولكن في صحيح الامام البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبيا لها فألصقته الى صدرها وأرضعته فقال (ص) « أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك؟» قالوا لا قال (ص) « فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها »

وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الظاهر أن المراد والله أعلم تحيتهم أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام أي يسلم عليهم كما قال عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) وزعم قتادة أن المراد

العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل الثناء عليه قال أنس لما نزلت (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال أبو بكر ما خصك الله يارسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزل الله هذه الآية

قوله ﴿ ليخرجكم من الظلمات الى النور ﴾ أي من ظلمة الكفر الى نور الايمان يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر الى النور ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما * تحيتهم ﴾ أي تحية المؤمنين ﴿ يوم يلقونه ﴾ أي يرون الله ﴿ سلام ﴾ أي يسلم الله عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروي عن البراء بن عازب قال (تحيتهم يوم يلقونه) يعني يلقون ملك الموت لايقبض روح مؤمن إلا

أنهم يحيي بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة ، واختاره ابن جرير. قلت وقد يستدل له بقوله تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وقوله تعالى (وأعد لهم أجراً كريما) يعني الجنة وما فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والملاذ والمناظر مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)

قال الامام احمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن (ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزاً للاميين وأنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بقول لا اله الا الله فيفتح بها أعينا عمياء وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وقد رواه البخاري في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي به . ورواه في التفسير عن عبدالله قيل ابن رجاء ، وقيل ابن صالح عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو به . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجاء عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به

وقال البخاري في البيوع وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه ، وقال وهب بن منبه ان الله تعالى أوحى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له شعيا : ان قم في قومك بني إسرائيل فاني منطق لسانك بوحي ، أبعث أميا من الأميين ، أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ، لو يمر الى جنب سراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الخنى ، افتح به أعينا كمها وآذانا صما وقلوبا غلفا ، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم ، واجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ،

سلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ان ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم ﴿ وأعد لهم أجرا كريما ﴾ يعني الجنة

قوله عز وجل ﴿ ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ أي شاهدا للرسل بالتبليغ ومبشرا لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كذب بآياتنا بالنار ﴿ وداعيا الى الله ﴾ الى توحيده وطاعته

والعفووالمعروف خلقه ، والحق شريعته، والعدل سيرته،والهدى امامه، والاسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلال، وأعلم به بعدالجهالة، وارفع به بعد الخمالة ، واعرف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، أؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، واستنقذ به فئاما من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، موحدين مؤمنين مخلصين ، مصدقين لما جاءت به رسلي، ألهمهم التسبيح والتحميد، والثناء والتكبير والتوحيد ، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم ، يصلون لي قياما وقعودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفا ، يطهرون الوجوه والاطراف ويشدون الثياب في الانصاف ، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين، والصديقين والشهداء والصالحين ، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، وأعز من نصرهم ، وأؤيد من دعا لهم ، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم، أو بغى عليهم أو أراد أن ينتزع شيأ مما في أيدهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية الى ربهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ، ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم . هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني رحمه الله . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله القرشي عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا) وقد كان أمر عليا ومعاذاً رضي الله عنهما أن يسيرا الى اليمن فقال « انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، انه قد أنزل علي (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) » ورواه الطبراني عن محمد بن نصر بن حميد البزار البغدادي عن عبدالرحمن بن صالح الازدي عن عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي باسناده مثله ، وقال في آخره « فانه قد أنزل علي يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً على أمتك ومبشراً بالجنة ونذيرا من النار ، وداعيا إلى شهادة أن « إله إلا الله باذنه وسراجا منيرا بالقرآن . فقوله تعالى (شاهدا) أي لله بالوحدانية ، وانه لا إله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . كقوله (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

وقوله عز وجل (ومبشرا ونذيرا) أي بشيرا للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيرا للكافرين من وبيل العقاب . وقوله جلت عظمته (وداعيا إلى الله باذنه) أي داعيا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره

﴿ باذنه ﴾ بامره ﴿ وسراجا منيرا ﴾ سماه سراجا لانه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة ﴿ وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ، ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ ذكرنا تفسيره في أول السورة ﴿ ودع أذاهم ﴾ قال ابن عباس وقتادة اصبر على أذاهم وقال الزجاج لاتجازهم عليه وهذا منسوخ

لك بذلك [وسراجا منيرا] أى وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها واضاءتها لايجحدها إلا معاند . وقوله جلا وعلا [ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم] أي لاتطع وتسمع منهم في الذي يقولونه [ودع أذاهم] أي اصفح وتجاوز عنهم وكل أمرهم إلى الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)

يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنٰت ثم طلقتموهن من قبل أن تمسُّوهن فما لكم عليهن من عدّة تعتدّونها فمتعوهنّ وسرّحوهن سراحا جميلا (٤٩)

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها اطلاق النكاح على العقد وحده وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيهما على ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن انما هو في العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية فانه استعمل في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى (اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وفيها دلالة لاباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها

وقوله تعالى (المؤمنات) خرج مخرج الغالب اذ لافرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعلي بن الحسين زين العابدين وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لايقع الا اذا تقدمه نكاح لان الله تعالى قال (اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فعقب النكاح بالطلاق فدل على أنه لايصح ولايقع قبله وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى ، وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى الى صحة الطلاق قبل النكاح فيما اذا قال ان تزوجت فلانة فهي طالق ، فعندهما متى تزوجها طلقت منه ، واختلفا فيما اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق

بآية القتال ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ حافظا قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ﴾ فيه دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فانت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لايقع الطلاق وهو قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم رضي الله عنهم وبه قال الشافعي ، وروي عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأة يقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن مسعود ان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تعالى (اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) ولم يقل اذا

فقال مالك لاتطلق حتى يعين المرأة ، وقال أبو حنيفة رحمه الله كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية

قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن منصور المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس يعني ابن أبي إسحاق قال سمعت آدم مولى خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال . اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق قال ليس بشيء من أجل أن الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) الآية وحدثنا محمد بن إسماعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن مطر عن الحسن بن مسلم بن يناق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : انما قال الله عز وجل (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) ألا ترى أن الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس (رض) قال قال الله تعالى (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فلا طلاق قبل النكاح

وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لاطلاق لابن آدم فيما لايملك » رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب ، وهكذا روى ابن ماجه عن علي والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ انه قال « لاطلاق قبل النكاح »

وقوله عز وجل (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة اذا طلقت قبل الدخول بها لاعدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها [1] من شاءت ولا يستثنى من هذا الا المتوفى عنها زوجها فانها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا وان لم يكن دخل بها بالاجماع أيضا

وقوله تعالى (فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) المتعة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى أو المتعة الخاصة ان لم يكن قد سمى لها . قال الله تعالى (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم)

(١) في المكية في قرءها

طلقتموهن ثم نكحتموهن أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد الدينوري أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري بمكة أنا الربيع بن سليمان أنا أيوب بن سويد أنا ابن أبي ذئب عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله ﷺ لاطلاق قبل النكاح

قوله عز وجل ﴿ من قبل أن تمسوهن ﴾ تجامعوهن ﴿ فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾ تحصونها بالاقراء والاشهر ﴿ فمتعوهن ﴾ أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة فان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها ، وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله (فنصف مافرضتم) وقيل هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر ، وذهب بعضهم

وقال عز وجل (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين)

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضي الله عنهما قالا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أميمة بنت شراحيل فلما أن دخلت عليه صلى الله عليه وسلم بسط يده اليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين دارقيين . قال علي بن ابي طلحة رضي الله عنهما ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا النصف ، وإن لم يكن سمى لها صداقا أمتعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل

يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك التي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك، وبنات عمتك ، وبنات خالك ، وبنات خالتك التي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين، قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وماملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠)

يقول تعالى مخاطبا نبيه ﷺ بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهي الأجور ههنا كما قاله مجاهد وغير واحد وقد كان مهره لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونشز وهو نصف أوقية فالجميع خمسمائة درهم ، الا أم حبيبة بنت أبي سفيان فانه أمهرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى أربعمائة دينار ، والا صفية بنت حيي فانه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها ، وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية أدى عنها كتابتها الى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها رضي الله عنهن أجمعين

وقوله تعالى (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما ، وملك ريحانة بنت شمعون النضرية ومارية القبطية أم ابنه ابراهيم عليهما السلام وكانتا من السراري رضي الله عنهما

الى أنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية ﴿ وسرحوهن سراحا جميلا ﴾ خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار

قوله تعالى ﴿ ياأيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ﴾ أي مهورهن ﴿ وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ﴾ رد عليك من الكفار بأن تسبي فتملك مثل صفية وجويرية وقد

وقوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك) الآية هذا عدل وسط بين الافراط والتفريط فان النصارى لايتزوجون المرأة الا اذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم افراط النصارى فأباح بنت العم والعمة ، وبنت الخال والخالة ، وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الاخ والاخت وهذا شنيع فظيع ، وانما قال (وبنات عمك وبنات عماتك ،وبنات خالك وبنات خالاتك) فوحد لفظ الذكر لشرفه وجمع الاناث لنقصهن كقوله [عن اليمين والشمائل — يخرجهم من الظلمات إلى النور — وجعل الظلمات والنور]وله نظائر كثيرة

وقوله تعالى (اللاتي هاجرن معك) قال ابن ابي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار بن الحارث الرازي حدثنا عبيدالله بن موسى حدثنا اسرائيل عن السدي عن ابي صالح عن أم هاني. قالت خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت اليه فعذرني ، ثم أنزل الله تعالى (انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) قالت فلم أكن أحل له لم أكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء . ورواه ابن جرير عن ابي كريب عن عبيدالله بن موسى به

ثم رواه ابن ابي حاتم من حديث اسماعيل بن ابي خالد عن ابي صالح عنها بنحوه . ورواه الترمذي في جامعه . وهكذا قال أبو رزين وقتادة ان المراد من هاجر معه إلى المدينة . وفي رواية عن قتادة (اللاتي هاجرن معك) أي أسلمن ، وقال الضحاك قرأ ابن مسعود(واللاتي هاجرن معك)

وقوله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك)الآية أي ويحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة ان وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك. وهذه الآية توالى فيها شرطان كقوله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام انه قال لقومه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) وكقول موسى عليه السلام [ياقوم إن كنتم

كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك ﴾ يعني نساء قريش ﴿ وبنات خالك وبنات خالاتك ﴾ يعني نساء بني زهرة ﴿ اللاتي هاجرن معك ﴾ الى المدينة فمن لم تهاجر منهن معه لم يجز له نكاحها . وروى أبو صالح عن أم هانىء أن رسول الله (ص) لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل ، لأني لم أكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل ﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق ، فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه . واختلفوا في انه هل كان يحل للنبي (ص) نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر فذهب جماعة الى أنه كان لا يحل له ذلك لقوله (وامرأة مؤمنة)وأول بعضهم الهجرة في قوله اللاتي هاجرن

آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين] وقال ههنا [وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي] الآية

وقد قال الامام احمد حدثنا اسحاق أخبرنا مالك عن ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يارسول إني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال يارسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل عندك من شيء تصدقها إياه ؟ » فقال ماعندي إلا إزاري هذا « فقال رسول الله ﷺ « إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك فالتمس شيئا » فقال لا أجد شيئا « فقال « التمس ولو خاتما من حديد » فالتمس فلم يجد شيئا ، فقال له النبي ﷺ « هل معك من القرآن شيء ؟ » قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور يسميها ، فقال له النبي (ص) « زوجتكها بما معك من القرآن » أخرجاه من حديث مالك

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا يقول : كنت مع أنس جالسا وعنده ابنة له « فقال أنس جاءت امرأة إلى النبي (ص) فقالت يانبي الله هل لك في حاجة » فقالت ابنته ماكان أقل حياءها فقال « هي خير منك رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها » انفرد باخراجه البخاري من حديث مرحوم بن عبد العزيز العطار عن ثابت البناني عن أنس به

وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن بكير حدثنا سنان بن ربيعة عن الحضرمي عن أنس بن مالك ان امرأة أتت النبي ﷺ فقالت يارسول الله ابنة لي كذا وكذا فذكرت من حسنها وجمالها فآثرتك بها فقال « قد قبلتها » فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تشك شيأ قط فقال « لا حاجة لي في ابنتك » لم يخرجوه ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم. وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه ان خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ

معك على الاسلام أي أسلمن معك فيدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة « وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر وكان ذلك من خصائصه (ص) في النكاح لقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين) كالزيادة على الاربع ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه لا مشاركة لاحد معه فيه . واختلف أهل العلم في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى أنه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء ، وقال ربيعة وبه مالك والشافعي ، وذهب قوم إلى أنه ينعقد بلفظ الهبة والتمليك وهو قول ابراهيم النخعي وأهل الكوفة ، ومن قال لا ينعقد إلا بلفظ الانكاح أو التزويج اختلفوا في نكاح النبي (ص) فذهب قوم إلى أنه كان ينعقد في حقه بلفظ الهبة لقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين) وذهب

وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه كنا نتحدث ان خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله ﷺ وكانت امرأة صالحة. فيحتمل أن أم سليم هي خولة بنت حكيم أوهي امرأة أخرى .وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة امرأة ستا من قريش خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة ، وثلاثا من بني عامر بن صعصعة وامر أتين من بني هلال بن عامر ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وزينب أم المساكين ، وامرأة من بني بكر بن كلاب من القرطات وهى التي اختارت الدنيا ، وامرأة من بني الجون وهي التى استعاذت منه ، وزينب بنت جحش الاسدية ، والسبيتين صفية بنت حيي بن أخطب وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) قال هي ميمونة بنت الحارث فيه انقطاع هذا مرسل ، والمشهور أن زينب التى كانت تدعى أم المساكين هي زينب بنت خزيمة الانصارية وقد ماتت عند النبي ﷺ في حياته فالله أعلم . والغرض من هذا ان اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول أتهب المرأة نفسها فلما أنزل الله تعالى (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) قلت ما أرى ربك الا يسارع في هواك .وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير أي انه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وان كان ذلك مباحا له ومخصوصا به لانه مردود الى مشيئته كما قال الله تعالى (إن أراد النبي أن يستنكحها) أي ان اختار ذلك

آخرون إلى أنه لاينعقد إلا بلفظ الانكاح أوالتزويج كما في حق الامة لقوله عز وجل [ان أراد النبي أن يستنكحها] وكان اختصاصه [ص] في ترك المهر لافي لفظ النكاح

واختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله [ص] وهل كانت عنده امرأة منهن ؟ فقال عبد الله ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي [ص] امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أوملك يمين ،وقوله (إن وهبت نفسها) على طريق الشرط والجزاء ، وقال آخرون : بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الهلالية يقال لها أم المساكين . وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث ، وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد ، وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم

وقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين) قال عكرمة أي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيأ وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي أنها اذا فوضت المرأة نفسها الى رجل فانه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول ﷺ في تزويج بنت واشق لما فوضت فحكم لها رسول الله ﷺ بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها، والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي ﷺ فاما هو عليه الصلاة والسلام فانه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها لان له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها ولهذا قال قتادة في قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) يقول ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر الا النبي ﷺ

وقوله تعالى (قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) قال أبي بن كعب ومجاهد والحسن وقتادة وابن جرير في قوله (قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم) أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر وما شاؤا من الاماء واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم وهم الأمة وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيأ منه (لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما)

تُرْجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جُناح عليك ، ذلك أدنى أن تقرَّ أعينهن ولا يحزنَّ ويرضَين بما آتيتهن كلُّهن والله يعلم مافي قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١)

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغير من النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ قالت ألا تستحي المرأة أن تعرض نفسها

قوله تعالى ﴿ قد علمنا مافرضنا عليهم ﴾ أي أوجبنا على المؤمنين ﴿ في أزواجهم ﴾ من الاحكام أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿ وما ملكت أيمانهم ﴾ أي ما أوجبنا من الاحكام في ملك اليمين ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ وهذا يرجع إلى أول الآية أي أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكي لايكون عليك حرج وضيق ﴿ وكان الله غفورا رحيما* ترجي ﴾ أي تؤخر ﴿ من تشاء منهن وتؤوي ﴾ أي تضم ﴿ اليك من تشاء ﴾ اختلف المفسرون في معنى الآية فأشهر الاقاويل انه في القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار اليه فيهن

قال أبو رزين وابن زيد نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي [ص] وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن النبي [ص] شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله عز وجل أن يخبرهن

بغير صداق فأنزل الله عز وجل (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء) الآية قالت إني أرى ربك يسارع لك في هواك . وقد تقدم أن البخاري رواه من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة فدل هذا على أن المراد بقوله (ترجي) أي تؤخر (من تشاء منهن) أي من الواهبات (وتؤوي اليك من تشاء) أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ، ومن رددتها أنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها ولهذا قال (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك)

قال عامر الشعبي في قوله تعالى (ترجي من تشاء منهن) الآية كن نساء وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحن بعده منهن أم شريك ، وقال آخرون بل المراد بقوله (ترجي من تشاء منهن) الآية أي من أزواجك لاحرج عليك أن تترك القسم لمن فتقدم من شئت وتؤخر من شئت ، وتجامع من شئت وتترك من شئت هكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، ومع هذا كان النبي ﷺ يقسم لهن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجبا عليه ﷺ واحتجوا بهذه الآية الكريمة

وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الاحول عن معاذ عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية (ترجي

بين الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبدا وعلى انه يؤوي اليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم، أو قسم لبعضهن دون بعض، أو فضل بعضهن في النفقة والقسمة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء ، وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط ، واختلفوا في انه هل أخرج أحداً منهن عن القسم ؟ فقال بعضهم لم يخرج أحداً بل كان رسول الله ﷺ مع ماجعله الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم إلا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة ، وقيل أخرج بعضهن

روى جرير عن منصور عن أبي رزين قال : لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقهن فقلن يانبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الآية فأرجأ رسول الله ﷺ بعضهن وآوى اليه بعضهن وكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فكان يقسم بينهن سواء وأرجأ منهن خمساً أم حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما شاء ، وقال مجاهد (ترجي من تشاء منهن) يعني تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد . وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء ، وقال الحسن : تترك نكاح من شئت

من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فقلت لها ما كنت تقولين ؟ فقالت كنت أقول ان كان ذلك إلي فاني لا أريد يارسول الله أن أوثر عليك أحداً . فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم وحديثها الاول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ، ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده انه مخير فيهن ان شاء قسم وان شاء لم يقسم ، وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي وفيه جمع بين الاحاديث ولهذا قال تعالى (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أي اذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم ، فان شئت قسمت وان شئت لم تقسم لاجناح عليك في أي ذلك فعلت ، ثم مع هذا إن تقسم لهن اختياراً منك لا انه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلتك في ذلك ، واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وانصافك لهن وعدلك فيهن . وقوله تعالى (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من الميل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبدالله بن يزيد عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول « اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » ورواه أهل السنن الاربعة من حديث حماد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله « فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » يعني القلب. واسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى (وكان الله عليما) أي بضمائر السرائر حليما أي يحلم ويغفر

وتنكح من شئت من نساء أمتك . قال وكان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله ﷺ وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن سلام أنا ابن فضيل أنا هشام عن أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل ، فلما نزلت [ترجي من تشاء منهن] قالت يارسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك

قوله تعالى ﴿ ومن ابتغيت ممن عزلت ﴾ أي طلبت وأردت أن تؤوي اليك امرأة ممن عزلتهن عن القسم ﴿ فلا جناح عليك ﴾ لا اثم عليك فأباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها ويرد إلى فراشه من عزلها تفضيلا له على سائر الرجال ﴿ ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ﴾ أي التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله عز وجل ﴿ ويرضين بما آتيتهن ﴾ أعطيتهن ﴿ كلهن ﴾ من تقرير وإرجاء وعزل وإيواء ﴿ والله يعلم ما في قلوبكم ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن ﴿ وكان الله عليما حليما ﴾

لا يحلُّ لك النساء من بعد ولا أن تبدَّل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا

ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضا عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله ﷺ كما تقدم في الآية ، فلما اخترن رسول الله ﷺ كان جزاؤهن ان الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن الا الاماء والسراري فلا حرج عليه فيهن ، ثم انه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة لرسول الله ﷺ عليهن

قال الامام احمد حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء ، ورواه أيضاً من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ، ورواه الترمذي والنسائي في سننيهما . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة حدثني عمر بن أبي بكر حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الخزاعي عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أم سلمة أنها قالت : لم يمت رسول الله [ص] حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ماشاء إلا ذات محرم ، وذلك قول الله تعالى (ترجي من تشاء منهن) الآية فجعلت هذه ناسخة التي بعدها في التلاوة كآيتي عدة الوفاة في البقرة الاولى ناسخة للتي بعدها والله أعلم . وقال آخرون بل معنى الآية (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد

قوله تعالى ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب لاتحل بالتاء ، وقرأ الآخرون بالياء (من بعد) يعني من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن هذا قول ابن عباس وقتادة . واختلفوا في أنه هل أبيح له النساء من بعد . قالت عائشة مامات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء سواهن ، وقال أنس مامات على التحريم ، وقال عكرمة والضحاك معنى الآية لايحل لك النساء الا اللاتي أحللنا لك وهو قوله (انا أحللنا لك أزواجك) الآية ثم قال (لا يحل لك النساء من بعد) الا اللاتي أحللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها ، وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء النبي ﷺ أكان يحل له أن يتزوج ؟ قال وما يمنعه من ذلك ؟ قيل قوله عز وجل (لا يحل لك النساء من بعد) قال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك) ثم قال (لا يحل لك النساء من بعد) قال أبو صالح أمر أن

ماذ كرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ، وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وماسوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك، وهذا مروي عن أبي بن كعب ومجاهد في رواية عنه ، وعكرمة والضحاك في رواية وأبي رزين في رواية عنه وأبي صالح والحسن وقتادة في رواية والسدي وغيرهم

قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود بن أبي هند حدثني محمد بن أبي موسى عن زياد عن رجل من الانصار قال قلت لابي بن كعب أرأيت لو أن أزواج النبي (ص) توفين أما كان له أن يتزوج ؟ فقال وما يمنعه من ذلك؟ قال قلت قول الله تعالى [لا يحل لك النساء من بعد) فقال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك — الى قوله تعالى — ان وهبت نفسها للنبي) ثم قيل له (لايحل لك النساء من بعد) ورواه عبدالله بن أحمد من طرق عن داود به ، وروى الترمذي عن ابن عباس قال : نهي رسول الله (ص) عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى (لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ماملكت يمينك) فأحل الله فتياتكم المؤمنات ، وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الاسلام ثم قال (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) الآية وقال تعالى (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن — إلى قوله تعالى — خالصة لك من دون المؤمنين) وحرم ماسوى ذلك من أصناف النساء

وقال مجاهد (لايحل لك النساء من بعد) أي من بعد ماسمي لك من مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، وقال أبو صالح لايحل لك النساء من بعد أمر أن لا يتزوج اعرابية ولا عربية ويتزوج بعد من نساء تهامة وما شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاثمائة ، وقال

لايتزوج اعرابية ولا عربية ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلثمائة، وقال مجاهد معناه لايحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا أن تبدل بهن) يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لاتكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية (الا ماملكت يمينك) أحل له ماملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن ، وروي عن الضحاك (ولا أن تبدل بهن) يعني ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالتك أزواجا غيرهن بأن تطلقهن فتنكح غيرهن فحرم عليه طلاق النساء اللواتي كن عنده إذ جعلهن أمهات المؤمنين وحرمهن على غيره حين اخترنه ، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه

وقال ابن زيد في قوله (ولا أن تبدل بهن من أزواج) كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله (ولا أن تبدل بهن من أزواج) يعني لاتبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك

عكرمة (لايحل لك النساء من بعد) أي التي سمى الله ، واختار ابن جرير رحمه الله ان الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعا ، وهـذا الذي قاله جيد ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف فان كثيراً منهم روى عنه هذا وهذا ولامنافاة والله أعلم

ثم أورد ابن جرير على نفسه ماروي أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها لعائشة، ثم أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله تعالى (لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج] الآية . وهذا الذي قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية صحيح ولكن لايحتاج إلى ذلك فان الآية انما دلت على أنه لايتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته وانه لا يستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال فالله أعلم ، فأما قضية سودة ففي الصحيح عن عائشة [رض] وهي سبب نزول قوله تعالى [وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا] الآية، وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق عن يحيي بن زكريا بن أبي زائدة عن صالح بن صالح ابن حيي عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها وهذا اسناد قوي

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن الاعمش عن أبي صالح عن ابن عمر قال . دخل عمر على حفصة وهي تبكي فقال مايبكيك ؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك، انه كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي، والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً. ورجاله على شرط

وتأخذ زوجته (الا ماملكت يمينك) لا بأس أن تبدل بجاريتك ماشئت فاما الحرائر فلا ، وروي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : دخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ بغير اذن وعنده عائشة فقال له النبي ﷺ « ياعيينة فأين الاستئذان ؟ » قال يارسول الله مااستأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك ؟ قال « هذه عائشة أم المؤمنين » فقال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق وتنزل لي عن هذه ؟ فقال ﷺ إن الله قد حرم ذلك، فلما خرج قالت عائشة من هذا يارسول الله ؟ فقال « هذا أحمق مطاع وانه على مائرين لسيد قومه »

قوله تعالى (ولو أعجبك حسنهن) يعني ليس لك أن تطلق أحداً من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها ، قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب ، فلما استشهد جعفر اراد رسول الله ﷺ ان يخطبها فنهي عن ذلك (إلا ماملكت يمينك) قال ابن عباس رضي الله عنهما ملك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شيء رقيبا) حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء . روي عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر إلى مايدعوه إلى نكاحها فليفعل»

الصحيحين . وقوله تعالى (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدال غيرها بها الا ما ملكت يمينه

وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثا مناسبا ذكره ههنا فقال حدثنا ابراهيم بن نصر ثنا مالك ابن اسماعيل ثنا عبدالسلام بن حرب عن إسحاق بن عبدالله القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي اي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله (ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن) قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على النبي [ص] وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله ﷺ « فأين الاستئذان ؟ » فقال يارسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال رسول الله [ص] « هذه عائشة أم المؤمنين » قال افلا انزل لك عن احسن الخلق ؟ قال « ياعيينة ان الله قد حرم ذلك » فلما أن خرج قالت عائشة من هذا ؟ قال « هذا أحمق مطاع وانه على ماترين لسيد قومه » ثم قال البزار : إسحاق بن عبدالله لين الحديث جدا وانما ذكرناه لانا لم نحفظه الا من هذا الوجه وبينا العلة فيه

يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير نظرين إنـه ولـكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ، واذا سألتموهن متعا فسئلوهن

أخبرنا ابو الحسن علي بن يوسف الجويني انا محمد بن محمد بن علي بن شريك الشافعي انا عبدالله ابن محمد بن مسلم الجوزندي قال انا احمد بن حرب انا ابو معاوية عن عاصم هو ابن سليمان عن بكر ابن عبدالله عن المغيرة بن شعبة قال : خطبت امرأة فقال لي النبي ﷺ « هل نظرت اليها ؟ » قلت لا ، قال « فانظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما »

أخبرنا ابو سعيد الشريحي انا ابو اسحاق الثعلبي انا عبدالله بن حامد انا حامد بن محمد انا بشر ابن موسى انا الحميدي انا سعيد انا يزيد بن كيسان عن ابي حازم عن ابي هريرة أن رجلا اراد أن يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « انظر اليها فان في أعين نساء الانصار شيئا » قال الحميدي يعني الصفرة

قوله عز وجل ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم ﴾ الآية . قال أكثر

من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣) ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما (٥٤)

هذه آية الحجاب، وفيها احكام وآداب شرعية وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه انه قال وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يارسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج النبي ﷺ لما تمالأن عليه في الغيرة (عسى ربه إن طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن) فنزلت كذلك وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر وهي قضية رابعة

وقد قال البخاري حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله (ص) بزينب بنت جحش التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما، وزعم أبو عبيدة معمر ابن المثنى وخليفة بن خياط ان ذلك كان في سنة ثلاث فالله أعلم

قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما تزوج رسول الله (ص) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي (ص) ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا فجئت فأخبرت النبي (ص)

المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها ﷺ

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا يحيى بن بكير انا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال وكانت امهاتي تواظبني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي النبي ﷺ وانا ابن عشرين سنة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، فكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش، أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرج وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى

أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) الآية وقد رواه أيضا في موضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه بنحوه. ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبدالعزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ماأجد أحدا أدعوه فقلت يارسول الله ماأجد أحدا أدعوه قال « ارفعوا طعامكم » وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » قالت وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك يارسول الله بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر ان القوم خرجوا فرجع حتى اذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والاخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب. انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبدالوارث .ثم رواه عن اسحاق هو ابن منصور عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد عن أنس بنحو ذلك وقال رجلان ، انفرد به من هذا الوجه وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سلمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته في تور فقالت اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه مني السلام وأخبره ان هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ

النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا ،فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر وأنزل الحجاب ، وقال ابو عثمان واسمه الجعد عن أنس قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم — إلى قوله — والله لا يستحيي من الحق)

وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله

في جهد فجئت به فقلت يارسول الله بعثت بهذا أم سليم اليك وهي تقرئك السلام وتقول أخبره أن هذا منا له قليل فنظر اليه ثم قال « ضعه » فوضعته في ناحية البيت ثم قال « اذهب فادع لي فلانا وفلانا » فسمى رجالا كثيرا وقال « ومن لقيت من المسلمين » فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأى من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا؟ فقال كانوا زهاء ثلاثمائة قال انس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم جيء به فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال « ماشاء الله - ثم قال - ليتحلق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل انسان مما يليه » فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارفعه » قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فما أدري اهو حين وضعت أكثر ام حين أخذت قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها الى الحائط، فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يتلو هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي) الآية قال انس فقرأهن علي قبل الناس فأنا احدث الناس بهن عهدا

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به ، وقال الترمذي حسن صحيح وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال : وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه ، ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد به ، وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن بيان بن بشير عن أنس بنحوه ، ورواه البخاري والترمذي من طريقين آخرين عن بيان بن بشير الاحمسي الكوفي عن أنس بنحوه ، ورواه

عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) يقول الا أن تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم فتأكلونه (غير ناظرين إناه) غير منتظرين ادراكه ووقت نضجه يقال أنى الحميم اذا انتهى حره وأنى ان يفعل ذلك اذا حان إنى بكسر الهمزة مقصورة فاذا فتحتها مددت فقلت الاناء وفيه لغتان أنى يأني وآن يئين مثل حان يحين (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أكلتم الطعام (فانتشروا) تفرقوا واخرجوا من منزله (ولا مستأنسين لحديث) ولاطالبين الانس للحديث وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلا فنهوا عن ذلك (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) أي لايترك تأديبكم وبيان الحق حياء (واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله

ابن أبي حاتم أيضا من حديث أبي نضرة العبدي عن أنس بن مالك بنحو ذلك ولم يخرجوه ، ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك

وقال الامام أحمد حدثنا بهز وهاشم بن القاسم قالا حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد « اذهب فاذكرها علي » قال فانطلق زيد حتى أتاها ـ قال ـ وهي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري « وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى [فلما قضى زيد منها وطرا] وزاد في آخره بعد قوله : ووعظ القوم بما وعظوا به ، قال هاشم في حديثه [لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم] الآية . وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث جعفر ابن سليمان به . وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن اخي ابن وهب حدثني عمي عبد الله بن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ان أزواج رسول الله ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع ـ وهو صعيد أفيح ـ وكان عمر يقول لرسول الله ﷺ احجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ ليفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله ﷺ وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت فأنزل الله الحجاب . هكذا وقع في هذه الرواية ، والمشهور ان هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال ياسودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين « قالت فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وانه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت يارسول الله اني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت فأوحى الله اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال « انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » لفظ البخاري

فقوله تعالى [لا تدخلوا بيوت النبي] حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الاسلام حتى غار الله لهذه الامة فأمرهم بذلك

ﷺ منتقبة كانت او غير منتقبة ﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ من الريب

وقد صح في سبب نزول آية الحجاب ما أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا يحيى بن بكير انا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح . وكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الحجاب

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي انا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن احمد الطوسي

وذلك من إكرامه تعالى هذه الامة ولهذا قال رسول الله [ص] « إياكم والدخول على النساء » الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى [إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه] قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير متحينين نضجه واستواءه أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فان هذا مما يكرهه الله ويذمه ، وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذي تسميه العرب الضيفن، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها ، ثم قال تعالى (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو غيره » وأصله في الصحيحين « وفي الصحيح أيضاً عن رسول الله ﷺ « لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت « فاذا فرغتم من الذي دعيتم اليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا في الارض » ولهذا قال تعالى (ولا مستأنسين لحديث) أي كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله ﷺ كما قال تعالى (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) وقيل المراد ان دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ، ولكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى (والله لا يستحيي من الحق) أي ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ، ثم قال تعالى (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا اليهن بالكلية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر اليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي ﷺ حيسا في قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال حس أو أوه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب [ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن] أي هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب

أنا عبد الرحيم بن منيب انا يزيد بن هارون انا حميد عن أنس قال : قال عمر وافقني ربي في ثلاث: قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)وقلت يارسول الله انه يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب قال وبلغني بعض ما آذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه فدخلت عليهن فجعلت أستقريهن واحدة واحدة قلت والله لتنتهن أو ليبدلنه الله أزواجا خيراً منكن حتى أتيت على زينب فقالت ياعمر ماكان في رسول الله ﷺ مايعظ نساءه حتى تعظهن أنت « قال فخرجت فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقكن ان يبدله أزواجا خيراً منكن) إلى آخر الآية

قوله عز وجل ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﴾ ليس لكم اذاه في شيء من الاشياء ﴿ ولا

وقوله تعالى [وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيما] قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن سفيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى [وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله] قال نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي (ص) بعده، قال رجل لسفيان أهي عائشة؟ قال قد ذكروا ذلك. وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكر بسنده عن السدي أن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبد الله رضي الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك، ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله [ص] من أزواجه انه يحرم على غيره تزوجها من بعده لانهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم. واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها؟ على قولين مأخذهما هل دخلت هذه في عموم قوله [من بعده] أم لا فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فما نعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعا والله أعلم

وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر أن نبي الله [ص] مات وقد ملك قيلة ابنة الاشعث - يعني ابن قيس - فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر: ياخليفة رسول الله انها ليست من نسائه انها لم يخيرها رسول الله [ص] ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها، قال فاطمأن أبو بكر رضي الله عنه وسكن. وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله (ان ذلكم كان عند الله عظيما) ثم قال تعالى [إن تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما] أي مهما تكنه ضمائركم، وتنطوي عليه سرائركم، فان الله يعلمه فانه لا تخفى عليه خافية (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)

لا جُناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء

ان تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ﴾ نزلت في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنكحن عائشة. قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبد الله فأخبره الله تعالى ان ذلك محرم وقال ﴿ إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴾ اي ذنبا عظيما. وروي عن معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي ﷺ تزوجت رجلا وولدت له وذلك قبل تحريم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس

قوله ﴿ إن تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما ﴾ نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل قال رجل من الصحابة مابالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية. ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب ونحن أيضاً نكلمهن من وراء الحجاب فأنزل الله عز وجل

﴿ لاجناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ﴾ أي

أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن، واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥)

لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الاجانب بين أن هؤلاء الاقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى [ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن او آباء بعولتهن أو أبنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن او بني اخوانهن أو بني اخواتهن او نسائهن او ماملكت ايمانهن او التابعين غير أولي الإربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء] وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته ههنا . وقد سأل بعض السلف فقال: لم يذكر العم والخال في هاتين الآيتين ؟ فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرا لانهما قد يصفان ذلك لبنيهما . قال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد حدثنا داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى (لاجناح عليهن في آبائهن) الآية قلت ماشأن العم والخال لم يذكرا ؟ قالا لانهما ينعتانها لابنائهما وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها

وقوله تعالى (ولا نسائهن) يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات . وقوله تعالى (ولا ماملكت أيمانهن) يعني به ارقاءهن من الذكور والاناث كما تقدم التنبيه عليه وإيراد الحديث فيه قال سعيد بن المسيب انما يعني به الاماء فقط رواه ابن أبي حاتم

وقوله تعالى (واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا) أي واخشينه في الخلوة والعلانية فانه شهيد على كل شيء لايخفى عليه خافية فراقبن الرقيب

ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦)

قال البخاري قال أبو العالية صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء . وقال ابن عباس يصلون يبركون هكذا علقه البخاري عنهما . وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية كذلك وروى مثله عن الربيع أيضا . وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء ﴿ ولا نسائهن ﴾ قيل اراد به النساء المسلمات حتى لايجوز للكتابيات الدخول عليهن . وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات، وانما قال ولا نسائهن لأنهن من اجناسهن ﴿ ولا ماملكت أيمانهن ﴾ واختلفوا في ان عبد المرأة هل يكون محرما لها ام لا ، فقال قوم يكون محرما لها لقوله عز وجل (ولا ماملكت أيمانهن) وقال قوم هو كالاجانب والمراد من الاية الاماء دون العبيد ﴿ واتقين الله ﴾ أن يراكن غير هؤلاء ﴿ إن الله كان على كل شيء ﴾ من أعمال العباد ﴿ شهيداً ﴾

قوله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ قال ابن عباس اراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له ، وعن ابن عباس أيضا يصلون يبركون ، وقيل الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة

كما قاله سواء. رواهما ابن أبي حاتم . وقال ابو عيسى الترمذي وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الاودي حدثنا وكيع عن الاعمش عن عمرو بن مرة قال الاعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي. والمقصود من هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الاعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وان الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا احمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق عن جعفر يعني ابن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلي ربك ؟ فناداه ربه عز وجل: ياموسى سألوك هل يصلي ربك فقل نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي. فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ (إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الآية وقال تعالى (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبه قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم) الآية ،وفي الحديث « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف » ، وفي الحديث الآخر « اللهم صل على آل أبي أوفى » وقال رسول الله ﷺ لامرأة جابر وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها « صلى الله عليك وعلى زوجك »

وقد جاءت الاحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالامر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها إن شاء الله ماتيسر والله المستعان . قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد ابن يحيي بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : قيل يارسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال قولوا « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد »

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال : سمعت ابن أبي ليلى قال

الاستغفار ﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه ﴾ اي ادعوا له بالرحمة ﴿ وسلموا تسليما ﴾ أي حيوه بتحية الاسلام ، وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء.

لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا يارسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة ؟ فقال قولوا « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة في كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عيينة زاد البخاري وعبدالله بن عيسى كلاهما عن عبدالرحمن بن أبي ليلى فذكره

وقال البخاري ثنا ابن أبي حازم حدثنا الحسين بن عرفة حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد حدثنا عبدالرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قال قلنا يارسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلينا معهم ، ورواه الترمذي بهذه الزيادة . ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم اياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عبدالله بن حباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا يارسول الله هذا السلام فكيف نصلي عليك؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم » قال ابو صالح عن الليث على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم حدثنا ابراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهاد وقال « كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم » وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن الهاد به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد قرأت على عبدالرحمن مالك عن عبدالله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم انه قال أخبرني ابو حميد الساعدي أنهم قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك قال « قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » وقد أخرجه بقية الجماعة سوى الترمذي من حديث مالك به

﴿ حديث آخر ﴾ قال مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال : قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر أخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الانصاري قال وعبد الله بن زيد هو الذي كان أري النداء بالصلاة أخبره عن أبي مسعود الانصاري قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن

أخبرنا ابو سعيد احمد بن محمد بن العباس الحميدي انا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ انا ابو بكر احمد بن سليمان الفقيه ببغداد انا ابو بكر احمد بن زهير بن حرب انا موسى بن اسماعيل انا

عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم » وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث مالك به وقال الترمذي حسن صحيح

وروى الامام احمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود البدري أنهم قالوا يارسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وذكره»

ورواه الشافعي رحمه الله في مسنده عن ابي هريرة بمثله ، ومن ههنا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير فان تركه لم تصح صلاته ، وقد شرع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم يشنع على الامام الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة وزعم انه قد تفرد بذلك ، وحكى الاجماع على خلافه ابو جعفر الطبري والطحاوي والخطابي وغيرهم فيما نقله القاضي عياض عنهم ، وقد تعسف هذا القائل في رده على الشافعي وتكلف في دعواه الاجماع في ذلك وقال مالم يحط به علما فانا قد روينا وجوب ذلك والامر بالصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وابو مسعود البدري وجابر بن عبدالله ، ومن التابعين الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان واليه ذهب الشافعي لاخلاف عنه في ذلك ولا بين اصحابه أيضاً ، واليه ذهب الامام احمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي وبه قال اسحاق بن راهويه والفقيه الامام محمد بن ابراهيم المعروف بابن الموالي المالكي رحمهم الله حتى إن بعض ائمة الحنابلة أوجب ان يقال في الصلاة عليه ﷺ كما علمهم ان يقولوا لما سألوه وحتى ان بعض أصحابنا أوجب الصلاة على آله فيما حكاه البندنيجي وسليم الرازي وصاحبه نصر بن ابراهيم المقدسي ، ونقله امام الحرمين وصاحبه الغزالي قولا عن الشافعي . والصحيح انه وجه ، على أن الجمهور على خلافه وحكوا الاجماع على خلافه والقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم .

والغرض أن الشافعي رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة سلفا وخلفا كما تقدم ولله الحمد والمنة فلا اجماع على خلافه في هذه المسئلة لاقديما ولاحديثا والله أعلم .

ابو سلمة انا عبد الواحد بن زياد انا أبو فروة حدثني عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن ابي ليلى سمع عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول : لقيني كعب بن عجرة فقال ألا اهدي الي هدية سمعتها من النبي

ومما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الامام احمد وابوداود والترمذي وصححه والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما من رواية حيوة بن شريح المصري عن ابي هانئ حميد بن هانئ عن عمرو بن مالك ابى علي الجسيني عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجل هذا » ثم دعاه فقال له أو لغيره « اذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء » وكذا الحديث الذي رواه ابن ماجه من رواية عبد المهيمن بن عباس ابن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده عن رسول الله (ص) انه قال « لاصلاة لمن لاوضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » ولا صلاة لمن لم يصل على النبي، ولاصلاة لمن لم يحب الانصار » ولكن عبد المهيمن هذا متروك وقد رواه الطبراني من رواية أخيه أي ابن عباس ولكن في ذلك نظر وإنما يعرف من رواية عبد المهيمن والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون اخبرنا اسماعيل عن أبي داود الاعمى عن بريدة قال قلنا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال « قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد » أبو داود الاعمى اسمه نفيع بن الحارث متروك

﴿ حديث آخر ﴾ موقوف رويناه من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هارون وزيد بن الحباب ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي أن عليا رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء اللهم داحي المدحوات » وباريء المسموكات » وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها » اجعل شرائف صلواتك » ونوامي بركاتك، وفضائل آلائك، على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق » والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، والدامغ لجيشان الأباطيل ، كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك، مستوفزا في مرضاتك غير نكل في قدم ، ولا وهن في عزم » واعيا لوحيك ، حافظا لعهدك ، ماضيا على نفاذ أمرك، حتى أورى قبسا لقابس ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه » به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم، وأبهج موضحات الاعلام » ونائرات الاحكام » ومنيرات الاسلام، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون » وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك نعمة » ورسولك بالحق رحمة » اللهم افسح له في عدنك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، له مهنآت غير مكدرات، من فوز ثوابك المحلول، وجزيل عطائك المعلول، اللهم أعل على بناء الناس بناءه ، وأكرم مثواه لديك ونزله ، وأتمم له نوره » واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ، مرضي المقالة ذا منطق عدل » وخطة فصل، وحجة وبرهان عظيم . هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه وقد تكلم

ﷺ ؟ فقلت بلى فاهدها لي فقال سألنا رسول الله ﷺ فقلنا يارسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليك ؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت

عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي ﷺ الا أن في اسناده نظرا، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا. كذا قال وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الاثر عن محمد ابن على الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي ﷺ فيقول اللهم داحي المدحوات وذكره

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه حدثنا زياد بن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا، قال قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد المرسلين، وامام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاما محموداً يغبطه به الاولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وهذا موقوف

وقد روى اسماعيل القاضي عن عبد الله بن عمرو أو عمر على الشك من الراوي قريبا من هذا

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا أبو اسرائيل عن يونس بن حباب قال خطبنا بفارس فقال (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فقال أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يارسول الله علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد، وارحم محمدا وآل محمد كما رحمت آل ابراهيم انك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد » فيستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي ﷺ كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فقال رسول الله ﷺ « لقد حجرت واسعا » وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال وأجازه أبو محمد بن أبي زيد

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقول « من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي » فليقل عبد من ذلك أو ليكثر ورواه ابن ماجه من حديث شعبة به

على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد »

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا بندار حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثني موسى بن يعقوب الزمعي حدثني عبد الله بن كيسان ان عبد الله بن شداد أخبره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ قال « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة » تفرد بروايته الترمذي رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب

﴿ حديث آخر ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال قال رسول الله ﷺ « أتاني آت من ربي فقال لي مامن عبد يصلي عليك صلاة الا صلى الله عليه بها عشراً » فقام اليه رجل فقال يارسول الله ألا أجعل نصف دعائي لك؟ قال « ان شئت » قال ألا أجعل ثلثي دعائي لك ؟ قال « إن شئت » قال ألا أجعل دعائي لك كله قال « اذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة » فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان عمن أسنده قال لا أدري

﴿ حديث آخر ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا سفيان الثوري عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ يخرج في جوف الليل فيقول « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » فقال أبي يارسول الله اني أصلي من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتي؟ قال رسول الله ﷺ « الشطر - قال أفأجعل لك شطر صلاتي؟ قال رسول الله ﷺ - الثلثان - قال أفأجعل لك صلاتي كلها قال - اذن يغفر الله ذنبك كله »

وقد رواه الترمذي بنحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله » جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه » قال ابي قلت يارسول الله اني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال « ماشئت - قلت الربع قال - ماشئت فان زدت فهو خير لك - قلت فالنصف قال - ماشئت فان زدت فهو خير لك - قلت فالثلثين قال - ماشئت فان زدت فهو خير لك - قلت أجعل لك صلاتي كلها - قال اذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك » ثم قال هذا حديث حسن

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي عن أبيه قال قال رجل يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال « اذن يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزاعي ويونس هو ابن محمد قالا حدثنا ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن

أخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن عبدالله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال أخبرني

مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج رسول الله ﷺ فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أو قبضه ، قال فجئت انظر فرفع رأسه فقال «مالك ياعبد الرحمن؟» قال فذكرت ذلك له فقال « ان جبريل عليه السلام قال لى ألا أبشرك ان الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه »

(طريق أخرى) قال الامام احمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن عبدالواحد بن محمد بن عبدالرحمن بن عوف عن عبدالرحمن بن عوف قال « قام رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها، فدنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال « من هذا ؟ - قلت عبد الرحمن قال - ما شأنك ؟ - قلت يارسول الله سجدت سجدة خشيت ان يكون الله قبض روحك فيها فقال- ان جبريل أتاني فبشرني ان الله عز وجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله عز وجل شكراً » ورواه اسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه عن يحيى بن عبدالحميد عن الدراوردي عن عمرو بن عبدالواحد عن أبيه عن عبدالرحمن بن عوف به ، ورواه من وجه آخر عن عبد الرحمن

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبدالرحيم بن بجير بن عبدالله بن معاوية ابن بجير بن ريان حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن عمر عن الحكم بن عيينة عن ابراهيم النخعي عن الاسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ لحاجة فلم يجد أحداً يتبعه ففزع عمر فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبي ﷺ ساجداً في مشربة فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبي ﷺ رأسه فقال « أحسنت ياعمر حين وجدتني ساجداً فتنحيت عني ان جبريل أتاني فقال من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات» وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختارة على الصحيحين ، وقد رواه اسماعيل القاضي عن القعنبي عن سلمة بن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ، ورواه أيضا عن يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أوس بن الحدان عن عمر بن الخطاب بنحوه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبدالله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يارسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال « انه أتاني الملك فقال يامحمد أما

أبو حميد الساعدي قال قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ « قولوا اللهم صل علي محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد »

يرضيك أن ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً » ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشراً قال بلى » ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به ، وقد رواه اسماعيل القاضي عن اسماعيل بن أبي أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيدالله بن عمر عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة بنحوه

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن اسحاق بن كعب بن عجرة عن أبي طلحة الانصاري قال أصبح رسول الله ﷺ يوما طيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا يارسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر قال « أجل اتاني آت من ربي عزوجل فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيآت، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها » وهذا أيضا إسناد جيد ولم يخرجوه

﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن عبد الرحمن ابن عوف وعامر بن ربيعة وعمار وأبي طلحة وأنس وأبي بن كعب

وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا شريك عن ليث عن كعب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « صلوا علي فانها زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في أعلى الجنة ولا ينالها الا رجل، وأرجو أن أكون أنا هو » تفرد به أحمد وقد رواه البزار من طريق مجاهد عن أبي هريرة بنحوه فقال حدثنا محمد بن اسحاق البكالي حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا داود بن علية عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « صلوا علي فانها زكاة لكم ، وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة » فسألناه أو أخبرنا فقال « هي درجة في أعلى الجنة وهي لرجل وأنا أرجو أن أكون ذلك الرجل » في إسناده بعض من تكلم فيه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عبدالرحمن بن بريح الخولاني سمعت أبا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت عبدالله بن عمرو يقول: من صلى على رسول الله ﷺ صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر . وسمعت عبد عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع فقال « أنا محمد النبي الامي — قاله ثلاث مرات — ولا نبي بعدي » أوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه » وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوز ربي وعوفيت وعوفيت أمتي ، فاسمعوا واطيعوا مادمت فيكم ، فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه »

أخبرنا ابو عمرو محمد بن عبد الرحمن النسوي انا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري انا محمد بن

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو داود الطيالسي حدثنا أبو سلمة الخراساني حدثنا أبو إسحاق عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « من ذكرت عنده فليصل علي، ومن صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا » ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي داود الطيالسي عن أبي سلمة وهو المغيرة بن مسلم الخراساني عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي عن أنس به

﴿ حديث آخر ﴾ عن أنس وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن يونس بن أبي إسحاق عن زيد بن أبي مريم عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيآت »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو وأبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي » وقال أبو سعيد « فلم يصل علي » ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال ثم قال هذا حديث حسن صحيح ومن الرواة من جعله من مسند الحسين بن علي ومنهم من جعله من مسند علي نفسه

﴿ حديث آخر ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن معبد بن هلال العنزي حدثني رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي »

﴿ حديث آخر ﴾ مرسل قال اسماعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله ﷺ « بحسب امرىء من البخل ان أذكر عنده فلا يصلي علي »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الترمذي حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة » ثم قال حسن غريب. قلت وقد رواه البخاري في الادب عن محمد بن عبيد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه، ورويناه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به

قال الترمذي وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله ﴿ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ﴾ وهذا الحديث والذي قبله دليل

يعقوب انا العباس بن محمد الدورقي انا خالد بن مخلد القطواني انا موسى بن يعقوب الزمعي عن عبد الله ابن كيسان أخبرني عبد الله بن شداد عن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة »

على وجوب الصلاة على النبي ﷺ كما ذكر وهو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوي والحليمي ويتقوى بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن المغلس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة » جنادة ضعيف ولكن رواه اسماعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال قال رسول الله ﷺ « من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة » وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله والله أعلم. وذهب آخرون الى انه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب نقله الترمذي عن بعضهم ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ماجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة يوم القيامة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم » تفرد به الترمذي من هذا الوجه ورواه الامام أحمد عن حجاج ويزيد بن هارون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا مثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن

وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير وجه وقد رواه اسماعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد « قال مامن قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي ﷺ الا كان عليهم يوم القيامة حسرة وان دخلوا الجنة يرون الثواب » وحكي عن بعضهم أنه انما تجب الصلاة عليه عليه السلام في العمر مرة واحدة امتثالا لامر الآية. ثم هي مستحبة في كل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعد ماحكى الاجماع على وجوب الصلاة عليه ﷺ في الجملة. قال وقد حكى الطبري أن محمل الآية على الندب وادعى فيه الاجماع قال ولعله فيما زاد على المرة والواجب فيه مرة كالشهادة له بالنبوة ومازاد على ذلك فمندوب ومرغب فيه من سنن الاسلام وشعار أهله قلت وهذا قول غريب فانه قد ورد الامر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على مانبينه. فمنه بعد النداء للصلاة للحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول انه سمع عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة

أخبرنا ابو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي انا ابو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني انا عبدالله ابن عمر الجوهري انا احمد بن علي الكشميهني انا علي بن حجر انا اسماعيل بن جعفر انا العلاء بن

﴿ طريق أخرى ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا محمد بن ابي بكر حدثنا عمر بن علي عن ابي بكر الجشمي عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال . قال رسول الله ﷺ « من سأل الله لي الوسيلة حقت عليه شفاعتي يوم القيامة »

﴿ حديث آخر ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن كعب هو كعب الاحبار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « صلوا عليّ فان صلاتكم عليّ زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة - قال فاما حدثنا واما أنبأنا قال الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل وارجو أن أكون انا ذلك الرجل » ثم رواه عن محمد بن ابي بكر عن معتمر عن ليث وهو ابن أبي سليم به وكذا الحديث الآخر

قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ورقاء الحضرمي عن رويفع بن ثابت الانصاري أن رسول الله ﷺ قال « من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » وهذا اسناد لا بأس به ولم يخرجوه

﴿ أثر حسن ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثني معمر عن ابن طاوس عن أبيه سمعت ابن عباس يقول: اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى، وارفع درجته العليا ، وأعطه سؤله في الآخرة والاولى، كما آتيت ابراهيم وموسى عليهما السلام . اسناد جيد قوي صحيح

ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه للحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم حدثنا ليث بن أبي سليم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » وقال اسماعيل القاضي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا سفيان بن عمرو التميمي عن سليمان الضبي عن علي بن الحسين قال : قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : اذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبي ﷺ . وأما الصلاة عليه ﷺ في الصلاة فقد قدمنا الكلام عليها في التشهد الأخير ومن ذهب الى ذلك من العلماء منهم الشافعي رحمه الله وأكرمه وأحمد ، وأما التشهد الاول فلا تجب فيه قولا واحداً وهل تستحب على قولين للشافعي

ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة فان السنة أن يقرأ في التكبيرة الاولى فاتحة الكتاب وفي الثانية أن يصلي على النبي ﷺ وفي الثالثة يدعو للميت وفي الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده

عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً »

قال الشافعي رحمه حدثنا مطرف بن مازن عن معمر عن الزهري أخبرني أبو امامة بن سهل بن حنيف انه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الامام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الاولى سراً في نفسه ثم يصلي على النبي ﷺ ويخلص الدعاء للجنازة وفي التكبيرات لايقرأ في شيء منها ثم يسلم سراً في نفسه . ورواه النسائي عن أبي امامة نفسه انه قال من السنة فذكره ، وهذا من الصحابي في حكم المرفوع على الصحيح . ورواه اسماعيل القاضي عن محمد بن المثنى عن عبد الاعلى عن معمر عن الزهري عن أبي امامة بن سهل عن سعيد بن المسيب انه قال السنة في الصلاة على الجنازة فذكره . وهكذا روي عن ابي هريرة وابن عمر والشعبي

ومن ذلك في صلاة العيد قال اسماعيل القاضي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي حدثنا حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن علقمة أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة يوما قبل العيد فقال لهم إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع . فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن اسناد صحيح

ومن ذلك أنه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه ﷺ قال الترمذي حدثنا ابو داود حدثنا النضر بن سهيل عن ابي قرة الاسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال « الدعاء موقوف بين السماء والارض لايصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك وكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب . ورواه معاذ بن الحارث عن أبي قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر مرفوعا » وكذا رواه رزين بن معاوية في كتابه مرفوعا عن النبي ﷺ قال « الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى عليّ فلا تجعلوني كغمر الراكب صلوا علي أول الدعاء وآخره وأوسطه » وهذه الزيادة انما تروى من رواية جابر بن عبد الله في مسند الامام عبد بن حميد الكشي حيث قال : حدثنا جعفر بن عون أخبرنا موسى بن عبيدة عن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال « قال جابر قال لنا رسول الله ﷺ « لاتجعلوني كقدح الراكب اذا علق تعاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء فان كان له حاجة في الوضوء توضأ » وإن كان له حاجة في الشرب شرب وإلا هراق ما فيه اجعلونى في أول الدعاء وفي وسط الدعاء وفي آخر الدعاء » وهذا حديث غريب وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث.

ومن آكد ذلك دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث ابي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر

أخبرنا ابو بكر بن عبد الله بن ابي توبة أنا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك

اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت » وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك » انه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت » تباركت ربنا وتعاليت . وزاد النسائي في سننه بعد هذا وصلى الله على محمد

ومن ذلك أنه يستحب الاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة . قال الامام أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الاشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض » وفيه النفخة » وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي » قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ يعني وقد بليت ، قال » إن الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء » ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووي في الاذكار

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد البصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلي علي فيه الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها - قال قلت وبعد الموت؟ - قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء فنبي الله حي يرزق » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسي وأبي الدرداء فانه لم يدركه والله أعلم

وقد روى البيهقي من حديث أبي امامة وابن مسعود عن النبي (ص) في الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في إسنادهما ضعف والله أعلم . وروي مرسلا عن الحسن البصري فقال اسماعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن البصري يقول : قال رسول الله (ص) « لا تأكل الارض جسد من كلمه روح القدس » مرسل حسن والنووي في الاذكار [1] وقال القاضي وقال الشافعي أخبرنا ابراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي (ص) قال « اذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا الصلاة علي » هذا مرسل. وهكذا يجب على الخطيب أن يصلي على النبي (ص) يوم الجمعة على المنبر في الخطبتين » ولا تصح الخطبتان إلا بذلك لانها عبادة » وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول (ص) فيها كالاذان والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله

ومن ذلك أنه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره (ص) قال أبو داود حدثنا ابن عوف هو محمد بن المقري حدثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط

(١) كذا في الاصل

عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبيد الله بن ابي طلحة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقال » انه جاءني جبريل

عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال « مامنكم من أحد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » تفرد به ابوداود وصححه النووي في الاذ كار

ثم قال ابو داود حدثنا احمد بن صالح قال : قرأت على عبدالله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) « لاتجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » تفرد به ابوداود أيضا ، وقد رواه الامام احمد عن شريح عن عبدالله بن نافع وهو الصائغ به وصححه النووي أيضا

وقد روي من وجه آخر متصلا « قال القاضي اسماعيل بن إسحاق في كتابه فضل الصلاة عن النبي ﷺ حدثنا اسماعيل بن أبي أويس حدثنا جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عمن أخبره من أهل بيته عن على بن الحسين بن على أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي [ص] ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه علي بن الحسين فقال له علي بن الحسين مايحملك على هذا ؟ قال أحب السلام على النبي ﷺ فقال له علي بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن أبي؟ قال نعم فقال له علي بن الحسين أخبرني أبي عن جدي انه قال قال رسول الله ﷺ « لاتجلوا قبري عيداً ولاتجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم » في إسناده رجل مبهم لم يسم

وقد روى من وجه آخر مرسلا قال عبدالرزاق في مصنفه عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي قال رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال : ان النبي ﷺ قال « لاتتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » فلعله رآهم يسيئون الادب برفع أصواتهم فوق الحاجه فنهاهم . وقد روي أنه رأى رجلا ينتاب القبر فقال : ياهذا ما انت ورجل بالاندلس منه الاسواء . أي الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين

(١) وقال الطبراني في معجمه الكبير حدثنا احمد بن رشدين المصري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرني حميد بن أبي زينب عن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « صلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » ثم قال الطبراني حدثنا العباس بن حمدان الاصبهانى حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان أخبرنا يزيد بن هارون بن أبي شيبان عن الحكم بن عبد الله بن خطاب عن أم أنيس بنت الحسن بن علي عن أبيها قال : قال رسول الله ﷺ « ارأيت قول الله عز وجل (إن الله وملائكته يصلون على النبي) فقال إن هذا من المكتوم ولولا أنكم سألتموني عنه ماأخبرتكم إن الله عز وجل وكل بي ملكين لاأذكر عند عبد مسلم فيصلي على

(١) هذا الحديث بجملته غير موجود في النسخة المكية

فقال إن ربك يقول أما يرضيك يامحمد أن لايصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً »

إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين » ولا يصلي علي أحد إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين » غريب جداً واسناده به ضعف شديد

وقد قال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبدالله بن السائب عن زاذان عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام » وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان بن مهران الاعمش كلاهما عن عبدالله بن السائب به

فأما الحديث الآخر « من صلى علي عند قبري سمعته » ومن صلى علي من بعيد بلغته » ففي إسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك عن الاعمش عن ابى صالح عن أبي هريرة مرفوعا

قال أصحابنا ويستحب للمحرم اذا لبى وفرغ من تلبيته أن يصلي على النبي ﷺ لما رواه الشافعي والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي ﷺ على كل حال » وقال اسماعيل القاضي حدثنا عارم ابن الفضل حدثنا عبدالله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبي عن وهب بن الاجدع قال: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين، ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع مرات تكبيرا بين حمد الله وثناء عليه وصلاة على النبي ﷺ ومسئلة لنفسك، وعلى المروة مثل ذلك . إسناد جيد حسن قوي

قالوا ويستحب الصلاة على النبي ﷺ مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال بعض المفسرين يقول الله تعالى لا أذكر الا ذكرت معي وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الاكل والدخول والوقاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي ﷺ

(حديث آخر) قال اسماعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمرو بن هارون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني » في اسناده ضعيفان وهما عمرو بن هارن وشيخه والله أعلم . وقد رواه عبدالرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الزبيدي به ،

ومن ذلك انه يستحب الصلاة عليه عند طنين الاذن ان صح الخبر في ذلك على أن الامام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة قد رواه في صحيحه فقال : حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن محمد

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو محمد عبد الرحمن بن ابي شريح القاضي انا ابوالقاسم البغوي انا علي بن الجعد انا شعبة عن عاصم هو ابن عبيدالله قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه

ابن عبيد الله عن علي بن أبي رافع عن أبيه أبي رافع قال : قال رسول الله ﷺ « اذا طنت اذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير » اسناده غريب وفي ثبوته نظر والله أعلم

﴿ مسئلة ﴾ وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه ، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمي في ذلك الكتاب » وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة ، وقد روي من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضا

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا احسبه موضوعا ، وقد روى نحوه عن أبي بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شيء والله أعلم . وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه (الجامع لآداب الراوي والسامع) قال : رأيت بخط الامام احمد بن حنبل رحمه الله كثيراً ما يكتب اسم النبي ﷺ من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال : وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظا

(فصل) وأما الصلاة على غير الانبياء فان كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا أفرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك ، واحتجوا بقول الله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) وبقوله (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وبقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم) الآية . وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله ﷺ اذا أتاه قوم بصدقتهم قال « اللهم صل عليهم » فأتاه أبي بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » أخرجاه في الصحيحين ، وبحديث جابر أن امرأته قالت يارسول الله صل علي وعلى زوجي فقال « صل الله عليك وعلى زوجك » قال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال قال ابو بكر صلى الله عليه ، وقال علي صلى الله عليه ، وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل ، وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ماورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ، ولهذا لم يثبت شعار الآل أبي أوفى ولا لجابر وامرأته وهذا مسلك حسن

وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صارت من شعار أهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم . ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الاولى على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو زكريا النووي

أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ماصلى علي فليقلل العبد من ذلك أو ليكثر »

في كتاب الاذكار . ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم ، والمكروه هو ماورد فيه نهي مقصود . قال أصحابنا والمعتمد في ذلك ان الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالانبياء كما أن قولنا عز وجل مخصوص بالله تعالى فكما لايقال محمد عز وجل وان كان عزيزاً جليلا لايقال أبو بكر أوعلي صلى الله عليه هذا لفظه بحروفه « قال وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام وسواء في هذا الاحياء والاموات ، وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك وسلام عليكم أوالسلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه . انتهى ماذكره قلت وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه « وهذا وان كان معناه صحيحا « لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين . قال اسماعيل القاضي حدثنا عبدالله بن عبدالواحد حدثنا عبدالواحد بن زياد حدثني عثمان بن حكيم بن عبادة بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال « لاتصح الصلاة على أحد الا على النبي ﷺ ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة

وقال أيضا حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن جعفر بن برقان قال كتب عمر ابن عبدالعزيز رحمه الله . أما بعد ؛ فان ناسا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة ، وان ناسا من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي ﷺ فاذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ويدعوا ماسوى ذلك . أثر حسن قال اسماعيل القاضي حدثنا معاذ بن أسد حدثنا عبدالله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن نبيه بن وهب أن كعبا دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب : مامن فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي (ص) سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يزفونه .

﴿ فرع ﴾ قال النووي اذا صلى على النبي (ص) فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط « وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله (ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فالاولى أن يقال صلى الله عليه وسلم تسليما

حدثنا ابو القاسم يحيى بن علي الكشميهني أنا جناح بن يزيد المحاربي بالكوفة أنا ابو جعفر محمد ابن علي بن دحيم الشيباني انا احمد بن حازم انا عبيدالله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن عبدالله ابن السائب عن زاذان عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من أمتي السلام «

ان الذين يؤذون الله ورسولهُ لعنهم اللهُ في الدنيا والآخرةِ وأعدَّ لهم عذابا مُهينا (٥٧)

والّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا (٥٨)

يقول تعالى متهدداً ومتوعداً من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره واصراره على ذلك وإيذاء رسوله بعيب أو بنقص عياذاً بالله من ذلك . قال عكرمة في قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) نزلت في المصورين . وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره » ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون ياخيبة الدهر فعل بنا كذا و كذا فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه وانما الفاعل لذلك هو الله عز وجل فنهى عن ذلك . هكذا قرره الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب . والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء ، ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله كما قال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا ابراهيم بن سعد عن عبيدة بن أبي رائطة الحذاء المجاشعي عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل المزني قال : قال رسول الله ﷺ « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك

قوله تعالى ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ﴾ قال ابن عباس : هم اليهود والنصارى والمشركون ، فأما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا إن الله فقير ، وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة ، وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه ورويناأن النبي ﷺ قال « يقول الله سبحانه وتعالى شتمني عبدي يقول اتخذ الله ولداً وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد » وروينا عن النبي ﷺ قال « قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الامر أقلب الليل والنهار » وقيل معنى (يؤذون الله) أي يلحدون في أسمائه وصفاته وقال عكرمة هم أصحاب التصاوير أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن العلاء أنا ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال سمعت النبي (ص) يقول « قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة » وقال بعضهم (يؤذون الله) أي يؤذون أولياء الله كقوله تعالى (واسئل القرية) أي أهل القرية وروينا عن النبي (ص) قال « قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب - وقال - من أهان لي وليا فقد بارزني

أن يأخذه « وقد رواه الترمذي من حديث عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبدالله ابن المغفل به » ثم قال وهذا حديث غريب لانعرفه الا من هذا الوجه

وقوله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أي ينسبون اليهم ماهم براء منه لم يعملوه ولم يفعلوه (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) وهذا هو البهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات مالم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم « ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم فان الله عز وجل قد أخبر انه قد رضي عن المهاجرين والانصار ومدحهم وهؤلاء الجهلة الاغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم مالم يكن ولا فعلوه أبداً فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين

وقال ابو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء عن أبيه عن ابي هريرة أنه قيل يارسول الله ماالغيبة ؟ قال « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان في أخي ماأقول « قال « إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته » وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته » وهكذا رواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به ثم قال حسن صحيح

وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سلمة حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن عمار ابن أنس عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أي الربا أربى عند الله » ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال « أربى الربا عند الله استحلال عرض امريء مسلم » ثم قرأ (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا)

بالمحاربة « ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب ومعاصيه وذكره على مايتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزه عن أن يلحقه أذى من أحد . وإيذاء الرسول قال ابن عباس هو انه شج في وجهه وكسرت رباعيته وقيل شاعر ساحر معلم مجنون ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم وقال مجاهد يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم ﴿ فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ وقال مقاتل نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقال الضحاك والكلبي نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون إلا الاماء ولكن كانوا لايعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحداً يخرجن في درع وخمار الحرة والامة كذلك فشكون ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله (ص) فنزلت هذه الآية (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات)الآية

يـا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلـبيبهن ذلك أدنى أن يُعرَفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٥٩) لئن لم ينتـه المنـفقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينَّك بهم ثم لايجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠) ملعونين أينما ثُقفوا أخِذوا وقُتِّـلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢)

يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما أن يأمر النساء المسلمات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهليـة وسمات الاماء والجلباب هو الرداء فوق الخمار . قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد وهو بمنزلة الازار اليوم . قال الجوهري الجلباب الملحفة ، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلا لها

تمشي النسور اليه وهي لاهيـة مشي العذارى عليهن الجلابيب

قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة ، وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل (يدنين عليهن من جلابيبهن) فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة تغطي ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها

ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالاماء فقال جل ذكره ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ جمع الجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار قال ابن عباس وأبو عبيدة أمر نساء المؤمنين أن يغطين رءوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن ﴾ أنهن حرائر ﴿ فلا يؤذين ﴾ فلا يتعرض لهن ﴿ وكان الله غفوراً رحيما ﴾ قال أنس مرت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال : يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ؟ ألقي القناع

قوله عز وجل ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ عن نفاقهم ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾ فجور يعني الزنا ﴿ والمرجفون في المدينة ﴾ بالكذب ، وذلك ان ناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس الرعب ، وإذا التحم القتال ولوا وانهزموا ويقولون قد آتاكم العدو ونحوها ، وقال الكلبي : كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الاخبار ﴿ لنغرينك بهم ﴾ لنحرشنك

وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني فيما كتب إليّ حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية (يدنين عليهن من جلابيبهن) خرج نساء الانصار كأن على رءوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا ابو صالح حدثنى الليث حدثنا يونس بن يزيد قال وسألناه يعني الزهري هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة؟ قال عليها الخمار إن كانت متزوجة وتنهى عن الجلباب لانه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات وقد قال الله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن)

وروي عن سفيان الثوري أنه قال : لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة وانما نهي عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهن واستدل بقوله تعالى (ونساء المؤمنين) وقوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي اذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر لسن بإماء ولا عواهر، قال السدي في قوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) قال كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون النساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فاذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن فاذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها ، واذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها ، وقال مجاهد يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة

قوله (وكان الله غفوراً رحيما) أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك ، ثم قال تعالى متوعداً المنافقين وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر (والذين في قلوبهم مرض) قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا (والمرجفون في المدينة) يعني الذين يقولون جاء الاعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق (لنغرينك بهم) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس أي لنسلطنك عليهم ، وقال قتادة لنحرشنك بهم ، وقال السدي لنعلمنك بهم (ثم لا يجاورونك فيها) أي في المدينة (إلا قليلا ملعونين) حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين (أينما ثقفوا) أي وجدوا (أخذوا) لذلتهم وقلتهم (وقتلوا تقتيلا) ثم قال تعالى (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي هذه سنته في المنافقين اذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم

بهم ولنسلطنك عليهم ﴿ ثم لا يجاورونك فيها ﴾ لا يساكنونك في المدينة ﴿ إلا قليلا ﴾ حتى يخرجوا منها . وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة ﴿ ملعونين ﴾ مطرودين نصب على الحال ﴿ أينما ثقفوا ﴾ وجدوا وأدركوا ﴿ أخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾ أي الحكم فيهم هذا على جهة الامر به ﴿ سنة الله ﴾ أي كسنة الله ﴿ في الذين خلوا من قبل ﴾ من المنافقين والذين فعلوا مثل هؤلاء

ولم يرجعوا عما هم فيه ان أهل الايمان يسلطون عليهم ويقهرونهم (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي وسنة الله في ذلك لاتبدل ولا تغير

يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكفرين وأعد لهم سعيرا (٦٤) خالدين فيها أبدا لايجدون وليا ولا نصيرا (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً (٦٨)

يقول تعالى مخبراً لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أنه لاعلم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك وأرشده أن يرد علمها إلى الله عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الاعراف وهي مكية وهذه مدنية فاستمر الحال في رد علمها الى الذي يقيمها لكن أخبره أنها قريبة بقوله [ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا] كما قال تعالى [اقتربت الساعة وانشق القمر] وقال [اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] وقال [أتى أمر الله فلا تستعجلوه] ثم قال (إن الله لعن الكافرين) أي أبعدهم من رحمته (وأعد لهم سعيراً) أي في الدار الآخرة [خالدين فيها أبداً] أي ماكثين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها [لايجدون وليا ولا نصيراً] أي وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه ثم قال [يوم تقلب وجوههم في النار يقولون) وهم كذلك (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا] أي يسحبون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله [ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا]

﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾

قوله تعالى ﴿ يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك ﴾ أي أشيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه ﴿ لعل الساعة تكون قريبا ، ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً * خالدين فيها أبداً لا يجدون وليا ولا نصيراً * يوم تقلب وجوههم في النار ﴾ ظهراً لبطن حين يسحبون عليها ﴿ يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ في الدنيا ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب (ساداتنا) بكسر التاء وألف قبلها على جمع الجمع ، وقرأ الآخرون

وقال تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا [وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا] وقال طاوس : سادتنا يعني الاشراف ، وكبراءنا يعني العلماء رواه ابن أبي حاتم أي اتبعنا السادة وهم الامراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا وأنهم على شيء فاذا هم ليسوا على شيء [ربنا آتهم ضعفين من العذاب] أي بكفرهم واغوائهم إيانا (والعنهم لعنا كبيراً) قرأ بعض القراء بالباء الموحدة ، وقرأ آخرون بالثاء المثلثة وهما قريبا المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال يارسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم » أخرجاه في الصحيحين، يروى كثيراً أو كبيراً وكلاهما بمعنى صحيح واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه وفي ذلك نظر ، بل الاولى أن يقول هذا تارة وهذا تارة كما أن القاريء مخير بين القراءتين أيتهما قرأ أحسن وليس له الجمع بينهما والله أعلم

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا ضرار بن صرد حدثنا علي بن هاشم عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه في تسمية من شهد مع علي رضي الله عنه الحجاج بن عمرو ابن غزية وهو الذي كان يقول عند اللقاء يا معشر الانصار أتريدون أن تقولوا لربنا اذا لقينا (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً)

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (٦٩)

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان موسى كان رجلا حييا وذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) هكذا أورد هذا الحديث ههنا مختصراً جداً . وقد رواه في أحاديث الانبياء بهذا السند بعينه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « ان موسى عليه السلام كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر الا من عيب في جلده اما برص واما أدرة واما آفة . وان الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام

بفتح التاء بلا الف قبلها ﴿ وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴾ أي ضعفي عذاب غيرهم

قوله تعالى ﴿ والعنهم لعنا كبيراً ﴾ قرأ عاصم كبيراً بالباء، قال الكلبي أي عذابا كبيراً، وقرأ الآخرون بالثاء كقوله تعالى (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وهذا يشهد للكثرة، أي مرة بعد مرة

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ﴾ فطهره الله مما قالوا ﴿ وكان عند الله وجيهاً ﴾ أي كريماً ذا جاه ، يقال وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه إذا كان

فخلا يوماً وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً - قال - فذلك قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) »
وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن النبي (ص) وخلاس ومحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان موسى كان رجلا حيياً ستيراً لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه» ثم ساق الحديث كما رواه البخاري مطولا ورواه عنه في تفسيره عن روح عن عوف به . ورواه ابن جرير من حديث الثوري عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو هذا . وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس في قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال قال قومه له إنك آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عرياناً حتى انتهت به مجالس بني اسرائيل قال فرأوه ليس بآدر فذلك قوله(فبرأه الله مما قالوا) وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما سواء.

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الآدمي قالا حدثنا يحيى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي ﷺ قال « كان موسى عليه السلام رجلا حيياً وانه أتى - أحسبه قال الماء - ليغتسل فوضع ثيابه على صخرة وكان لا يكاد تبدو عورته فقال بنو إسرائيل ان موسى آدر أو به آفة - يعنون انه لا يضع ثيابه - فاحتملت الصخرة ثيابه حتى صارت بحذاء مجلس بني اسرائيل فنظروا إلى موسى كأحسن الرجال أو كما قال فذلك قوله (فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)

ذا جاه وقدر ، قال ابن عباس : كان حظياً عند الله لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه . وقال الحسن : كان مستجاب الدعوة » وقيل كان محبباً مقبولا

واختلفوا فيما أوذي به موسى فأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا إسحاق بن ابراهيم أنا روح بن عبادة أنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان موسى كان رجلا حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما تستر موسى هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص أو أدرة » وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا » فخلا يوما وحده ليغتسل فوضع

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قوله (فبرأه الله مما قالوا) قال صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون عليه السلام فقال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حياء فآذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني اسرائيل فتكلمت بموته فما عرف موضع قبره الا الرخم وإن الله جعله أصم أبكم وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز أن يكون هذا هو المراد بالاذى وجائز أن يكون الاول هو المراد فلاقول أولى من قول الله عز وجل (قلت) يحتمل أن يكون الكل مراداً وأن يكون معه غيره والله أعلم

قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسما فقال رجل من الانصار ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله قال فقلت ياعدو الله أما لاخبرن رسول الله ﷺ بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال «رحمة الله على موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الاعمش به. طريق أخرى قال الامام احمد حدثنا حجاج سمعت اسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه «لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر» فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال فقسمه قال فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبت حتى سمعت ما قالا ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً وإني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاحمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه ثم قال «دعنا منك لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر» وقد رواه أبو داود في الادب عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف الفريابي عن إسرائيل عن الوليد بن أبي هشام به مختصراً «لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً اني احب ان اخرج اليكم وأنا سليم الصدر» وكذا رواه الترمذي في المناقب عن الذهلي سواء إلا

ثوبه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله ان بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثا أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها).

* وقال قوم أذاهم إياه انه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا انه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا

أنه قال زيد بن زائدة ، ورواه أيضا عن محمد بن اسماعيل عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن اسرائيل عن السدي عن الوليد بن ابي هشام به مختصراً أيضا فزاد في إسناده السدي ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (وكان عند الله وجيها) أي له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل . قال الحسن البصري كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل. وقال بعضهم من وجاهته العظيمة عند الله أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه فأجاب الله سؤاله فقال (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما (٧١)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وان يقولوا (قولا سديدا) أي مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم اذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم اعمالهم أي يوفقهم للاعمال الصالحة وان يغفر لهم الذنوب الماضية ، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) وذلك أنه يجار من نار الجحيم ويصير الى النعيم المقيم .

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف حدثنا خالد عن ليث عن ابي بردة عن أبي موسى الاشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فلما انصرف أومأ الينا بيده فجلسنا فقال ، ان الله تعالى أمرني أن آمركم ان تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا ، ثم اتى النساء فقال ان الله أمرني ان آمركن ان تتقين الله وتقلن قولا سديداً ، وقال ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن عمران الزهري حدثنا عيسى بن سبرة عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر إلا سمعته يقول (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) الآية غريب جداً، وروى عبد الرحيم

وقال أبو العالية هو أن قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبدالله بن أحمد النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد ابن اسماعيل انا ابو الوليد انا شعبة عن الاعمش قال سمعت ابا وائل قال سمعت عبد الله قال قسم النبي ﷺ قسما فقال رجل ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال « رحم الله موسى لقد اوذي بأكثر من هذا فصبر »

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ قال ابن عباس صوابا وقال

ابن زيد العمي عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفا : من سره ان يكون أكرم الناس فليتق الله قال عكرمة القول السديد لا إله الا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والكل حق

إنا عرضنا الأمانة على السموٰت والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسٰن إنه كان ظلوما جهولا (٧٢) ليعذب الله المنافقين والمنفقٰت والمشركين والمشركٰت ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنٰت وكان الله غفوراً رحيما (٧٣)

قال العوفي عن ابن عباس يعني بالامانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم: اني قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذها فيها؟ قال يارب وما فيها؟ قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الامانة الفرائض عرضها الله على السموات والارض والجبال إن ادوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) يعني غرا بأمر الله

وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها) قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلت فما كان الا مقدار ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة ، وقد روى الضحاك

قتادة عدلا وقال الحسن صدقا وقيل مستقيما وقال عكرمة هو قول لا اله الا الله ﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾ قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزك أعمالكم ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ أي ظفر بالخير كله

قوله تعالى ﴿انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال﴾ الآية أراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على أنهم ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم وهذا قول ابن عباس، وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع، وقال مجاهد الامانة الفرائض وحدود الدين، وقال أبو العالية ما أمروا به ونهوا عنه وقال زيد بن أسلم هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها. فالفرج والاذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة

عن ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظ وانقطاع بين الضحاك وبينه والله أعلم . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصري وغير واحد إن الامانة هي الفرائض وقال آخرون هي الطاعة ، وقال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال أبي بن كعب من الامانة ان المرأة اؤتمنت على فرجها، وقال قتادة الامانة الدين والفرائض والحدود، وقال بعضهم الغسل من الجنابة، وقال مالك عن زيد بن أسلم قال الامانة ثلاثة الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة وكل هذه الاقوال لا تنافي بينها بل هي متفقة وراجعة الى أنها التكليف وقبول الاوامر والنواهي بشرطها وهو أنه ان قام بذلك أثيب وان تركها عوقب فقبلها الانسان على ضعفه وجهله وظلمه الا من وفق الله وبالله المستعان

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصري حدثنا حماد بن واقد يعني أبا عمر الصفار سمعت أبا معمر يعني عون بن معمر يحدث عن الحسن يعني البصري انه تلا هذه الآية (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) قال عرضها على السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم، وحملة العرش العظيم، فقيل لها هل تحملين الامانة وما فيها؟ قالت وما فيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت لا ، ثم عرضها على الارضين السبع الشداد ، التي شدت بالاوتاد ، وذللت بالمهاد ، قال فقيل لها هل تحملين الامانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت قالت لا ، ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب قال قيل لها هل تحملين الامانة وما فيها ؟ قالت وما فيها قال لها ان أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت لا.

وقال مقاتل بن حيان ان الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الانس والجن والسموات والارض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليهن الامانة وهي الطاعة فقال لهن : أتحملن هذه الامانة ولكن علي الفضل والكرامة والثواب في الجنة ؟ فقلن يارب انا لا نستطيع هذا الامر وليس بنا قوة ولكنا لك مطيعين ، ثم عرض

والرجل أمانة، ولا ايمان لمن لا أمانة له وقال بعضهم هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس فعرض الله هذه الامانة على أعيان السموات والارض والجبال هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهن أتحملن هذه الامانة بما فيها ؟ قلن وما فيها ؟ قال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن فقلن لا يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله أن لا يقمن به لا معصية ولا مخالفة، وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال جل ذكره للسموات والارض (ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وقال للحجارة (وان منها لما يهبط من خشية الله) وقال تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) الآية وقال بعض أهل العلم ركب الله عز وجل فيهن العقل والفهم حين عرض الامانة عليهن حتى عقلن الخطاب وأجبن

الامانة على الارضين فقال لهن: اتحملن هذه الامانة وتقبلنها مني وأعطيكن الفضل والكرامة في الدنيا؟ فقلن لاصبر لنا على هذا يارب ولا نطيق ولكنا لك سامعين مطيعين لا نعصيك في شيء أمرتنا به ثم قرب آدم فقال له أتحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال عند ذلك آدم مالي عندك ؟ قال ياآدم ان أحسنت وأطعت ورعيت الامانة فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة ، وان عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فاني معذبك ومعاقبك وأنزلك النار . قال رضيت يارب وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك قد حملتكها فذلك قوله تعالى (وحملها الانسان) رواه ابن أبي حاتم . وعن مجاهد أنه قال عرضها على السموات فقالت يارب حملتني الكواكب وسكان السماء وماذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة ، قال وعرضها على الارض فقالت يارب غرست في الاشجار وأجريت في الانهار وسكان الارض وماذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة ، وقالت الجبال مثل ذلك قال الله تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) في عاقبة أمره وهكذا قال ابن جريج عن ابن أشوع أنه قال لما عرض الله عليهن حمل الامانة ضججن الى الله ثلاثة أيام ولياليهن وقلن ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب. ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء الموصلي حدثنا أبي حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم في هذه الآية (انا عرضنا الامانة على السموات والارض) الآية قال الانسان بين أذني وعاتقي فقال الله عز وجل : اني معينك عليها اني معينك على عينيك بطبقتين فاذا نازعاك الى ما أكره فأطبق ، ومعينك على لسانك بطبقتين فاذا نازعك الى ما أكره فأطبق ومعينك على فرجك بلباس فلا تكشفه الى ما أكره . ثم روى عن أبي حازم نحو هذا. وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) الآية قال ان الله تعالى عرض عليهن الامانة أن يفترض عليهن الدين ويجعل لهن ثوابا وعقابا ويستأمنهن على الدين فقلن لا نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا قال وعرضها الله تبارك وتعالى على آدم فقال بين اذني وعنقي قال ابن زيد فقال الله تعالى له : اما اذا تحملت هذا فسأعينك أجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى مالا يحل لك فأرخ عليه حجابه

بما أجبن ، وقال بعضهم المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على أهل السموات والارض عرضها على من فيها من الملائكة وقيل على أهلها كلها دون أعيانها كقوله تعالى (واسئل القرية) أي أهل القرية والاول أصح وهو قول العلماء ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ أي خفن من الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب ﴿وحملها الانسان﴾ يعني آدم عليه السلام فقال الله لآدم انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت اخذها بما فيها؟ قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فتحملها آدم وقال بين اذني وعاتقي قال الله تعالى اما اذا تحملت فسأعينك أجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى مالا يحل لك فارخ

وأجعل لسانك بابا وغلقا فاذا خشيت فاغلق، واجعل لفرجك لباسا فلاتكشفه الا على ما أحلت لك.

وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية حدثنا عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ «ان الامانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الانبياء فأرسلوا به، فمنهم رسول الله، ومنهم نبي ومنهم نبي رسول ونزل القرآن وهو كلام الله وأنزلت العجمية والعربية فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم ولم يدع الله تعالى شيأ من أمره مما يأتون وما يجتنبون وهي الحجج عليهم الا بينه لهم، فليس أهل لسان الا وهم يعرفون الحسن والقبيح، ثم الامانة أول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس، ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها حتى وصل الي والى أمتي ولا يهلك على الله الا هالك، ولا يغفل الا تارك، فالحذر أيها الناس، واياكم والوسواس الخناس، فانما يبلوكم أيكم أحسن عملا» هذا حديث غريب جداوله شواهد من وجوه أخر. ثم قال ابن جرير حدثنا محمد ابن خلف العسقلاني حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي حدثنا أبو العوام العطار حدثنا قتادة وأبان ابن أبي عياش عن خليد العصري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «خمس من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها ـ وكان يقول ـ وايم الله لا يفعل ذلك الا مؤمن وادى الامانة» قالوا يا أبا الدرداء وما الامانة؟ قال رضي الله عنه الغسل من الجنابة فان الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عبد الرحمن العنبري عن عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي عن أبي العوام عمران بن داود القطان به

وقال ابن جرير أيضا حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا اسحاق عن شريك عن الاعمش عن عبدالله ابن السائب عن زاذان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها ـ أو قال ـ يكفر كل شيء الا الامانة يؤتى بصاحب الامانة فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له أد أمانتك، فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا» فيقول اذهبوا به الى أمه الهاوية فيذهب

عليه حجابه، وأجعل لسانك لحيين وغلاقا فاذا خشيت فاغلق» وأجعل لفرجك لباسا فلاتكشفه على ماحرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة إلا مقدار مابين الظهر والعصر. وحكى النقاش باسناده عن ابن مسعود انه قال: مثلت الامانة كصخرة ملقاة ودعيت السموات والارض والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لانطيق حملها وجاء آدم من غير أن دعي وحرك الصخرة وقال لو أمرت بحملها لحملتها فقيل له احملها فحملها الى ركبتيه ثم وضعها وقال والله لو أردت أن ازداد لزدت قيل له احمل فحملها الي حقوه ثم وضعها وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت قيل احمل فحملها حتى وضعها

به الى الهاوية فيهوي فيها حتى ينتهي الى قعرها فيجدها هنالك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها الى شفير جهنم حتى اذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهوى في أثرها أبد الآبدين » قال والامانة في الصلاة والامانة في الصوم والامانة في الوضوء والامانة في الحديث » وأشد ذلك الودائع. فلقيت البراء فقلت ألا تسمع مايقول أخوك عبدالله ؟ فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه ولم يذكر الامانة في الصلاة وفي كل شيء إسناده جيد ولم يخرجوه

ومما يتعلق بالامانة الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة. ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال: ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا وليس فيه شيء - قال ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا أمينا، حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت ان كان مسلما ليردنه علي دينه ، وان كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه » فاما اليوم فما كنت أبايع منكم الا فلانا وفلانا » وأخرجاه في الصحيحين من حديث الاعمش به

وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « أربع اذا كن فيك فلا عليك مافاتك من الدنيا، حفظ أمانة ، وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » هكذا رواه الامام احمد في مسنده عن عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وقد قال الطبراني في مسنده عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المقري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن زيد عن ابن حجيرة عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله (ص) « أربع اذا كن فيك فلا عليك مافاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » فزاد في

على عاتقه فأراد أن يضعها فقال الله مكانك فانها في عنقك وعنق ذريتك الى يوم القيامة ﴿ إنه كان ظلوما جهولا ﴾ قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا لامر الله وما احتمل من الامانة وقال الكلبي ظلوما حين عصى ربه جهولا لايدري ما العقاب في ترك الامانة. وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ماتحمل وذكر الزجاج وغيره من أهل المعاني في قوله (وحملها الانسان) قولا فقالوا ان الله ائتمن آدم واولاده على شيء وائتمن السموات والارض والجبال على شيء. فالامانة في حق بني آدم ماذكرنا في الطاعة والقيام بالفرائض، والامانة في حق السموات والارض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقيل قوله

الاسناد ابن حجيرة وجعله في مسند ابن عمر رضي الله عنهما . وقد ورد النهي عن الحلف بالامانة قال عبدالله بن المبارك في كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبي اسحاق الشيباني عن خناس بن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت في كلامي لا والامانة فجعل زياد يبكي ويبكي فظننت اني أتيت أمراً عظيماً فقلت له أكان يكره هذا ? قال نعم : كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالامانة أشد النهي

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع قال ابو داود حدثنا احمد بن عبدالله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائي عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « من حلف بالامانة فليس منا » تفرد به أبو داود رحمه الله

وقوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي انما حمل بني آدم الامانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الايمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لاهله (والمشركين والمشركات) وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته (وكان الله غفوراً رحيما)

(آخر تفسير سورة الاحزاب ولله الحمد والمنة)

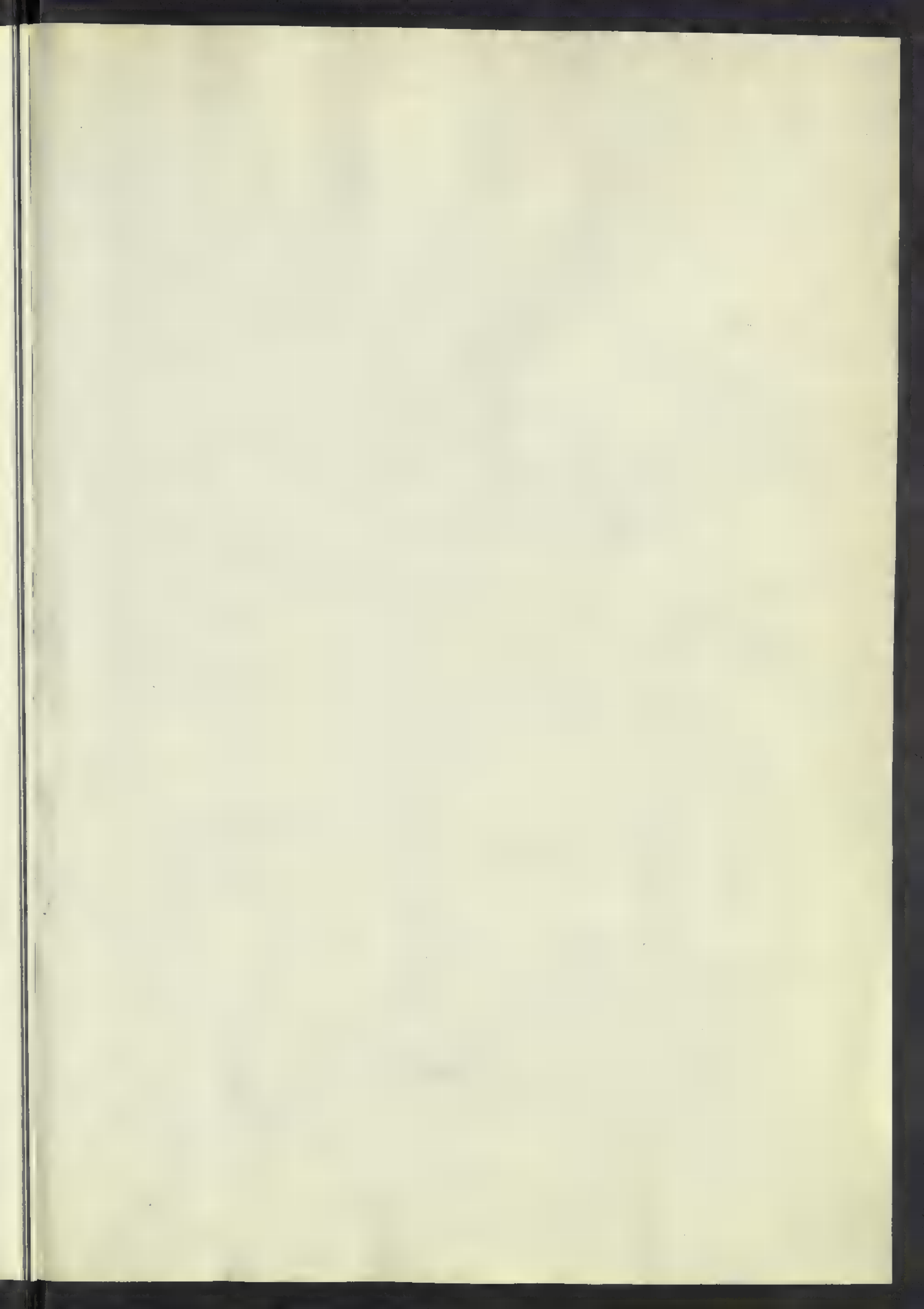
(فأبين ان يحملنها) أي أدين الامانة يقال فلان لم يحتمل الامانة أي لم يخن فيها (وحملها الانسان) أي خان فيها يقال فلان حمل الامانة أي أثم فيها بالخيانة قال الله تعالى (وليحملن أثقالهم) (إنه كان ظلوما جهولا) حكي عن الحسن على هذا التأويل أنه قال (وحملها الانسان) يعني الكافر والمنافق حملا الامانة أي خانا وقول السلف ماذكرنا

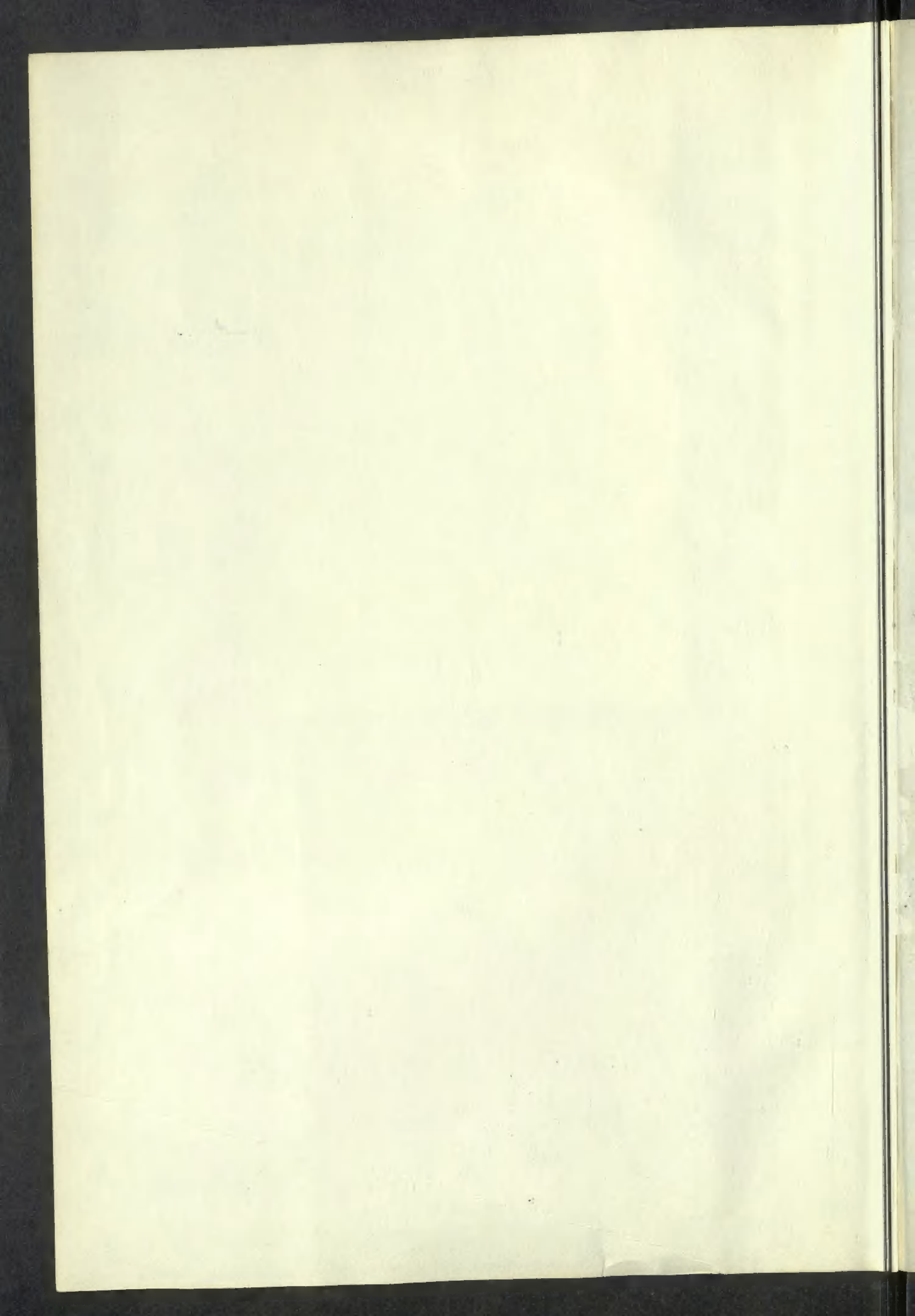
قوله عز وجل ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ قال مقاتل ليعذبهم بما خانوا الامانة ونقضوا الميثاق ﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما ﴾ يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة وقال ابن قتيبة أي عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات

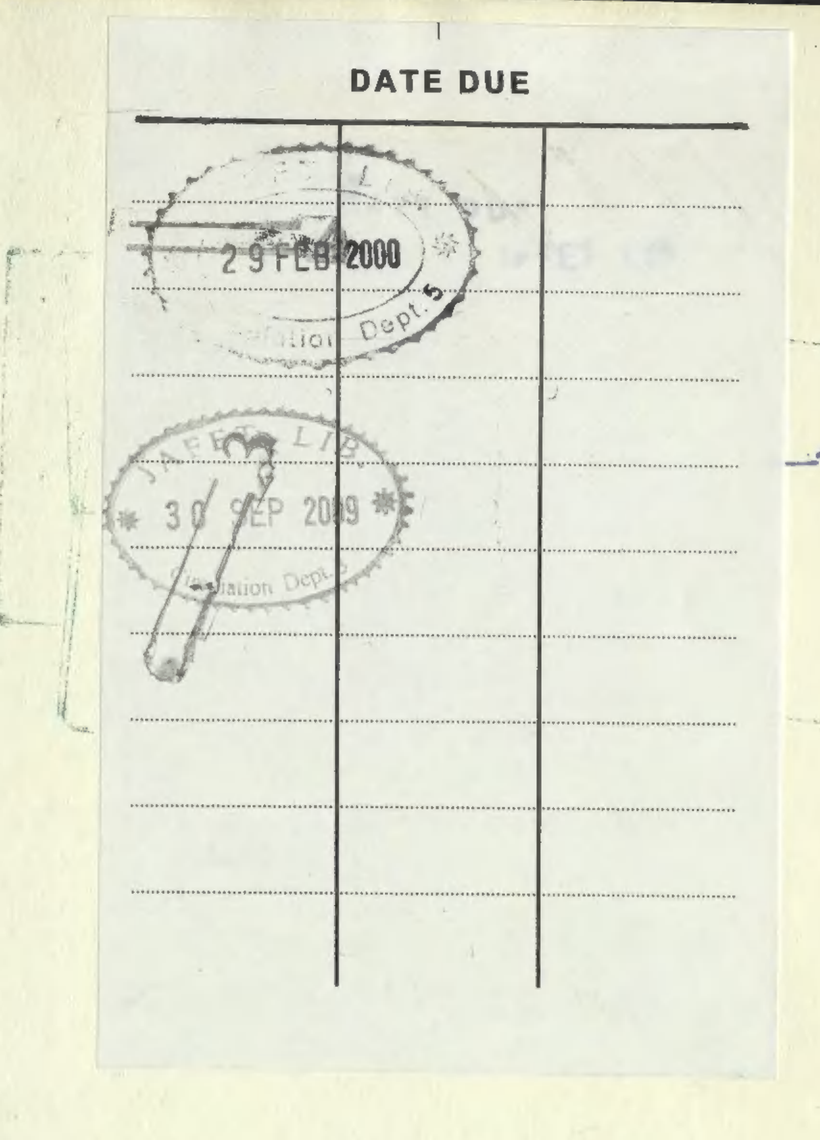
﴿ تم الجزء السادس من تفسيرى الحافظ ابن كثير والامام البغوي ﴾

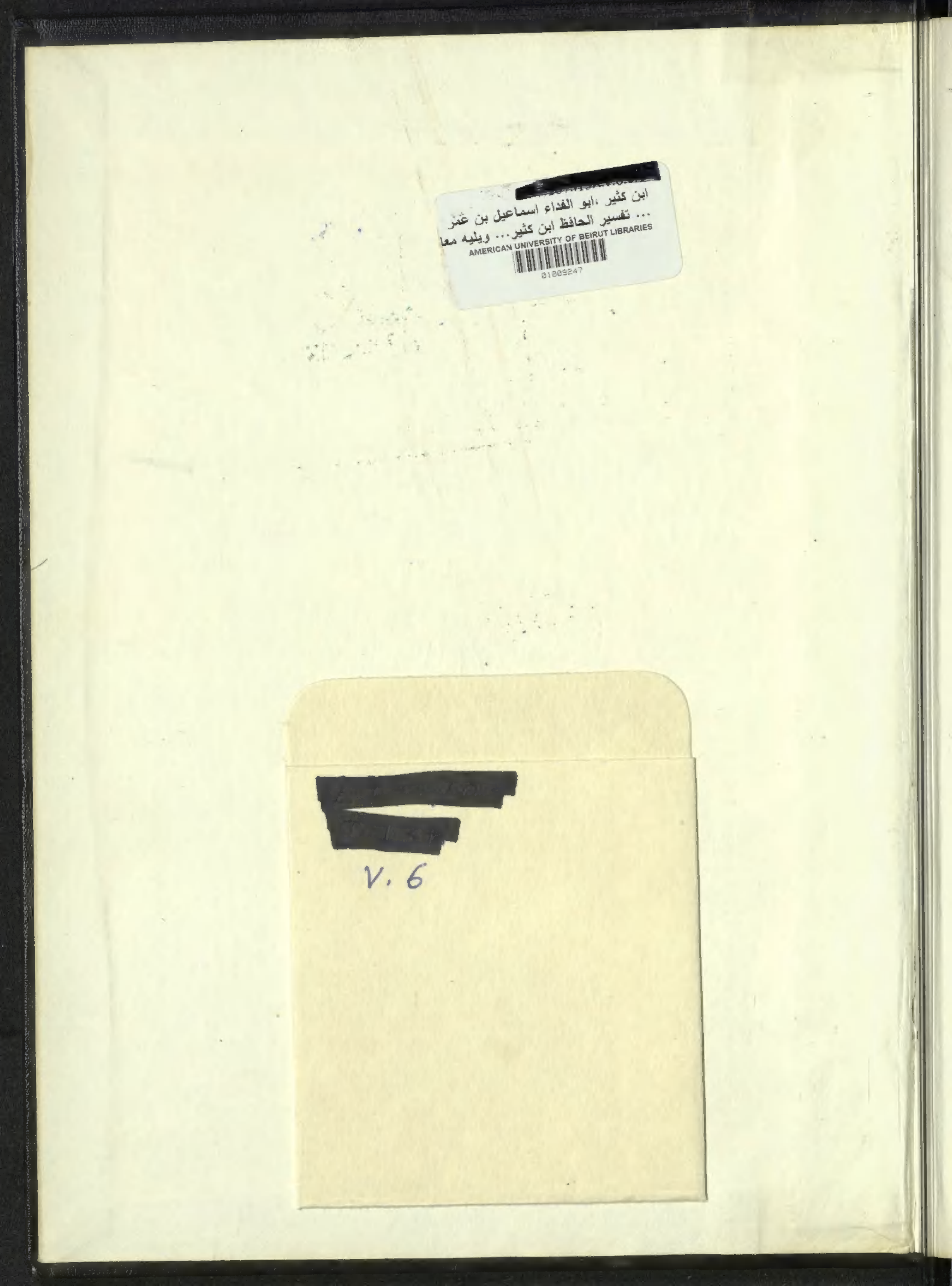
ويليه الجزء السابع إن شاء الله تعالى

﴿ وأوله سورة سبأ ﴾






DATE DUE
29 FEB 2000
Dept. 5
JAFET LIB.
30 SEP 2009
Circulation Dept.


ابن كثير ،ابو الفداء اسماعيل بن عمر
... تفسير الحافظ ابن كثير... ويليه معا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01009247
V. 6

